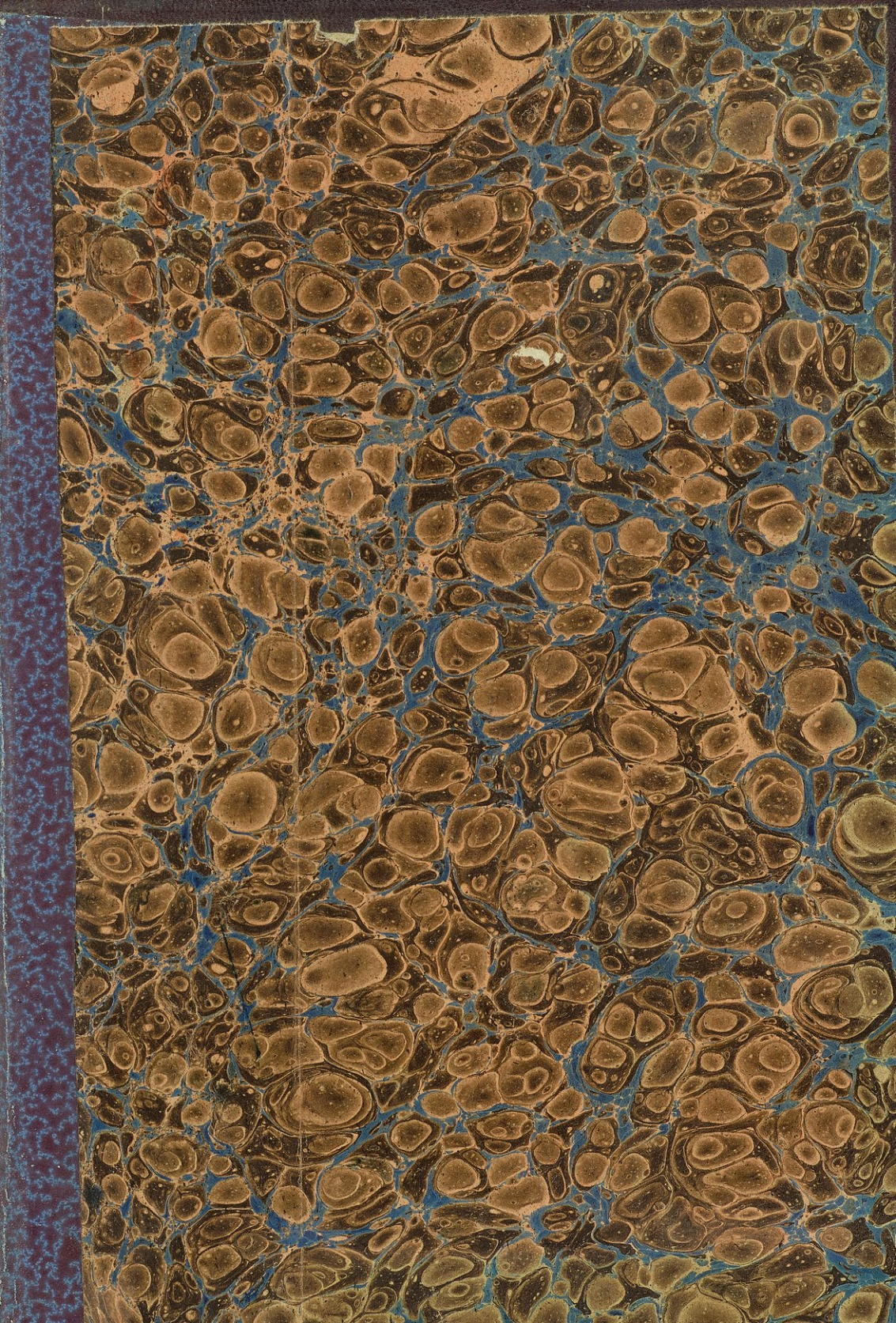

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY PAIR>
32101 027324407

Princeton University Library

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

كتاب سلوان المطاع في عدوان
الاتباع تأليف الشيخ الفقيه
محمد بن ابي محمد بن ظفر
المالكي نفعنا الله
به والمسلمين
امين والحمد
لله

تاريخ السلطان سليم ديوان الباب الظريف

فتوح مصر

2271
.498
.389
1861

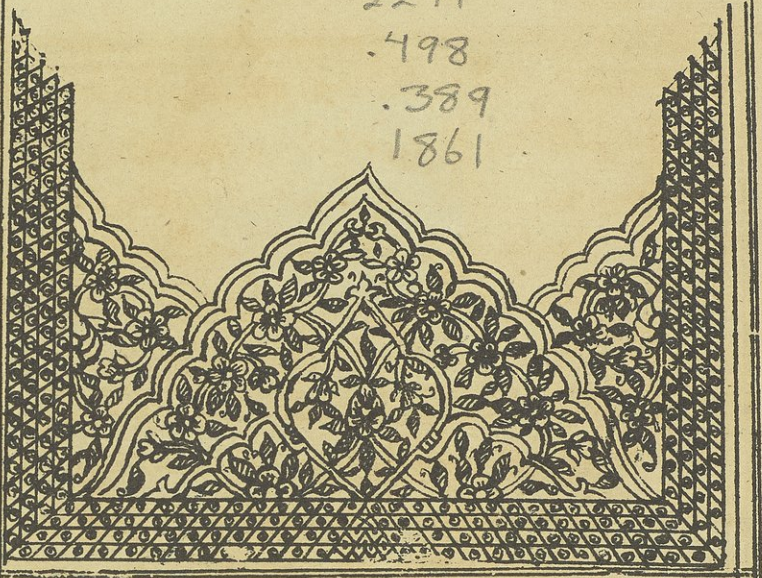

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عبد الله الفقير اليه الغني به محمد بن ابي محمد بن ظفر
المالكي عفى الله عنه ان شكر الله سبحانه لأسنى الملابس المفاخر
وان حمده لأعود بخير الدنيا والآخرة فالحمد لله الذي جعل
الصبر للنجاح ضمينا والمحبوب في المكروه كمينا الذي ضرب
دون استار سرادق الاقدار حجابا مستورا وقضى
ان الخير على الفطن لا يزال حجرا محجورا واوطى المستسلمين
لمشاياه ممهودا وثيرا وامطى المتبرمين بقضاياه كنودا
عثورا فقال سبحانه وتعالى فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل
الله فيه خيرا كثيرا وصلى الله على المرسل للناس شاهدا
ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا
سيدنا محمد المصطفى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا
وبعد فان مما افضى بي اليه اضطراب الاغتراب
وانتياب الاكتئاب ان اظفرني الله سبحانه وله الحمد
بموآخات مقيل عثرات الشرائع السادات ومسيل انفس الحسدة

حسرات

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY PAIR
32101 027324407

حسرات سائد السادة وقائد القادة ابى عبد الله محمد بن ابى
القاسم بن على بن علوى القرشى بارك الله له فى الخير الذى الهمه
كسبه وكان وليه وحسبه فلقد انزل الدنيا بدر منزلتها
وكوشف بشرف مذلتها فعمل للبقا لا للفنا وجمع للجود
لا للاقتنا وجاد لله لا للشنا وآخى للتعاون على البر
والتقوى لا للتهافت فى هوى الهوى ونزاز الرياسة
بنفس لا تضيق بنازلة ذرعا ولا تصغى للوشاة سمعا
ولا تدنس بطمع طبعا وبحلم لا يرفع الغضب اليه رأسا
وجزم لا تخاف الا يالة معه باسا فالحمد لله الذى
اباحنى من اخائه حمى منيعا وحرما آمنا ومرتعا مريعا ووردا
منيعا ووردا ينيعا شعر

فنحن بقربه فيما اشتهينا واحببنا وما اخترنا وشينا
يقينا ما نخاف وان ظننا به خيرا اراناه يقينا
نميل على جوانبه كأنا اذا ملنا نميل على ابينا
ونغضبه لنخبر حالتيه فيظهر منهما كرما ولينا

واقسم لولا ان الشكر عقد شرعى وحق مرعى لاقررت
عينه بطى ما نشرت والتورية عما اليه أشرت اذ كان وفاء
الله بعده ولا ايقانى بعده يرى ان الشكر فى وجوه الائمة
ندوب والمدح من خواص اوليائه ذنوب فلا زالت
يد التوفيق له ناصره ومكانة العلاء به فاخره وخطى
الشوائب عنه قاصره ومكادة الاعداء له داخره *
آمين آمين وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى الامين وعلى
اله وصحبه الاكرمين وسلم عليه وعليهم فى العالمين
اجمعين ولما كانت الهدايا تزرع الحب وتضاعفه *
وتعضد الشكر وتساعفه احببت ان اهدى اليه هدية

فائقه رائقة تكون عنده نافقة وبقدره لائقة فلم
اجد لذلك الا العلم الذى شغفه حبا والحكمة التى لم يزل
بها صاحبها صبا والادب الذى استوعبه مولودا
وكبا واستغمره جلبابا وقلبا فاتحفته باساليب
الغايه فى احكام الايه وهو كتاب ضمنته احد عشر اسلوبا
تفضى بسالكها الى العلم بالظاهر والمستنبط من قول الله
سبحانه وتعالى يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة
فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق ثم شفعته بالمسح
لاستشفاق المعونة والاشراف وهو كتاب استوعبت فيه
مسائل ذينك التاليفين الشريفين مشفوعة بنخب براهينها
وعززتهما بدرر الغرر وهو كتاب انتظمت به درر
انباء بخباء الابناء فاودعته منها ما عز مطلبه وبهرت
حكمته وحسن ادبه ثم ربعت بكتابى هذا وهو كتاب عمدت
فيه الى امثلة استأثرت خواص الملوك ببضاعتها ومنعتهم
الغيرة عليها من اذاعتها فتوسعت فى التعبير بالفاظى
عنها والتخبير بعلمى بها والتفنن بقوى فطنتى فيها توسعا
لا يحظره شرع ولا ينبو عنه سمع حتى اذا عادت اهلتها
بدورا رائعة واضحت وديعا يانعة نقشت فى صورها
ارواح الاصلاب الزكيه وكسوت جسومها حلل الآداب
الملوكيه وتوجت رؤسها بتيجان الهمم الابيه وقلدت
عواتقها سيوف المكايد الحربيه وتصدتها بايات من
التنزيل الحكيم المحكم واحاديث عن المصطفى صلى الله عليه
وسلم الى ما يلى ذلك من منثور الحكم وموزونها وابكار
الاداب وعيونها فبرزت روضة للقلوب والاسماع
ورائضة للعقول والطباع وسمتها سلوان المطاع

في عدوان الاتباع والسلوان جمع سلوانة وهي خرزة تتخذ
العرب ان الماء المصبوب عليها اذا شربه المحب سلا
قال الراجز
لو اشرب السلوان ما سلوت مالي غنى عنكم وان غنيت
وهي خمس سلوانات الاولى في التفويض الثانية في الرضى
الثالثة في الصبر الرابعة في الرضى الخامسة في الزهد
وانا ارغب الى الله سبحانه وتعالى في الامداد بالسداد
والارشاد الى نفع العباد فيه الحول والمكنه والطول
والمنه السلوانة الاولى وهي سلوانة التفويض قال الله
ربنا تقدس اسمه وعلا فعسى ان تكرهوا شيئاً ويجعل الله
فيه خيراً كثيرا وقال وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير
لكم وعسى ان تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وانتم
لا تعلمون فاستوقف من عقل امره عن الاقتراح عليه
واقهمهم ما ارضاه من التفويض اليه فالعاقل تارك الاقتراح
على العالم بالصلاح ووجه افهام الندوب الى التفويض
من هاتين الايتين انه اذا كان المكروه قد يأتي بالمحبوب
والمحبوب قد يأتي بالمكروه فالاولى بذي البصيرة ان لا
يأمن المضرة بالمسرة ولا ييأس من المسرة بالمضرة فيستخير
الله سبحانه ولا يختار عليه وهذا هو التفويض المستمد
من الله صرف البلاء واللطف في مكروه القضاء وبهذا
عامل الله سبحانه وتعالى مؤمن ال فرعون حين فوض امره
الى الله وذلك ما بلغنا انه كان من ذوي قرابة فرعون
وخواص اصحابه وكان وزراء فرعون وبطانته قد فطنوا
لايمانه واتباعه لموسى عليه السلام فاطلعوا فرعون على
ذلك فلم يصدقهم وعطفه على ذلك المؤمن القرابة

ولما ظهرت ايات الله سبحانه على يد موسى عليه السلام
بحضرة فرعون جمع فرعون بطانته ووزراءه وكان في
جملتهم ذلك المؤمن فشاورهم في امر موسى فاتفق
رايهم على مطاولة موسى عليه السلام وجمع السحرة
لمقاومته وكان راى فرعون معاجلة موسى بالقتل وبذلك
اخبر ربنا تقدس اسمه فقال تعالى قالوا ارجه واخاه
وارسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم وقال
عز من قائل وقال فرعون ذروني اقتل موسى الاية ولما
اطلع وزراء فرعون على راية في موسى عليه السلام امسكوا
عن مراجعته هيبة له واشفق ذلك المؤمن من ان يبطش
فرعون بموسى عليه السلام فعيل صبره وضاق بسره صدرا
فقال ما اخبر الله به عنه اتقتلون رجلا ان يقول ربي
الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ثم كانه استقال وراجع
الثقة والعذر والتورية فقال ما اخبر الله به عنه فان
يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي
يعدكم فلما سمع فرعون مقالته غضب وامر به فسجن ثم شاور
بطانته ووزراءه في امره فاشاروا بان يبسط العذاب
عليه ثم يقتله ليرتدع من كان على مثل رايه فكره فرعون
ذلك وعطفته عليه القرابة وامر وزراءه ان يصيروا
الى ذلك المؤمن ويعظوه وينصحوه ويامروه بمراجعة
ما كان عليه من الطاعة ويخوفوه عاقبة خلافه ففعلوا
ذلك فلما سمع ذلك المؤمن مقالتهم دعاهم الى الله
واذكرهم ما عاينوه من الايات وحذرهم زوال نعمة الله
عنهم وحلول مكروه بهم وكان منه اليهم معنى ما اخبر الله
عز وجل عنه من قوله يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب

الاية وقوله ويا قوم انى اخاف عليكم يوم التناد الاية وقوله
ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات الاية وقوله ويا قوم
مالى ادعوكم الى النجاة الى قوله ان الله بصير بالعباد فعاد
القوم الى فرعون واخبروه عن المؤمن بثبوته على المشافهة
والمنابذة والمعصية لفرعون وان النصح لم يزده الا تماديا
على امره فساء ذلك فرعون وشق عليه وخلا بنفسه
مفكرا فيه فأتته ابنته فسألته عن امره فأطلعها عليه فقالت
له ان عندى لك الفرج مما انت فيه فلا تعجل على خاصتك
وذوى قرابتك فانه على ما تحب ولكنه لما رأى ان موسى قد
امتنع بالسلطان الذى فى عصاه وان قتله مجاهرة غير ممكن
تظاهر بما انكرته عليه ليخدع بذلك موسى ويتمكن من
مداخلته وقتله غيلة فكلما سمعت ورأيت فانما هو مكر
بموسى وما منعه ان يطلع وزراءك على ذلك حين ذهبوا
اليه الا انهم اهل نميمة وحسد وبغى لم يطيقوا على مثل
وفائه ونصحه فسر بذلك فرعون والقى الله تعالى عليه فى
نفسه تصديقها فيقال ان آسية امرأة فرعون هى التى
امرتها بذلك فأحضر فرعون ذلك المؤمن فاعتذر اليه
واكرمه وقال له قد علمت ما انت قاصد له وساع فيه
فقل ما بدا لك انى تقوله وافعل ما بدا لك ان تفعله فلست
اتهمك قال الله سبحانه وتعالى فوقاه الله سيئات ما مكروا
وحاق بآل فرعون سوء العذاب اى حاق بهم ما ارادوه
بذلك المؤمن من التعذيب وان كان عذاب الاخرة لا يجتمع
مع عذاب الدنيا الا فى التسمية وهذا كقوله سبحانه
وتعالى ولا يحيق المكر السئ الا باهله واعلم وفقك الله
واياى ان حقيقة التفويض هو التسليم لامر الحكيم وهو الذى

دل الله عليه مصطفاه محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى
قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل
المؤمنون فأس التفويض والباعث عليه انما هو اعتقاد
انه لا يكون من الخير ولا من الشر الا ما اراد الله كونه ولا
يصح التفويض الا ممن اعتقد ذلك وتدبره وقد بالغ
النبي صلى الله عليه وسلم في التصريح به في قوله لعبد الله
ابن مسعود ليقل همك ما قدر لك يأتيك وعالم يقدر لم
يأتك واعلم ان الخلق لو اجتهدوا ان ينفعوك بشيء لم يكتبه
الله عز وجل لك لم يقدروا على ذلك فقوله صلى الله عليه
وسلم ليقل همك امر بالتفويض وقوله ما قدر يأتيك الى
اخره بيان للعلة التي من اجلها قد فوض العقلاء وسلموا الى
الله عز وجل ونحو ذلك ما روينا في مسند مسلم ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لابي هريرة في كلام قاله له فان
اصابك شيء فلا تقل لو فعلت كذا كان كذا ولكن قل قدر الله
وما شاء الله فعل فان لو تفتح عمل الشيطان قد له على التفويض
اي التسليم الى امره ونهاه عن قوله لو لما كانت تنافي التفويض
الى الله وتقتضي الاعتراض على قدره والتعاطي لدفع
مشيئته وبما روينا في صحيح مسلم عن البراء بن عازب
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اخذت مضجعك
فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الايمن ثم
قل اللهم اني اسلمت وجهي اليك وفوضت امري اليك والجأت
ظهري اليك رغبة ورهبة اليك لا ملجأ ولا منجا منك
الا اليك آمنت بكتابك الذي انزلت وبنبيك الذي
ارسلت الحديث من الفاظ الحكماء في هذا المعنى اسجاع
وابيات حكمية في التفويض معارضة العليل طبيبه توجب

تعذيبه انما الكيس الماهر من استسلم فى قبضة القاهر اذ كانت
مقابلة القدر مستحيلة فمن اعوان تفويذه الحيلة اذا التبست
الموارد والمصادر ففوض الى الواحد القادر ان من الدلالة
على ان الانسان مصروف مقلوب ومدبر معذب بان يتبلد
رايه فى بعض المطلوب ويعمى عليه الصواب المطلوب فاذا
كان ذلك فان تدميره فى تدبيره واغتياله فى احتياله
وهلكته فى حركته قيل كان الحجاج بن يوسف الثقفى اذا
تعارضت آراؤه فى خطب من المطلوب انشد
دعها سماوية تجرى على قدر لا تفسدنها برأى منك منكوس
وفى ذلك قلت

ايا من يعول فى المشكلات على ما يراه وما دبره *
اذا اشكل الامر فابدا به الى من يرى منه ما لم تره
تكن بين عطف يقيك المخو * ف ولطف يهون ما قدره
اذا كنت تجهل عقبى الامو * ر وما لك حول ولا مقدره
فلم ذا العناء وعلام الاسى ومم الحذار وفيم الشره

وقلت فيه ايضا

يا رب مغتبط ومغبوط برأى فيه هلكه
ونافس فى ملك ما يشقيه فى الدار بن ملكه
علم العواقب دونه ستر وليس يرام هتكه
ومعارض الاقدار بالآ راء سيئ الحال ضنكه
فكن امرأ محض اليقين وزيف الشبهات سبكه
تفويضه توحيده وعناده القدر وشركه
روضة رائقه ورياضة فائقه

لما بلغ الوليد بن يزيد بن عبد الملك ان ابن عمه يزيد بن الوليد
ابن عبد الملك قد اوغر عليه الصدور وشرد عليه القلوب

واستجاش ليمن عليه وينازعه دار ملكه ساعيًا في هلكه
استوحش من بطانته واحتجب عن سماره فدعا في عشية
من عشايا وحشته خادما له فقال له انطلق متنكرا وقف
بباب الطرق وتأمل من يمر بك من الناس فاذا رأيت كهلاً
رث الهيئة والملبس يمشي مشيا هونا وهو مطرق فسلم عليه
وقل له في اذنه ان امير المؤمنين يدعوك فان اسرع الاجابة
فأتني به وان تلكأ او عارض او استراب فدعه واطلب
غيره حتى تأتيني برجل على الشرط الذي ذكرت لك فانطلق
الخادم فأتاه برجل على ما وصف وشرط فلما دخل الكهل على
الوليد بن يزيد حياه بتحية الخلافة وقام فأمره الوليد بالدنو
منه والجلوس وامهله الى ان ذهب روعه وسكن جاشه
ثم اقبل عليه فقال له اتحسن مسامرة الخلفاء فقال الكهل
نعم احسنها يا امير المؤمنين فقال له الوليد ان كنت تحسن
المسامرة فأخبرنا عنها ما هي فقال الكهل المسامرة اخبار منصت
وانصات لمخبر ومفاوضة فيما يعجب ويليق فقال له الوليد
احسنت ايها الكهل لأزيدك امتحانا فقل نتصت لقولك
فقال الكهل يا امير المؤمنين ان المسامرة صنفان لا ثالث
لهما احدهما اخبار بما يوافق خبرا مسموعا والثاني اخبار
بما يوافق غرضا مقترحا وانى لم اسمع بحضرة امير المؤمنين
حديثا فأحدو على مثاله ولا اقترح على امير المؤمنين سلوك
طريقة فانحو نحوها والزم اسلوبها فقال له الوليد
صدقت وها نحن نقترح عليك ونرسم لك رسما لتقتفيه
انا بلغنا ان رجلا من رعيتنا سعى فيما يصم ملكنا فأرسعيه
وشق علينا ذلك وبلغ منا مبلغا عظيما فهل لك في ذلك
فقال الكهل نعم فقال له الوليد قل الآن على حسب ما نمى اليك

منه وعلى حسب ما ترضى من التدبير فيه فقال الكهل يا امير
المؤمنين بلغني ان امير المؤمنين عبد الملك بن مروان لما
ندب الناس لقتال عبد الله بن الزبير وخرج بهم متوجها
الى مكة حرسها الله تعالى استصحب عمرو بن سعيد بن
العاص وكان عمرو بن سعيد قد انطوى على دغل نية
وفساد طوية وطماعية في نيل الخلافة وكان امير المؤمنين
عبد الملك بن مروان قد فطن لذلك الا انه كان يبقي عليه
لتأكيد حرمته وصلة رحمه فلما فصل امير المؤمنين عن
دمشق وسار عنها اياما واستمر به السير تمارض عمرو
ابن سعيد فاستأذن امير المؤمنين عبد الملك في العود الى
دمشق فأذن له فلما دخل عمرو بن سعيد الى دمشق صعد
المنبر فخطب الناس خطبة نال فيها من الخليفة ودعا الناس
الى خلعه فأجابوه الى ذلك وبايعوه فاستولى على دمشق
وحصن سورها وحمى حوزتها وسد ثغورها وبذل
الرغائب فبلغ ذلك عبد الملك بن مروان وهو متوجه الى
ابن الزبير وبلغه مع ذلك ان النعمان والي حمص قد نزع
يده من الطاعة وان اهل الثغور قد تشوفوا للخلاف
فخرج على وزرائه وبيده مخصرة يضرب بها عطفه
فاطلعهم على ما بلغه وقال لهم هذه دمشق دار ملكنا قد
استولى عليها عمرو بن سعيد وهذا عبد الله بن الزبير
قد استولى على الحجاز وعلى العراق ومصر واليمن وخراسان
وهذا النعمان بن بشير امير حمص وزفر بن الحارث امير
قنسرين ونائل بن قيس امير فلسطين قد نزعوا ايديهم
من الطاعة وبايعوا الناس لابن الزبير وقد تشوف اهل
الثغور للخلاف وهذه المضربة سيوفها على عواتقنا تطالبنا

بتعلى المزح فلما سمع وتر راؤه مقالته ذهلت عقولهم
وعلموا ان لا مقر ولا مفر فنكسوا رؤسهم ولم ينطقوا
فقال لهم عبد الملك مالكم لا تنطقون احضروا فى غناء كم
هذا وقت الحاجة اليكم فقال له افضلهم اى غناء عندنا
فى هذا الوقت وددت والله ان اكون حرباء على عود
من اشجار تهامة حتى تنقضى هذه الفتن قال الشيخ الامام
حجة الدين ابو هاشم محمد بن طفر عفى الله عنه الحرباء ذا
صغيرة طولها اقل من شبر لها قوائم اربع ورأسها تشبه
رأس العجل اذا طلعت عليها الشمس قامت على عودا وحجر تومة
او حجر ثم استقبلت الشمس بعينها وجعلت تراعيها ولا
تصرف عنها بصرها حتى تستوى الشمس فى اعلى فلكها
فتصير على رأس الحرباء فلا يمكنها النظر الى الشمس فتقلق
وتضرب بلسانها حنكها كما يفعل من يسوى حمارا فلا تزال
كذلك حتى تزول الشمس فتستدير الحرباء فتقابلها ببصرها
وتراعيها كذلك حتى تغيب الشمس فى مغربها واذا غربت
ذهبت الحرباء تبتغى ما تأكله طول ليلتها حتى اذا طلعت
الشمس عادت الى فعلها فمعنى هذا الرجل ان يكون حرباء
فرارا من تلك الفتن قال الكهل فلما سمع عبد الملك مقالة
صاحبه علم ان لا غناء عند وزرائه فقام عنهم وامرهم
بلزوم مواضعهم وركب من ساعته منفردا وامر جماعة
كثيفة من شجعان اصحابه وفرسانهم ان يركبوا بالسلاح
ويتبعوه متباعدين منه بحيث يرون اشارته اذا اشار
اليهم ففعلوا وركب عبد الملك واتبعه القوم على مارسم
لهم فلم يزل سائرا حتى انتهى الى شيخ كبير السن ضعيف الجسم
سيئ الحال وهو يجمع السماق فسلم عليه عبد الملك وآنسه بحديث

خفيف ثم قال له ايها الشيخ الملك علم بمنزل هذا العسكر فقال
الشيخ بلغني انهم نزلوا بموضع كذا فقال له عبد الملك هل
سمعت شيئا مما يقول الناس في امره فقال الشيخ ما سؤالك
عنه فقال عبد الملك اني اردت اللحاق به والدخول عليه في
اصحابه والتعرض للحظوة عنده فقال الشيخ ما معناه اني
اراك اديبا وضيا وحسيبا سريا فهل يحب ان انصح لك
فيما انت قاصده فقال له عبد الملك ما احوجني الى ما تقول
فقال له الشيخ انه ينبغي لك ان تصرف نفسك عن هذا الذي
ترغب اليه فان الامير الذي انت قاصده قد اخلت عرى
ملكه ونابذه اتباعه واضطربت اموره وان السلطان
في حال اضطراب اموره كالبحر في حال هيجانه لا ينبغي ان تقرب
فقال عبد الملك ايها الشيخ ان الحنكة لم تبلغ بي مغالبة نفسي
في كل ما نزعت اليه واني اجدها تنزع الى صحبة هذا الامير
نزاعا شديدا ولا بد لي من ذلك فهل لك ان تحسن الي
فتخبرني بما تراه من الرأي لهذا الامير في تدبيره هذه الخطوب
التي دهمته لاني لا استغني عن مشورتك لحسن هيئتك
وسمتك ورأيك لاعرض ذلك الرأي عليه والفق به عنده
فلعله ان يكون سببا لقربي منه فقال الشيخ ان حكمة الله
وعزته ليقضيان بحجب العقول والاراء عن النفوذ في بعض
النوازل واني لاظن هذه النازلة التي بها الخليفة من النوازل
التي لا تنفذ فيها العقول ولا تهتدي فيها الى الصواب واني
اكره ان ارد مسألتك بالخيبة ها انا اقول فيما سألتني
عنه قولا اقضي به حق رغبتك وان كنت لا اثق بنفسي فيه
لان الخطب عظيم جدا والخطر فيه ايضا هي عظمه فقال له
عبد الملك قل جزاك الله خيرا فاني لارجو ان يسدد الله

ويرشدك ويرشدني بك الى الفلاح فقال الشيخ ان هذا
الخليفة قد خرج لمحاربة عدوه فظهر من مشيئة الله سبحانه
وتعالى انه لا يريد ما قصده له والدليل على ان الله لم يرد
قصده لمحاربة ابن الزبير انه قطعه عن التمادي بما احدثه
في دار ملكه من وثوب عمرو بن سعيد على منبره واستفساده
لرعيته واستيلائه على بيوت امواله وسرير خلافته واني
مشير عليك بتفقد حال هذا الامير وانتظار ما يكون
منه فان رايته قد تمادى فيما خرج له واصر على قصد ابن
الزبير فاعلم انه مخذول فاجتنبه وانما كان مخذولا لان الله
سبحانه وتعالى قد اظهر في حكمه امرا يقطعه عن التمادي
لما خرج له فابى الانجاح وان رأيته قد رجع من حيث جاء
وترك ما كان قصده له وخرج اليه فارج له السلامة لانه
مستقيل مراجع والله سبحانه وتعالى اهل ان يقيل من استقاله
ويرحم من يرجع اليه فقال له عبد الملك يا شيخ وهل رجوعه
الى دمشق الا كسيره الى ابن الزبير اذ كان قد ظهر من
حكمة الله ومشيئته ان قبض عليه قلوب رعيته الذين
بدمشق عن موالاته وبسط ايديهم بالبيعة لغيره فسيره
لابن الزبير كرجوعه الى عمرو بن سعيد لان كل واحد منهما
حاصل على مملكة منيعة ورعية مطيعة فقال له الشيخ
ان الذي اشكل عليك لواضح بين وها انا ازيل اللبس عنك
ان عبد الملك اذا قصد ابن الزبير كان في صورة ظالم له لان
ابن الزبير لم يعطه طاعة قط ولا وثب له على مملكة وهو
اذا قصد عمرو بن سعيد كان في صورة مظلوم لان عمرو
ابن سعيد نكث بيعته وخان امانته وافسد رعيته وحملهم
على النكث والغدر ووثب على دار ملك لم تكن له ولا لابيه

بل كانت

بل كانت لعبد الملك ولابيه من قبله وعمرو بن سعيد عليها
معتد ولها مغتصب وانه كان يقال سمين الغصب مهزول
وولي الغدر معزول وكان يقال جيش العدوان مغلول
وعرش الطغيان مثلول وسأضرب لك مثلا يشفي النفس
وينفي اللبس واودعه من فقر الحكم ما يشحذ الفطن والالباب
ويسفر عن وجه الصواب زعموا ان ثعلبا كان يدعى ظالما
وكان له جحر يأوي اليه وكان مغتبطا به لا يبغي عنه حولا
فخرج يوما يبتغي ما يأكل ثم رجع فوجد فيه حية فانتظر
خروجها فلم تخرج وعلم انها قد اوطنته وذلك ان الحية
لا تتخذ جحرا بل تدخل الجحرة التي لغيرها فتغصبها وتطرد عنها
ما كان فيها من الحيوان قال بعضهم يصف رجلا بالظلم
وانت كالأفعى التي لا تحتفز حتى تجد شاردة فتجتحر
ولذلك يقال فلان اظلم من حية فهذا اظلمها ولما راى
ظالم ان الحية قد اوطنت جحره ولم يمكنه السكون معها
ذهب يطلب لنفسه مأوى فانتهى به الطواف الى جحر
حسن الظاهر مليح الموضع في ارض حصينة ذات اشجار
ملتفة وماء معين فاعجبه وسأل عنه فأخبر ان ذلك
الجحر لثعلب يسمى مفوضا وانه ورثه عن أبيه فناداه ظالم
فخرج اليه ورحب به وادخله الجحر وسأله عما قصد له
فقص عليه القصة وشكى اليه ما نال له فرق له مفوض
واقبل عليه فقال له ان من الهمة ان لا تقصر عن مطالبة
عدوك وان تستفرغ جهدك في ابتغاء دفعه وهلكه وان
كان يقال من تهيب عدوه فقد جهز الى نفسه جيشا وكان
يقال رب حيله انفع من قبيله وكان يقال الموت في طلب
النار خير من الحياة في العار وكان يقال اذا طالبت

عدوك بالقوة فلا تقدمن عليه حتى تعلم ضعفه عنك
واذا طالبته بالمكيدة فلا يعظمن امره عندك وان كان
عظيما والرأى عندى ان تنطلق معى الى ماواك الذى انتزع
منك غصبا حتى اطلع عليه فلعلى اهتدى الى وجه مكيدة
فى تمكينك منه فان افضل الراى ما اسس على الروية
فلهذا قيل بفساد التدبير مثلاثة اسباب احدها ان يكثر
الشركاء فيه فاذا كان ذلك انتشر التدبير فيه وبطل
والثانى ان يكون الشركاء فى التدبير متحاسدين متنافسين
فيدخله الهوى والبغى فيفسد والثالث ان يملك التدبير
من غاب عن الامر المدبر دون من باشره وشاهده فاذا
كان ذلك دخله حقد المباشر الحاضر وفوت الغرض
ثم ان تدبير المسموعات مؤسس على ظنون الخير وتدبير
المبصرات مؤسس على يقين النظر فانطلقا معا الى ذلك
المحرقتأمله مفوض وعلم ما اراد عمله من امره ثم اقبل على
ظالم فقال له قد شاهدت من امر مسكنك ما فتح لى باب
المكيدة وسفر لى عن وجه الراى فيه فقال له ظالم اطلعنى
على ما ظهر لك فقال مفوض انى اضعف الراى ما سنح
فى البديهة وكان يقال الراى مرآة العقل فمن اردت منهم
ان ترى صورة عقله فاستشره وكان يقال افضل الرا
ما أجادت الفكرة نقده واحكمت التروية عقده وكان
يقال الراى سيف العقل ولما كان امضى السيوف ما يولج
فى ارهاف حده واجيد صقله كان انجح الاراء ما كثر
امتحانه واطيل تأمله وكان يقال كل راى لم تتمحضه الفكرة
ليلة كاملة فهو مولود لغير تمام ثم قال انطلق الليلة معى
فبت عندى لانظر ليلتى هذه فيما سنح لى من المكيدة

ففعلا وبات مفوض مفكرا فى ذلك وجعل ظالم يتأمل مسكن
مفوض فرأى من سعته وطيب تربته وحصانته وكثرة
مرافقه ما اشتد له اعجابه وحرصه عليه وطفق يدبر
الحيلة فى غصبه ونفى مفوض عنه وكان يقال اللئيم
كالنار اكرامها اضرامها وكالخمر حبيبها سليبها وتبيعها
صريعها وكان يقال العاقل يقدم التجريب على التقريب
والاختبار على الاختيار والثقة على الثقة وكان يقال
اذا كانت الاساءة طبعا لم يملك لها الانسان دفعا فلما
اصبحا قال مفوض لظالم انى رأيت ذلك البحر بعيدا عن الشجر
والخضر فاصرف نفسك عنه وهلم اعينك على اختفار
مسكن بهذا المكان المتيسر المرافق فقال له ظالم ان ذلك
لا يمكننى فان نفسى تهلك لبعد الوطن حنينا ولا تملك مع
فقد السكن سكونا وانه كان يقال دلائل الوفاء سبع
بر الاباء والامهات وصلة ذوى القرابات والنزاع الى
الوطن والجزع لفقد السكن والحزن لاخلاق الثياب
واللبس لاخلاق الثياب والصبر على هرم الدواب وكان
يقال الغريب ميت الاحياء قد اعاده البين اثرا بعد عين
وقيل ان حروف الغربة مجموعة من اسماء دالة على محصول
الغربة فالغين من غربة وغيبة وغين وغم وغلة وهى
حرارة الحزن وغرم وغول وهى كل مهلكة والراء من رزء
وروع ورعب ورتق وردع وردى وهو الهلاك
والباء من برج وبوار وبؤس وبعد وبين والهاء من
هون وهول وهلك فلما سمع مفوض كلامه وما تظاهر
منه من الرغبة فى وطنه قال له انى ارى ان نذهب
يومنا هذا فنحتطب حطبا ونربطه حزمتين واذا اقبل الليل

انطلقت انا الى بعض هذه الخيام واخذت قبسنا وحملنا
الحطب والقبس وقصدنا الى مسكنك وجعلنا الحزمتين
على بابه واضرمنا هما نارا فان خرجت الحية احترقت وان
لزمت الجحر اهلكها الدخان فقال ظالم نعم الرأى هذا فانطلقا
واحتطبا حطبا وربطاه حزمتين بقدر ما يطيقان حمله ولما
جاء الليل واوقدا هل الخيام النار انطلق مفوض ليأخذ
قبسا فعمد ظالم الى احد الحزمتين فاز الها الى موضع غيبها
فيه ثم جر الحزمة الاخرى الى باب مسكن مفوض ثم دخله
وجذبها اليه فادخلها فى الباب وسده بها وقدر فى نفسه
ان مفوضا اذا اتى الجحر لم يمكنه الدخول اليه لحصانته
ولان بابه مسدود بالحطب سدا محكما فاكثر ما يقدر عليه
ان يحاصره فاذا يئس منه ذهب فنظر لنفسه مأوى وقد
كان ظالم رأى فى جحر مفوض طعمة ادخرها مفوض لنفسه
فعول ظالم على الاقتيات منها فى مدة الحصار واذهله الشره
والحرص والبغى عن فساد هذا الرأى وانه متعرض لمثل
ما عزم مفوض انه يفعله بالحية وكان يقال احترس
من تدبيرك على عدوك كاحتراسك من تدبيره عليك فربّ
هالك بما دبّر ومكر وساقط فى البئر التى احتفر وجريح
بالسلاح الذى شهر ثم ان مفوضا جاء بالقبس فلم يجد
ظالما ولا وجد الحطب فظن ان ظالما قد احتمل الحطب يعنى
الحزمتين معا تخفيفا عنه وانه بادر بهما نحو جحره اشفاقا
ان يأتى مفوض فيحمل احداهما فشق ذلك عليه فظهر له من
الرأى ان يترك القبس ويبادر اليه فيلحقه ليحتمل معه الحطب
فألقى القبس من يده ثم كره ان تنفذه الريح فيحتاج الى طلب
قبس آخر فادخله فى باب الجحر ليستره بذلك فاصاب الحطب

فاضرمه نارًا واحترق ظالم في الجر وحاق به مكره فلما
اطلع مفوض على امر ظالم قال ما رأيت كالبغي سلاحا اكثر
عمله في محتمله ولهذا قيل الباغي باحث عن مدية حتفه
بظلمه ومتردٍ في مهاوي تدمير بمساوي تدبيره وقيل
ما اجتمع الملك والبغي على سرير الا خلا وقيل لكل عاثر راحم
الا الباغي فان القلوب مطبقة على الشماتة بمصرعه وقيل
ما اعطى البغي احدا شيئا الا اخذ منه اضعافه ثم ان مفوضا
امهل حتى طفئت النار فدخل جحره فاستخرج جيفة ظالم فالقاها
واوطن جحره على حال تحفظ واحتراس واستعداد لكيد
الكائدين فهذا مثل عمرو بن سعيد في بغيه ومخادعته عبد
الملك ومخالفته الى دار ملكه وتحصينه فيها وقد كان عبد
الملك في مخرجه الى محاربة ابن الزبير عاملا فيما يريد به
عن عمرو بن سعيد وبقاء الملك في اهل بيته وخروجه عن
ابن الزبير اذ كان عز عبد الملك عز العمرو بن سعيد وملكه
ملكا له فلم يرض عمرو سعيه ولا اعانه على مصلحة نفسه وفعل
كفعل ظالم مع مفوض سواء فلما سمع عبد الملك ما ضربه الشيخ
من المثل واستبصر ما أودعه من الحكم سُرَّ بذلك سُرورًا
شديدًا ثم اقبل على الشيخ فقال جزيت خيرًا فقد عظمت يدك
عندي واني لأوثر ان تجعل بيني وبينك موعدا وتذكرني
مكانك لالقاك به بعد يومي هذا فقال له الشيخ وما الذي
تريد بذلك فقال عبد الملك اني أؤمل ان انتفع برأيك
عند الامير فأكافئك على ما كان منك فقال الشيخ اني اعطيت
الله عهدا ان لا اتحمل منة لبخيل فقال له عبد الملك ومن
أين علمت بخلي فقال الشيخ كيف لا اعلم بخلك وقد رجأت
صلتي ومكافأتي مع القدرة على تعجيلها وما عليك لو وصلتني

ببعض ما أرى عليك من السلاح والبزة السنية فقال له
عبد الملك اقسم بالله لقد ذهلت ثم نزع سيفه وقال اقبل
مني سيفي هذا ولا تجزع عنه فان قيمته عشرون الف درهم
فقال الشيخ اني لا أقبل صلة ذا هل فدعني ورزقي الذي
لا يخل ولا يذهل فهو حسبي فلما سمع عبد الملك مقالته علم فضله
ودينه وقال له اني انا عبد الملك فاعتمدني وارفع الى حوائجك
فقال الشيخ وانا ايضا عبد الملك فلم يرفع حوائجنا الى من أنا
وانت له عبدان وانطلق عبد الملك وعمل برأي الشيخ فانجح فلما
سمع الوليد ما اخبره به ذلك الكهل استرجح عقله واستظرف
أدبه وسأله عن نفسه فتسمى له وانتسب فلم يعرفه الوليد
فاستحمى منه فقال له ان من جهل مثلك من رعيته لمضيع
فقال له الكهل يا أمير المؤمنين ان الملوك لا تعرف الا من تعرف
اليها ولزم ابوابها فقال الوليد كلا والله فلا توسعنا عذرا
لا نستحقه ثم امر له بصلة معجلة وعهد اليه في ملازمته بابه
عهدا فكان يسمع من أدبه وحكمته الى ان كان من امر الوليد
ما هو مشهور

* روضة رائقه ورياضة فائقه *

قيل لما عزم امير المؤمنين محمد الأمين على اخراج عهد الخلافة
من اخيه عبد الله المأمون والمأمون اذ ذاك مقيم بخراسان
كتب اليه الأمين كتابا يذكر فيه حاجته الى لقائه ومفاوضته
في مهم حدث ويسأله ان يستنيب بخراسان من يضبطها
ويعجل الشخوص الى بغداد وكتب الى المأمون عيونه الذين
ببغداد ان الأمين يريد خلعه من عهد الخلافة ونقل عهده
الى موسى بن محمد الأمين فلما وقف المأمون على ما كتب
به اخوه وعيونه اليه شاور وزراءه فأشاروا عليه

بالتثبت والتعلل والاعتذار بشعب خراسان وتطلع من
يليها من الكفار الى الفرصة فيها وانه لا يجد من يثق اليه بكفا
لامرها فكتب المأمون الى الامين بذلك فعاوده الامين
بمكاتبته وانه لو قدم عليه لقل لبثه ببغداد حتى يرجع وانما
يريده في مفاوضة في خطب جسيم لا تودع بمثله الكتب
فحين انتهى كتابه الى المأمون اطلع عليه وزراءه واستشارهم
فاشاروا عليه بمثل رأيهم الاول فكتب الى الامين بنحو
ماكتب به اولا وكتب الى الامين عيونه بخراسان ان المأمون
قد فطن لما يراد منه وانه ممتنع مشاقق وان وزراءه اجمعوا على
مثل رأيه بالامتناع فيئس الامين من تمام مكيدته لاخيه
وامر بالقبض على من ببغداد من حشم المأمون وخزر بطانته
وما ظهر عليه من اموالهم وبلغ ذلك المأمون فحامره الجزع
وشاور وزراءه فثبتوا على رأيهم وحرضوه على التثبت
وانتظار الفرج ففعل ولما رأى الامين اصرار اخيه المأمون
على الامتناع دعا الناس الى البيعة لابنه موسى وهو طفل
فاجابوه الى ذلك وبايعوه له وسماه الناطق بالحق واكفل
له علي بن عيسى بن ماهان فجعله في حجره وكان علي بن عيسى بن
ماهان قد ولي خراسان قبل ذلك مدة طويلة فاصطنع بها
الرجال واعتقل المئين في الاعناق وكان شأنه بخراسان
عظيما فاستشاره الامين في امر خراسان فضمن له امرها
وانه لو بلغ خراسان لم يختلف عليه اثنان ممن بها فجهزه الامين
اليها وولاه كل بلد تغلب عليه واعطاه اموالا جزيلة وضم
معه جمهور جنوده واصحبه من السلاح والكراع ما شاء
وبلغ ذلك المأمون فاضطرب امره وعلم عجزه عن مقاومة
علي بن عيسى فركب الى منتزه له ليناظر وزراءه في تدبير امره

فعارضه شيخ هرم من الفرس مجوسي فناداه بالفارسية
مستغيثا به من مظلمة نالته فلما نظر المأمون الى هرمه رق
له وامر بأن يحمل على دابة ويتبع به الى الموضع الذي قصده
ويدخل عليه بغير استئذان ولما استقر المأمون ووزراؤه بذلك الموضع
الذي قصده وآله ادخل عليه الشيخ الفارسي فامره بالجلوس
في حاشية المجلس ثم اقبل على صحابته فأخبرهم بما صنعه
اخوه الامين من القبض على حاشيته وماله وتجهيزه على
ابن عيسى وهو يظن ان الشيخ لا يعرف اللسان العربي وان ما به
من الهم شاغل عن الاصغاء الى ما هم فيه مع ما حمله على
ذلك من القلق والاضطراب فلما راى القوم ان المأمون
لم يتحفظ من الشيخ تفاوضوا فيما جلسوا له وطالت مناظرتهم
الى ان قال احدهم الرأي اصطناع اقوام من الاعتام الذين
لا يعرفون علي بن عيسى فيلقى بهم وقال غيره الرأي ان نبادر
بالارسال الى الامين نطلب منه الصفح وبذل الانقياد
لامره فانه يرى ذلك حظا وقال غيره الرأي ان نلجأ الى
بعض المعاقل فنعتصم به ونتنظر الفرج وقال غيره الرأي
ان نجمع اهل الجدة فنزيح عللهم ثم نقصد بهم بعض هذه الممالك
المجاورة لنا من ممالك الكفار فنصدقهم القتال ولعل الله
سبحانه ان يظفرنا فنصير الى مملكة نأويها ويتزع الينا من هو
على مثل رأينا فنمتنع ونجاهد في سبيل الله حتى يقضي الله امره
وقال غيره الرأي عندي ايها الامير ان تحاز الى ملك الترك
مستجيرا به ومستعينا على اخيك الغادر القاطع فهذا امر لم
تزل الملوك تفعله اذا دهمها من لا قبل لها به فلما سمع المأمون
هذه المقالة ركن اليها وعول على هذا الرأي ثم افكر فقال
كيف اجعل للترك على حرب المومنين سبيلا وقال لاصحابه

قوموا عني فنهضوا اجمعون والتفت فرأى الشيخ الفارسي فقربه
ورفق به وسأله عن امره وما قصد له على لسان ترجمان
اقامه له فقال الشيخ بلسان عربي ايها الامير اني جئت لحاجة
فعرض لي دونها ما هو آكد منها واولى بالعناية فقال له
المأمون قل ما احببت سالكا سبيل الادب فقال الشيخ ايها
الامير اني دخلت عليك وانا غير متصف بالمحبة لك ثم قد
القى الله في قلبي من المحبة للامير ما ملاه وانه كان يقال الرق
ثلاثة انواع فاولها واشدها استيعابا للباطن والظاهر
رق الاختراع وهو الرق لله سبحانه صانع الاشياء ومخترعها
والثاني رق الاصطناع وهو رق المنعم على المنعم الثالث
رق الاتباع وهو صنفان احدهما رق الحب وهو اقربها الى
رق الاختراع لان له سلطانا مبسوطا على الظاهر والباطن
والثاني رق الرعية لراعيها ورق العبيد لساداتها وانا
اخبر الامير اعزه الله انه قد تظافرت له على ثلاث قوى
من الرق رق الحب ورق الاصطناع ورق الاتباع واذ رأى
الامير اعزه الله ان يوصل وسيلتي ويصدق املي ويسعف
طلبتي فليخفني دائما اختصاصه ويكرمني بكاثرة اوليائه
ونصحائه ففعل ذلك متطولا به غير محتاج اليه وان عبده ليرجو
ان تصادف الصنيعة منه شاكرا والاختصاص منه مشفقا
ناصحا فقال له المأمون ما دينك ايها الشيخ فقال مجوسي فاطرق
المأمون مفكرا فيما تكلم به فقال الشيخ لا تصدن الامير عني
حقارة قدري فانه كان يقال لا تحقرن من الاتباع احدا
فانك تنتفع به كائنا من كان وهو احد رجلين اما شريف
فيتجمل بك او وضيع فيحمي عرضك ويصون مروءتك وعلى اني
لست اعني بحقارة قدري عند الامير حقارة اخلاق ولا

حقارة أعراق فأما اخلاقي فامتحانها بيد الامير واما اعراقي
فاني برمكي من ولد البرمكي سيد ملوك الفرس المتوسط بينها
وبين اول الاوائل وانما اعني حقارة ديني عند الامير وكوني
في عقد ذمة وصغار جزية فقال له المأمون ما نيا عنك
ايها الشيخ من رغبة فان انتقلت من ذمتنا الى ملتنا اتحفناك
شعارا فقال الشيخ ان الباعث من نفسي الى ما دعاني اليه
الامير لشديد ولكني لا افعله في مقامي هذا ولعلي ان افعله
فيما بعده ثم قال أيأذن لي الامير ان اتكلم فيما فوض الأمر
ونزراءه فيه فقال له المأمون تكلم فقال الشيخ قد سمعت
ما اشار به ونزراء الامير وكل منهم مجتهد في الاصابة
ولست ارضى شيئا مما ذهبوا اليه فقال له المأمون اطلعنا
على رأيك فقال الشيخ اني اجد في الحكم التي ورثتها اباءك
عن اباءهم انه ينبغي للعاقل اذا داهمه ما لا قبل له به ان
يلزم التسليم لحكم قاسم الحظوظ ولا يضيع مع ذلك تصيبه
من الدفاع بحسب طاقته فانه ان لم يحصل على الظفر حصل
على العذر فقال المأمون ايها الشيخ انه كان يقال لا رأي
لكذوب وقد سمحت انفسنا لك بالثقة من غير امتحان وماذا
لاختيارنا اضاعة للحزم ولكنا احببنا ان نذيقك ثمرة حبنا
بالمكاشفة الدالة على القبول وها نحن نخبرك ان هذا المتوجه
الينا يعني علي بن عيسى هو املك بالبلد منا ثم لا بمكاننا مقاومته
لو اردنا ذلك لتقدم الاموال قبلنا فقال الشيخ ايها الامير
ينبغي ان تعرف هذا الامر من قبلك بالجملة ولا تصغي الى من
ينطق به فانه كان يقال ما كثر من كثرة البغي ولا قوي من
قواه الظلم ولا ملك من ملكه الغضب وها انا احدثك
عمن ان حذوت مثاله نلت منا له فقال له المأمون هات فقال

الشيخ

الشيخ ان الخشنوار ملك الهياطلة لما اسر فيروز بن يزدجرد
ملك فارس واراد اطلاقه أخذ عليه عهدا ان لا يغزوه
ولا يقصده بمكروه ووضع فى اقصى تخوم ارض الهياطلة
صخرة واخذ على فيروز عهدا ان لا يتجاوز تلك الصخرة
ولما استوثق الخشنوار من فيروز بما اخذ عليه من عهود
المسالمة اطلقه فحين رجع فيروز الى دار ملكه داخلته
الحمية والانفة فعزم على غزو الخشنوار واطلع وزراءه
على ذلك فحذروه النكث وخوفوه عاقبة البغى فما ردعه
ذلك عما هم به فاذكروه العهود التى اخذها عليه الخشنوار
فقال لهم انى لما حلفت له ان لا اتجاوز تلك الصخرة وأنا آمر
بحملها على فيل فتكون بين يدى جنودى لا يتجاوزها احد
منهم فلما رأوا ان الهوى قد وقف به على حد الرضى بهذا
القول علموا انقياد عقله لشهوته وامسكوا عنه واعتقدوا
ان لا يراجعوه فى ذلك وكان يقال الهوى صد يعلو العقل
فلا تنطبع فيه صور الحقائق وكان يقال ما لم يبلغ الهوى
حد اللجاج فهو نشوة السكر فاذا بلغ اللجاج فذلك زين
السكر وقوة سلطانه وكان يقال لا يرشد تابع الهوى
فى حال استيلاء الشهوة او الغضب عليه لانها حال
احتجاب عقله وذلك ان الهوى املك بالنفس لتقدم سلطانه
عليها واما سلطان العقل فطارئ مستفاد وللعقل حجابان
وهما الشهوة والغضب ولا يزال العقل ناظرا الى الهوى
قاهرا له ما لم تجبه غضب او شهوة فحينئذ ينبسط سلطان
الهوى وينفذ حكمه قال فجمع فيروز مراتبه وهم اربعة
ينيف كل مرزبان منهم خمسون الف مقاتل وكان كل واحد
منهم ضابطا لربع من ارباع مملكة بابل وامرهم بالتجهيز لحرب

الهياطلة ففعلوا وسار فيروز نحو الخنشوار في جيوش
يظن ان لا غالب لها وكان الخنشوار يضعف عن مقاومة
مرزبان من مرازبة فيروز وانما كان ظفره بفيروز اولا
لمكيدة ليس هذا موضع ذكرها وقد كان موبذان موبذ
ومعنى هذا اللقب حافظ حفظة الدين وهو عند الفرس
كالنبي قال لفيروز حين رأى عزمه على غزو الخنشوار
لا تفعل ايها الملك فان رب العالم يمهل الملوك على الجور ما لم
يأخذوا في هدم اركان الشريعة فلا تتعرض له بسوء فلم
يلتفت فيروز الى هذه المقالة وركب رأسه هواه في
معصية نصحائه وكان يقال يستدل على ادبار الملك
بخمسة امور احدها ان يستكفي الملك بالاحداث ومن
لا خبرة له بالعواقب والثاني ان يقصد اهل مودته بالاذى
والثالث ان ينقص خراجه عن قدر مؤنة ملكه والرابع
ان يكون تقريبه وابعاده للهوى لا للرأى والخامس
استهانته بنصائح العقلاء وآراء ذوى الحكمة وكان
يقال من عصى نصيحا فقد استفاد عدوا وكان يقال انما
يكون قبول الصواب ورده بحسب قوة التخيل الفكرى
وضعفه فمن قوى تخيل فكره فهو في سلطان الرأى غالبا ومن
ضعف تخيل فكره فهو في سلطان الهوى غالبا وعلى حكم
هذا القانون فمن عدم الفكرة في الامور التحق بالبهائم ثم
قال الشيخ الفارسي وان فيروز سار قاصدا نحو الخنشوار
حتى اذا انتهى الى تلك الصخرة التي نصبها الخنشوار علما
لتخوم ارضه واستحلف فيروز ان لا يتجاوزها امر فيروز
بقلعها وحملها على فيل وان يكون الفيل الذى يحملها بين
يدى عسكر فيروز ونهى ان لا يتجاوز ذلك الفيل احد

من العسكر فما بعد عن ذلك الموضع الذى كانت الصخرة
فيه حتى جاءه رجل من ثقاة اصحابه فأخبره ان اسوارا
عظيم القدر من اساورته قتل رجلا مسكينا ظلما وعدوانا
وجاء اخو ذلك المسكين المقتول فاستغاث بفيروز
وتظلم من الاسوار قاتل اخيه فأمر له فيروز بمال ليرضيه
به من دم اخيه فأبى قبول المال وقال لا يرضينى الا دم
قاتل اخى فأمر فيروز بطرده فانطلق من فوره الى ذلك
الاسوار الذى قتل اخاه فشد عليه بخنجر فى يده فلما رآه
الاسوار حرك فرسه هاربا بين يديه وانتهى الخبر الى فيروز
فتعجب من ذلك فنزل ونزير من وزراء فيروز عن دابته
وتقدم بين يدى دابة فيروز فسجد له وسأله فيروز
عن امره فذكر انه يريد الخلوة به فى مهم عرض له فأمر فيروز
فضرب له فسطاط ونزل فيه واذن لذلك الوزير فدخل
عليه واخبره بذكر ما عنده فقال له ايها الملك السعيد ملكت
الاقاليم السبعة وعمرت عمر بنى راسف فى مثل عزتهم
وقوتهم لقد ظهرت عناية اول الاوائل بك بما ضرب
لك من المثل فى امر هذا الاسوار اذ كان اسوارا نجيبا نجدا
هرب بين يدى مسكين فى يده خنجر وما ذاك الا لبغيه
وتعديه فقال فيروز انه لم يفر منه لعجزه عنه بل لخوفه منا
ولم يكن ليفعل تلك الفعلة القبيحة ثم يتبعها بمثلها فقال
الوزير ايها الملك ارأيت ان دعوته الى مبارزة ذلك
المسكين واهنته من سطواتك فظهر ذلك المسكين عليه
اما تعلم ان هذا مثل ضربه لك قيم العالم فقال الملك لافعلن
ذلك ثم قال على بذلك الاسوار فحضر وابه وأمره بمبارزة
ذلك المسكين الثائر باخيه فأجاب الى ذلك وجمع عليه سلاحه

وركب فرسه وأتى بذلك المسكين فعرضت عليه مبارزته
فأظهر الرغبة فيها والحرص عليها فخوف من الهلاك فلم
يخف وقيل له اما ترى درعه وسلاحه وفرسه اما سمعت
بفروسيته ونجدته واقدامه انك مهلك نفسك وستميت
ولا اثم علينا فيك فقال لهم المسكين دعوني واياه فانه
على فرس الغرور وانا على فرس البصيرة وهو لابس درع
الشك وانا لابس درع الثقة وهو مقاتل بسيف البغي
وانا مقاتل بسيف الحق فقال الوزير لفيروز ايها الملك
ان كلام هذا المسكين ابلغ في المثلية والموعظة من ظفره
بهذا الاسوار فحصن اسوارك واستبق نفسه ولا تعرضه
للهلكة بلقاء هذا المسكين واعمل في رضى هذا المسكين
بالاحسان اليه فان لم يرضه الا القصاص فاقض له
بالعدل المألوف منك واستدم عناية الاول الاحد بك
بعنايتك بالحق الذي يرضيه العمل به ويسخطه اجتنابه
فقال فيروز لابد من ان اخلي بينهما وانظر الى ما يكون
منهما ان كان يختار المسكين ذلك ويرغب فيه فاعادوا
عرض مبارزة الاسوار على المسكين فاصر على الرغبة
فيها والحرص عليها وخوفوه الهلاك فلم يزده تخويفهم الا
جراءة واقداما فقيل للاسوار القه ولا تجبن عنه فحمل
كل واحد منهما على الاخر فالتقيا وقبض المسكين على شكيمة
فرس الاسوار فضربه الاسوار بالسيف ضربة تطاطأ لها
المسكين فاصاب ذباب السيف اليته فأثر فيها اثرا ليس
بالكثير ثم ثار اليه المسكين وضربه بالخنجر في عنقه وجذبه
فصرعه ثم ضربه وهو ملقى ضربة اخرى فادخل حلقات
من الدرع في جوفه وقضى عليه فبات فيروز تلك الليلة

في موضعه ذلك يفكر فيما يأتيه ثم انه استقاد لهواه
فنفذ لوجهه وكان يقال اول الهوى هون وآخره هوان
وكان يقال الهوى طاغية فمن ملكه اهلكه وكان يقال
الهوى كالنار اذا استحكم ايقادها عز اخمادها وكالسيول
اذا اتصل مدها تعذر رصدها وكان يقال ليس الاسير من
اوثقه عداه اسرا انما الاسير من اوثقه هواه قسرا او رهقه
خسرا قال الشيخ فلما علم الخشنوار قصد فيروز لحربه حمل
نفسه على التثبت ووكل الامر الى الواحد الاحد وسأله
ان يغضب لعهوده ومواثيقه التي لم يرع فيروز حقها
ولا خاف تبعة نكثها واخذ مع ذلك بحظه من الحزم فسد ثغوره
وجمع اليه جنده واعد للقاء فيروز عدته وامهل حتى
وطئ فيروز كثيرا من ارضه وتوسط مملكته فعاث في
بلاده وساء على رعيته أثره فنهض اليه ففاجأه وصدقه
الجلاد فانكشف فيروز منهزما واسلم ما كان في يديه
فقتل الخشنوار رجاله وغنم اموالهم وامعن في طلب
فيروز حتى ظفر به فقتله واسر اهل بيته وحماة اصحابه
فكانت العاقبة له قيل فلما سمع المأمون ما ضربه له الفارسي
مثلا اقبل عليه مستبشرا وقال له قد سمعنا مقالتك فصادفنا
منا قبولا لها وشكرا عليها وسرورا بها فما ذا ترى فيما
دعوناك اليه من توحيد الله الذي اجزل من العقل حظك
وفتق بالمعرفة فكرك وانطق بالحكمة لسانك وقطع بمحمد
صلى الله عليه وسلم عذرك فقال الشيخ اشهد ان لا اله الا
الله واشهد ان محمدا رسول الله فسر المأمون باسلامه
واجزل صلته وقرب منزلته فالحقه بخاصة اصحابه وامره
بملازمته بابه فما لبث الا اياما قلائل حتى لحق بربه وعمل المأمون

برأيه فأنجح الله عمله وبلغه من الخلافة أمله والله تعالى اعلم بالصواب

السلوانة الثانية وهي سلوانة التأسي

انزل الله ربنا تقدس اسمه من السورة المذكور فيها الاحزاب ايات معجزات طبق الفصل المقصود بهذا الكتاب وهو تأسي الملوك في طوام العوام والله ربنا المحمود على الهداية اليها والدلالة عليها وذلك قوله سبحانه وتعالى في المتألبين على خليفته في ارضه الداعي الى مندوبه وفرضه صلى الله عليه وسلم تسليما اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وقوله تعالى هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا وقوله في تردد من ضعفت بصيرته حينئذ وتظنون بالله الظنونا وقوله في نجوم النفاق وجراءة اهله على اظهار ما كانوا يستره حين رأوا ان المؤمنين قد ابتلوا وزلزلوا واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وقوله في القاعدين عن نصرة الحق المخذلين من اراد نصره قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا الاية وقوله فيهم واذ قالت طائفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا وقوله في المتسللين لواذا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا وقوله في نجار اسواق الفتن الذين يتبعون كل ساع ويستجيبون لكل داع ولو دخلت عليهم من اقطارها ثم سئلوا الفتنة لاتوها الاية وقوله في تبجيز القدر عن مغالبة المقدر قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل الاية

والتي

والتى بعدها وهى قوله سبحانه من ذا الذى يعصمكم من
الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة الاية فهذه جمل
طوام العوام والامتحان بها ثم ان الله سبحانه وتعالى
دل من امتحنه بها على ما أدب به رسول الله صلى الله عليه و
بقوله لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة ومما ادب
الله به رسوله التأسى قال عز من قائل ولقد كذبت رسل
من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا
ثم عرف الله سبحانه رسوله عليه السلام ان اضاعته
التأسى وتركه العمل به لا يجلب اليه حظا فقال وان كان
كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغى نفقا فى الارض
او سلما فى السماء فتأتيهم بآية واعلمه ان التأسى بهم شئ
مفترض عليه بقوله فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل
وقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فهذا امر جزم
وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله ادبنى
فاحسن أدبى فالتأسى مما أدب الله به رسوله بل مما افترضه
عليه كما بينا ومعنى التأسى عند الائمة ان تنظر الى أسى
غيرك اى حزنه وانه مثل اساك اى مثل حزنك فتصبر والأسى
هو الحزن ولا يعجبنى هذا وهو عندى مأخوذ من قولهم
أسوت الجرح والجريح اى داويت والآسى هو الطبيب المداوى
فكأن معنى التأسى التطبب والتداوى بالصبر والاسوة
اسم من هذا والتأسى تفعل من الاسوة ولو كان الى ما ذهبوا
اليه لكان معنى التأسى التحزن تقول اسيت اى حزنت
وتأسيت اى تحزنت خبر نبوى فى التأسى مما رويناه
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال انظروا الى من هو اسفل
منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فانه اجدر ان لا تزدروا

نعمة الله عليكم قال الشيخ الامام محمد بن ظفر عفى الله عنه ان
هذا الحديث لحسن الموقع مما نحن فيه ولا ينبغى ان يقتصر
بلفظه عن مطلق افهامه وموجب عمومه لانه امر لمن كان
فى نعمة دقيقة بان ينظر الى من هو فى نعمة ادق منها وامر
لمن كان فى بلاء ان ينظر الى من كان فى بلاء اشد من بلائه
فانه دونه واسفل منه فى المعافاة المطلوبة وهذا المخفف
عنه حظه او فرو على هذا القياس وعلى قدر النعمة منعم
عليه ومحسن اليه بما يفوق به انعم به على غيره وذو البلاء
منعم عليه بنقص بلائه عن بلاء غيره ومعافاته من البلاء
بتلك الزيادة التى ابتلى بها غيره وانما كان هذا الخبر بليغا فى
باب التأسى لانه يقلل مستعظم البلاء الذى نزل به الى ان
يستصغره باضافته الى ما ابتلى به غيره ويحضه على شكر
ما فضل به من حظ العافية التى فضل بها على غيره وهذه
درجة اعلى من درجة التأسى المطلق لان التأسى المطلق
لا يفيد حضا على شكر ولا يصور النقمة المخففة فى صورة
النعمة وانما يثمر الصبر خاصة وهذا الحديث يثمر الصبر
ثم الشكر

اسجاع وابيات حكمية فى التأسى

التأسى جنة البلاء وسنة النبلاء التأسى درج الاصطبار
كما ان الجزع درك التبار انه ينبغى لذى البصيرة ان يرى النعم
فى صور العوارى المرتجعة والودائع المنتزعة فمتى لم يفعل
ذلك اعظم فقدها وجور المنعم اذا استردها كما ينبغى له
ان لا يذهل عن حظوظ جنسه منها ودولتهم فيها واذا نزلت
عنه وصارت اليهم لم ينكر احدهم انصباءهم وتقاضيهم
حظوظهم وليتاس بصبرهم عند حوزه لها دونهم فيصبر

لدولتهم الخالقه كما صبر والد ولته السالفه ولان صدقة المتصدقين واقراض المقرضين وضيافة المضيفين وما يلتحق بذلك من ضروب المواساة فى المال وفى القوة وفى الجاه انما ندب اليه المواسون فيه ليستبقوا النعم باعطاء الجنس حظوظهم منها وفى هذه الجملة الحكمية لمن تدبرها قنعان والله المستعان انشدنى بعض الملوك لنفسه حال شدة نزلت به يقول

نحن من قد علمت بطشا وحلما ولنا المجد الاعز الاعز
ولنا انفس عوارف بالدهر تاسى حين الاسى يستقر

وحضرت عنده يوما من ايام شدته فانشدنى لنفسه يقول

قربنى دهرى فلم يلقنى اطمع فى تأبيد تقريبه
ثم ثناعنى فلم يلقنى اجزع من اصناف تعذيبه
والحمد لله على حكمه فقوتى منه وحولى به

وقال لى يوما وقد حادثته بما يبعثه على التأسى انشدنى فى ذلك شعرا فانشدته للخنساء

يذكرنى طلوع الشمس صخرا واذكره بكل مغيب شمس
ولولا كثرة الباكين حولى على اخوانهم لقتلت نفسى
وما يبكون مثل اخى ولكن اعزى النفس عنه بالتأسى

الا يا صخر لا انساك حتى افارق عيشتى وازور رمسى

فقال لى هذا اخلق من طيلسان ابن حرب اسمع وانشدنى له

نفيض كما يفيض النيل جودا ونقدم مثل اقدام الحسام
وان نزلت بنا كبرى الرزايا تأسينا باملاك كرام

روضة رائقه ورياضة فائقه

قيل لما عزم سابور بن هرمز على الدخول الى بلاد الروم منكرا

متجسسًا نهاه نصحاؤه وحذروه التغرير بنفسه في امر
يمكنه ان يستنيب فيه فعصاهم وكان يقال اشقى الناس
ورزاء الاحداث من الملوك وعشاق القينات من الشيوخ
وكان يقال انما عسر صرف الاحداث عن غيّ
الهوى الى رشد الرأى لامرين احدهما قوة سلطان
الشهوات عليهم والثانى ان التجارب لم يرض قواهم على
مخالفة هواهم وذو الحنكة بخلاف ذلك ثم ان
سابور توجه نحو بلاد الروم واستصحب وزيرا كان
له ولابيه من قبله وكان شيخا ذا دهاء وحزم وسداد
رأى وحنكة وبصر بالديانات واللغات وتبحر في العلوم
وخبرة بالمكايد فسلم اليه سابور جميع ما يظن ان به اليه
حاجة او تدعوه اليه داعية وامره ان يتحاز عنه في قرب منه
ومراعاة بجميع احواله في نهاره وليله وتوجها معا نحو الشأم
فتزيا ذلك الوزير بزى الرهبان وتكلم بلسان الجلالقة وتحرف
بصناعة الطب الجرايحى وكان معه الدهن الصينى الذى
اذا دهنت منه الجراح برئت واندملت في الحال قال
محمد بن ظفر عفى الله عنه قد رأيت جماعة ذكروا انهم رأوا
هذا الدهن المذكور وحدثنى بعضهم بانه امتحنه بان
شرح اللحم ودهنه فالتأم مكانه فكان ذلك الوزير
في مسيره نحو بلاد الروم وبعد ما دخلها يداوى الجرحى
بادوية يضيف اليها شيئا يسيرا من ذلك الدهن فتبرا جراحهم
بسرعة واذا عنى بأحد منهم من ذوى الاقدار داواه من
ذلك الدهن صرفا فيبرا مكانه ولا يأخذ عليه اجرا فانتشر
له في بلاد الروم ودّ وصيت بالعلم والزهد وكان يقال
من غرس العلم اجتنى النباهة ومن غرس الزهد اجتنى العزة

ومن غرس الاحسان اجتنى المحبة ومن غرس الفكرة اجتنى
الحكمة ومن غرس الوقار اجتنى المهابة ومن غرس المداراة
اجتنى السلامة ومن غرس الكبر بناء اجتنى المقت ومن
غرس الحرص اجتنى الذل ومن غرس الطمع اجتنى الخزى ومن
غرس الحسد اجتنى الكمد وكان يقال الامم على اختلاف
اديانها وازمانها وبلدانها متفقة على حمد اخلاق اربعة
العلم والزهد والاحسان والامانة قيل فانطلق سابور
ووزيره منفردين الا ان الوزير يراعى احوال سابور
اشد المراعاة فلم يزل الاعلى ذلك حتى طرقا جميع الشام كله وتجاوزا
الدروب وقصدا القسطنطينية فقدماها فذهب الوزير
الى البطرك وتفسير هذا الاسم ابو الاباء فاستأذن عليه
فاذن له وسأله عما يريد فأخبره انه هاجر من ارض الجلالقة
ليتشرف بخدمته ويدخل فى اتباعه واهدى اليه هدية
نفيسة حسن موقعها من البطرك فقربه واكرمه واحسن
نزله والحقه ببطانته واختبره فوجده نبيلا ممتعا فاعجب
به غاية الاعجاب وصار الوزير يتأمل اخلاق البطرك ليصحبه
بما يوافقه وينفق عنده ويحسن موقعه منه وكان يقال
اذا اردت صحبة رئيس فانظر الى ما يستميله وينفق عليه
من الآلات فان كنت مطيقا للعمل بها فى طلب اقباله عليك
وحظوتك عنده فاقدم عليه والا فرض نفسك على ذلك
حتى تعلم انها قد اطاقته واحكمته فتقدم على بصيرة قيل
فلما تأمل وزير سابور اخلاق البطرك وجده مائلا الى
الفكاهات معجبا بنوادر الاخبار فأخذ الوزير فى اتحافه
من ذلك بكل نادرة غريبة وملحة عجيبة فلم تطل المدة فى
صحبته حتى حل بعينه وقلبه وصار الصق به من شعر رأسه

وجعل مع ذلك يعالج الجرحى ولا يأخذ على ذلك عوضا
فعظم قدره فى الناس وومقته القلوب وكان يقال
اذا كانت القلوب مجبولة على مقة المحسنين وكانت المحبة
رقا والاحرار يكرهون الاسترقاق فالحر على الحقيقة
من فدى نفسه من رق المحسنين بمكافأتهم على
احسانهم جهده حتى اذا لم يستطع فليرق نفسه لهم
معذورا وجعل الوزير يشهد احوال سابور فى كل وقت
الى ان صنع قيصر وليمة وحشد اليها الناس على طبقاتهم
وتهدد من تخلف عنها فاراد سابور حضورها ليطلع على
هيبة قيصر وهمته فى قصره وذخائره فنهاه وزيره
عن التغرير بنفسه فعصاه وتزيا بزى يظن انه يستر به
امره ودخل دار قيصر مع من حضر الوليمة وقد كان
قيصر لما بلغه ما أيد الله به سابور من لطف الفطنة وعظم
الهمة وشدة البأس فى حال صباه حذره حذرا شديدا
فبعث الى حضرته بصور ماهر فحكى صورة سابور فى
مجلسه وحال ركوبه وغير ذلك من ضروب الاحوال التى
شاهده المصور عليها وقدم بتلك الصور على قيصر فأمر
قيصر بان تصور تلك الصور على فرشه وستوره وفى
الات اكله وشربه فصنع ذلك على ما امر به ورسم به ولما
دخل سابور دار قيصر واستقر فى مجلسه وطعم مع من حضر
ذلك المجلس اتوا بالشراب فى كؤوس البلور والذهب
والفضة والزجاج المحكم وكان فى المجلس رجل من حكماء
الروم ودهاتهم ذو افراسة صادقة فلما وقعت عينه
على سابور انكره وجعل يتأمل شخصه ونظرته واشارته
فرأى عليه مخايل الرياسة فطفق يستشفه ولا يصرف بصره

عنه فأتى ذلك المتفرس بكأس فيه صورة سابور فتأملها
فانطبعت فى نفسه مثالا لذلك الشخص الذى انكره وغلب
على ظنه انه سابور فأمسك القدح فى يده امساكا طويلا
ثم قال مرافعا صوته ان هذه الصورة التى فى القدح تخبرنى
خبرا عجيبا فقيل له ما الذى تخبرك فقال تخبرنى هذه الصورة
ان الذى هى مثال له معنا فى مجلسنا هذا ونظر الى سابور
وقد تغير حين سمع مقالته فحقق ما ظنه به واعاد القول
وبلغ كلامه قيصر فأدناه وسأله فأخبره ان سابور معه
فى المجلس واشار اليه فأمر قيصر بالقبض على سابور
فقبض عليه وقرب من قيصر فسأله عن نفسه فتعلل
بضروب من العلل فقال ذلك المتفرس لا تقبلوا قوله فهو
سابور لا محالة فأمر قيصر بقتله ليرعبه بذلك فاعترف لهم
بأنه سابور وكان يقال قلوب الحكماء تستشف الاسرار من
لمحات الابصار وطالما دلت اوائل المبصرات على اواخر المنتظرات
وقيل كما ان الابصار مرايا تنطبع فيها المشاهد اذا اسلمت من
صدأ الآفات فكذلك العقول مرايا تنطبع فيها بعض الغائبات
اذا اسلمت من صدأ الشبهات وقيل من الادلة على مكاشفة القلوب
ببعض الغيوب ان الانسان قد يتوقع الشئ يكرهه او يحبه
ثم يكون ذلك الشئ الذى يتوقع محلى نحو ما توقع منه فقد
يرى الانسان فيحبه لغير احسان فرط منه اليه او يبغضه
لغير اساءة جناها عليه ثم يكون منه اليه الاحسان
والاساءة قيل فلما اعترف سابور بصدق ذلك المتفرس
حبسه قيصر مكرما وامر فعملت له من جلود البقر صورة
بقرة اعظم ما يكون من البقر وطبقت عليها الجلود سبع
طبقات واتخذ لها باب من اعلاها فى ظهر الصورة يدخل اليها

ويخرج منها وجعلت فيها كوة من اسفلها فى وضع المبال
وامر لسابور فجمعت يداه الى عنقه بجامعة من الذهب ذات
سلسلة ليمكنه معها تناول ما يصلحه من طعام وغيره وادخل
سابور فى جوف تلك الصورة وهذا بعد ان حشد قيصر
جنوده واستعد لغزو بلاد الفرس ووكل بتلك الصورة
التى سجن فيها سابور مائة رجل من ذوى البأس والقوة
يحاونها ولا يبتهم وجعل على كل خمسة منهم رئيسا
يضبط امرهم وصرف امر جميعهم الى المطران ومعنى هذا
اللقب صاحب البلد الا انها رياسة دينية وهو خليفة
البطرك فكانت تلك الصورة تحمل بين يدى المطران فاذا
نزل العسكر انزلت الصورة التى فيها سابور فى متوسط
العسكر وضربت عليها قبة تسترها وطاف بها خمسون
من الموكلين بها ورؤساؤهم معهم وضربت حولها عشر
قباب مستديرة بها فكان فى كل قبة خمسة ورئيسهم معهم فى
المطران قبة بجاورة قبة سابور وضربت خارج القباب
كلها خيمة يصنع فيها طعام الموكلين بقبة سابور على حسب
اقدارهم ومراتبهم وسار قيصر محتفلا فى جنوده وقد
عزم على خراب بلاد الفرس وتعفية معالم ملكهم لعلمه ان
لا دافع يدفعه عنهم وكان يقال الحزم التزام مداجاة العدو
ما دامت لدولته ريح اقبال كما ان العجز اضاعة الفرصة
فيه اذا ادبرت دولته وركدت ريح اقباله وكان
يقال العاقل لا يصير فى سلطان ملك اجتمعت فيه خصلتان
الانهماك فى اللذات واضاعة الفرص وكان يقال تميز
الملوك عن السوقة انما يكون بفضيلة الذات لا بفضيلة
الآلات وفضلت ذات الملك بخمس خصال رحمة تشمل

رعيته ويقظته نحوطهم وصوله تذب عنهم وليانة يكيد
بها الاعداء وحزامة ينتهز بها الفرص فهذه فضيلة الذات
واما فضيلة الآلات فاتخاذ المباني الوثيقة العلية
والملابس الانيقة السنية والذخائر النفيسة السنية
والمطاعم الشهية والمراكب البهية فهذه فضيلة تفضل
بها هذه الادوات على ما هو دونها من اجناسها فيكون للقصر
فضل على غيره من القصور والثوب فضل على غيره من الثياب
والذخيرة فضل على غيرها من الذخائر والطعام فضل على
غيره من الاطعمة والدابة فضل على غيرها من الدواب
فالفضيلة لهذه الاشياء لاملاكها قيل فلما سار فيصر بجنوده
ومعه سابور على الهيئة التي ذكرناها قال وزير سابور
للبطرك ان مما استفدت من خدمتك والقرب منك الرغبة
في صالح الاعمال وانه لا عمل انفس من تنفيس كربة عن مجهود
وجبر نقع الى مضطر وقد علمت كفاءتي في معاناة الحرجي
وان نفسي تنازعني الى صحبة الملك فيصر في سفره هذا فلعل
الله ان يستنقذ بي نفسا صالحة ويترحم على من اجلها وتعقد
قلبي بخدمتها ويحفظني لها فكره البطرك ذلك وقال له قد
علمت اني لا استطيع فراقك ساعة فكيف تطالبني بالسفر
البعيد عني ما ظننت انك تلقاني بما اكرهه وتسومني ما
يشق علي احتماله كما لم اظن انك تؤثر شيئا من الاشياء على القرب
مني والتحبب الي فقد انزلتني عن حسن ظني بك فلم يزل الوزير
يتضرع الى البطرك ويعلقه ويقرب له العود الى ان سمح له بذلك
فاذن له وزوده وكتب معه كتابا الى المطران يخبره
فيه انه قد بعث اليه بسويداء قلبه وسواد بصره
فليجله من نفسه بأعلى المراتب ويستضيء برأيه فيما اشكل

عليه فقدم وزير سابور على المطران فعرف له حقه
وانزله معه فى قبة وجعل زمام امره ونهيه بيده وجعل
الوزير ينفق على المطران بما يعجبه ويستميله اليه ويطرفه
كل ليلة باخبار ممتعة يرافعها صوته ليسمع سابور حديثه
فيتسلى بذلك ويدس فى احاديثه ما يحب ان يستعمله
سابور من الاخبار ويفطنه له من الاسرار وكان سابور
يجد لذلك اعظم راحة وكان الوزير قد اعد لتخليص سابور
انواعا من المكايد رتبها واتسبها عند ما قدم على المطران
وكان يقال من ظن من الملوك أن لفطنته فضيلة على فطنة
وزيره فقد غلط وان اضاف الى هذا الغلط مخالفة
الوزير لم يفلح وانما كانت فطن الوزير انقن من فطنة الملوك
لان الملوك يتفقهون ابدا فى سياسة من دونهم من الرعايا لا غير
والوزراء يتفقهون فى سياسة الملوك وسياسة الرعايا
فهم اشبه شئ بالجوارح التى تصيد وتفترس وتصيدها
ايضا جوارح اشد منها فهى اعرف الجوارح بمكايد الاحتراس
ومكايد الاكتساب وكان يقال احسن الوزراء حالا من
اعد لكل امر يجوز وقوعه ويمكن كونه عدة فاذا وقع الامر
قابله بما كان اعده له واسوأ الوزراء حالا من توكل على لطف
فطنته وقوة حيلته ودراية ممارسته فترك الاعداد للامور
قبل نزولها ثقة بنفسه وانما هو فى ذلك بمنزلة من ترك
تزوير القول واعداده وترويته توكلا على فصاحة لسانه
وقوة بديهته وحسن ارتجاله فيوشك ان يستولى عليه
العى والحصر فى بعض مقاماته وبمنزلة من ترك حمل السلاح
توكلا على قوة بدنه وشجاعة قلبه فيوشك ان يظفر به
عدوه فى بعض المواطن قيل وكان من المكايد التى اعدها

وزير سابور انه امتنع من مؤاكلة المطران وزعم له انه
لا يريد ان يخلط بالطعام الذى زوده البطرك طعاما
غيره لما يرجوه من بركة الاغتذاء به فكان اذا احضر
طعام المطران اخرج هو من ذلك الزاد فانفرد بالاكل
منه فلم يزل قيصر سائرا بجنوده حتى بلغ ارض فارس
فاكثر فيها القتل والسبى وتغوير المياه وقطع الشجر
واخراب القرى والحصون وهو مع ذلك يواصل السير
مبادرا ليستولى على دار ملك سابور ويباغت من بها من
رؤساء الفرس قبل ان يملكوا عليهم رجلا ولم يكن للفرس
هم الا الفرار بين يديه والاعتصام منه بالمعاقل فلم يزل
قيصر على ذلك حتى بلغ مدينة سابور وقرارة ملكه
وهى المسماة جندى سابور فاحاط بها جنوده ونصب
عليها المجانيق ولم يكن عند من بها من عظماء الفرس حيلة
فى دفعه باكثر من ضبط الاسوار والقتال عليها وكل
هذا قد علمه سابور على التفصيل مما يفهمه اياه وزيره
ويدسه فى احاديثه من الاشارات والرموز والكنايات
وكان سابور لم يسمع منه كلمة منذ سجنه قيصر فى تلك
الصورة فلما عرف سابور ان قيصر قد ثقلت وطأته
على اهل جندى سابور وقد تسلم الاسوار بالمجانيق
واشرف على افتتاح المدينة عيل صبره وساء ظنه بوزيره
وجزع ويئس من النجاة مما هو فيه فلما جاءه الموكل به
بطعامه قال له ان هذه الجامعة قد نالت منى منا لا
ضعفت عن احتماله فان كنتم تريدون بقاء نفسى فتنفسوا
عنى منها واجعلوا بينها وبين عنقى خرقا من الحرير فجاء الموكل
بطعامه الى المطران فاعلمه بمقالة سابور فسمعها وزير

سابور فعلم ان سابور قد جزع وساء ظنه وفطن لما
قصده سابور فلما جن عليه الليل وجلس لسامرة
المطران قال له لقد ذكرت الليلة حديثا عجيبا ما ذكرته
منذ كذا كذا سنة ولوددت انى كنت حدثته للبطرك
قبل سفري عنه فقال المطران انى راغب اليك ان
تحدثني به الليلة ايها الحكيم الراهب فقال الوزير بنعم
وكرامة ثم اندفع يحدثه برفع صوته ليسمع سابور فقال
انه كان عندنا بجليقية فتى وفتاة فى نهاية من الحسن
والظرف اسم الفتى ما معناه عين اهله واسم الفتاة
ما معناه سيدة النار وكانا زوجين مؤتلفين متحابين
لا يبتغى احدهما بالآخر بدلا وان عين اهله جلس يوما مع
اصحاب له يتحادثون فتذاكروا النساء الى ان وصف احدهم
امرأة بالجمال البارع والظرف الرائع اسمها ما معناه سيدة
الذهب فوقع بقلب عين اهله مثل الها فسأل الواصف
عن منزلها فذكر له انها بقرية غير قرية عين اهله ففكر عين
اهله فى امرها وخامره حبها وطمحت نفسه اليها طموحا
شديدا وكان يقال العقل كالبعل والنفس كالزوجة له
والجسم كالبيت لهما فاذا كان سلطان العقل على النفس
مبسوطا اشتغلت النفس بمصالح الجسم كاشتغال المرأة
التى قهرها بعلها فيشغلها بمصالح نفسها وبيتها وولدها
وبعلها فصلحت الجملة واذا كان السلطان للنفس على العقل
كان سعى النفس فاسدا ونزعاتها مذمومة كفعل المرأة
التى قهرت بعلها قيل فانطلق عين اهله الى القرية التى
تسكن بها سيدة الذهب وطلب منزلها حتى عرفه ولم
يزل يتردد اليه حتى رآها فرأى منظرا معجبا ولم تكن احسن

من امرأته ولكنه كان يقال من ضرورة النفس ان تحن
الى التنقل في الاحوال اذ كانت نقلت بالتركيب الى عالم
الكون ثم تنتقل بالتفريق الى عالم الفساد وما افتتح
امره بالنقلة واختتم امره بالنقلة فاليق الاحوال بتوسطه
النقلة ونازعت عين اهله نفسه الاستكثار من رؤية
سيدة الذهب فلزم المعاودة الى منزلها والتمتع بتأملها
حتى فطن له بعلها وكان جليقا غليظ الطبع قاسي القلب
شديد البطش يسمى الذئب فرصد عين اهله حتى مر به فلما
رآه وثب عليه فقتل فرسه وعزق ثيابه ومقنعته وعنق
عليه واستعان باصحاب له فاحتملوا عين اهله وادخلوه
الى دار الذئب وربطوه الى سارية في بيت من بيوتها
ووكل به الذئب عجوزا قطعاء اليد جدعاء الانف عوراء
العين شوهاء الحالة فلما جن عليه الليل اوقدت تلك
العجوز نارا بالقرب من عين اهله وجلست تصطلي
فتذكر عين اهله ما كان فيه من السلامة والرفاهية
والعز فزفر زفرة عالية فاقبلت عليه العجوز وقالت
له ايها الفتى ما ذنبك الذي اوردك مورد الذل والشدة
فقال عين اهله ما علمت ان لي ذنبا فقالت العجوز هكذا
قال الفرس للخنزير فلم يصدقه الخنزير ثم باحثه عن امره
فظهر ما خفي عنه وعلم صدق ظن الخنزير فقال عين اهله
للعجوز ان رأيت ان تحدثيني بذلك وكيف كان فانك
تحسنين الي به فقالت العجوز ذكروا ان فرسا كان لرجل من
الشجعان فكان يكرمه ويحبه ويحسن القيام عليه ويعده
لمهماته ولا يصبر عنه ساعة وكان يخرج به في الغدوات
الى المرج فيزيل عنه سرجه ولجامه ويطيل رسنه فيتمرغ

ويرعى حتى ترتفع الشمس فيرده وانه خرج به يوما الى
المرج ونزل عنه فلما استقرت قدماه على الارض نفر الفرس
وجمح ومر يعدو بسرجه ولجامه فطلبه الفارس يومه
كله فاعجزه وغاب عن عينه عند غروب الشمس فرجع الفارس
الى اهله وقد يئس من الفرس ولما انقطع الطلب عن
الفرس واظلم عليه الليل جاع فرام ان يرعى فمنعه اللجام ورام
ان يستقر على احدى جنبيه فمنعه من ذلك الركابان
ورام ان يتمرغ فمنعه السرج فبات بشر ليلة الى الصباح
ولما اصبح ذهب يبتغي فرجا مما هو فيه فاعترضه نهر
فدخله ليقطعه الى ضفته الاخرى فاذا هو بعيد القعر
فسبح فيه وكان حزامه وليبه من جلد لم يبالغ في دبغه فلما
خرج من النهر اصابت الشمس الحزام واللبب فيبسا واشتدا
عليه فورم لبابه ومحزمه واشتد الضرر عليه الى ما به
من الجوع فلبث بذلك اياما الى ان ضعف عن المشي فقام
فمر به خنزير فهم بقتله ثم عطفه عليه ما راى به من
الضعف فسأله عن حاله فاخبره بما هو فيه من اضرار
اللجام واللبب والحزام به وسأله ان يصطنع به معروفا
ويخلصه مما ابتلي به وسأله الخنزير عن الذنب الذي
استحق به تلك العقوبة فزعم الفرس ان لا ذنب له فقال
له الخنزير كلا بل انت كاذب في زعمك او جاهل بجرمك
فان كنت يا فرس كاذبا فما ينبغي ان انفس عنك خناقا ولا ان
اصنع معك معروفا ولا اتخذك وليا ولا ان التمس عندك
شكرا واطلب فيك اجرا وانه كان يقال اذا رأيت
نفس الكذاب قد تشبث بها عالم الفساد فكلها اليه فانه
اللائق بها الفساد تركيبها والدليل على فساد تركيب

نفس الكذاب انها مضرية عن الصدق معرضة عن الحقيقة
في الحوادث ونزاعة الى العدم المحض فتصور العدم وجودا
والباطل حقا وتصور ذلك في نفس المغتر بها الراكن
الى قولها وكان يقال احذر مقارنة ذوى الطباع
المرذولة لئلا تسرق طباعك من طباعهم وانت لا تشعر
وكان يقال اصعب ما يعاينه الانسان مما ستر حجاب
لا تحصل منه حقيقة وكان يقال لا تطمع في استصلاح
الرذل والحصول على مصافاته فان طباعه اصدق له
منك فلن يترك طباعه لك ثم قال الخنزير وان كنت يا فرس
جاهلا بجرمك الذى استوجبت به هذه العقوبة
فجهلك بذنبك اعظم منه فمن جهل ذنوبه اصر عليها ولم
يرج فلاحه وكان يقال احذر الجاهل فانه يجنى على
نفسه ولست احب اليه من نفسه وكان يقال ما شيئ
اشبه بالكذب من الجهل وذلك لان الكذاب يتناسى
الصورة والقضية المحسوستين ويتخيل الكذب الذى
هو ضدهما حتى ينطبع ذلك فى عقله ويترك الصواب عمدا
الى غيره والجاهل يرى الاشياء على خلاف ما هى عليه فيرى
القبيح حسنا والحسن قبيحا وانما الفرق بين الجاهل والكذاب
ان الكاذب يأتى ما يعلم خطاه فيه والجاهل لا يعلم ذلك
فهو على نفسه وعلى غيره اشد خيانة من الكاذب فقال
الفرس للخنزير ينبغى لك ان لا تزهد فى اصطناع المعروف
فقال الخنزير لست بزاهد فى ذلك ولكنه كان يقال
العاقل تخير لمعروفه كما يتخير الباذر للحبوب التى يبذرها ازكى
من الارض فحدثنى يا فرس عن ابتداء امرك فيما نزل بك
وعن حالك قبل ذلك لاعلم من اين دهيت فحدثه الفرس

بجميع امره وكيف كان عند فارسه وكيف فارقه وما لقى
في طريقه الى حين اجتماعه بالخنزير فقال الخنزير قد ظهر لى
الآن انك جاهل يجرمك وان لك ذنوبا ستة او لها انك
فارسك الذى احسن اليك واعدك للهرب والثانى كفرك
لاحسانه والثالث اضرارك به فى طلبك والرابع تعديك
على ما ليس لك وهو السرج واللجام والخامس اساءتك
على نفسك بتعاطيك التوحش التى لست له اهلا ولا لك
عليه مقدرة والسادس اصرارك على ذنبك وتماديك
فى غوايتك فقد كنت متمكنا من العود الى فارسك والاستقالة
من فارط جهلك قبل ان يوهنك اللجام واللبب والحزام
بالضنك فقال الفرس للخنزير اما اذ عرفتنى ذنوبى
وايقظتنى لما كنت ذاهلا عنه محجوبا بحجاب الجهل فانطلق
الآن ودعنى فانى مستحق لاضعاف ما أنا فيه فقال الخنزير
اما اذ عرفت وفطنت لهذا العذر ولمت نفسك ووبختها
واخترت لنفسك العقوبة على جهلها واستعملت الحكمة التى
وعيتها فانك حقيق ان ينفس عنك وانه قيل ان الأب نوفا
كتب على باب بيته انه لن ينتفع بحكمتنا الا من عرف نفسه
ووقف بها عند قدرها فمن كان بهذه الصفة فليدخل والا
فليرجع حتى يكون بهذه الصفة ثم ان الخنزير قطع عنان
اللجام فسقط وقطع الحزام فتنفس عن الفرس فقال فلما سمع
عين اهله ما خاطبته به العجوز وفهم ما ضربت له من
الامثال اقبل على العجوز وقال لها قد صدقت فيما نطقت
وضربت لى مثلا كشف لى عن حلية امرى وافدتينى حكما
لاكفاء لها وأدبتينى فتأدبت ووعظتينى فاتعظت ثم
حدثها حديثه ورغب اليها فى ان تمن عليه بالاصطناع وتطلقه

كما فعل الخنزير بالفرس فقالت له العجوز انك غير لابس لك
باكثر الامور وان الذى سألتنى لا يمكننى فعله الآن
ولعلى ان اجد لك فرجا ومخرجا مما انت فيه فعليك بالصبر
وامسكت العجوز عن مخاطبته فلما انتهى الوزير فى حديثه
الى هذه الغاية اقبل على المطران وقال له انى احس فى رأسى
صداعا وفى اعضائى فتورا ولا يمكننى الليلة اتمام الحديث
ولعلى ان اكون فى الليلة القابلة نشيطا الى ذلك قديرا عليه
فاكمل مسرتك باكماله ونهض الى مضجعه فجعل سابور يتصفح
حديث وزيره ويتأمل الامثال الذى رصعه بها ففهم
ان الوزير كنى عنه بعين اهله لانه ملك فارس وكنى عن
مملكته واقليم بابل بسيدة النار لان رعيته يعبدون النار
وكنى عن بلاد الروم بسيدة الذهب وكنى عن قيصر بالذئب
الذى ذكر انه بعل سيدة الذهب وكنى عن طموح نفس
سابور الى رؤية مملكة الروم بطموح نفس عين اهله الى
رؤية سيدة الذهب وكنى عن اخذ قيصر له بقبض
الذئب على عين اهله وقصد بما ضربه له من الامثال الحكمية
تأديبه على شرهه وتغريره بنفسه ومخالفته نصحاءه وكنى
عن نفسه وحاله وعجزه وحزنه وذله فى خدمة المطران
وطلبه مرضاته وتملقه بالعجوز القطعاء الجدعاء العوراء
المشوهة الخلق وعرفه انه لا يمكنه تخليصه فى ذلك الوقت
وانه ساع فى خلاصه فسكنت نفس سابور لما فهم ذلك
وعاودته ثقته بوزيره واستروح ريح الفرج ولبث
بذلك ليلته ووعدها الى الليلة القابلة فلما انقشع المطران
واخذ مقعد المسامرة قال لوزير سابور ايها الراهب الحكيم
اخبرنى ما كان من امر عين اهله وكيف كان عاقبة شدته وهل

خلصته العجوز من وثاق الذئب ام لا فان نفسي الى علم ذلك
متطلعة وارك الليلة صالح الحال فقال الوزير سمعا لقولك
وطاعة لامرك ثم اقبل عليه يحدثه فقال ان عين اهله اقام
على حالته موثقا طول ليلته تلك فلما اصبح دخل الذئب فتهدده
بالقتل وزاده الى وثاقه قيدا ثقيلا وخرج عنه فقطع عين
اهله نهاره ذلك بالامانى فلما جنه الليل قلق واستوحش فكر
وانتحب وجاءت العجوز فاضرمت نارا قريبا منه وجلست
تصطلي ثم اقبلت على عين اهله فقالت له تعزوا صبر واذكر
مصايب الناس فتأس بهم ولا تذهل عن النعمة العظمى في
حفظ نفسك فقال لها عين اهله لقد صدق القائل هان
على الطليق ما لقي الاسير فقالت له العجوز ايها الفتى ان حداثة
السن قصرت بك عن ادراك كثير من الحقائق افتسمع حديثا
لك فيه سلوة قال نعم فانعمي علي به فقالت العجوز انه ذكر
ان تاجرا مكثرا كان له ابن ليس له ولد غيره وكان شديد المحبة
له والشغف به فاتحفه بعض معارفه بغزال قد شدن
صغير فعلق به قلب الغلام ولد التاجر فكان لا يفارقه وجعل
اهل الغلام على ذلك الغزال حليا نفيسا وارتبطوا له شاة
ترضعه حتى اذا اشتد الغزال وشدن نجم قرناه فقال
الغلام لاهله ما هذا الذي في رأس الغزال قالوا قرناه فاعجبه
سوادهما وبريقهما فقيل للغلام انهما سيكبران ويطولان
حتى تكون صفتهما كيت وكيت فقال الغلام لابيه احب
ان ارى ظبيا له قرنان كبيران فامر ابوه فصيد له ظبي ثنى
السن قد استكمل قوة ونموا فاعجب به الغلام واكرم اهله
وحلوه وانسوه فانس والف الغزال الظبي لمجانسة
الطبيعة فقال الغزال للظبي ما ظننت قبل ان اراك ان لي

فى الارض شكلا ثم لما رايتك وقع فى نفسى ان لى اشكالا
سواك فقال له الظبى نعم ان اشكالك لكثيرة فقال
له الغزال اين هى فأخبره الظبى بتوحشها وانفرادها
فى فلوات الارض فرارا من الناس وحدثه عن مراتعها ومواردها
وانردواجها وتناسلها فارتاح الغزال لما سمع من الظبى
وتمنى ان يراها فيكون معها فقال له الظبى هذه امنية لا
خير لك فيها وانت قد نشأت فى رفاهية من العيش وامنة
لا تعرف غيرها ولو حصلت فيما تمنيت لتعبت وكان يقال
ثلاثة من لم ينزلها بمنزلتها ويرع لها حقها اسرعت له
مفارقته والتحول عن قربه وهى الملوك والعلماء والنعم
وكان يقال الامانى فى الشدة ارتياح وفى الرخاء جماح
فلا ينبغى ان يأذن العاقل لنفسه من الامانى الا فى المقدار
الذى يؤنس الوحشة ويتنفس الكربة فان استيلاء
الامانى على النفوس كتأمر السفل الذين يعيدون الرؤس
اعجازا والاعجاز رؤسا ويسعون فى قلب الاعيان
وتغيير صورة الصواب فقال الغزال للظبى لا بد لى من
اللحاق باشكالى فلما رأى الظبى ان الغزال غير منته وخاف
عليه ان يقع به قبل بلوغه ما تمناه لانه غر لا يعرف التحرز من
مكايد الانس لم يجد بدا من اتباعه والكون معه ليقضى
حق حرمة الفته اياه فرصد حينا يمكنه فيه الفرار وحن
جميعا حتى لحقا بالصحراء فلما عاينها الغزال فرح ومرح وذهب
يعدو لا يثنيه شئ فسقط فى اخدود ضيق قد قطعه
السيل فنشب فيه وانتظر ان يأتيه الظبى ليخلصه فلم يأته
فبقى هناك واما ولد التاجر فانه لما اصبح وعدم الغزال
والظبى جزع لفقدهما واشفق ابوه عليه فاستدعى كل من

يعانى الصيد بذلك البلد فعرفهم القصة وكلفهم طلب
الظبى والغزال ووعد من وجدهما له وعدا مرغوبا فيه
فانبثوا فى سهل الارض وحزنها يطلبون وركب التاجر
دابته وفرق اتباعه على باب المدينة ينتظرون من يأتى
من الصياديين فانطلق هو وعبد ان من عبيده حتى اتوا
الصحراء فرأى رجلا على بعد مكبا على شئ بين يديه فاسرع
نحوه فاذا هو صياد قد اوثق ظبيا وهو يريد ذبحه
فتأمله التاجر فاذا هو ذلك الظبى الذى يطلبه فخلصه
من يدى الصياد وامر عبيده ان يفتشاه ففتشاه فوجدا
معه الحلى الذى كان على الظبى فسأله كيف ظفر بالظبى
واين وجده فقال انى بت فى الصحراء اتصيد فصبت
شركا وكمنت قريبا منه فلما اصبحت جاء هذا الظبى ومعه
غزال فمر الغزال يعدو ويمرح فى جهة غير جهة الشرك
وجاء هذا الظبى يمشى حتى حصل فى الشرك فاخذته وقصدت
به المدينة فلما بلغت هذا الموضع ظهر لى انى مخطئ فى
ادخال الظبى المدينة حيا لعلمى انه اذا رؤى طولبت
بما كان عليه من الزينة فاردت ان اذبحه وادخل به لحما
وهذا خبرى فقال التاجر فماذا كان عليك لو اطلقته وحصلت
انت على حليه وتزينته ولقد صدق القائل لا يدخل
الشره مدخلا الا اعتقبته الحرمة ولا يدخل البخل مدخلا
الا اعتقبته الحسرة الا ترى ان من حمله البخل والشره على
اكل اللقمة التى عافتها نفسه كان متعرضا للحرمة بتهوع ما
اكله والحسرة عليه عند مفارقته ثم ان التاجر بعث بالظبى
الى ولده مع احد عبديه وقال لذلك الصياد ارجع معى
فارنى الجهة التى رايتا الغزال يسعى نحوها فرجع به الى

تلك الجهة وجعل الصياد يفتش ويشرف على المواضع
المرتفعة ومشى التاجر على رسله فسمع رنين الغزال
وهو صوته فصاح به التاجر فلما سمع الغزال صوته
عرفه فصوت واتبع التاجر الصوت حتى قام عليه واذا
هو فى اخدود ضنبوق اى شق ضيق فى الارض منتشبا فيه
فأخذه ونادى الصياد فوهبه دراهم وصرفه ورجع
التاجر بالغزال الى ولده فكملت مسرة الغلام وصار الظبى
يتجنب الغزال اذا رآه ولا يألفه كما كان فاذا حصل
معه فى موضع نفر منه اشد النفار فتنغصت مسرة الغلام
لذلك وجهد اهله بكل حيلة ان يجمعوا بين الظبى والغزال
على حال ألفة وسكون فلم يقدروا على ذلك فبينما الغزال
يوما نائم فى بيت اذ دخل عليه الظبى فعاتبه على نفاره
منه وطول هجرانه له فقال الغزال انسيت غدرك بى
احوج ما كنت الى عونك واوثق ما كنت بنصرتك فقال
له الظبى انى لم اغدر ولم اخن ولكن علم رسوخك فى
علم التجربة اوقعك فى تهمة البرئ وانى لم اتأخر عن
تخليصك مما حصلت فيه الا مضطرا الى ان لا تأخر عنك عاجزا
عن المبادرة اليك وقص عليه قصته وانه حصل فى شرك
الصياد فعلم الغزال عذره وعاد الى تألفهما قال فلما سمع
عين اهله حديث العجوز وفهم ما اراد ته من ذكر عجزها
عن تخليصه امسك عن خطابها قيل فلما انتهى وزير سابور
من حديثه الى هذا الحد سكت فقال له المطران ايها
الحكيم الراهب ما هذا السكوت لعلك تريد أن تؤخر اخبارى
بما كان من عاقبة عين اهله وما لقى من الذئب وما صنعته
معه العجوز فقال الوزير انى لعاجز عن ذلك لفتور احد

فى اعضاءى فقال له المطران لا تفعل فان ذلك يسوءنى
ويشق على احتماله فاحمل على نفسك الليلة ايها الحكيم
فانى راغب فى تانيسك معجب باحاديثك فقال الوزير
افعل ذلك طلبا لمرضاتك ولو علمت ايها المطران ما ادخرت
لك من عجائب الاخبار وغرائب الاسمار لعجبت من ذلك
اشد العجب ثم اندفع يحدثه فقال ان عين اهله لما سمع
حديث العجوز وفهم ما ارادته امسك عنها ولبث
ليلته تلك باسوء حال ولما اصبح دخل عليه الذئب فنال
منه وتعتعه وعنفه وهدده بالقتل وزاده قيدا الى قيده
وعرفه ان لا ناصر له عليه ولا مخلص له من يديه وخرج عنه
فجعل يعلل نفسه بقية نهاره ويمنيها الفرج فلما اقبل عليه
الليل استوحش واحتوشته الافكار المرضة وانتظر
ان تجلس اليه العجوز او تحادثه فلم تفعل وجعلت العجوز تكثر
الدخول الى البيت الذى فيه عين اهله ولا تستقر فيه
فساء ظن عين اهله وايقن بالهلكة وماشك فى ان الذئب
يقتله فى تلك الليلة فاقبل على البكاء حتى اذهب صدرا
من الليل ثم قال للعجوز مالك لم تؤنسينى فى هذه الليلة
بحديثك ولا جلست الى فجلست اليه وقالت له اما كان لك
فى رؤيتى قطعاء جدعاء مشوهة عوراء سيئة الحال
ما يحملك على التاسى والتسلى واحمد الله واشكره فى سلامة نفسك
ومعافاتك من بلاء هو اعظم من بلائك حتى قلتها على الطليق
مالقى الاسير ولو اعتبرت باطن حالى بما ظهر لك منها لعلمت
ان اسرى هو اشد من اسرك واستمع الى احدثك حديثى
اعلم ايها الفتى انى كنت زوجة لبعض الفرسان وكان
انى محسنا ولى رفيقا ولى محبا فكنت معه فى ارغد عيش

واهناه فلبثت بذلك مدة طويلة وولدت له اولادا
ذكورا واناثا فكبروا في رفاهية ونعمة فغضب الملك
على زوجي لامر كان منه فقتله وقتل ذكور اولاده وبناته
متفرقات فاشتراني هذا الفارس الذي عدى عليك
واحتملني الى هذه القرية واساء علي وكلفني من العمل مالا
طاقة لي به واكثر معاقبتي على غير ذنب لما طبع عليه من
القسوة والفظاظة فسألته مرارا ان يرفق بي واستعنت
عليه باخوانه ومن يكرم عليه لكي يخفف عني او يبيعني
فلم تزده الشفاعات والسؤال الا قسوة علي واضرارا بي
فلبثت بذلك سبع سنين ثم فررت منه فتبعني فادركني
فجذع انفي ثم عاود قسوته علي واضراره بي وعاودت
مسألته والاستشفاع اليه وهو مقيم على سوء رأيه
في فمكثت بذلك سبع سنين اخرى ثم فررت منه فطفر في
ففقأ عيني وعاود عسفي فمكثت سبع سنين اخرى فررت
منه فطفر بي فقطع يدي وقال لي انما بقي من اعضائك
التي انتفع بها عينك ويدك فان فررت بعدها قطعت
رجليك معا وابقيتك انتفع بعينك في الحراسة ويدك
في العمل واقسم على ذلك بغليظ الايمان وعاود عسفي
ومضرتي وقد عزمت على ان اخلصك الليلة واقتل نفسي
بيدي طلبا للراحة مما انا فيه ولهذا رأيتني اكثر الدخول
اليك والخروج عنك وانما ذلك لحيرتي وجزعي من الموت
وقد طابت نفسي على الموت ثم انها فتحت قيود عين اهله
وقطعت وثاقه وتناولت سكينا فقال لها عين اهله
لئن تركتك تقتلين نفسك لقد اشركتك في دمك وانتزع
السكين من يدها وقال لها قومي اذهبي معي لكي ننجو معا

او نعطب معا فقالت له ان كبر سني وضعف بدني
يمتعاني من اتباعك والهرب معك فقال لها ان الليل
متسع والموضع الذي نأمن اذا وصلنا اليه قريب
وفي قوة على حملك فقالت العجوز اما اذا عزمت على هذا
فاني لا احوجك الى حملي ما دامت بي مسكة وخرجا معا
فلم ينقض الليل حتى بلغا الى حيث امنا فجزاها عن اهله
خيرا بما صنعت واتخذها اما يسمع لها ويطيع فهذا ما بلغني
من ذلك فقال المطران ما اعجب احاديثك ايها الحكيم ولقد
وددت ان لا افارقك ابدا وان سفري هذا يطول
لتطول متعتي بك وبعظم حظي من انسك ولقد استعدت
مفارقة الاهل والوطن لقربك ونهض كل واحد منهما الى
مضجعه وبات سابور يتصفح حديث وزيره ويتأمل
امثاله ففهم ان الغزال مثل لسابور وان الظبي مثل الوزير
وان خروج الظبي مع الغزال الى الصحراء مثل لصحبة سابور
ووزيره حتى حصل سابور في حبس قيصر وان نفار
الغزال عن الظبي لسوء ظن سابور بوزيره لتأخره عن
استنقاذه وعلم ان الوزير قد عزم على تخليصه والخروج
به الى المدينة ليلا وان المدينة قريبة منهما وان يحمله
ان عجز عن المشي فأيقن سابور بقرب الفرج ولما كانت الليلة
القابلة تلطف وزير سابور حتى دخل الخيمة التي يطبخ فيها
الطعام للمطران وللموكلين بحفظ سابور على حال خلوة
فألقى في جميع الاطعمة مرقدا قوي الفعل ولما حضر طعام
المطران انفرد الوزير بأكل زاده على ما جرت به عادته فلم
يكن الا ساعة حتى استحوذ المرقد على جميعهم فانجدلوا في
مواضعهم صرعى على مراصدهم ومضاجعهم وبادر الوزير

ففتح باب الصورة عن سابور واستخرجه وازال
الجامعة من عنقه ويديه وتلطف حتى اخرجه من عسكر
قيصر وقصد به نحو جندى سابور وهى مدينة
ملكه فانتهيا معا الى سورها فصرخ بها الموكلون
بحراسة السور فتقدم الوزير اليهم وامرهم بخفض
اصواتهم وعرفهم نفسه واعلمهم بسلامة ملكهم
فابتدروا وادخلوهما المدينة فقويت نفوس اهلها وامرهم
سابور بالاجتماع وفرق فيهم السلاح وعهد اليهم ان
يأخذوا اهبتهم فاذا ضربت الروم نواقيسهم الضرب
الاول خرجوا من المدينة واقتربوا من عسكر الروم وقاموا
على تعبية وتأهب حتى اذا ضربت النواقيس الضرب الثانى
حملوا باجمعهم كل فرقة على من يليها فامتثلوا امره وانتخب
سابور كتيبة عظيمة فيها اشجع اساورته وقام معهم
فيما يلى الجهة التى فيها اخية قيصر فلما ضربت النواقيس المرة
الثانية حملوا من كل جهة وقصد سابور اخية قيصر ولم
تكن الروم متأهبين لعلمهم بضعف الفرس عن مقاومتهم
وانهم قد بنوا ابواب مدينتهم فما شعروا حتى دهمتهم
الفرس واخذ سابور قيصر اسيرا وغنم جميع عسكره
واحتوى على خزائنه ولم ينج من جنوده الا الشريد وعاد
سابور الى قرار ملكه ففسم الغنائم بين اهل عسكره وافاض
الصلات على جميع من فى مدينته بقدر احوالهم واحسن
الى حفظة ملكه وشرفهم وفوض جميع امواره الى وزيره
الذى خلصه ثم احضر قيصر فاكرمه ولاطفه وقال
له انى مبق عليك كما ابقيت على وغير مجازلك بتضييق
محبسى ولكنى اؤاخذك باصلاح جميع ما افسدت من جميع ممالكى

فتبنى ما هدمته وتغرس مكان كل نخلة قطعتها زيتونة
وتطلق كل من كان فى مملكتك من اسارى الفرس فضمن
له قيصر ذلك كله ووفى له به ولما انتهى فى الاصلاح الى
بناء ما انثلم من سور مدينة جندى سابور قال سابور
لقيصر انما تبنيه من تراب بلادك فأمر قيصر رعيته من
الروم ان تحمل التراب من بلادهم الى جندى سابور فرفع
به ما انثلم من سورها ولما اتم لسابور ما اراد من ذلك
كله احسن اليه واطلقه الى دار مملكته بعدان قال له
خذ اهبتك واستعد عدتك فانى غاز ارضك عما قريب
قال المؤلف رحمه الله قد بلغت بهذه السلوانة الغاية التى
يحتملها هذا الكتاب فالحمد لله على ما تيسر من ذلك والله اعلم

السلوانة الثالثة وهى سلوانة الصبر

وهى ثمرة التأسى قال ربنا تقدس اسمه مخاطبا صفيه المكين
لديه ونبيه العزيز عليه واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن
عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون وهذا ما تألب المبطلون
عليه وقصدوا بالمكر والمكروه اليه كما اخبر الله سبحانه
وتعالى بقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك
او يخرجوك وكان رؤساء قريش اجتمعوا فى دار الندوة
باجمعهم ليتشاوروا فى امر النبى صلى الله عليه وسلم واتاهم
ابليس فى صورة شيخ اعرابى فاراد وا اخراجه عنهم
فقال لهم انى من اهل نجد ولا عين عليكم منى وقد بلغنى
ما اجتمعتم عليه ولعلكم لا تعدمون فى محضرى خيرا فأخذوا
فى تشاورهم فقال عتبة ارى ان تخرجوه من بين
اظهركم فان ظفر كان ظفره حظا لكم وان قتل كنتم قد كفيتم
امره فقال ابليس ما هذا رأى اما سمعتم حلاوة منطقه

واخذه بالقلوب فلا تأمنوا ان يقع في حي من احياء العرب
فيستفسد اهواهم ويسير بهم اليكم حتى يفرق جمعكم
فقال اخر ارى ان يوثق ويحبس حتى يأتيه اجله وهو في حبسه
فقال ابليس ليس هذا برأى اما علمتم ان له اهل بيت
واتباعا لا يرضون منكم بهذا فيقع الحرب بينكم ويهن امركم
ثم قد تكون الدائرة عليكم فقال ابو جهل ارى ان تأخذوا
من كل قبيلة من قبائل قريش شابا جلدا وتعطى كل رجل منهم
سيفا ويأتونه في مضجعه فيضربونه ضربة رجل واحد
فلا يقدر اهله ان يطالبوا بدمه جميع القبائل اذا
افترق دمه فيها فقال ابليس لقد اصاب الرأى فتفرقوا على
رأى ابي جهل واوحى الله سبحانه وتعالى الى رسوله عليه
الصلاة والسلام يعرفه مكرهم وامره بالهجرة الى طيبة
وجاء الذين تخيرونهم من القبائل للفتك برسول الله صلى
الله عليه وسلم الى منزله من اول الليل فامر النبي صلى الله
عليه وسلم عليا رضي الله عنه ان يلبس برده الاخضر
وينام على فراشه وخرج النبي صلى الله عليه وسلم من
بيته والقوم على الباب فقرأ اوائل سورة يس والقرآن
الحكيم واخذ كفا من التراب وجعل يذره على رؤس القوم
وهم لا يرونه وانصرف صلى الله عليه وسلم نحو الغار
وجعل المشركون ينظرون الى علي في مضجع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعليه برده الاخضر فيقولون
هذا محمد نائم ولا يطيقون الدخول حتى اصبحوا وقام
علي رضي الله عنه فنظروا اليه وقالوا اين محمد فقال لا ادرى
امرتموه بالخروج فخرج فحبسوه في المسجد ساعة ثم تركوه
خبر نبوي في الصبر مما رويناه ان النبي صلى الله عليه وسلم

قال العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل
قائده والرفق والده والبر أخوه والصبر امير جنوده ٥
فناهيك بخصلة تتأمر على هذه الخصال — وليس المراد
تفضيل الصبر على العلم والعقل وما ذكر من الخصال معهما
ولكن المراد بالصبر يكون بالتباعي هذه الخصال لمن اتصف
بها لان معنى الصبر الثبات والحبس والامساك فمن
اتصف بشيء من هذه الخصال ولم يتصف بالصبر عليه
والملازمة له كان عند مزايلته كمن لم يتصف به فالصبر
لهذه الخصائص نص الشريعة ضابط ضبط الامير جنوده من
مزايلة مراكزها والاخلال بما نصبت له من دفاع وانتفاع

منثور ومنظوم من الحكم في الصبر

روى ان عليا رضي الله عنه قال الصبر مطية لا تكبو وقيل
مما كتب في الصحيفة الصفراء المعلقة في اعظم هياكل الفرس
كما ان للحديد يعشق المغناطيس فكذلك الظفر يعشق الصبر
فاصطبر تظفر اعلم رحمك الله ان ظل الصبر ظليل ومضله
ذليل وان الصبر درج يفضي بمن عرج الى الفرج وان اقل
فوائد الصبر على البلية ان الصابر عليها ينغص لذة عدوه
والمتشفي الشامت به والصبر صبران صبر العامة وهو
عمل اشباح وصبر الخاصة وهو عمل ارواح وقد احكم هذا
المعنى حبيب بن اوس فقال

ولباس سرد الصبر مدرع له في الحادث للحال ادراع اللأ
والصبر بالارواح يعلم فضله صبر الملوك وليس بالاجسام
قوله ادراع اللأم اى الدروع والدرع لامة وجمعها
لأم وقال حبيب ايضا فاحسن

واذا رأيت اسى امرء او صبره يوما فقد ابصرت صورة رأيه

وقال نهشل بن حرى

ويوم كأن المصطلين بحره وان لم تكن نار قيام على الجمر
صبرنا له حتى يبوح وانما تفرج ايام الكريهة بالصبر

قوله يبوح اى يخبر وهما سواء وقلت فى ذلك

على قدر فضل المرء تأتى خطوبه ويعرف عند الصبر فيما يصيبه
ومن قل فيما يتقيه اصطباره فقد قل مما يرتجيه نصيبه

وقال بعضهم

الصبر اولى بوقار الفتى من قلق يهتك ستر الوقار
من لزم الصبر على حاله كان على ايامه بالخيار

وقال عمرو

ومقعد كربة قد كنت منه مكان الاصبعين من القبال
صبرت لها وكنت اخا حفاظ اذا حام اللئام على النزال
فهذا والمنية من ورائى ستطرقنى بها احدى الليالى

قال المؤلف عفى الله عنه هذا انموذج من القول فى الصبر على الجملة وهو يتنوع انواعا والنوع اللائق بكتابى هذا منها هو صبر الملوك وصبر الملوك عبارة عن ثلاث قوى القوة الاولى قوة الحلم وثمرتها العفو والقوة الثانية قوة الكلاءة والحفظ وثمرتها عمارة المملكة والقوة الثالثة قوة الشجاعة وثمرتها فى الملوك الثبات واما ثمرتها فى مماة المملكة من المقاتلة فالاقدام فى المعارك ولا يراد من الملك الاقدام فى المكافحة فان ذلك من الملك تهور وطيش وتغرير وانما شجاعة الملك ثباته حتى يكون قطبا للمحاربين ومعقلا للمنهزمين وهذا ما دام بحضرته من يثق بذبه عنه ودفاعه دونه وحمايته له فلقد ذكروا عن الفرس ان فيلا اغتلم اى هاج شبقا فدخل قصر كسرى انوشروان والفيل اذا

اعتلم انكر سواسه ولم يثبت له شئ الا اتى عليه قالوا
وان ذلك الفيل قصد المجلس الذى كان فيه كسرى ومعه
جماعة من كماة اصحابه فلما راى الذين مع كسرى ان الفيل
قد قصدهم فروا من المجلس وثبت كسرى على سريره
وثبت معه رجل من اساورته كان مكينا عنده يثق
بثباته فقام ذلك الاسوار بين يدى سرير كسرى
وبيده طبرزين وقصده الفيل فثبت له حتى غشيه
فضربه بالطبرزين على قطسته فكر الفيل راجعا من
حيث جاء وقد نالت منه الضربة منا لاشديدا ولم
يتخلخل كسرى عن مجلسه ولا تغيرت هيئته ولا فارقته
ابهته فهذه غاية الشجاعة المطلوبة من الملك فان لم
يكن بحضرة الملك من يثق بدفعه عنه حسن حينئذ
منه ان يذب عن نفسه اما بالاقدام على العدو ان غلب
على ظنه الامتناع منهم بالاقدام عليهم او بانهزامه ان
اتاه ما لا قبل له به واشفق من عطب رعيته بهلكه كما
حكى ان موسى الهادى كان يوما فى بستان ومعه اهل
بيته وبطانته وهو راكب على حمار وليس معه سلاح
فدخل عليه حاجبه فاخبره ان رجلا من الخوارج جيئ به
اسيرا وكان الهادى حريصا على الظفر به فامر بادخاله
فادخل بين رجلين قد امسكا بيديه فلما رأى الخارجى
الهادى جذب يديه من الرجلين اللذين كانا يمسكانه
واخترط سيف احدهما ووثب نحو الهادى ولما رأى
ذلك من كان حول الهادى من اهله وخاصته فروا جميعا
وبقى الهادى وحده فثبت على حماره بمكانه حتى اذا قرب
الخارجى منه وكاد ان يعلوه بالسيف قال الهادى اضرب

عنقه

عنقه يا غلام فالتفت الخارجي حين سمع ذلك ووثب
الهادي عن سريره فاذا هو على الخارجي وسقط الخارجي
تحته فقبض الهادي على يده وانتزع منه السيف فذبحه
به ثم عاد الى ظهر حماره من فوره وتراجع اليه خاصته
واهله يتسللون وقد ملئوا منه رعبا وحياء وما خاض
في ذلك بحرف واحد ولم يكن بعد ذلك يفارق
سيفه ولا يركب الا الخيل وقد جلا عنك هذا الخبر ما ايد
الله به موسى الهادي من ثبات الجاش واصابة الراى
وشدة الكيد وشجاعة القلب وقوة البدن رحمة الله
عليه رويضة رائقه ورياضة فائقه
قيل ووصف لكسرى انوشروان ارض من الاقوام الهندية
تتاخم اقليم بابل فذكرت له بحسن المنظر وطيب الهواء والماء
وكثرة الاناوه وزكاة الاثمار وكثرة العمائر وحصانة
المعاقل ووصف له اهل تلك الارض بعظم الجسوم وبلادة
الفهوم وشجاعة القلوب وقوة الابدان والصبر على
العمارة وملازمة الطاعة ولين القيادة فشرهت نفس
كسرى الى تملك تلك الارض والتكثر باهلها وكان يقال
الشره اعرق الخصائل في اللؤم فالحرص ابوه الذي يولده
والبغي ابنه الذي يلده والطمع شقيقه والذل رفيقه
وكان يقال من شره وقع فيما كره وكان يقال الشره شرة
ينتجها طبع وهيجها طمع قيل فلما طمحت نفس انوشروان
الى تملك تلك الارض سأل عن ملكها فاخبر بانه عظيم من
املاك الهند وانه شاب منقاد لشهواته مقبل على لذاته
الا انه سالك سراطا من العدل لا يجوره ومالك منهلا من
البذل لا يغوره ورافة رعيته قد اشربت قلوبهم وده

وصرفت امامهم الى مما عنده فندب له كسرى رجلا من
ثقاة اصحابه قد اقتبس ادبا من اداب الملوك وتفقها
في سياستهم وكان ذا دهاء ومكر وخديعة وفكر
فامره بتأمل مسالك تلك الارض والبحث عن ثغورها
ومعاقلها وتطلب عوراتها وتفقد اخلاق ملكها واهلها
وكتب معه كتابا الى ذلك الاركن يدعوه به الى الدخول
في طاعته ويحذره التعرض به لنصوله بمخالفته فانطلق
ذلك الرسول حتى قدم على الاركن فاحسن في نزله وبالغ
في بره وتكرمته وعمى عليه الاخبار وبالغ في قبضه عن
التصرف وفي قبض الناس عن لقائه واحتجب عنه ولم يستتم
الكتاب منه وندب لاختباره وعلم ما قصد له رجلا من
دهاة اصحابه فامره بالتجسس على انبائه والتلطف في مداخلته
ومخاتلته فانطلق ذلك الجاسوس فاكترى حانوتا بجوار
ذلك الرسول وملأه فخارا وجلس فيه ليبيع ذلك
الفخار وكان للرسول غلام يختلف في حوايجه ويتصرف في
ما ربه فجعل الجاسوس اذا رأى ذلك الغلام هش له واكرمه
وسأله عن حاله من حاجة الى ان أنس به الغلام فكان
يجلس اليه ويستعين به على امره فلبث كذلك مدة
لا يسأله عن شيء من امر سيده فلما تأكد أنس الغلام به
قال له يوما من تكون ومن يكون لك في هذه الدار
التي تدخلها فقال له الغلام صحبتني منذ كذا وكذا ولا
تعرفني فقال له الجاسوس وما علمي فقال له انا غلام
رسول كسرى وسيدي في هذه الدار فقال الجاسوس
ومن كسرى وما رسوله فقال الغلام كسرى ملك
بابل ارسل سيدي الى ملك ارضكم فقال الجاسوس قد عرفت

حين ذكرت لى بابل لانى كنت فى صباى اجير الرجل من
اهل بابل ثم امسك عن الغلام ايا ما لا يسأله عن شئ
وكان يقال السفر نغير وقيل التغيب يريب الاريب
وقيل من تسرع الى الامانة فلا لوم على من اتبعه بالاضاعة
ومن تسرع الى المشاركة فى السر فلا لوم على من اتهمه
بالاذاعة ومن تنصح قبل ان يستنصح فلا لوم على من اتهمه
بالخداع ومن عنى بتكشف ما ستر عنه فلا لوم على من اتهمه
بالخيث فى الطباع قيل ثم ان الجاسوس قال للغلام يوما
اذا خرج استاذك فاستاذنى اياه فقال الغلام ان مولاى
لا يتصرف فقال الجاسوس امر يضرهو قال الغلام لا
ولكن ملككم حصر عليه الخروج وعلى الناس الدخول عليه
فبكى الجاسوس فقال الغلام له ما الذى ابكاك فقال له
الجاسوس ابكتنى الرحمة لمولاك مما هو فيه لانى ابتليت
بمثله وذلك انى حبست مرة فى دين كان على ومنعت اعرافى
من الدخول الى فلولا ان الله من على برجل كان محبوسا
معى فكان يسلينى بحديثه وانسه لهلكت غما فهل تحدث
مولاك وتسليه فقال الغلام انى لا اعرف هذا ولا ادرى
خبر الطرفه به فقال الجاسوس له افلا ادلك على ذلك قال
الغلام بلى فاحسن الى بذلك فقال له الجاسوس اذا خرجت
من عند مولاك فتطف فى المدينة وتأمل ما تراه فيها واذا
رأيت جماعة يتحدثون فاجلس اليهم واستمع ما يفيضون
فيه فاذا رجعت الى سيدك وخلوت معه فقل له رأيت
اليوم كذا وكذا وسمعت من يقول كيت وكيت لان فى
هذا تسلية له وانسا من وحشته وبوشك اذا فعلت
ذلك ان تحظى عنده ففعل ما امره به الجاسوس فقال له

سيده من دلك على فعل هذا فقال الغلام انا فطنت له
ففعلته فقال له سيده كلا ليس هذا فى قوى عقلك
فأخبرنى بمن دلك عليه فقال الغلام دلنى عليه جارنا
ببيع الفخار ما رأيت اجهل ولا ابله منه فقال له سيده
ما الذى دلك على جهله وبلهه فقال الغلام انه صحبنى
اكثر من شهرين ولا يعرف من انا ولا من سيدى وذكرت
له الملك كسرى فاذا هو لا يعرفه فلما سمع الرسول استرب
به وحس انه متجسس عليه لما رأى انه قد افرط فى تجاهله
وكان يقال من افرط فهو كمن فرط ومن استفل فى علوه
استفل عن علوه وكان يقال ما دل على الاحوال كالمقال
ولا هتك قناع العقول كسماع المعقول وكان يقال من
لم تعرفك غائبا اذ ناه لم تعرفك شاهدا عيناه قيل فلما
سمع الرسول مقالة عبده امره ان يأتيه به ففعل فلما
رآه الرسول حقق ما كان ظنه به من كونه جاسوسا
عليه فاكرمه وقربه وتظاهر له بغباوة وجهل لا
مزيد عليهما وسأله ان يواصل زيارته فلبث الجاسوس
متفقدا احوال الرسول فى ليله ونهاره مدة متراخية
ولما ظن ذلك الجاسوس انه قد حصل ما اراد علمه من
امر رسول كسرى ذهب اليه فاخبره ان ذلك الرسول
قد مر لا ذكاء له ولا غناء عنده اكثر من انه ذو نخوة
وفرهسية فوثق الملك بقوله وتخيل الرسول بالصورة
التى مثله بها الجاسوس عنده وكان يقال لا يكن سمعك
لاول مخبر ولا ثقتك لاول مجلس وكان يقال اذا كان
الخبر يدخله الصدق والكذب فالقضاء له باحدهما قبل
الامتحان جور وكان يقال انما يقضى بصدق المخبر عصمة

الخبر لاصدقه وشرح ذلك ان الخبر الصادق اذا لم يكن
معصوما فهو عرضة للتلبيس وفرصة التدليس وكون
المخبر ثقة صدوقا انما يفيد سلامته من التحريف فيما
نقله ولا يفيد عصمة ادراكه فيما ادركه فقد ينظر الصائغ
المغفل الى الشمس فيخبر بانها غير سائرة وينظر الى القمر ودونه
مقطعات السحاب فيخبر بانه ادرك سرعة سيره وينظر
من سفينة جارية الى البر فيظن ان البر يجري وينظر الى
افعال الشعوذي فيخبر عن الاشياء بخلاف ما هي عليه ويسمع
كلام البيغا المحجوبة عن بصره فيخبر عن انسان فلم يدخل
الخلل من جهة تحريفه لكن من جهة ادراكه قيل فلما وثق
الاركن بمقالة جاسوسه احضر رسول كسرى فاكرمه
وخاطبه بكل قول حسن واخذ منه الكتاب وخلع عليه
واجزل صلته ورده الى منزله مكرما ميرورا واباح له
التصرف واذن لمن اراد قصده في زيارته وتابع اتحافه
وتكرمته ولبث بذلك عاما ثم استحضره وسلم اليه جواب
كتابه واعطاه هدية الى كسرى يقال ان منها سيفا طوله
خمسة اشبار ولونه كلون النحاس الاحمر يعمل في الحديد
كما يعمل غيره في الرصاص وصحفة من الياقوت الازرق
تسع منا من الطعام وكاسا من الزمرد البحري يسع رطلا
من الشراب والف درة فريدة وقنديلا من المها فيه ياقوتة
حمراء كبيضة الحمام اذا علق في بيت فيه مصباح ليلا
التي شعاع الياقوتة على الالوان القابلة للحمرة فلا يشك
في حمرتها وطيبا كثيرا ودروعا ودرقا وغير ذلك وخص
الرسول بخباء وذخائر كثيرة نفيسة وصرفه الى مرسله
فلما قدم الرسول على كسرى سأله عما ندبه اليه ليعرفه فاخبر

بطيب تلك الارض وفضائل خصائصها وشرف مزاياها
وحصانة ثغورها وانه لم يجد لها عورة تؤتى منها الاغرار
سكانها فان عقولهم متهيئة لقبول الخدع محجوبة عن النظر
في العواقب وان هذا هو موجب حسن طاعتهم لمن الفوا
حسن طاعته فلو ندب اليهم رجال يحسنون نصب الدعوات
الى الدول لاستمالوهم وصرفوا طاعتهم عن ملكهم فاذا
انصرفت طاعتهم لم يقم لملكهم بعد ذلك قائمة لانهم
اعضاده الذين يصول بهم في الرخاء ثمار مجتناه وفي
البلاء سيوف منتضاه فنظر كسرى فيما كتب اليه بهرام
فوجده قد خاطبه بالملاطفة واعترف بفضله وعلقه
ورغب اليه في الموادعة والمؤاخاة فاستشار انوشروان
وزراءه في امره واعلمهم ان نفسه لا تطيب بمسالمته
فاختلفوا عليه فاجمع رأيهم على ان يرد هديته اليه ففعل ثم انه
ندب لاستفساد رعيته رجالا يحسنون نصب الدعوات
وتقلب الدول واعدهم بالاموال وازاح عللهم وبين لهم
منا لا يحذرون عليه فنفذوا لما امرهم به حتى انتهوا الى
مملكة ذلك الاركن فتفرقوا فيها واعمل كل واحد قوته فيما
انتدب اليه فلما اتى عليهم عاما ان احكموا ما اراد وافى مملكة
ذلك الاركن وفي غيرها من مدنه وحصونه ورساتيقه
وكتبوا بذلك الى كسرى فحرك اليهم المرزبان المتولي ربع
المملكة المقابل لتلك الجهة الهندية وذلك ان اقليم بابل
كان مصروفا الى اربعة مرازبة لكل مرزبان منهم ربع
منه ومع كل مرزبان منهم خمسون الف مقاتل فلما شرع
ذلك المرزبان في الحشد والاعداد كتب عيون الاركن
بتلك الجهة اليه يخبرونه بان المرزبان المجاور لجهة بلاده

قد اخذ

قد اخذ فى حشد الاجناد وتأهب للاستعداد فعلم الاركن
انه قاصده ونجم النفاق ببلده وتحدث الناس بقصد
المرزبان اليه واكثروا الاراجيف فانتبه الاركن من
غفلته وبحث عن الامر فوقف على حقيقته وكان امر
مملكته يدور على خمسة رجال اربعة منهم وزراؤه
والخامس هو صاحب بيوت النيران ورئيس الزمازمة
والذى ياخذون عنه دينهم فجمعهم الاركن وعرفهم
مابلغه من فساد قلوب رعيته وحشد المرزبان لقصد
بلاده واظهر لهم الحاجة الى كفايتهم فجلسوا يتناظرون
فى ابتغاء صواب الرأى فقال احد الوزراء الاربعة الرأى
ان يستصلح الملك رعيته فيملأ ايديهم رغبات وقلوبهم
املا حتى يستقيم معوجها ويانس نافرها فان عدونا
اذا علم بذلك جبن عن الاقدام علينا وان اقدم لقيناه بكلمة
مجتمعة وايد متناصرة فقال رئيس الزمازمة انما يصلح
هذا من الرعية لو كان فسادها انما اوجبه هضم جور
او عسف سير فيزال عنها سبب فسادها فتصلح ولیست
رعية الملك بهذه الصفة وانما اورد عليها الفساد جهلها
بمواقع الصواب وبطرها للتزاد فى النعم وقد قيل اربعة اذا
افسدهم البطر لم تزدهم الكرمة الا فسادا الولد والزوجة
والخادم والرعية وضربوا لذلك مثلا القوى الاربع
المركوزة اذا هاجت لتعدى حدود المصلحة وهى الغضب
اذا تعدى حد الشجاعة وحد الانفة من الرذائل والشهوة
اذا تعدت حد راحة العقل من كد اكتساب الفضائل
والحرص اذا تعدى حد الكفاية والكسل اذا تعدى
راحة الجسد من كد اكتساب المصالح فان هذه القوى الاربع

اذا تعدت هذه الحدود لم تزدها المداراة والرفق الا هيجانا
وطغيانا وانما تعانى بحسم موادها فقال الملك صدق
الحكيم ثم قال وزير آخر من الوزراء الاربعة الرأى
عندى ان تضرب بمن صلح من الرعية من فسد منها
حتى نستقيم ونستوثق لنا ثم نلقى عدونا بمن لا نخاف
دغله ولا نحذر غشه لانا مضطرون الى الحرب لكون
عدونا لا يرضيه الا اخذ ما بأيدينا جملة فقال رئيس
الزمازمة هذا انفع لعدونا من جيشه وادعى الى طاعته
من دعائه مع انه اذا علم تخربنا فيما بيننا وتناصبنا ذهبت
هيبتنا من نفسه وبلغ فينا امله وقد قالت الحكماء اربعة
من استقبلها بالعنف والردع فى اربعة احوال هلك
بها الملك فى حال غضبه والسيل فى حال صدمته والفيل
فى حال غلمته والعامة فى حال هيجها ومرجها وقالوا ان
اشبه شئ بردع العامة عند تنمرها وهيجها معاناة الجدرى
فى حال انبعاثه الى سطح الجسد بالاطلية الرادعة فقال
الملك صدق الحكيم فقال وزير ثالث الرأى عندى ان
تطلب تعيين من فسدت طاعته من الرعية فتميزه ممن
سواه ثم نرى رأينا فيه بما يقتضيه حاله من قلة او كثرة
وضيعة او نباهة وضعف او قوة فنقابله بما يوجبه
حاله من التدبير فقال رئيس الزمازمة البحث الآن عن
هذا خطر عظيم لانه يوحش المريب فيحركه على اللحاق
بعدونا واعتماده بالنصائح ودلالته على عورتنا واذا
التحق بعدونا قاتل معه على بصيرة ليست لعدونا وبذل
جهده فى العود الى وطنه واهله وعدونا لا يقاتلنا
على مثل ذلك وربما لم ينفصل عنك المريب بل يقاومنا

بموضعه ويكاشفنا ويتكثر علينا بشكله من الرعية فيشعره
وان لم يكن على مثل رأيه بعلة مشاكلته له كما ان الكلبين
لا يمنعهما تعاديهما وتهارشهما من التعاون على الذئب
اذا ابصراه ولا يلتفتان الى تحقق الذئب فى الخلق الكلبى
ولكنهما بنا قرانه ويصطلحان فى التعاون عليه نظرا الى
خصيصة توحشه وانفته وجرأته فكذلك العامى
لا ينظر الى الملك من حيث تحققه فى الخلق الانسانى
بل ينظر اليه من حيث خصيصة تفرده وانفته وعلو
همته فينافره لذلك ويألف العامى الذى يشاكله وقد
قالت الحكماء ثلاثة ان كاشفتهم بالامتحان فى ثلاثة احوال
خسرتهم مؤدبك فى حال استقلالك وصديقك فى
حال اختلالك وامرأتك فى حال اكتهالك فالرعية كالزوجة
وادبار الدولة كالاكتهال وقالوا مثل ذلك مثل امتحان
قوى مغذى الناقهين من الامراض بالاطعمة الغليظة
فقال الملك صدق الحكيم فقال الوزير الرابع وكان
اوسعهم علما واقضلهم رأيا اما انا فاحدث الملك حديثا
اخبرنى به مؤدبى وكان من آخر ما افادنيه وقال لى
اخزن هذا الحديث فى حبة قلبك ولا تتمن ان تعيش الى
اليوم الذى تحتاج فيه اليه وانى لاحسب انه هذا اليوم
فقال له الملك قل نسمع لحديثك فقال رئيس الزمانية
ما اولاه بالاصابة فقال الوزراء الثلاثة انه لكذلك
فقال الوزير الرابع انما نحن كاصابع الراحة فى افتقار
بعضنا الى بعض وقوة بعضنا ببعض ثم انا نستمد
من نور عقل الملك السعيد بنظرنا اليه كما تستمد الدراهم
من نور الشمس فكلنا الى الملك محتاج وبه معتضد فقال

الملك قل ايها الوزير الصالح بالقبول والكرامة لك ولمن
نبأت عنه فأنتم فى مناصحتنا والغنى عنا والاداء الينا
كالحواس الخمس للقلب فسجد واله اجمعون ثم قال ذلك
الوزير الرابع زعم مؤدبى ان رجلا موسرا من التجار كان
يأوى من داره الى بيت مبطن السقف وفيما بين ذلك
السقف وبطانته فيران كثيرة فكن فيما شئن وادعين
من الامنة وتيسر الطعمة يمرحن النهار كله على طمانينة
فاذا جاء الليل نزلن من السقف فتفرقن فى مخازن التاجر
ومساكن عياله فأكلن واحتملن فكثر اذاهن على التاجر
وانه دخل يوما مسكنه ذلك فاستلقى فيه مفكرا فى بعض
امره وجعلت الفيران تمرح على بطانة السقف والتراب
يتساقط من خلال الالواح فضجر التاجر ونهض مبادرا وامر
بتحويل ما فى البيت من الاثاث ثم امر عبيده فوضعوا بطانة
السقف فانتشر الفيران فى الدار فقتلن شر قتلة ولم ينج
منهن الا جرذ وفأرة كانا غائبين عن السقف فلما رجعا
وابصرا فساد وطنهما ومصادع الفيران فى جميع الدار راعهما
ذلك فاقبل الجرذ على الفأرة فقال لها لقد صدق القائل
من صحب الدنيا واثقابها كان كالنائم فى الظل الذى يكون
قبل بلوغ الشمس الى نصف دائرة فلكها الاعلى فيتقلص
الظل عنه بتصويب الشمس فيوقظه حرها ولا يجد للظل
عينا ولا اثرا فقالت الفأرة صدقت فما ذا ترى قال
الجرذ ارى ان لا اسكن موضعا ينال منه هذا المنال
وافر من الانس جهدى فان هجمهم شديد وحيلهم امضى من
قوة غيرهم من العالم فقالت الفأرة انا معك فانطلقا
حتى اتيا ارضا براز اجرزا ذات اخلاط من الوحوش تكتنف

واديا معشبا فيه غدران ماء ذات ضفادع وسلاحف
فاعجبهما ذلك وسارا في الوادي يلتمسان موضعا يحتفران
فيه جحرا فانتهيا الى ربوة عالية في وسط ذلك الوادي
قد انجاب عنها مسيل الماء فيه يمينا وشمالا فاحتفر في
اصل تلك الربوة جحرا رضياه واوطناه وانهما علوا
يوما من الايام تلك الربوة فرأيا في اعلاها يربوعا قد
غلا سنه على باب جحر له فرحب بهما وحادثهما وسألهما
عن امرهما فأخبراه الى ان ذكرا له انهما اوطنا جحرا في
اصل تلك الرابية فقال لهما اليربوع لولا ان النصح
كثيرا ما يدعو الى التهمة لنصحت لكما فقالا له ما احوجنا
الى نصحك فقال لهما انه كان يقال اربع لا تقدم عليها
حتى تسأل عنها الخبير بها السوق لا تقدم عليها حتى تسأل
عن النافق والكاسد فيها والمرأة لا تقدم على خطبتها حتى
تسأل عن منصبها وخلقها والطريق لا تسلكها حتى تسأل
عن امنها وخوفها والبلدة لا توطنها حتى تسأل عن مرافقها
وسيرة سلطانها واخلاق اهلها وقوة من يكيد اهلها ويعاديهم
وكان يقال انظر الى المتنصح فان اتاك بما يضر غيرك ولا ينفعك
فاعلم انه شرير وان اتاك بما ينفعك ويضر غيرك فاعلم انه
طامع وان اتاك بما ينفعك ولا يضر غيرك فاصغ اليه وعول
عليه وكان يقال ان لم تعن ناصحك على نفسك كان ناصحك
كمن يروم تقويم ظل عود قد نصب معوجا قبل ان يقيم العود
في منصبه وكان يقال اذا اردت ان تعلم ما يغلب على الانسان
من قوى الخير والشر فاستشره يدلك رأيه عليه اصح
دلالة وكان يقال شر ما في عالم الاخلاق التعاطي لان
التعاطي يزيد المتعلق به شرا ويعرضه في مواسم الخزي وهذا

كالضعيف يتعاطى القوة وكالجاهل يتعاطى العلم وكالفقير
يتعاطى الغنى وكان يقال اذا احتجت الى المشاورة فى امر
ما فشاور ذوى الحنكة والتجربة من طبقتك وذوى
صناعتك ولا تعدل عنهم الى غيرهم ممن ليس من طبقتك فتخرج
عن حدك لكونه خارجا عن علم خصائصك واعلم انه قد
جمعتنى واياكما مناسبة صناعية وهى حفر البحر الا انى
فى علمها ارسخ منكما فانتقلا من بحركما فانه بئس البحر ومن
شر الاوطان وانا ابن نجدة هذه الارض والخبير بها وقد
قيل قتل ارضا خابرها فتحولا عن ذلك البحر واطلبا ما وارى
سواه فخرجا من عند اليربوع بهزآن به ويسخران منه وينسبانه
الى الهرم والخرف ورجعا الى بحرهما فلبثا به مدة طويلة وولدا
فيه اولادا ثم ان الجرذ خرج يوما من الايام فاوغل فى تلك
الارض لبعض شانه ثم عاد قاصدا الى الربوة فاذا السيل
قد جرى فى ذلك الوادى فاحدق بالربوة وارتفع حتى
صارت الربوة مثل البحر العجاج فوقف على ضفة الوادى
ينظر متحسرا لفساد وطنه وهلاك الفه وولده وذهاب
ما اعد من طعمته فرأى اليربوع قائما على الربوة آمنا فناداه
اليربوع ايها الجرذ كيف وجدت ثمرة اضاعة الحزم ومعصية
المخبر النصيح فقال الجرذ وجدتها مرة فقال اليربوع للجرذ
هون عليك وخفض من حسرتك فان النعمة فى بقاء نفسك
تزيد على المصيبة باهلك وولدك فانس النعمة بالشكر
تالفك فتستمتع بها وانه كان يقال اظهر البشر لثلاثة الصديق
والغريم والنعمة وكان يقال الحر لا يذهله اساءة من
كان احسن اليه عن شكر احسانه السالف عنده وكان
يقال اذا احسن اليك محسن ثم تنكر لك واصابك بمساءة فلا

تنقبض عنه ودم على شكرك له وبرك به فان ذلك اوجه
شفيع لك عنده فقال الجرذ لليربوع ما كان اشقاني ايها الحكيم
بمعصيتك والبعد عنك وبحق قيل ينبغي للعاقل ان يصحب
العلماء المشهورين بالحكمة والاداب ولو كنت ذا بصيرة
لعلمت ايها الحكيم انك لم تكلف نفسك صعود هذه الربوة
الكؤد وهبوطها على ضعف بدنك وكبر سنك الا لامر
اقتضته الحكمة واوجبه الرأي المصيب ثم ان الجرذ امهل
حتى ذهب كتيل فصعد الى الربوة واتخذ جحرا الى جانب
جحر اليربوع فأوطنه آمنا قرير العين فهذا ما اخبرني به
مؤدبي فقال الملك صدقت ايها الوزير الصالح قائلا
وسددت ناصحا واصبت مشيرا وتلطفت مبلغا ودعوت
سميعا فالتمس لنا ربوة نرضاها لاستقرارنا نلزم انفسنا
الصبر على صعودها ونقصر ما فيها على غير ما الوف ملازمها
وانبساطها في هذا العالم الخبيث فعلنا ان نجتنبي السلامة
التي اجتناها اليربوع من سيل هذه الفتن فقال الوزير
ايها الملك السعيد المفدى بالنفوس الزكية عشت ابدا
لك ان تعيش ونلت ما املت فما اعجب قبولك ما نهديه
اليك من نعمك ويحلوه عليك من حكمك واني لاعرف في
ناحية من مملكتك معقلا تطل فيه على اهل الارض اطلال
زحل على الكواكب تقاتل دونك الابصار اللامحة والافكار
الطامحة وهو مع ذلك ذو هواء عليل وماء سلسبيل
وحدائق باسقة ومرافق متناسقة وقد كان بعض
سلف الملك السعيد عنى به بعض العناية فقطع عليه
امله الدثور الحتم القاطع عقود الحياة فلما سمع الملك عاد له
عليه وزيره ملئ سرورا وركب من فوره في خاصته

وثقاته حتى انتهى الى ذلك المعقل الذى دله عليه وزيره
فوجده فى رأى عينه افضل مما صوره الوزير فى
نفسه ووجد به رسوما وثيقة وآثارا اثرها من تقدم
من ابائه فحشد اليه المهندسين والبنايين والعمار
وامرهم بالجد فى اكماله وبادر من فوره فنقل اليه خاص
بيوت امواله وخزائن سلاحه ونفائس ذخائره وحشد
رعيته بجمل الارز اليه فاودعوه من الارز المنشور
وغير المنشور ما ظن ان فيه كفاية وذلك ان الارز الذى
لم يقشر طويل البقاء واعد لنزوله عدته وهو مع ذلك
يسد الثغور ويجند الاجناد ويشيد الحصون فلما مضت
له ثلاث اشهر من يوم كتب اليه جواسيسه بحركة المرزبان
وحشده اقتحم المرزبان ثغوره فى الجيوش المتوافرة والعدد
الكاملة وظهر دعاة كسرى بتلك الناحية فيمن استفسدوه
من الرعية فغلبوا على ما يليهم من البلاد. واستعمل المرزبان
عليها عمالا من ثقاة اصحابه ورتب فيها حماة من جنده ومن
اهلها ثم دنا يطوى الارض فوافته جنود الاركن فدافعته
بعض الدفاع ثم انهزم من كان فى نفسه دغل فانهزم المناصحون
بانهزامهم واستولى المرزبان على عسكرهم واستبقى النفوس
واخذ الاموال ثم تجاوزهم يطوى المملكة طيا وكان
الاركن عندما اقتحم المرزبان ثغوره قد بعث باهله وحشمه
الى ذلك المعقل وجمع وجوه خاصة حضرته فوعظهم
وذكرهم ما سلف من احسانه اليهم وذكر ما بلغه عنهم
من فساد الطاعة وما كرهه من امتحانهم ومعاقبة المسيئين
منهم فتنصلوا مما قذفوا به عنده وحلفوا له على استقامة
طاعتهم وصدق مناصحتهم فقال لهم الملك انى لم اجمعكم

لهذا ولست بناكل عن عدوي ولا بمستبعد الظفر به والنصر
عليه ولا بمعين تهمة احد منكم غير انه اخبرني بعض وزرائي
عن ملك من سلفي انه شرع في بناء معقل وعني به بعض
العناية فحال بينه وبين ما اراد من ذلك الاخلال المحتوم
على عالم التركيب فحملني على تكملة ما شرع فيه جدي قول
الحكيم ان ابر الملوك من تمم به سعي سلفه واعقهم من انقطع
سعيه عنده ثم اني احببت ان اجعل ذلك الحصن من عددي
وذخائري لقول الحكماء ان احزم الرعاة من اعد لجميع قضايا
العقل احكاما وقولهم يجب على الملك ان لا يخلو من خمسة معاقل
يتحصن بها احدها وزير صالح يتحصن برأيه والثاني سيف
قاطع يتحصن بحده اذا غشي والثالث فرس سابق يتحصن
بظهره اذا لم يمكنه الثبات والرابع امرأة حسناء يحصن
بها فرجه وبصره والخامس قلعة منيعة يتحصن بحلولها
اذا احيط به فاتخذت هذا المعقل لتكمل به حصوني
ونقلت اليه ذخائري ومن يكرم علي فمن اراد منكم ان يقتدي
بي في فعلي آخذا بالحزم فليفعل ولما فرغ من مخاطبتهم اذن لهم
فخرجوا من عنده فاقتدى به منهم من كان على رأيه وذا
عقل وخبرة فجهزوا الى ذلك المعقل اهليهم واموالهم
واقواتهم واما المرزبان فانه سار في تلك المملكة يطوي
طي السجل لا يقاومه جيش الا هزمه حتى اشرف على حصن
الاركن فنزل على فرسخ منها وتهيب الاقدام عليها وقد كان
الاركن امر الناس بالخروج اليه فخرجت امة عظيمة وخرج
الاركن في اربعة الاف مقاتل من عبيده وخاصته ونقاة
اصحابه فقام بهم في معزل عن جيوشه ورعيته بظاهر
المدينة وعبأ فيوله وربيب صفوفه وكان في المدينة داعيان

من دعاة كسرى فاغتنما الفرصة واهتبلاها عند خروج
الملك من المدينة فظهروا واتبعهما من كان على رأيهما
واطاعهما فوثبوا بخليفة الملك على المدينة ففتلوه واستولوا
على المدينة وضبطوها وبينما الملك قائما فى جنوده بظاهر
المدينة اتاه رئيس الزمازمة خافيا حاسرا يلطم وجهه
وينتف شعره فأمر الملك بحمله معه على فيله واستخبره فاخبره
بذهاب دار ملكه وخيانة رعيته فاغتاظ الملك غاية وصاح من كان
على بصيرة فى طاعته وتوجهوا حامية نحو الحصن وانتهى خبر
الى المرزبان فجرد خيلا لاتباعه فادركوه فوقف بازائهم
من كفى امرهم وسار حتى دخل حصنه واما المرزبان فانه
قصد المدينة فدخلها وضبطها واحكم امرها ثم سار فى
جيوشه الى ذلك الحصن فرأى منظرا عجيبا رائعا ومعقلا
ممنوعا مانعا ولم يمكنه النزول بالقرب منه فنكص الى حيث
امن ونزل فى جيوشه محتفظا وكتب الى الملك الهندى
كتابا يخاطبه فيه بالتعظيم والاجلال ويعرض عليه خصالا
منها انه يرده الى مملكته مكرما موقرا على ان يدين بطاعة
كسرى فلما انتهى وزير المرزبان الى الملك الهندى عجبه ولم
يأخذ كتابه وامره بالعود الى مرسله فيئس المرزبان منه
وكان يقال صرف البصر الى عدوك اضاعه واصغاؤك
التسمع الى حديثه طاعه وكان يقال اذا امكنت عدوك
من اذنك فقد تعرضت للغرق فى بحره وللحصول فى
سحره وكان يقال عجبا لمن يصغى الى عدوه سمعا وهو
لا يرجو عنده نفعا وكان يقال اذا عجزت عن التحصن
من كلام عدوك فانت فى التحصن من كيده اعجز ثم ان المرزبان
عاد الى المدينة وكتب الى كسرى بالفتح وبما تهيأ له وعليه

من الامور فكتب اليه كسرى يأمره بان يقيم بتلك المملكة
ويترك التعرض لذلك الاركن فى حصنه الى ان يبدو منه
فساد وان يذكى العيون عليه ويقيم المسالح من جهات
حصنه ففعل المرزبان ما أمره به كسرى ولبث بذلك
مدة وجعل اغتمام الفرس يعبثون فى تلك المملكة ويعاملون
اهلها بالفظاظة والقسوة التى طبع الهند على ضدها فقدت
الشحناء فى النفوس ودخلت اهل تلك المملكة الغيرة لما رأوا
ان خراج ارضهم يحمل الى غيرها وينفق فى غير اهلها وعرفوا
فضل ملكهم وما كانوا فيه ومشقة ما صاروا اليه فبسطوا
السنتهم وخاف المرزبان ان يردعهم على القول فيستوحشوا
منه فكف عنهم فكان ذلك داعية الى زيادتهم فى بسط
الالسنة وقد قالت الحكماء ايدى الرعية تبع لالسنتها
فاذا قدرت على ان تقول قدرت على ان تفعل وتصول
وكان يقال ترك نكير الصغائر مدعاة الى الكبائر واول
نشوز المرأة كلمة سوء تحت بها واول حرن الدابة حيدة
سوء عدت عليها قيل واما الاركن الهندى فانه لما استقر فى
حصنه شاور وزراءه فأشاروا عليه بالصبر وكف
الأذى وبسط العدل والاحسان وتأمين السبل واجارة
المستجير وتألف المستوحش والاخذ بالافضل وبالعفو
فاتخذ هذه الخلال شرعا يدين به فازدادت سمعته حسنا
والقلوب اليه ميلا والالسنة اليه شكرا واتفق ان عاملا
من عمال المرزبان على ثغر من تلك الثغور اساء السيرة فقام
اليه رجل كان افضل اهل عمله فوعظه ونصح له فكره
العامل ذلك وكتب الى المرزبان بذلك يزعم ان رجلا من
اهل عمله يعارض امره ويثوب العامة عليه فكتب اليه المرزبان

يأمره بحمله اليه مقيدا فأخذ العامل ذلك الرجل فقيده وبعث
به الى المرزبان مع رجال من الجند فتبعهم احداث من فتيان
ذلك الثغر وفتاكهم فقتلوا اولئك الموكلين بذلك الرجل
واطلقوه فأتى الرجل الى العامل فأخبره بما صنع اولئك
الاحداث وانه عجز عن دفعهم فأمر به العامل فضرب عنقه
وكان ذا منزلة عند اهل بلده فوثبوا على العامل فقتلوه
وقتلوا اكثر رجاله وضبطوا ثغرهم وانضم اليهم من كان على
مثل رأيهم ومن كان في غير حصن وكاتبوا الى من يليهم فاجابوا
الى مثل ما صنعوا وطرد وا عمالهم فانتقضت الطاعة
لكسرى في مواضع كثيرة من تلك المملكة في اسرع مدة
ولما انتهى ذلك الى المرزبان جمع جنده وضبط حصنه
وحضر به على حال اهبة ووثوق شديد وكتب الى كسرى
يستمده وكان اهل حضرته عند ما خرج عنهم رئيس الرفاعة
مع ملكهم الى المعقل علموا ان لا غنى لهم عمن يستشيرون رأيه
في مهماتهم فقدموا مكانه خليفة وكان مرضيا عندهم
فلما رأى ما فيه المرزبان من الذعر والتوقي وقصده من
خانه بالمحنة والعقوبة دخل على المرزبان فقال له اني
اريد ان اسألك عن امر ظننت ان علمه عندك فقال المرزبان
قل فقال بلغني ان مما اوصى به انرد شير بن بابك ملك بابل
في وصيته قال قد تخرج الرعية بعنف السياسة الى ما يزيد
من المعصية وانه قال في وصيته ينبغي لمن تغلب على ملك
وغصبه ربه ان يحفظ الصورة والشريطة التي تسلم
عليها تلك المملكة فانها محفوظة عليه وثابتة من عقد تسلم
الملك تلك المملكة منه وانها ستخرج عنه من يديه بمثل
ما صارت اليه وقيل ان هذه الوصية كانت مكتوبة في

مجلسه باثراء سريره وموضع قضائه ففهم المرزبان
ما اراده الا انه اراد الوقوف على حقيقة الامر وآخر ما
عنده فقال له الامر على ما بلغك ايها الشيخ فقال رئيس
الزمازمة اذا كان الامر على ما بلغني فمالك لم تستعمل الحكمة
التي علمت وعنفت في سياستك عنفا اخرجها او لعله
يخرجها ولم تحذر خروج المملكة من يديك بمثل ما صارت
اليك فلما سمع المرزبان مقالة رئيس الزمازمة انتهره
وتهدده وكان شيخا ضعيف البدن كبير السن فسقط
الى الارض مغشيا عليه فحمل الى منزله فمات بعد ايام وعظمت
المصيبة بعد موته وساءت القالة وشحنت الانفس
من الشقاق بما كانت منقبضة عنه وفشا ذلك في الرعية
فشواتا ما فاستحضر المرزبان وجوه من بحضرته فوعظهم
وحذرهم بطش كسرى ورغبهم في العاقبة فارضوه
بالسنتهم وتسللوا عنه وغلظ امر اهل الاطراف المنتقضة
وشغل عنهم المرزبان بتحصين البيضة فبعثوا رسلا
الى الاركن الذي كان ملكهم يسألونه الصفح عنهم وان
يبعث اليهم رجلا يحازون اليه فأعطاهم امانا عاما
واستعمل عليهم عاملا فألقوا اليه المقاليد واستنصروا
في طاعته ونصحوا في الذب عنه واضطر المرزبان الى
ان يبعث اليه جيشا فبعث فعاد جيشه منهزما مغلولا
ولم يجد بدا من الخروج اليه بنفسه فحصن دار ملكه
واستخلف عليها من ظن انه يضبطها وخرج متوجها الى
عدوه ولما فصل عن المدينة وثب اهلها باصحابه واستوهم
قتلا وتشريدا عن مدينتهم واحرزوا مدينتهم وبلغ ذلك
المرزبان فاستمر لوجهه خارجا عن تلك المملكة حتى قدم

على كسرى طريدًا مغلولا وعاد الاركن الى دار ملكه فجرى
على سنن العدل والاخذ بالحزم وقمع شهواته واستعمل الحكم
التى افاده التجارب اياها

روضة رائقه ورياضة فائقه

قال المؤلف عفى الله عنه بلغنى ان امير المؤمنين عثمان رضى
الله عنه قال لرجاله وهو محصور فى الفتنة وددت
لو ان رجلا صدوقا اخبرنى عن نفسى وعن هؤلاء يعنى الذين
حاصروه فقام اليه شاب من الانصار فقال انا اخبرك
يا امير المؤمنين انك تطأطأت لهم فركبوك وتخادعت لهم
فسلبوك وماجرأهم على ظلمك الا افراط حلمك قال صدقت
اجلس ثم قال هل لك علم بما يثير الفتن قال نعم يا امير المؤمنين
سألت عن هذا شيخا من تنوخ كان باقعة قد نقب فى البلاد
وعلم علما جما فقال لى ان الفتنة يثيرها امران احدهما اثرة
تضغن الحامه والثانى حلم يجرئ العامه فقال عثمان رضى
الله عنه فهل سألته عما يخمد ها قال نعم قال لى ان الذى
يخمد الفتن فى ابتدائها استقالة العثرة وتعميم الخاصة
بالاثرة فاذا استحكمت الفتنة فليس لها الا الازم يعنى
الصبر فقال عثمان رضى الله عنه فهو ذاك حتى يحكم الله
وهو خير الحاكمين تفسير الفاظ اشتمل عليها هذا الخبر قوله
باقعة اى ذهنه مجرب ويقال فلان باقعة اذا طاف
بقاع الارض واستفاد التجارب وقوله اثرة يعنى
اختصاص بعض المستحقين للشئ به دون بعض وقوله
تضغن اى تحقد والضغن الحقد نفسه وقوله الحامة
يعنى الخاصة وقوله الازم يعنى الصبر والحبس وحقيقته
الامساك للشئ بالاسنان قال المؤلف عفى الله عنه هذا الحد

يحوالى ماذكره الفرس من ان يزدجرد بن بهرام سأل حكيما
من الفلاسفة ما صلاح الملك فقال الرفق بالرعية واخذ
الحق منها من غير عنف والتودد اليها باقامة العدل فيها وامن
السبل وانصاف المظلوم قال فما صلاح الملك قال وزراؤه
اذا صلحوا صلح فقال يزدجرد ايها الفيلسوف ان الناس
قد اكثروا في الفتن فصف لنا ما يثيرها وما يخمدها اذا
ثارت فقال يظهرها جراءة العامة ويولدها استخفاف
الخاصة ويؤكدها انبساط الالسن بما في ضمائر القلوب
واشفاق موسر وامن معسر وغلظة ملول متكبر ويقظة
محروم فقال يزدجرد وما الذى يسكنها ايها الفاضل اذا
ثارت قال يسكنها ايها الملك اخذ العدة لما يخاف وايثار الجد
حين يلتذ الهزل والعمل بالحزم والادراع بالصبر والرضى
عن القضاء فقال الملك صدقت ايها الحكيم

المسلوانة الرابعة في الرضى

قال الله سبحانه تقدس اسمه وتبارك وتعالى ذكره عائبا
من خطأ حكمته وتدبيره وسخط قسمته وتقديره فان اعطوا
منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ثم نبههم على
ما حرموه من فضيلة الرضى بقوله ولو انهم رضوا ما اتاهم
الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله
ورسوله انا الى الله راغبون ووصف صفوته من خلقه
بالرضى فقال تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه ومما يفهمك
معنى قوله تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه ما روى
ان موسى عليه السلام قال الهى دلنى على عمل اذا عملته رضيت
به عنى فاوحى الله عز وجل اليه انك لا تطيق ذلك فخر موسى
ساجدا متضرعا الى الله تعالى فاوحى الله تعالى اليه يا ابن

عمر ان ان رضاءى فى رضاك بقضاءى خير نبوى فى الرضى
مما رويناه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اللهم انى
اسالك الرضى بعد القضاء قيل انما قال عليه السلام بعد
القضاء لان الرضى بعد القضاء انما هو عبارة عن العزم
وتوطين النفس على الرضى بالقضاء اذا نزل وانما يتحقق
الرضى بالقضاء بعد حصول القضاء ومثله ما رويناه ان
النبى صلى الله عليه وسلم اتى رجلا من اصحابه قد اجهده
المرض والحاجة فانكره النبى صلى الله عليه وسلم وقال
له ما الذى بلغ بك ما ارى قال المرض والحاجة يا رسول
الله قال افلا اعلمك كلمات اذا انت قلتهن اذهب الله عنك
ما تجده قال والذى بعثك بالحق نبيا ما يسرنى بحظى منها
انى شهدت معك بدرا والحديبية فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهل لاهل بدر والحديبية ما للقانع والمرضى
منثور ومنظوم من الحكم فى الرضى روى ان عمر بن
الخطاب رضى الله عنه كتب الى ابى موسى الاشعرى اما بعد
فان الخير كله فى الرضى فان استطعت ان ترضى والا فاصبر
اعلم رحمك الله واياى ان الرضى هو اطراح الاقتراح على
العالم بالصلاح اذا كان القدر حقا كان سخطه حمقا من
رضى حظى ومن ترك الاقتراح افلح واستراح كن بالرضى
عالما عاملا قبل ان تكون له معمولا وسر اليه عادلا والا صرت
نحوه معدولا قيل للحسن البصرى من اين اتى الخلق فقال
من قلة الرضى عن الله فقيل له ومن اين قل رضاهم عن الله
قال من قلة المعرفة بالله ومما قلته فى الرضى

يا مفرجى فيما يجى وراحمى فيما مضى
عندى لما تقضيه ما ترضاه من حسن الرضى

ومن القطيعة استعيذ مصرحا ومعرضا

ومن ذلك

كن من مدبرك الكريم علا وجل على وجل
وارض القضاء فانه حتم اجل وله اجل

ومنه ايضا

* يا من يرى حالى وان ليس لى * فى غيره يقضيه اوطار *
* وليس لى من ملجأ دونه * ولا عليه لى انصار *
* حاشا لذاك الفضل والعز ان * يهلك من انت له جار *
* فان تشأ هلكى فيا مرحبا * بكل ما تقضى وتختار *
كل عذاب منك مستعذب ما لم يكن فقدك والنار

ومنه ايضا

اذا انا لم ادفع قضاء كرهته بشئ سوى سخطى له وتبرمى
فصبرى له من حسن معرفتى به كما ان رضوانى به من تكرمى

روضة رائقة ورياضة فائقه

قيل ان يزدجرد الاثيم ابن سابور ذى الاكتاف لما ولد له ابنه بهرام جور اخبره منجموه بقوة مولده وسعادة جده ووصول الملك اليه بعد شدة ومحنة وطول اغتراب وانه ينشأ بين امة نلمية ذات هم عليه وخلوم زكية ونفوس ابية وهم يصير الملك اليه فاجال يزدجرد فكره فى خصائص الامم ومزاياها فرأى ان العرب اولى الامم بتلك الاخلاق التى وصف له المنجمون ووقع اختياره عليهم فكتب الى النعمان الاكبر ابن امرئ القيس بن عدى بن نصر اللخمى فاستحضره واشخص اليه جماعة وافرة من رؤساء العرب وساداتها فوصلهم وبرهم واخبرهم بما يريد من تمليك النعمان عليهم فانعموا عليه بذلك فشرف النعمان وتوجه وملكه

عليهم وعلى العرب وسلم اليه ابنه بهرام وامره بكفالته
فاخذه النعمان واسترضع له اربع نسوة صحيحات الاجسام
زكيات الفهوم سنيات الاعراق سريات الاخلاق امرأتين
من العرب وامرأتين من الفرس واجرى عليهن ما يصلحهن
وانكفأ بهرام الى بلاده فبنى له الخورنق لما اتفق عليه من
طيب الهواء وفضيلة الماء فاسترضع المرضعات بهرام اربع
اعوام ثم فصلته وقد صار غلاما جفر السرعة نشأته
وشبابه ولما استكمل بهرام خمسة اعوام قال للنعمان انظر
في تعليمي ما يحتاج الملوك اليه فحدث بينهما محاورة ليس هذا
موضع ذكرها اودعناها كتابنا المسمى درر الغرر المضمن
انباء نجباء الابناء فكتب النعمان الى يزدجرد يسأله ان
ينفذ الى ابنه رجلا من حكماء الفرس وفقهائهم ومعلمي
كتابهم فارسل اليه يزدجرد بحاجته منهم ثم ان النعمان ضم
الى ابنه بهرام رجلا من علماء العرب وحكمائها ودهاتها وكان
ذا بصيرة بالسياسة وخبرة بكثير من اللغات وحفظ
لاخبار الملوك وسيرها ومعرفة بايام العرب وغيرها وكان
اسمه جلسا فافاد بهرام كل واحد من معلميه ما عنده من
العلم فلما استكمل من السنين اثنى عشر سنة فاق معلميه كلهم
واعترفوا بفضيلته عليهم واستغنائه عنهم فصيرهم النعمان
وكره بهرام مفارقة جلسا لكونه يجد عنده من المحاسن
والاداب والسياسة والاخبار والدهاء ما لم يجده
غيره واستدعى النعمان يزدجرد من يعلم ولده الرماية
والفروسية وما يحتاج اليه المحارب فبعث اليه يزدجرد
من اراد منهم لحاجته من ذلك فمكثوا عند النعمان ثلاث
سنين واستفاد بهرام جميع ما عندهم من ذلك ثم صيرهم

النعمان مكرمين وامسك جلسا عنده لشغفه به ولما استوفى
بهرام من العمر خمسة عشر سنة استأذن النعمان الملك
يزدجرد في القدوم بولده فأذن له في ذلك فوفد
النعمان على يزدجرد بابنه بهرام واوفد رؤساء العرب
وزعماها فأحسن يزدجرد وفادتهم واكرم نزلهم واجزل
صلة النعمان وضاعف تشريفه وسرحه وامسك ابنه
بهرام عنده واحتبس بهرام جلسا لعلوق نفسه به وكان
يزدجرد فظا غليظ القلب عسوفا شديد الكبر غليظ
الحجاب محتويا على سفك الدماء واغتصاب الاموال ولذلك
سمي الاثيم فعامل ابنه بهرام بالقسوة التي طبع عليها واتعبه
وكده واستعمله على شرابه فتبرم بهرام بما ناله من ابيه
وعيل صبره وضاق ذرعه فشكى ذلك الى جلس فرق
جلس لشكواه ثم اقبل عليه وقال له ما معناه جلا الله
كربك واعلا كعبك واطاب ذكرك في قلوب الامم وافواهها
وكبت لعزك ملوك العرب والعجم بجباهها ان اولى الناس
بامحاض النصيحة من كان معروفا بها ومندوبا لها ومدعوا
اليها ومحضوضا عليها وانه كان يقال النصائح بشعة المبادي
حلوة العواقب فهي كالادوية بسوء استعمالها ويسر
مآلها ويذم عيبها ويمدح غيبها وكان يقال الامين يصحب
الملوك باللزوم على الخدمة والمبالغة في النصيحة والخائن
يصحب الملك بحسن المداراة وفرط التذلل وكان يقال
انما يسعد النصحاء بالملك اذا كان مؤيدا بفضيلة العقل
وان لم يكن كذلك شقي به النصحاء وسعد به ذوو
الملق وهذا لان الناصح ينفق على من نصح له من عقله
وبالعقل يدرك العقل وكان يقال اشد اللؤم ان تضن

بالنصح لمن سمح لك بالثقة وان تستر الصواب عمن هتك
لك بحجاب سره وكان يقال اولى العقلاء النصحاء بقبول
منه واقبالك عليه من كانت سعادتك شرطا فى سعادته
وعلة لها ومن كنت منه بهذه المنزلة فسعيه لك سعى
لنفسه وذبه عنك ذب عنها ثم قال انه قد سائنى تبرم
ابن الملك وضجره لما لقى من خدمته للملك وانا اشير على ابن
الملك باظهار المسرة بما اظهر به التبرم والضجر اذا كان
الملك قد استعمله على عمل لابد للعامل منه اظهار البشر
والطلاقة وكان يقال من صحب الملوك بما لا يوافقها تحركت
عليه بالعطب ولا ينبغى مع هذا ان يظهر من ذلك ما يبطن
خلافه فان الرياء ينفصل عن الطبع نفصول الخضاب عن الشعر
ولكن ليتأمل ابن الملك القصة التى كرهها بعين العدل
يظهر له حسنها وذلك ان الملك استعمله على شرابه الذى
هو جماع لذته وجالب طربه ومسرته وراحة نفسه من
نصب التدبير ومشقته ووكل اليه مع هذا حراسة نفسه
ومهجته ورضيه لها لحفظها فى مجلس خلوته ووثق بكفايته
فى صون شرابه عن بلية وآفة يقصده بها اعداؤه من
جهة الشراب وخلل يدخله على عقله السكر والاضطراب
وكيف يصلح ان يعدل عن الولد المجيب النجيب بهذا العمل
العلى قدره العظيم خطره ام كيف تطيب نفس الولد العاقل
ان يرى اباه صار فاهذا العمل الى سواه فليصرف ابن
الملك الفكرة الى ما ذكرته له ليكون ما يظهره من الغيظة
لهذه اللحظة راجعا الى عقد يوافقه ومعنى يطابقه ولا
يتخلص من ذلك بما يتمنى رفضه ولا يتبرم منه ما استحب
نقضه فيتم عليه بما اسره توسم الابصار وتكهن الافكار

فانه كان يقال الرياء شراب يخدع الفطن القاصره ولا يخفى
على البصائر الباصره وكان يقال انما ينبسط سلطان الرياء
على السمع والبصر اللذين يدركان الشهادة دون الغيب
فاما العقل فلا ينبسط سلطان الرياء عليه لان الاول
الاخر قد كاشفه بكثير من الغيب لاختصاصه اياه ثم قال
جلس وقد فطن الدب على بلادته لرياء القرد فقال بهرام
اخبرني عن ذلك فقال جلس ذكروا ان دبا كان يسرح
في غيضة ذات اشجار مثمرة وكان في تلك الغيضة قرود
وكان يرى قوى القرود على رقي الشجر والتطرف لاغصانها
وتمكنها بالاغصان من اجتناء اطايب الثمار فحدث نفسه
ان يصيد له قردا منها فيكلفه ان يجنى له الثمر فصعد شجرة
والقى نفسه منها والقرود ينظرون اليه وجعل يتضور
ويتخبط طويلا ثم تماوت فخفت وفتح فاه واخفى نفسه
واجتمع القرده لرؤيته فقال لها حازم منها انه لا يبعد ان
يكون هذا الدب متصنعا خادعا وان الحزم ان يتجنب
ويحذر منه فان لم يكن بد من الدنو منه فلم نجمع حطبا
وندوره حوله ونضرم فيه نارا فاذا كان متصنعا اقفع
وان كان ميتا فلا ضرر علينا في احراقه فانه كان يقال
عدوك ضدك وحكم الضدين التناءى والتنافر والتدابر
وكان يقال لا تطأ رهنا وطئها عدوك الا على توثق
واحتراس وتوقى افتراس ولا يغرك خروجه منها وبعده
عنها فربما ريث فيها شباكا ونصب لك بها اشراكا وكان
يقال لا تغش عدوك الا متسلحا متحرزا متحفظا ولا يغرك
منه استسلامه والقاؤه السلاح فما كل سلاح يدرك
بالبصر وقد غر الراهب اللص بمثل ذلك فتم له عليه ما اراد

فقالت القردة اخبرنا عن ذلك فقال القرد ذكروا ان
راهبا كان فاضلا من الرهبان وكان متبتلا فى قلاية
له بظاهر اللاذقية وكان شيخا فانيا قد نهكته العبادة
وكانت النصارى يخصونه بالصدقات فيقبلها ويعطيها
اهل الفاقة لزهده فى الدنيا وان لصها من اللصوص
راى كثرة ما يخص به ذلك الراهب من الصدقات فحدثت
نفسه بان يتسور عليه فى قلايته فظن انه سيصيب
عنده كنزا فمهل ليلة من الليالى حتى تسور القلاية وحصل
مع الراهب فى حال تعبده فوجده قائما يصلى والسراج
يزهر فى البيت فصاح اللص بالراهب استأثر بها الشيخ
قبل ان القى عنك رأسك فالتفت الراهب فرأى اللص
فاذا هو شاب شديد البنية فى يده سيف مشهور مصلت
فعلم انه لا قبل له به فقطع صلاته وفر من بين يديه الى
ناحية من البيت فى حائطها طاق فادخل الراهب راسه
فى الطاق ورد يده الى خلفه كما يفعل بالمكتوف ولما راى
اللص ان الراهب قد استسلم وخبأ راسه التى سيفه ولى
نحو الراهب ليقبض عليه فانخسف به حائطه وسقط فى
دهليز القلاية سقوطا اوهنه فمكث على حالته لا يجد مخلصا
عن الموضع الذى حصل فيه حتى اصبح فدل الراهب عليه فاخذ
وصلب وقد كان الراهب قد اتخذ فى طريق الطاق نقبا
وجعل عليه طابقا ينقلب بلولب اذا اعتمد عليه الراهب
وغطاه ببعض فرش البيت فلما قصد الى الطريق هاربا
بين يدى اللص خطر من ذلك الموضع وتغطاه لمعرفته
بموضعه فلم يضع رجله على الطريق واللص لم يعرف
ذلك ولا استعمل الحزم بالتحفظ بل عول على ما ظهر له من

استسلام

استسلام الراهب ولم يدر انه قد اعد له سلاحا لا يدركه
البصر فلما سمعت القردة المثل الذى ضربه لها حازمها وقفت
عن الاقدام على الدب وانتشرت تجمع للحطب لاحراقه فأنف
غرمن القردة لم يكن حاضرا ذلك ولا سمع بمقالة الحازم
قد نا من الدب واصغى باذنه الى انف الدب يسمع حس نفسه
فقبض عليه واعتمد الى عرق من شجر الخيزران فربط طرفه
فى وسط القرد وكلفه ان يصعد الى الشجر فيجنى له اطايب
الثمر ويلقيه اليه والدب يمسك بالطرف الاخر من الخيزران
فلبث القرد بذلك بقية يومه ثم انصرف به الى غار فادخله
فيه وسد بابه عليه بصخرة ولما اصبح غدا على القرد فاخرجه
من الغار فانطلق به الى الغيضة فجنى الثمر له الى عامة نهاره
ثم راح به الى الغار فسجنه فيه فلبث بذلك مدة والدب قد
بلغ منه والقرد فى اسوء حال واعظم مشقة يظل نهاره فى
خدمة الدب ويبيت ليله فى سجنه وكان يقال شهوة العاقل
من وراء فكرته فاذا انبعثت له شهوة مرت بفكرته فنظر فى
مباديها وعواقبها وتدبر فيها بحكم الرأى وفكرة الاحمق من
وراء شهوته فكلما انبعثت له شهوة مرت نافذة لوجهها لا تعرف
شيئا وكان يقال انما صار يسير المؤنة المتحملة للعبد وشاقا لان
الارواح تتحمل منها اضعاف ما تتحمل الابدان فيصير الاذى
بها عاما وليس كذلك المؤن المتحملة للجسد لان الارواح
تتلذذ بها وتستخدم الابدان بها قيل ثم ان القرد تفكر فى حاله
فظهر له ان نصحه فى خدمة الدب يمنعه من الخلاص منه فيقدم
على نصحه فى خدمته وعلم انه ليس ينجيه منه الا الحيلة فطال
فكرته فى ذلك الى ان اتجه له وجه الحيلة فيه وكان يقال
اذا كان المملوك ميت الشهوة بليد الفكرة رذل الهمة فهو سلم

لمالكه وان لم يكن بهذه الصفة فان له فيه شريكا هو املك
به من سيده وذلك انه اذا كان متحرك الشهوة كان منقادا
لطاعتها فاذا صحت فكرته استعملها في طلب الراحة من
النصب والخلاص من الاسر وادامة الحج في الدفع على
نفسه واذا سمت همته اتصف بالغضب والانفة والحقد
وتدبر بما يريد لا ما يريد سيده قيل وكان مما عول عليه القرد
من الخديعة للدب ان تظاهر بضعف البصر فصار يأتي للدب
ملا خير فيه فزجره الدب عن صنعه فلم ينزجر وضربه فلم
يرتدع فلما طال عصيانه عليه قال اني سئمت من زجرك وضربك
وقد حدثتني نفسي باكلك لانه لم يبق لي فيك منتفع وكان يقال
اذا لم تجد من الخدم الا من قد ساء أدبه فاخدم نفسك ولا تستخدمه
لانه يحمل على قلبك من المشقة اضعافا ما تحمل عن بدنك فقال له
القرد اني لست على ما تصفني به من سوء الادب فلو قتلتني لندمت
كما ندم الطحان حين قتل حماره فقال له الدب اخبرني عن ذلك
فقال القرد حكي ان طحانا كان له حمار يطحن عليه وكان له زوجة
سوء يحبها وهي تحب جارها وذلك الجار الذي تحبه يبغضها وتمتنع
منها فرأى الطحان في منامه قائلا يقول له احضر في موضع كذا
من مدار الطاحون تجد كنزا فحدث امرأته برؤياه وامرها بكتمانه وكان
يقال من زعم انه يجد راحة في افشاء سره الى غيره فاتهم عقله كان
مشقة الاستبداد بالسر وترك المشاركة فيه اقل من مشقة
الحذر من انتشاره بسبب المشاركة فيه وكان يقال امارة يسلبان
الحر كمال الحرية وهما قبول البر وافشاء السر وشرح هذا ان من
قبلت بره فقد اوجبت على نفسك الخضوع له والاحتشام
الانشاء وكذلك من اطلعته على سرك فان حذرك من افشائه
يلزمك ذل الثقة له وكان يقال المرأة مؤهلة لبيت تقمه وطعام

ترمه وولد تربيه ومغزل تدبيره وشبق تسكنه وتثيره فمن اثرها
في امره واطلعها على سره فقد التحق بعالمها وليس في قولها الا التحكم
بعالمه قيل ولما اخبر الطحان امراته برؤياه اخبرت به جارها الذي
تهواه وتقربت بذلك من قلبه فواعدها ان يطرق الموضع ليلا
ليتعاونا على حفره وفعلا ذلك فوجدا الكنز واستخرجاه فقال
جار المرأة فما كيف نصنع بهذا المال فقالت المرأة نقسمه نصفين
يا سوأ فينطلق كل واحد منا بنصفه الى منزله وتفارق انت
زوجتك واحتال انا في فراق زوجي ثم تتزوجني فاذا اجتمعنا
على النكاح جمعنا المال وكان بايدينا فقال لها جارها اني اخاف
ان يطغيك الغنى فتنكحي غيري فانه كان يقال الذهب في المنزل كالشمس
في العالم وكان يقال من بلغ من اليسار ما فوق قدره تنكر لمعارفه
وكان يقال اليسار مفسدة للنساء لغلبة شهواتهن على عقولهن
وكان يقال لا تسمح لولدك ولا لامرأتك ولا لخادمك بما فوق
الكفاية فان طاعتهم لك بقدر حاجتهم اليك ثم قال لها بل الرأي
ان يكون حملة المال عندي لتحرصي على التخلص من زوجك واللحاق
بي فقالت المرأة اني اخاف منك الذي خفت مني ولست بمسلمة
لك حظي من المال فلا تحسدني على حظي وقد آثرتك بالدلالة عليه
فانه كان يقال انما صار العدل والانصاف مشكورا عليهما لفساد
الزمان لان الشكر انما يجب لمن يتفضل بحق هو له فاما من اعطى
الحق اهله فهو محمود لا مشكور فلما سمع مقالتها دعاه البغي والشره
والحسد والحذر من نميمتها عليه الى قتلها فقتلها والقاها في موضع
الكنز وبغته الصبح فاعجله عن مواراتها فاحتمل المال وخرج ودخل
الطحان على اثره فربط حماره في المدار وصاح به فمشى خطوة ثم احترش
الحفير والقتيل بين يديه في المدار فوقف فضربه الطحان وهو يدري
ما بين يديه ضربا شديدا والحمار يلتوي ولا يمكنه التقدم فاخذ يكبح

ونحسه نخسات كثيرة ثم استشاط غضبا فطعنه بها على غاصرته فوقعت
فيه السكين وسقط ميتا ولما انتشر الضوء رأى الطحان الخفير وجد
امرأته فيه قتيلة فاستخبرها فرأى آثار الكنز فاشتد اسفه على ذهاب
الكنز وهلاك امرأته وقتل الحمار فقتل نفسه قيل فلما سمع الذئب مقالة
القرد قال له قد ظهر لي فيما ضربته لي عذر الحمار فما عذرك انت فقال
له القرد اما عذري فلا يكاد يخفى على ذي لب فطن اما ترى ان بصري قد
ضعف واخاف عليه ان يذهب بالجملة فان رأيت ان تنظر في صلاحه
فذلك بيدك فقال له الذئب ومن لي بصلاح بصرك فان فيه صلاحي
فقال له القرد ان الاطباء كثير ولكن العاقل لا يستطب لنفسه
ولا لاهله الا من يكن من عالمه وان لهذه القردة طبيبا بهذه الارض
نصفه باجادة الطب والزهد في متاع الحياة الدنيا وحطامها
واني لاستروح العافية من تلقائه واستلوح الفرج في لقائه فأجابه
الذئب الى ما اراد فقصد به القرد فرد اكان موصوفا بالخبث والدهاء
والذكاء فلما بلغا اليه فر القرد للاختباء من القرد وصعد شجرة وجلس
في اعلاها وقام الذئب تحتها وقال لهما ما شأنكما فقص عليه الذئب
قصة غلامه ورغب اليه في مداواته فقال له القرد للخبيث دعه
يطلع الي حتى انظر الى عينيه فأرخى له في الخيزران فجعل يتأمل
عينيه ويسأله عن خبره فقص عليه خبره مع الذئب وسأله ان يفتح
له باب الحيلة في الخلاص من يديه فقال له القرد للخبيث اني
ساحمله على السهر فاحتمل لنفسك بانتهاز الفرصة اذا نام وكن على
حذر من ان يتنبه ولينتبرك ثم امره بالنزول فنزل واقبل القرد
الخبيث على الذئب وقال له ينبغي ان اعرفك داء عيني عبدك هذا
قبل ان ادلك على دوائه اذ يستحيل العلم بالدواء من الجاهل بالداء
اعلم ان القردة انما صحت جسومها وقلت لحومها وتوقدت فطنتها
وفهومها لانها وفرت على السهر دواعيها وجعلت لليلها حظا من

مساعيها

مساعيها وقد كان يقال كثرة النوم تجلب الدعة وتسلب الاعمار وكان يقال
من لزم الرقاد حرم المراد وكان يقال لا يصح ان يقال في احد الجود انه سمح
النفس بالنفس ولو صح هذا لكان اجود الاجواد من كثر نومه لانه سمح
بحياته التي لا يجد لها كفاء ولا يصيب عنها عوضا ثم قال القرد الخبيث للدب
انك لما اخرجت عبدك هذا مما اعتاده ادخلت عليه الغشاء كما صنع
بالطائر الذي صيد لابنة الملك فقال له الدب اخبرني عن ذلك وما جرى
للطائر فقال له القرد الخبيث ذكروا ان ملكا من ملوك اليونان كانت له
ابنة تكرم عليه جدا فهاجت بها المرة السوداء فدخلت عليها انواع من
الامراض وبلغ بها الامر من الامتناع من الغذاء والدواء فاشار طبيب ان
تنقل الى ارتفاع من الارض تشرف فيه على بستان مونق وماء جار ففعل
ذلك بها فرأت في اليوم الذي نقلت فيه الى العلو طائرا فيه من كل لون
وقد نزل على دالية فاكل من عنبها ثم غرد تغريدا عجيبا الى فيه بانواع
من الانغام المطربة فارتاحت الجارية بما رأت وسمعت من الطائر واشتد
الغذاء وقد كان يقال افضل الانغام المطربة ما سمع من الصوت الحسنة لانه
يحرك الشهوة والطرب جميعا فتتظافر القوتان ويفعلان فعل الادوية
المركبة فانها انجح من الادوية المفردة بل هي انفع واشد فعلا قيل ثم ان ذلك
الطائر اسرع الذهاب ولم يعد يومه ذلك فظهر على ابنة الملك القلق
لغيبته ولما كان الغد عاد الطائر الى موضع من الدالية في مثل وقته
بالامس فاستبشرت ابنة الملك بعوده وارتاحت واكلت وشربت وانصرف
الطائر في يومه كانصرافه بالامس فعاودها القلق لغيبته وبلغ الملك
خبرها بذلك فامر باصطياد ذلك الطائر فاصطيد وجعل في
قفص واتحف ابنته به فاشتد سرورها به واعتنت وتداوت ورأى
الطبيب انتعاشها وحركة قواها فعالجها وطمع في سلامتها ولم يعلم
بامرها مع الطائر وان ذلك الطائر ليبث عندها اياها مسجونا في القفص
لا ينطق ولا يتصوت ولا يطعم شيئا واخذ في التغير والتسقم وعادت الجارية

الى اسوء حال لما تضررت من الاهتمام بالطائر فجعلت تذوب لما نالها من
الاهتمام بالطائر وزادت مرضا الى مرضها وعلم بذلك ابوها فندم
على اصطياد الطائر وقد كان يقال لا تكن تلميذا لمن يبادر بالاجوبة
عن المسائل قبل ان يتدبرها ويتفكر فيما يتفرع منها ويعتد لدفع ما
يمكن ان يعترض عليه في جوابها او يلزمه خصمه من المناقضة لاصوله
كما انك لا ينبغي لك ان تستشير الغر الذي لا يتجاوز مبادي الامور
والاراء الى عواقبها ولكن تتلمذ لمن يتفكر في الاواخر قبل ان يجيب عن الاوائل
كما تشاور المحتنك المتدبر لبواطن الامور وظواهرها المتطلع على
مباديها وعواقبها قيل فلما علم الطبيب ما انتقلت حال الجارية اليه من
الفساد بعد الصلاح علم ان ذلك لعارض طرأ عليها فبحث عنه فاطلع
على قضيتها مع الطائر فاشار بان تنصب شباك محيطة بالبستان
علوا وسفلا فصنع ذلك على ما اشار فاطلق الطائر في البستان فلما
رجع الطائر الى ما اعتاده وائتلفه راجعته صحته وحسنه والف
تفريده فصلحت بذلك تلك الجارية ونقهت من مرضها قيل فلما قضى
القرد الخبيث ما ضربه له من المثل قال له الدب قد سمعت مقالتك
ووعيت حكمتك فمرني بما فيه مصلحة عبدي هذا اطع امرك فقال له القرد
اني آمرك ان تتأخر في مسرحك جزءا من الليل فان ذلك زيادة في عمرك
وطعمتك ونعمتك ومهيج لنشاطك وانبساطك ومضاعف للذة منامك
ومساعف لمصلحة غلامك فشكره الدب على نصحه وانطلق بعبده الى مسرحه
فاجتنى له في نهاره ذلك اخابت الثمر فلما جاء الليل اظهر القرد نشاطا
ومرحا واجتنى في تلك الليلة اضعاف ما يجتنيه ثمرات طيبات فلبث بذلك
صدرا من الليل ثم انكفأ به الدب الى الغار فسجنه فيه وغدا عليه كعادته
ولبث القرد اياما يتظاهر فيها اذا جن الليل بقوة البصر ويجتني للدب
اطايب الثمر على حال تدريج والدب لم تسكن نفسه الى الثقة بالقرد
بل يتكهن عليه انه مراء متصنع خادع وكلما زاد القرد في تصنعه زاد الدب

فى الريبة به وانه ليلة من الليالى اراد الانصراف الى مأواه فجعل القرد
يماطله ويقول هاهنا ثمرات طيبات فيتأخر الدب لما طبع عليه من الشره
والنهمة وكانت ليلة مقمرة فحدث الدب نفسه بان يتناوم ليختبر القرد
ويمتحن ظنه به فتناوم وجعل يغط فما كذب ان وثب القرد هاربا
فجذبه الدب بالخيزرانة جذبة شديدة فانقطع ظهره منها ومات قيل ولما
بلغ الحكيم جلس الاعرابى الى غاية هذا المثل الذى ضربه لبهرام امسك عن القول
فقال له بهرام ما ابهجنى بقربك واقر عينى بما تفيدنى من حكمك وتضربه لى
من امثالك وتجلوه على من ملحك ولئن بقيت الى ان تدول لى دولة لاجعلنك
اول داخل على واخر خارج عنى وسأروض نفسى بارائك مستعينا بالله
الاول الآخر فسجد جلس ودعى له بطول الاجل ونجح الامل ثم ان بهرام جور شهد
والده فى ليلة من ليالى سروره وقد نظر النوار بين يديه فكانت مثل الزرابى
المخملة والتيجان المرصعة فذكر بهرام ايامه عند النعمان بالخورنق وانتجاعه
الرياض اللائقة الانيقة وشربه فيها على الازاهير المطلولة الى ما كان يتنعم
به من مباكرة صيد الوحوش فى غابها والتفكه بطرادها واصطيادها فاطرق
واستولت عليه الفكرة فعبس وتنفس الصعداء وابوه يزدجرد يسارقه
النظر ثم انه استفاق فنظر الى ابيه وعلم انه كان بمرأى منه فاسقط ما فى يده
واغتم ولم تمض ساعة حتى قبض الملك بشره ونكس رأسه فنهض كل
من بحضرته من ندمائه وسماره وكانت تلك عادة ملوك الفرس اذا عبس الملك
او اطرق لم يبق بحضرته احد الا استوى قائما على حال خشية وسكون وكان
ليزدجرد مضحك ظريف اللسان لطيف اللفظ والفطنة حسن
الانتزاع جيد البديهة حلو النادرة فحضر ذلك المقام وفطن للامر
الذى تفكر له الملك وعلم ان ذلك انما كان من عبوس ولده واطراقه
فى مجلس المسرة فحدث ذلك المضحك نفسه بان يحسن الى بهرام
ويصطنع عنده يدا فتحيل له بحيلة يخلصه بها من غيظ الملك
وغضبه عليه فبينما هو يناجى نفسه بالحيلة فى ذلك اذ رفع الملك

راسه فنظر الى المضحك كانه يحركه الى ان يصنع شيا فيه سلوة
له فسجد المضحك ثم جثى على ركبتيه وقال ان العبد الذليل
يستاذن الملك فى ان يخبره عن نفسه بخبر عجيب فنظر اليه
بهرام كالاذن له فقال المضحك ان العبد الذليل كان فى حداثة
سنه كلف بالنساء مفرط الشبق اليهن الا انه كان ملولا لا يثبت
على محبة من احب منهن وكان كلما استحسن امراة هام بها وتهالك
فى حبها وقد كان يقال من اتبع لحظه هواه ادحضه واهواه
وكان يقال كن من عينك على حذر فرب جنوح حين جناه
جموح عين وكان يقال ما احرى الملول بان يحرم المامول وكان
يقال السامة من اخلاق العامة لا من اخلاق السامة وكان
يقال التنقل من خله الى خلة كالتنقل من ملة الى ملة ثم قال
المضحك وان العبد دخل بلاد السند فبينما هو يطوف ببعض
مدنهم اذ راى امراة لم ير قبلها مثلها فى حسن الصورة
وامتداد القامة ورشاقة الحركات ولياقة الاشارات
وسحر الطرف وتالق الظرف فتبعها العبد وهو لا يرى
موطئ قدميه من الدهش حتى بلغت منزلها فدخلته
ولزم العبد بابها ليلا ونهارا فارسلت اليه تستعفيه من
لزوم بابها وتحذره سطوة اهلها فشكى العبد الى الرسول
ما يلقاه من الشغف بها واعلم الرسول انه لا معدل
له عن بابها وانه مستميت فى طلابها فلهيت عن العبد مدة
ثم اعادت الرسول اليه فرده العبد اليها بمثل كلامه
الاول فارسلت الى العبد تقول له انى اظن بك الملل
والغدر ولولا ذلك لاسرعت الى مساعدتك وانى متزوجتك
بشرط الوفاء فان غدرت بى اهلكتك بعد ان انكل بك
نكالا يضرب به المثل فان التزمت هذا الشرط فاقدم والا فاحج

بنفسك

بنفسك قبل ان يتعذر عليك الخلاص وقد كان يقال اربعة
ترفع الرحمة عنهم اذا نزل بهم المكروه من كذب طبيبه فيما
يصف له من دوائه ومن تعاطى ما لا يستقل باعبائه
ومن بذل ماله فى لذاته ومن قدم على الحذر من افاته وكان
يقال من بصرك فقد نصرك ومن وعظك فقد ايقظك
وكان يقال من اوضح وبين فقد نصح وزين ومن حذر
وبصر فقد اعذر وما قصر قال المصحك فالتزم العبد الشرط
واعطى من نفسه المواثيق على الوفاء فتزوج العبد المرأة
وبلغ منها امنيته فلبث معها مدة فزارتها قريبة لها
فلمحها العبد فاعجبته ومالت نفسه اليها فتبعها الى منزلها
وجعل يراسلها ويلازم بابها فتبرمت منه وشكته الى
امرأته فعاتبته امرأته على ذلك وزجرته واذكرته
المواثيق والعهود ونهته فازداد العبد لجاجا فلما رأت
ذلك منه سحرته فصار اسود اللون مشوه الوجه فجعلت
تستخدمه فى كل مهنة فما شغله ما هو فيه عن أن هوى
امة سوداء فجعل يتبعها فى طرقها ويتعلق بها ويؤذيها
فلما كثر ذلك على الامة شكته الى امرأته التى سحرته وكان
يقال انما كان طبع المطبوع املك به من ادب المؤدب
لان الطبع اصلى وتمده القوى الناشئة معه فهو املك
بالنفس التى هى محله لاستيطانه اياها وكثرة اعوانه بها
والادب طارئ على المحل غريب فيه فقلما يطاع امره وكان
يقال افضل المؤدبين سعيا من رام من المتأدب ان يعاونه
على نفى طبعه عنه وكيف وطبعه اولى به واقرب اليه
وآثر عنده من مؤدبه لكن المؤدب الماهر من طالب المتأدب
بستر المذموم من طباعه وتعميته والتورية عنه قال

المضحك فلما بلغ امراة العبد ما كان منه اشتد غضبها عليه
فسحرته فصار حمارا وجعلت توجره وتكريه ممن يستعمله
فى اى الاعمال اشق ويستحمله اثقلها وفى نقل الزبل والاحمال
الرذلة فلبث بذلك مدة ولم يشغله ما هو فيه من البلاء
عن ان هو اتانا لقوم فاشتد شغفه بها فكان كلما رآها
نهق وطلبها اشد الطلب ويرد عنها بالضرب فيلقى من
ذلك بلاء شديدا ثم اتفق ان امراة العبد التى سحرته زارت
ابنة الملك التى بتلك المدينة فكانت معها فى علوها تشرف
منه على ملحوله وكان العبد فى ذلك اليوم قد استاجره
شيخ ضعيف البدن كبير السن فاحتمل عليه اوانى فخار فى
جوالقين ومر به على قصر ابنة الملك بالاتفاق فراى عند القصر
تلك الاتان التى يهواها فما ملك نفسه ان نهق وقصدها
وفعل ما تفعل الحمير عند مثل ذلك وجعل الناس يضربونه
من كل جانب والفخار يتساقط عن ظهره متكسرا والشيخ
صاحب الفخار يعطمط ويصيح ويستغيث بالناس وجعل
الصبيان والسفلة يعطعطون من كل جهة والاتان فارة
بين يديه ترمحه وهو يطلبها فى تلك الحال فرات ابنة الملك
ذلك كله فاعجبها واضحكها فقالت لها امراة العبد التى سحرته
يا ابنة الملك الا اخبرك باعجب مما رايت من هذا الحمار فقالت
لها بلى فافعلى فقالت انه زوجى وقصصت عليها خبر العبد
فاشتد تعجبها مما سمعت وسرت به ثم امرتها ورغبت اليها
ان تزيل عن العبد ما سحرته به وتبطله وتخلى سبيله فاجابتها
الى ذلك وابطلت السحر عن العبد فعاد بشرا سويا ولم يكن
له هم الا الفرار من بلاد السند فيل فلما انتهى المضحك من
حديثه الى هذا المبلغ سكت وكان الملك يزدجرد قد اشتد

ضحكه لما سمع من حديث المضحك ولما شاهده من لطيف حركاته
في وقت حديثه فلما سكن ضحكه وعاوده الوقار والانفة
اقبل على المضحك وقد اكفهر له وقال له ويحك ما حملك
على ان تكذب هذه الكذبة الشنعاء كانك ما علمت انا نحذر
برعيتنا الكذب ونعاقبها عليه وقد كان يقال الكذب
كالسموم التي تقتل متى استعملت مفردة قتلت وان ركبت مع
غيرها من الادوية نفعت فلا ينبغي للملك ان يطلق الكذب
الا لمن يستعمله في المصالح كالكذب في كيد الاعداء وتاليف
البعداء كما لا ينبغي ان يطلق ملك تلك السموم التي ذكرناها
الا للمأمونين عليها المانعين لها من المفسدين فقال المضحك
ايها الملك السعيد ان هذا مثل تضمن من الحكم ما يعود بمصلحة
لمرتاض به والذي حملني على ذكره امر يلزم ستره عن غير
الملك فاشار الملك الى جلسائه فقاموا وخرجوا عن المجلس
ثم قال للمضحك هات ما عندك فقال المضحك ان عبد الملك
يخبره ان ولده الفاضل بهرام عاشق فقال الملك لمن قال
لابنة الاصبهيد ومعنى هذا الاسم وزير الوزراء فقال
الملك لقد كان من بهرام في هذه الليلة ما يدل على صدقك
ولا لوم على ولدنا في ذلك اذ لم يضع من نفسه بمحبة ابنة
حافظ ملكنا وسيد اوليائنا وسنبلغ ولدنا امنيته ونحسن
اليك باطلاعنا على امره فاكتم ذلك علينا حتى يتم امرنا فيه
بمشيئة الازلي الواهب المصور ثم ان يزجرد اذن لولده
ولندمائه وسماره ومطربيه ان يعودوا الى مجالسهم فعادوا
واخذوا فيما كانوا فيه اولا وعاد والى يزدجرد سروره
وطربه الى ان انقضى مجلسه وخرج القوم من عنده فتبع
المضحك بهرام فاخبره بالخبر على وجهه فشكره ووصله

ثم ان يزدجرد انكح ابنة بهرام ابنة الاصهبد ولم يزل بهرام
يروض نفسه على الرضى بخدمة ابيه حتى انقادت لما اراد
منها فلبث بذلك الى ان قدم اخ لقيصر ملك الروم على
يزدجرد ساعيا فى الصلح والهدنة والموادعة فاكبر يزدجرد
قدره واكرم قصده وعرف فضيلته وفضله واحسن
نزله فلما رأى بهرام منزلة اخى قيصر عنده استشفع به
عند ابيه فى رده الى النعمان فشفعه واذن لبهرام فتحول
الى بلاد العرب فكان فيها على ما احب الى ان هلك ابوه
يزدجرد قال المؤلف عفى الله عنه وقد عن لى ان أذكر فى
هذه السلوانة ما تكمل به بهجتها وهو الاخبار عن هلاك
يزدجرد وما أحدث رعيته من بعده وكيفية مصير
الملك الى بهرام ولده وذلك فيما ذكره المعتنون باخبار
ملك الفرس والله اعلم ان يزدجرد لما كثر عسفه واشتد
عتوه وعدل عما نهجه سلفه من العدل والرأفة اجتمع وجوه
رعيته من ذوى الصلاح عندهم فدعوا الله سبحانه وتعالى
على يزدجرد وسألوه معافاتهم منه فرحم الله عز وجل
ضراعتهم واستجاب دعاءهم فبينما يزدجرد جالسا
فى منتزه له اذ دخل عليه حاجبه فأخبره ان فرسا
عربيا قد جمع محاسن صفات الخيل وهو ذو صورة لم ير
الراؤن مثلها جاء يشتد عدوا حتى قام بباب الملك
وان الناس تهيبوه فلم يجسر احد يدنو منه وان الخيل قد
نافرته فما تقدم عليه فاستخف يزدجرد ما سمعه من
وصف الفرس فنهض نحو الفرس فلما عاينه ملئ به اعجابا
ودنا منه فخضع له الفرس فمسح يزدجرد بناصيته وجهه
وقبض بناصيته وامر بالجامه واسراجه فالجم واسرج

فقال

فيقال ان يزدجرد استدار بالفرس ومسح كفله فرمحه الفرس
رمحة خر منها ميتا وملئ الفرس بسرجه عدوا فما عرف اين
يتوجه كما لا يعرف من اين جاء ويقال بل ركبه يزدجرد
فحركه فسبق الابصار حتى أتى البحر فاقتحم فيه والله
اعلم اى ذلك كان فلما راوا ان الله قد اراحهم منه اجمعوا
على ان يخرجوا الملك عن ولده بهرام خوفا من ان يسن
فيهم سنة ابيه فملكوا عليهم ملكا من ابناء ملوكهم
السالفة يقال له كسرى وكان مرضيا عندهم فمحا ما شرعه
يزدجرد من المظالم واعفى الفرس من جميع ما كرهوه فعرف
الفرس بركة رأيهم فى تمليكه عليهم وانتهى الخبر الى النعمان
فاطلع عليه بهرام واخبره انه عاضده وناصره وباذل
نفسه وماله ورجاله فى مرضاته فشكر له بهرام ذلك
وأمره بشن الغارات فى اطراف بلاد الفرس مع الكف عن
سفك الدماء فامر النعمان العرب بفعل ذلك ففعلوه
فاشتد ضررهم وارسلوا الى النعمان يستعفونه ويسألونه
العود الى احسان المجاورة فلما انتهى الرسل الى النعمان قال
لهم انما انا خادم الملك بهرام افعل ما امرنى به فاذهبوا
اليه فلما ذهبوا اليه وعاينوه ملأ عيونهم جمالا وصدورهم
جلالا فخروا له ساجدين وسألوه العفو والصفح فاجمل
خطابهم وبسط آمالهم وامرهم ان يبلغوا من وراءهم
انه حسن الراى فيهم مؤمل لصلاح شأنهم وانه متوجه اليهم
ليتولى اخبارهم بنفسه واقامة الحجة عليهم فاذهبوا بذلك
ثم صرف الرسل مكرمين وامر النعمان فكتب له عشر كتائب
فى كل كتيبة الف فارس من انجاد العرب ثم سار فيهم
وسار النعمان بين يديه فى جيش كثيف فلم يكن عند

الفرس لهم مدافع حتى انتهوا الى دار الملك فنزل بظاهرها
فخرج اليهم زعماء الفرس وحفظة دينهم ونصب لبهرام
كرسي فجلس عليه وقام النعمان بين يديه وتقدم اليه
القوم فسجدوا له واذن لهم في الكلام فتكلم رئيس
الموبذه فحمد الله واثنى عليه وذكر رأفته بخلقه ثم ذكر
ما سار به يزدجرد من الجور والعسف وما فعل الله به
ثم اتبع ذلك كراهة الفرس لتمليك ولده ما يتخوفونه
من سلوكه سبيل والده لا سيما وقد نشأ بين الاعراب
الذين يصلحون جسومهم بخراب الارض وسألوه ان
يعفي الفرس مما سألوه فيه من الكراهة فانهم لا يملكونه
طائعين ولا يقصرون عن دفاعه بكل ما امكنهم فلما
انقضى كلام رئيس الموبذة تكلم بهرام فحمد الله سبحانه
واثنى عليه وشكر نعمه المتواترة عليه وصدق رئيس
الموبذة فيما نسب الى يزدجرد من الجور والعسف ثم اتبع
بذلك ما يتمناه من مصير الملك اليه ليزيل رسوم الجور
ويشد قواعد الحق ويذيق الرعية من حلاوة رأفته
واحسانه اضعاف ما اذاقهم ابوه من غلظته واساءته
واعلمهم انه لا يترك ميراث ابيه وانه مع ذلك يدعوهم
الى ان يضعوا تاج الملك وزينته بين اسدين ضاريين
ويحضر هو وكسرى المتغلب على ملكه فمن اخذ التاج
والزينة من بين الاسدين فهو بالملك اولى وذكرهم
انه ما يفعل ذلك الا ثقة برعيته وصونا لهم عن مقاومته
ودفاعه وثقة بنصر الله عز وجل وعونه لما يعلم من
حسن طويته وخلوص نيته ورغبته في اصلاح الارض
واهلها فرضي زعماء الفرس بما بذله بهرام من نفسه وجوا

الراحة منه من غير مشقة تنالهم فى دفعه وانقلبوا عنه
متعجبين من جماله وكماله وفصاحة لسانه ثم عمدوا الى
اسدين ضاريين فجوعوهما واخرجوهما الى ظاهر
المدينة فى قفصين من حديد فى عنق كل واحد منهما
سلسلة فى طرفها وتد من حديد فضربوا الوتدين
فى جهتين مختلفتين وجعلوا تاج الملك وزينته بينهما
بحيث يمكن كل واحد من الاسدين الوصول اليهما والذب
عنهما وفتحوا القفصين عن الاسدين فخرجا وقد اجتمعت
امة عظيمة من الفرس واجتمع العرب وقاموا بازائهم
فخرج بهرام من قبته وشد وسطه بمنطقته وجمع ذنوبه
اليها وقام بازاء الاسدين بين الصفوف ونادى
كسرى ان اخرج ايها المتوثب على ملكنا المتغصب على كرسينا
المتغلب على ميراثنا من ابائنا فخذ تاج الملك الذى انتزعته
من اهله فاجابه كسرى انك اولى بالتقدم الى ما اعطيت
من نفسك لانك الداعى اليه المتبرع به ثم انك تطلب الملك
بوراثة وانا غاصب فدنا بهرام من الاسدين والاسلاح
معه فلما رأى رئيس الموبذة ان بهرام قد عزم على فعل
ما بذل من نفسه ناداه يا بهرام انك مسميت نفسك
ولا اثم علينا فيك فقال بهرام اجل انما جعلت ذلك على
نفسى رأفة بكم ولا بد من فعله فقال له رئيس الموبذة
ان كنت قد عزمت على ذلك فتبرأ الى الله سبحانه بذنوبك
وتب اليه واستغفره فذكر بهرام ذنوبه وتاب الى الله
عز وجل منها وسأله العون ثم دنا من احد الاسدين
فقصده الاسد الآخر فلما قاربه راغ منه بهرام روغة
ثم وثب من الارض فاذا هو على ظهر الاسد وضمه بوركيه

ضية تبادلها الاسد ويهبت وفرج بين قوائمه وثبت بمكانه
يلبث فقصده الأخر فانتهى اليه حتى الصق مرأسه برأس
الاسد الأخر الذى تحته ولم يمكنه السلسلة من التقدم
فقبض بهرام على اذنيه وجعل يضرب برأس احدهما
الاخر حتى سقطا ميتين فقام بهرام قائما على قدميه وحمد
الله واثنى عليه وشكره على صونه وعونه وازال ذيوله
من منطقته وتناول تاج الملك فوضعه على رأسه فناداه
كسرى الذى كان الفرس ملكوه ليهن بهرام الملك بن
الملك بما اعطاه الله تعالى من ميراث سلفه فكلنا له سامع
مطيع ثم ارتفعت اصوات الفرس بالدعاء له وتقدم اليه
موبذ موبذان فأخذ بيده واجلسه على سرير الملك وشد
عليه زينة الملك وبايع له بالطاعة وتتابع تبايع زعماء
الفرس على ذلك وركب بهرام فدخل المدينة ونزل بقصر
ابيه وفرق الاموال فى ذوى الحاجات واهل الجدة وحبى
النعمان وشرفه وتوجه واجاز الفرس الذين صحبوه بأسرهم
على اقدارهم ثم وفى للرعية بمواعيده ووصلهم باحسانه
ولم يزل محمودا فيهم حتى هلك وقد دون الفرس له اخبارا
غير ذلك والحمد لله وحده

السلوانة الخامسة وهى سلوانة الزهد

قال الله سبحانه تبارك وتعالى ذكره وتقدس اسمه مخاطبا
احكم من استخلفه فى ارضيه واعلم من كلفه بما يرتضيه الذى
كان عاضده على ما يستكفيه وعاصمه فيما يبديه ويخفيه
ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة
الدنيا لنفتنهم فيه هذا بعد ان خيره بين ان يكون نبيا ملكا
او نبيا عبدا فاختار فقر الملك على غنى الملك وانشدوا

فى ذلك

قال له جبريل عن ربه خيرت فاختر يا ولى الهدى
نبوة فى حال عبدية تحوى بها القدح المعلى غدا
او حال تمليك تخر العدا بين يديه صغرا سجدا
فاختار ما يحظى به اجلا لله ما اهداه وما اسعدا

خبر نبوى فى الزهد روى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ملكا ممن كان قبلكم بيناهو فى ملكه ادركه الخوف يريد الخوف من الله تعالى قال فترك ملكه وخرج حتى اتى النيل فكان على شاطئه يضرب اللبن يعنى الطوب ويقتات من ثمنه فسمع الملك الذى كان بالقرب من ارضه بخبره فارسل يقول له انى اريدك فكن مكانك حتى الحق بك ثم ترك الملك الاخر ملكه ولحق به فكان امرهما واحدا الى ان هلكا ورويا بلفظ آخر قال عبد الله ابن مسعود بينا رجل فى موكبه تذكر فعلم ان ماهو فيه منقطع وانه قد شغله عن عبادة الله عز وجل فانساب عن قصره ليلا وصار الى مملكة غيره فاتى الى ساحل البحر يضرب اللبن ويغتذى من ذلك كرعيته فبلغ الملك الذى هو فى مملكته خبره فركب اليه وسأله عن حاله ومن هو فاعلمه وقال له انا فلان ملك كذا علمت ان ماكنت فيه منقطع وقد شغلنى عن عبادة ربى فعرفه وعرف انه ترك ملكه ابتغاء لعبادة الله وطلبا للدار الاخرة فقال له الملك ما انت بما صنعت بنفسك باحق منى ثم خلى سبيل ملكه وتبعه فكانا يعبدان الله عز وجل جميعا وسأله ان يميتهما جميعا فاستجيب لهما وماتا جميعا قال عبد الله بن مسعود لوكنت بمصر لاريتكم قبرهما بالنعت الذى نعتهما لنا رسول الله

صلى الله عليه وسلم

منثور ومنظوم من الحكم الزهدية

روي ان سليمان بن عبد الملك قال لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه حين رأى ما صار اليه من الملك حسنا يا عمر كيف ترى ما نحن فيه فقال يا امير المؤمنين هذا سرور لولا انه غرور ونعيم لولا انه عديم وملك لولا انه هلك وفرح لولا انه ترح ولذات لولم تقترن بآفات وكرامه لو صحبها سلامه قال فبكى سليمان حتى اخضلت لحيته من دموعه ومما قلته في ذلك

يا متبعا لذة الحر ... ص في الفضول وكاده
لو حزت ما حاز كسرى ... وما حوى وافاده
ما كنت الا معنى ... ومغرما بالزباده
لم يصف في الارض عيش ... الا لاهل الزهاده
فرض على الزهد نفسا ... فانما الخير عاده

حذار حذار من دار هي شرار حرامها سم ناقع وعذابها راقع وحلالها نصب شاسع وامل واسع وقد قيل في ذلك

دنياك دار غرور ... ومتعة مستعاره
ودار لبس وكسب ... ومغنم ومجاره
ورأس مالك نفس ... فاحذر عليها الخساره
ولا تبعها بأكل ... وطيب عرف وشاره
فان ملك سليمان ... لا يفي بشراره

ولي من ذلك ايضا

انا بدار تردى محاذرها ... وتحقر الآمال في موادعها
وتستفز الحليم عن سنن القصد وتغبي على مخادعها
من رام ابقاءها عليه فقد حاول ما ليس في طبائعها

اسرع ما تفتجي بوائقها يوما اذا استجمعت لجامعها
فته عليها وابى بنفسك عن طلابها واقتفاء تابعها
واشفق عصى بيعة الغرور لها وانبذ صراحا الى مبايعها
عمري لقد انذرت منذرة ناجعة نصحها لسامعها
موذنة انها مؤدبه لساعة آه من قوارعها
فالامن والله من فجائعها يضمنه الزهد في مطامعها

ومن ذلك ايضا

راعك الزهد انما الزهد رفض لفضول يلهي ويطغي وردي
ثم لا يمكن الزهادة في المقسوم رزقا بل من ضروب التعدي
مرحبا بالكفاف عفوا هنيئا ثم لا مرحبا بحرص وكد
ها علمنا وقد رأينا كثيرا وسمعنا من حاز جدا يجد
لا يزال الحريص يستامه الحر ص بنصب من الشقاء ونكد
ثم لا يستطيع ان يتعدى قدرا ما لحتمه من مرد

قيل ان خرقة بنت ابي قابوس النعمان بن المنذر استأذنت بالفارسية على سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه فاذن لها فدخلت عليه في جواريها وعليهن المسوح ومقطعات السلب السود فرأى منظرا شنيعا لم تتميز له خرقة من جواريها لمشاركتها اياهن في الزي وكن رواهب فسلمن عليه فقال ايتكن خرقة فقالت الخرقة ها انا ذه فقال انت خرقة قالت نعم فما تكرارك استفهامي وكان قد سألها عن نفسها حين دخولها ثم قالت ايها الامير ان الدنيا دار قلعة وزوال فما ندوم لاحد على حال تنتقل باهلها انتقالا وتعقبهم حالا فحالا وانا نحن كنا ملوك هذه الارض يجبى الينا خراجها ويطيعنا اهلها مدى المدة وزمان الدولة فلما ادبر الامر صاح بنا صايح الدهر فصدع عصانا وشتت ملانا وكذا

الدهر يا سعد ذو نوايب وصروف انه ليس من قوم تخفهم
بخيره الا ارد فهم بضيره ولا اسعفهم بفرحه الا اعقبهم
بترحه ثم انشات تقول
فبينا نسوس الناس والامر امرنا اذا نحن فيهم سوقة ليس تنصف
فأف لدار لا يدوم نعيمها تقلب تارات بنا وتصرف
وبينما الخرقة تخاطب سعدا رضى الله عنه اذ دخل عليه عمرو
ابن معدى كرب الزبيدى فنظر الى الخرقة وقال لها انت الخرقة
التى كانت تفرش لك الارض من قصرك الى بيعتك بالديباج
المبطن بالوشى فقالت نعم فقال لها عمرو ما الذى دهمك
واذهب محمودات شيمك وغور ينابيع نعمك وقطع سطوات
نقمك فقالت يا عمرو ان للدهر عثرات تلحق السيد من الملوك
بالعبد المملوك وتخفض ذا الرفعة وتذل ذا المنعة وان
هذا امر كنا ننتظره فلما حل لم نتنكره ثم ان سعدا سألها عنا
قصدت لاجله فاستوصلته فاجزل صلتها وقضى حوائجها
وردها مكرمة ولما فصلت عنه سئلت ماذا لقيت منه
فانشات تقول

ضاق لى ذمنى واكرم وجهى انما يكرم الكريم الكريم

روضة رائقه ورياضة فائقه

قال المؤلف عفى الله تعالى عنه تذكر ان شاء الله هنا من زهد
الملوك ما يوافق الخبر النبوى الذى قدمناه آنفا وهو زهدهم
فى الملك مع نبذهم له وتخليهم منه ولا نتعرض لذكر
من زهد فى نعيم الملك ولم ينبذه لاستقلاله باعباء سياسة
الخلق بالحق مراعيا الزهادة والعبادة مع ذلك كداود
وسليمان والانبياء عليهم السلام وابى بكر وعمر والخلفاء
المهذبين رضى الله تعالى عنهم فان هذا الفن يخرج عن هذا

التبويب ولا يندرج فى هذه الاساليب والله المستعان
فمن ذلك ما بلغنى ان معاوية بن يزيد بن معاوية بن ابى سفيان
رضى الله عنهم اجمعين كان على صغر سنه عالما عاملا متبتلا
متنغلا قد ذلل نفسه بالتقوى وصدف بها عن نزيتة
الحياة الدنيا افضت الخلافة اليه وسنه سبعة عشر سنة
فخامره الندم على تحملها فاطلع اهل بيته على ذلك فكرهوه منه
ولبثوا بذلك عشرين ليلة يناظرونه فيه وينهونه عن اظهار
كراهته فلما رأوا انه غير منته ولا بد له من خلع نفسه دعوه
ان يعهد لاحدهم فقال لهم كيف اتجرع مرارة فقدها واتقلد
تبعة عهدها ولو كنت مؤثرا بها احدا لآثرت نفسى ثم انه
خطب الناس فذكر لهم عجزه عن القيام بامرهم وعهد اليهم
ان ينظروا لانفسهم واحلهم من بيعته وانصرف واغلق
بابه ولم يأذن لاحد فلبث بذلك خمسا وعشرين ليلة وقيل
عشرين ليلة ثم لحق بربه سبحانه فرحمة الله عليه وقال على
ابن الجهم فى ذلك من ارجوزة تاريخه فى امر معاوية عفى
الله تعالى عنه

ثم ابنه معية المضعف كان له دين وعقل يعرف
ودام شهرا ثم نصف شهر وجاءه الموت عزيز الامر
وترك الناس بغير عهد توفيا منه وفضل زهد

قال المؤلف عفى الله عنه كلام على بن الجهم هذا يتضمن ان معاوية
لم يخلع نفسه والمعروف ما قد ذكرناه وانما قال معية وهو
معاوية لان الناس استضعفوه لتركه الخلافة وكذلك كونه
ابا ليلى وهو كنية المستضعف وقد بلغنى ان الباعث له على
الزهد فى الخلافة والنبذ لها انه سمع جاريتين له تتلاحيان
وكانت احداهما بارعة فى الجمال فقالت لها الاخرى لقد

اكسبك جمالك كبر الملوك فهو الملك حقا فقالت لها الاخرى
واى خير فى الملك وصاحبه اما قائم بحقوقه وعامل بالشكر
فيه فذاك مسلوب اللذة عديم القرار منغص العيش واما
منقاد لشهواته مؤثر للذاته مضيع لحقوقه مصروف عن
الشكر فمصير ذلك الى النار فوقعت الكلمة فى نفس معاوية
موقعا مؤثرا وحملته على الاتخلاع من امر الخلافة والله تعالى
اعلم روضة رائقة ورياضة فائقة

قيل كان عدى بن زيد العبادى قد دخل ارض الروم رسولا
لملك الفرس فاقتبس من علومهم وقرأ كتابهم وكان ذا مكانة
من ملك الفرس كاتبا وترجمانا له وكان ابوه زيد واليا على
الحيرة وخليفة للمنذر بن ماء السماء فكان عدى بن زيد
عند ملوك الحيرة من لخم لاجل ما ذكرناه فى اعلى المراتب
قيل انه حضر يوما عند النعمان بن امرئ القيس بن عدى ملك
الحيرة وهو بالخورنق والخورنق قصر قد منا ذكره فاشرف
النعمان على ما حوله من جوانب القصر وذلك فى فصل الربيع
فتأمل مليا ثم اقبل على عدى بن زيد فقال له يا عدى اكل ما ارى
الى نفاد وزوال فقال عدى قد علم الملك ان الامر على ما ذكره
فقال النعمان فأى خير فيما يفنى ويبيد وينفد ثم قلما
ليث ان تنصر وترهب وساح فى الارض وقيل بل كان
معجبا بالزهر المسمى شقائق النعمان واليه ينسب لانه
كان يتبع رياضه ويحميه وانه قصد يوما من ايام
الربيع غب سماء منتزها وقد كساه ذلك النور والشقيقة
رملة مستطيلة فلما عاين ذلك النور متضمخا فى منابته وقنو
حمرته وخضرة سوقه وتموجه بهبوب النسيم عليه وتناثر
قطر الندا من ارجائه رأى منظرا عجيبا بهيجا فأمر فبسط له

بازاء تلك الشقيقة بساط موشى من حرير فكأنما كان روضة
مختلفة الالوان مكملة باصناف الزهر ونصب له عليه
قبة من الديباج الاحمر وقد شحنت من المقاعد والمخاد
والنمارق والمساند بما يضاهيها وتجانسها ولبس من الحرير
المصبوغ باليرمان يعني المعصفر افضل ما يكنه وجلس
في قبته تلك مواجها للشقيقة وحوله ندماؤه وملهوه
وعنده عدى بن زيد فشرب وطرب ودبت فيه الراح
فارتاح ثم اقبل على عدى فخاطبه بما ذكرناه آنفا فلما سمع
عدى مقالته اهتبل الفرصة في موعظته بما حكيناه
وازمع الزيادة في ايقاظه من غفلته فامهله حتى انقضى
اربه من مجلسه ذلك وركب فساير عدى الى ان مر بقبور
بظاهر الحيرة فقال عدى للنعمان ابيت اللعن ايها الملك اتدرى
ما تقول هذه القبور قال النعمان لا فقال عدى فانها تقول

يا ايها الركب سيروا ان قصدكم ... ان تصبحوا يوما لا تسيرونا
حثوا الركاب وارخوا من ازمتها ... قبل الممات وقضوا ما تقضونا
انا كما كنتم كنا وانكم ... عما قليل كما صرنا تصيرونا

قال فلما سمع النعمان مقالته راجعته الفكرة السالفة
وظهر عليه الانكسار ثم مر بشجرات متناوحات بينهن ساحة
فيها عين جارية فقال عدى للنعمان اتدرى ما تقول هذه
الشجرات ايها الملك فقال الملك لا فقال عدى انهن يقلن

رب ركب قد اناخوا حولنا ... يشربون الخمر بالماء الزلال
ولاياريق عليها قدم ... وجياد الخيل تزهو في الجلال
عمروا دهرا بعيش حسن ... آمنا دهرهم غير عجال
ثم اضحوا عسف الدهر بهم ... وكذاك الدهر يردى بالرجال
وكذاك الدهر يرمي بالفتى ... في طلاب العيش حلا بعد حال

من رآنا فليحدث نفسه انه وقف على قرن زوال
وصروف الدهر لا تبقي لها ولما تأتي به صم الجبال

ويقال ان ذلك كان بينهما بموطن آخر وانه اشار بقوله هذا الى قبور كما اشار به اولا قيل فلما بلغ النعمان قصره قال لعدي اذا كان السحر فاحضر فان عندي خبرا اطلعك عليه على جليته فلما كان السحر جاء عدي فوجد النعمان قد لبس مسحا واخذ اهبة السياحة فودعه وذهب ولم يعلم له خبر قال المؤلف عفى الله عنه وعندي ان السائح المترهب هو النعمان بن المنذر الاكبر ولم يدركه عدي بن زيد ولكن ذكره في شعره والذي ادركه عدي انما هو النعمان بن المنذر الاصغر وان عديا نبهه بما خفي عنه تنبيها اقتضى تنصره لا سياحته بل هو الذي قتل عديا وبقي في ملكه الى ان قتله كسرى والله سبحانه وتعالى اعلم بذلك واي ذلك كان وبالجملة ففي ذلك يقول عدي بن زيد

ايها الشامت المعير بالدهر أأنت المبرأ الموفور
ام لديك العهد الوثيق من الايام ام انت جاهل مغرور
من رأيت المنايا اعرين ام من ذا عليه من ان يضام خفير
اين كسرى كسرى الملوك ابو سا سان ام اين قبله سابور
واخو الحضر اذ بناه واذ دجلة يجبى اليه والخابور
شاده مرمرا وجلله كلسا فللطير في ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فباد الملك عنه فبابه مهجور
سره حاله وكثرة ما يملك والبحر معرضا والسرير
فارعوى قلبه فقال وما غبطة حي الى الممات يصير
ثم بعد الفلاح والملك والامة وارتهم هناك القبور

ثم اضحوا كانهم ورق جف فألوت به الصبا والدبور
روضة رائقه ورياضة فائقه

قيل ان ملكا من ملوك اليونانيين قام من منامه في بعض
الغدوات فأتته قنة كانت قيمة له تلبسه ثيابه فلبسها
ثم ناولته المرآة فنظر فيها فرأى شيبة في لحيته فقال
هات المقراض يا جارية فأتته به فقص الشيبة فتناولتها
الجارية وكانت اديبة لبيبة فوضعتها في كفها واصغت
اليها باذنها ساعة والملك ينظر اليها ويتأملها متعجبا فقال
لها ما تصنعين فقالت اسمع الى ما تقول هذه الشعرة
التي عظم مصابها بفقد الكرامة العظمى حتى سخطها الملك
وكرهها فابعدها واقصاها فقال لها الملك وما الذي
سمعت من قولها قالت زعم قلبي انه سمعها تقول كلاما لا يجترئ
لساني ان ينطق به خوفا من الملك واتقاء سطوته الا ان
امنني فقال لها الملك قولي آمنة ما لزمت اسلوب الحكمة
فقالت الجارية انها تقول ايها الملك المسلط علي الى امد
قصير اني كنت قبل ظهوري قد ظننت بك البطش بي
والاعتداء علي فلم اظهر على سطح جسدك حتى بضت وحضنت
بيضاتي حتى افرخن وعهدت الى بناتي عهدا في الأخذ
بثاري منك وكأن قد خرجن فعجلن الاخذ فأخذن بثاري منك
اما باستئصالك واما بتنغيص لذتك او بضعف قوتك
حتى تعد الهلاك راحة فقال لها الملك اكتبي كلامك هذا
فكتبته له فقرأه وتصفحه مرارا ثم نهض مبادرا فأتى
هيكلا من الهياكل المعظمة عندهم فنزع عنه لباس الملك
وتزيا بزي اهل العبادة ونساك الهياكل ولزم ذلك
الهيكل وبلغ خبره الى اهل مملكته فبادروا اليه وطالبوه

بالعود الى محل مملكته فامتنع عليهم وسألهم اقالته وتمليك
غيره عليهم فامتنعوا عليه وهموا بامتحانه فاصلح بينهم
النساك على ان يتركوه فى الهيكل يعبد ربه ويسكن فى من
يستناب فى مثله امر رعيته ويملى الملك بنفسه غيره واقام
على ذلك الى ان مات رحمه الله

روضة رائقه ورياضة فائقه

بلغنى ان ملكا من ملوك اللالان كان كافرا عاتيا متكبرا
شديد العتو والكبر حديث السن مستحكم الغرة وكان اذا
ركب لم يستطع احد ان يرفع صوته الا بالثناء عليه والمدح
له والشكر لاحسانه وكان له وزير مؤمن يعبد الله تعالى
يكتم ايمانه ويتحين وقتا يمكنه فيه دعوة ذلك الملك الى الله
تعالى فركب الملك يوما فسمع شيخا قد رفع صوته لبعض
شأنه فقال للاعوان اعنى الشرطة خذوه فلما اخذوا الشيخ
قال ربى الله وحده فصرخ الوزير للشرطة وقال خلوا عنه
فخلوا عنه فاشتد غضب الملك على وزيره ولم يمكنه الانكار
عليه فى ذلك المقام لئلا يظهر للناس ان الوزير يخالف الملك
فيما يأمره به وسكت ليوهم الناس ان الوزير انما امرها اراده
الملك فلما انصرف الملك الى مستقره احضر الوزير وقال له
ما الذى دعاك الى مناقضة امرى بمشهد من عبيدى فقال
الوزير ان لم يعجل على الملك اريته وجه نصحى واشفاقى وحو
عليه فيما اتيته فقال له الملك اره فى ذلك فانى لا اعجل عليك
فى المؤاخذة فقال اريد ان يحتجب الملك فى مجلسه هذا
ويكون بحيث يرى ويسمع من بجايه ففعل الملك ذلك ثم
ان الوزير احضر قوسا صنعها للملك بعض خدمه وكتب
الصانع اسمه عليها فناولها الوزير غلاما بحضرته وقال

الغلام اني محضر صانع هذا القوس فاذا احضر واقبلت
عليه بالمحادثة فاقرأ الاسم الذي على القوس جهرا حتى تعلم
ان صانعها قد سمعك ثم اكسرها على ركبتك فاحضر القواس
وفعل الغلام ما امره به الوزير فلما كسر القوس لم يتمالك
صانعها نفسه ان ضرب الغلام فشجه فقال له الوزير
ويحك اتضرب غلامي بحضرتي فقال القواس ان القوس
عملي ايها الوزير وهو في غاية الحسن والجودة فلاي شئ كسرها
فقال له الوزير لعله لم يعلم انها عملك فقال له قد اخبرته
القوس بانها عملي فقال له الوزير كيف اخبرته القوس وهي
لا تنطق فقال ايها الوزير هذا وسم اسمي عليها وقد قرأه
وانا اسمع فصرف الوزير القواس ثم اقبل على الملك وقال
له قد اريت الملك وجه اشفا في عليه ونصحي له بما كان
مني فان الملك لما اراد ان يسطو على الشيخ اخبره الشيخ ان الله
ربه فخفت على الملك ان يبطش به رب الشيخ وليس يقوم
لبطشه شئ غيرة منه على صنعته ان تفسد عبثا فقال
الملك لوزيره وهل للشيخ رب غيري فقال له الوزير ايها
الملك شيخا والملك شاب فهل كان هذا الشيخ قبل ان يولد
الملك الا شاهدا لوجود فهل كان لا رب له فقال الملك لا
بل كان ابو الملك ربه فقال الوزير فما بال المربوب بقي بعد
هلاك ربه فقال الملك للوزير لقد قدحت في كبدي بزند
غير صالدة ولقد علمت الآن انه يجب ان يكون للمالك
والمملوك رب لا يزول فهل تعرفه فتدلني عليه فقال الوزير
نعم اعرفه انه تعرف الى بنعمته وآلائه وحلمه حتى عرفته
فقال الملك دلني عليه اكن لك تبعا ما بقيت فقال الوزير
اما دلالتك عليه فأول ما يجب علي واما اتباعك لي فلست

فعلت فانما تتبع عبدك الذى يقيك بمجنه مما يريبك ثم ان
الوزير تلطف فى دلالته على الله سبحانه فشرح الله قلب الملك
لقبول ذلك فآمن بالله ثم قال لوزيره اما ترينا خدمة اذا
احسنها العبد حظى بذلك عنده فقال الوزير بلى ايها
الملك ان له وظائف عبادة امر بها عباده ورضى بهم فعلها
ووعدهم رضوانه عليها والقرب منه وذكر له الصلاة
والصيام وغير ذلك من شرائع المسيح عليه السلام فجعل
الملك يرتاض بها حتى رسخ فى علمها وتمرن عليها ولزم العمل بها
ثم انه قال لوزيره مالك لا تدعو الناس الى الله كما دعوتنى فقال
له ايها الملك ان الملأ من اهل مملكتك امة ذات قلوب قسية
وفهوم قصية ونفوس عصية ولست آمنهم على دمى ان تفوه
لهم بذلك فمى فقال له الملك انى فاعل ذلك ان لم تفعله انت
فقال له الوزير ليعلم الملك انهم ان لم ترهم هيبته عنى لم ترهم
عنه وسأجعل نفسى وقاء لنفسه وانهم سيقتلوننى لا محالة
فلا يجترئ الملك عليهم بمثلها بعدى ثم ان الوزير استدعى الى
داره وجوه تلك المملكة وذوى تدبيرها وولاة احكامها
واهل النسك والحكم فيها فلما اجتمعوا اليه فى داره قام فيهم
خطيبا بالدعوة الى الله سبحانه فقاموا اليه وقتلوه ثم صاروا
الى الملك فاخبروه بما كان من الوزير ومنهم وقالوا له انا
ظننا ان الملك على مثل رأيه ونحب معرفة ما عنده فارضاهم
الملك بالقول والان لهم الخطاب وصوب رأيهم فى قتل
الوزير فانصرفوا راضين عنه وقلما لبث ذلك الملك ان
نبذ الملك ولحق بالرهبان فكان معهم حتى توفاه الله تبارك
وتعالى

روضة رائقة ورياضة فائقة

قيل ان ازدشير بن بابك بن ساسان ولد له فى حداثة
سنه ومد وامره ولد فسماه بابك باسم ابيه فنشأ رائع
الصورة بارع الخلقة فشغف به ازدشر حبا والزمه
فلسوفا ماهرا فى الفلسفة راسخا فى الحكمة متحليا بالزهد
وسأله ازدشير ان يتخذه ولدا فاقطعه الحكيم عن ابويه
وتولى تربيته وتدرجه الى ان اضطلع باعباء علوم
الفلسفة وتبوأ مثوى الزهد ولما سعى ازدشير لضم كلمة
الفرس تم له المراد واعطاه ملوك الطوائف القيادة استمد
رأى ولده بابك فيما ناله من المهمات فظفر منه باصغاء
امنيته الا انه كان لا يشاهده ويشافهه الا نقضى عليه لذيذ
ويفضى اليه الدنيا تصنيفا لمعايبها وتعريفا بشوائبها وتحوفا
من عواقبها فكان ازدشير متنغص المسرة بولده لاجل ذلك
فانه كان يقال من صحب الملوك بما يكرهون فلا ينكرونه وكان
يقال قلما يتوفر فكر الملك على امر واحد حتى تطول عنايته
به على انفراده وذلك لكثرة ما يتجاذب خواطره من الامور
حتى اذا توفر فكره على امر واحد واجتمع له اوشك ان يحكمه
فاذا رأيته قد اجتمع لامر واحد وتوفر عليه فلا تتعرض له
بغيره فتحول بينه وبين الفرصة التى يقل ظفره بها قيل وكان
ازدشير يحتمل ذلك لولده شغفا به وتالفا له وابقاء
عليه فقال له يوما يا بابك اتعرف اباك فقال بابك ايها الملك
السعيد انى لى ابوين أبا كان علة كونى وابا كان علة بقاءى
وانا بهما عارف فقال له ازدشير صف لى اباك الذى كان
علة كونك فقال بابك ايها الملك انه ملك ملأ العيون بهاء
والاسماع ثناء والصدور رهبة والقلوب محبة ذو رأفة
شاملة وقضية فاضلة وسيرة عادلة وحزم اخاف قلوب المريبين

من اجسادها وسيوفهم من اغمادها وأمن المريبين من السباع
الضارية من نهش انيابها والافاعي الجارية القاتلة من سمها
واحقادها فالاجساد والاشباح رق لسيفه وحزمه والارواح
رق لسيبه وحلمه فقال ازدشير صف لنا اباك الذي كان
علة لبقائك فقال بابك ايها الملك انه حكيم عرف فضيلة نفسه
فكرمها وعنى بها فخدمها فقال ازدشير اخبرنا عن كيفية
خدمته لنفسه فقال بابك ايها الملك انه تأمل نفسه فرآها
أرضا اريضة انيقة بكل خير خليقة ذات مياه نابعة
واشجار طالعة واثمار يانعة وظل ظليل ونسيم عليل الا انه
القاها مأوى لأسد الغضب ونمور الجهل وذئاب الغدر
وخنازير الشره وكلاب الحرص وضباع الحمق وحيات
الظلم وعقارب البغي والحسد فنفى عنها هذه الافات كلها
وحصنها منها فصارت خيرا محضا لا شر فيه فلما سمع ازدشير
مقالة ابنه علم انه معرض عن الملك زاهد فيه نابذ له فساءه
ذلك ثم اقبل عليه وقال له يا بابك ان الحكمة لا ترضى لمن اتصف
بها ان يكون مربوبا مقهورا مع تمكنه من ان يكون ربا
قاهرا فقال بابك ما اجدر الملك السعيد بالصدق واجراه
على الاصابة ولكن ان اذن لي الملك السعيد ضربت له مثلا
للرب القاهر والمربوب المقهور فقال ازدشير هات ما عندك
من ذلك فقال بابك ذكر ان فيلا كان مكرما عند بعض
الملوك وكان ربيبا انيسا اديبا وانه صيد لذلك الملك
فيل وحشي فعسر على السواس رياضته وتعذر عليهم تأنيسه
فرأوا ان يجعلوه مع ذلك الفيل الانيس الاديب ليأنس به
ويقتبس من ادبه ففعلوا ذلك فازداد نفارا وتوحشا
فبالغ السواس في عقوبته والتضييق عليه والتجويع له

ليذل فنال منه الجهد وان الفيل الربيب الانيس خلا به يوما
فقال له لقد جنيت على نفسك شرا واسأت النظر لها بجهلك
ولو علمت ما يراد بك من الخير لم تفعل ما فعلت ولكنه كان
يقال العزة حجاب تحجب الالباب عن صوب الصواب وكان
يقال الجاهل ميت الاحياء وذلك لتهوره وفساد تصوره
وكان يقال لا تمنح كرامتك غير طالبها كما انه لا تنكح كريمتك
غير خاطبها فقال الفيل الوحشي للربيب وما الذي يراد مني ايها
الاخ المشفق قال يطيب علفك ويستعذب موردك وينظف
مسكنك ويوكل بك خدمة يكلؤنك ويراعون شؤونك
ويجعلون لبروزك اوقات معلومات منتظرة فيجتمع اليها
الناس فتجلل بالديباج ويضرب بين يديك بالات تهيج الطرب
وتبعث على الاختيال ثم تبرز مكرما معظما لا تعارضك
دابة ولا تهب عليك للهون هابه فقال الوحشي للربيب لاختبرن
ما ذكرت لي فنزع عن توحشه ونفاره وتأنى وأتى لما يراد
منه فكرم ونعم وخدم وعظم ولما اظل يوم الزينة بولغ
في خدمته وتكرمته وتنظيفه وجلل بالدجاج وشد
على ظهره سرير مزين وصعد عليه المقاتلة عليهم الدروع
والخود وبايديهم عمد الحديد وركب على عنقه دارع بيده
كلاب والبست فنطسته الزرد وشد على طرفها سيف
كبير قائم وقبض سواسه على نابيه عن يمين وشمال وبايديهم
عمد الحديد وعليهم الدروع وضربت بين يديه الطبول
والصنوج وسار على تلك الحال حتى بلغ المراد منه فلما عاد
الى مأواه قال لذلك الفيل الربيب لقد بلوت حقيقة ما حدثتني
عنه ورأيت زيادات احببت ان اسألك عنها قال ما هي
قال ما كانت تلك الاثقال التي حملت على ظهري فقال له الربيب

أولئك المقاتلة على سرير مزين ومعهم الات القتال قال فما الذى
سترت به فنطستى والذى صير على طرفها وما اراد القابضان
على نابى والراكب على عنقى فقال له الربيب اما الذى سترت به
فنطستك فدرع يحصنها لانها مقتل واما الذى ربط اليها
فسيف تضرب به العدو واما القابضان على نابيك فانهما يذبان
عنك الاعداء ويعينانك على الاقدام واما الراكب عنقك
فيهديك الوجه الذى يراد منك سلوكه فقال له الفيل
الوحشى لامر ما طيب علفى واستعذب موردى ونظف بدنى
ومسكنى ونوه باسمى وجمل ملبسى واني لأرى امرا لا يفى
خيره بشره ولا يقوم نفعه بضره وبعد فلأكونن احرص
الحراص على التماس الخلاص وقد كان يقال ليس بحر من انقاد
الى لذاته وخدم سوى ذاته وكان يقال من عنى بغير نفسه
فقد بسط عليها ضره واستبسط لها ضره وكان يقال اذا كانت
الحاجة تستعبد المحتاج لمن احتاج اليه بقدر حاجته فالناس
اذا عبيد الدنيا واعبدهم لها احوجهم اليها وكان يقال اذا
كانت العبدية كناية عن خدمة المعبود والحاجة اليه فاعبد
العبيد ثلاثة الملك والمحب والمنعم عليه لاستيلاء العبودية
على ظاهرهم وباطنهم والملك اعبد الثلاثة من ذلك لان
الرعية تستخدم باطن الملك وظاهره فى تدبيرها وتأييدها
وصونها من عدوها وعونها على مصالحها وردع ظالمها
ونصر مظلومها وتأمين سبلها وسد ثغورها والاعداد لما
يقيها وينعشها فى الجدوب وما يحصنها فى الحروب وجباية
فضول اموالها وصرفها فى صلاح احوالها وحسم اسباب
هيجها وازاحة علل فتنها وهرجها هذا مع شدة حاجة الملك
الى رعيته فى صون نفسه وتنفيذ امره وامحاض نصحه ودفع

عدوه فلما سمع الفيل الريب مقالة الفيل الوحشي تبين له انه
اولى منه بالغرة والتهور وفساد التصور وقال حق ما قالت
الحكماء الجهل يعجب العيان ويقلب الاعيان وقال الحكيم لا يزال
المخطئ مرجوا ما لم يخامره الاعجاب بخطئه فاذا اعجب عجب ثم
قال للوحشي انا مكافئك على نصيحتك اياي وتبصرك لي بأن
افتح لك باب الحيلة في نجاتك لاني ابصر باخلاق الانس
وعاداتهم واهدي لك الى وجه الخلاص منهم وسأتبعك
فأكون خادما لك ما بقيت ثم انهما اتفقا على ان يتظاهرا بالتوحش
وهو داء يصيب الابل والفيلة في اعجازها فاذا اقامت ارتعدت
افخاذها حتى تكاد تسقط فتعالج بالفصد وتحمل على المسير
الهون فلما تظاهر الفيلان بذلك سارع السواس الى مداواتهما
فاخرجوهما الى الصحراء وفصدوهما وسيروهما فلما بعد الفيلان
عن العمارة وامكنهما فرصة الهرب شردا ولحقا بالفيلة الوحشية
فهذا ايها الملك التسعيد مثل ما ذكرت لي فلما وعى ازدشير مقالة
ولده بابك اطرق مفموما يفكر في امره وقد يئس من اجابته الى
ما يريده منه ثم انه نهض وامر بابك باتباعه حتى ادخله بيت
امواله ومستودع ذخائره فجعل يريه اياها وينبهه على
مزاياها حتى اتى على آخرها ثم اقبل على ولده فقال له يا بابك لمن تترك
هذا تتركه لمن هو احب اليك من نفسك واحق به منها فقال له
بابك ان اذن لي الملك التسعيد ضربت له مثلا فيه جواب
ما سألني عنه فقال له ازدشير هات ما عندك في ذلك فقال
بابك زعموا ان راعي بقر كان يرعاها لاهل قرية فكان يحسن لبقرهم
السراح والمراح فلبث بذلك برهة من الزمان طويلة وهم مغتبطون
به مثنون عليه لما اختبروا من بركة سعيه وتميز رعيه وكانوا
لا يسألونه عن شيء من امر بقرهم التي اسلموها اليه في رعيه رضى

به وطمانينة الى امانته وكفايته وقد كان يقال الموثوق
موصوف والامين بالمودة قمين وكان يقال الاحسان والامانة
مملقان بكل لسان موصوفان نافقان عند كل انسان قيل
وكان الراعي يأوي عند المقيل الى صومعة راهب فيقبل
في ظلها ويكثر التأوه والأنين لما ينا له من النصب فيما يعانيه
وكثر ذلك منه على الراهب الى ان خامر الراهب رقة له فاطلع
عليه يوما وقال له ايها الراعي عالى اسمعك تكثر الانين
والتأوه فقال له الراعي ان ذلك لما اتجشمه من حفظ هذه
البقر والذب عنها وتتبع المراعي الخصبة بها فاني اقوم من
ذلك بما يعجز عنه غيري واحمل نفسي المشقات فقال له
الراهب وما الذي دعاك الى الاضرار بنفسك في اصلاح
سواها ونفسك اقرب اليك واحق بسعيك فقال الراعي
لولم افعل ذلك لما بلغت هذه البقر من السمن والوفور الى
ماترى ولقد كانت يوم وليت امرها قليلة العدد كثيرة العجف
نكبة الضروع لاتزين قناء ولا تملا اناء فقال له الراهب
لقد حدت عن مسالتي حيدة من لم يولها اقبالا ولم يلق لها
بالا انى انما سألتك عن سبب حملك على نفسك لغيرها وايثارك
من سواها بخيرها فأخبرني بشديد عنائك وسدد اعتنائك
فاخبرني الان عما افادك حميد سعيك وسدد رعيك
فقال الراعي أفادني الغنى بهذه البقر لان اكل من لحومها ماسقط
منها ما شئت واطعم من شئت واتصرف في البانها وغير
ذلك من منافعها تصرف المالكين وانتجع بها من الارض
حيث شئت فهي على الحقيقة لي وبيدي فقال له الراهب
هكذا نزعم راهب كان ذا بله ثم صح عنده بطلان زعمه
فقال الراعي للراهب اخبرني عن ذلك فقال له ذكر انه كان

راهب سائح متعبد وكان متولعا بالسياحة فمر في بعض
سياحته بدير قديم كان حسن البناء فشملت حيطانه وهو
بمكان طيب نزه وبين يديه ارض اريضة فيها ذات ماء
عذب وفي ذلك الدير نفر من ضعفاء الرهبان ومساكينهم
وقد التجؤا الى جدار ذلك الدير يأوون اليه اطراف النهار
فاعجبه الدير واوطنه وكان قوي البدن شديد الحيل
جلدا معمارا فاصلح ما انثلم من جدران الدير وتهدم وعمر
الارض التي عنده فاحتفر سواقيها واجرى ماءها وغرس فيها
صنوف الاشجار فدرت منافع الدير وقصده الرهبان
فاوطنوه وسادهم ذلك الراهب السائح وتقدم عليهم
فاتخذ العبيد والدواب والآلات عمارة الارض واضاف
الى ارض الدير ما جاورها من الارض وغرس فيها من الكروم
والزيتون واللوز شيئا كثيرا فعظمت المنافع وكثرت الجباية
ورغب السائح في جمع الدنيا واحرم المساكين واتخذ كنزا
نفيسا في اقرب مدة وقد كان يقال المال كالماء من استكثر
منه ولم يجعل له مسربا ينصرف فيه على ما زاد على الكفاية
وقدر الحاجة غرق به وكان يقال المواساة في المال والجاه
يعود بقاؤها فلما عامل الراهب السائح من عمر معه مفازة
الدير بالحرمان واستأثر دونهم بالمال اكثر واشكايته
وقبحت المقالة فيه واجترأ عليه من كان يهابه وافضت
الحاجة بهم الى مكاشفته فجاهروه ودعوه الى المواساة
والانصاف فيما بيديه فقال لهم كيف اعطيكم مالي الذي
كسبته بكدي واستفرغت في تحصيله جهدي فقالوا له بل
هو مال الله ولكل واحد منا فيه جزء هو حقه ولك الفضل
علينا بتنميته وصونه فقال لهم ستعلمون مال من هو ولما

جن عليه الليل امر عبيده فعقروا الف دالية والف زيتونة
والف لوزة فاصبحت مصرعة فى اشنع منظر فأتوا السائح
فأخبروه بما حدث فى البستان وهم لا يشعرون انه هو الفاعل
لجميع ذلك فزجرهم وقال لهم انه مالى فلا عليكم منه ان
بقى او ذهب فعلموا انه هو الذى فعل ذلك وخشوا الفساد
على الغراس الباقى وتعطيل مصلحة الدير ومنافع انفسهم
فوثبوا عليه واهانوه وضربوه ثم طردوه فخرج من الدير
على الحالة التى دخله عليها بل اشر فلما حصل بظاهر الدير
سرح طرفه فيما كان عمره وغرسه فرأى منظرا رائعا فتنفس
الصعداء تحسرا على ذهاب شبابه وقوته وضيعان عمره فيما
لم يجد عليه طائلا ثم كان عاقبته الى الحرمان الى مزايلته والانسلال
منه على حال اهانة وفاقة وضعف وقد قالت الحكماء الدنيا
سبيل تعبر ولا تعمر وممر سالك لا مقر بارك وقالت الدنيا
جسر من عبره باغترار افضى به الى دمار وتبار ودثار وهى
قريب سلبها من سلمها وخطفها من عطفها والعاقل من اهلها
من استعد لخبلها وليس الاستعداد لذلك الا التأهب لبغيها
المكتوم وفراقها المحتوم والاستكثار منها نقيض ذلك
وقالت الحكماء الخروج من الدنيا مما لا تطيب به نفس ولكن
قد تتهيأ رياضة النفس عليه باستشعار الزهد فى الفانى
العاجل والاستكثار من العمل النافع فى الاجل وقالت الحكماء
التنعم فى الدنيا يضاعف حسرة زوالها ويؤكد غصة اغتيالها
ثم ان الراهب السائح عاد الى سياحته فقلما لبث ان هلك قيل
فلما وعى الراعى مقالة الراهب وفهم ما ضربه له من المثل
واستبصر فيما تضمنه من الحكم قال له جزيت من ناصح خيرا
فخذ الآن فى التصريح بحالى عندك فقد اديتنى كناياتك وهيأتنى

للقبول

للقبول وجلت عن فطنتي صداء عزلتي فقال الراهب المراعي
لقد اوضحت لك من غلطك في دعوى ملك ما استرعيته
واثمنت عليه وكشفت لك ما ستر عنك من قبح حملك على نفسك
لغيرها معتاضا عن ذلك اعواضا قليلة واعراضا مستحيلة
فارددا البقر الى ملاكها واعمل في خلاص نفسك من السباع
الضارية والافاعي الجارية والكلاب العاوية والعقبان
المختلسة والشياطين الموسوسة والاشراك الخاتلة والسموم
القاتلة لتنجو من البوار وتعلو الى عالم الانوار قيل فلما انتهى
بابك الى هذه الغاية من امتثاله امسك عن القول واطرق
ابوه انرد شير مفكرا متأملا ما تصرف فيه ولده من المقال
وضربه له من الامثال ثم نهض مضطرب البال مضطرم البلبال
وخرج بابك من فوره فساح ولم يعلم اين طاح قال المؤلف
عبد الله الفقير اليه الغني به محمد بن ابي محمد بن ظفر رحمه الله
تعالى والحمد لله على ما انهيت بغيه وما اوردت الى نهبه
وانا اعوذ بالله من عذاب الاعذاب كما اعوذ به من حجاب الاحجاب
واستكفيه عول السؤال كما استعفيه من غول الجواب واستدفع
به فساد الخطأ كما استدرئ به كساد الصواب واتوب اليه انه
هو الرحيم التواب انتهى وكان تمام طبعه وابناع ثمرة
طلعه على ذمة كل من ملتزميه حضرة العمدة الفاضل والهمام
الكامل الشيخ عبد الهادي الابياري قابله الله بلطفه الستاري
وحضرة عمدة الاعيان ونادرة الزمان المستعين بربه القوي
احمد افندي الازهري بتصحيح الشيخ علي بن علي العزي الشهير بالمخللاتي
قابله الله بلطفه في الماضي والاتي وكان ذلك في اوائل
شهر صفر الخير من شهور سنة الف ومائتين وثمانية
وسبعين اتمها الله بخير على جميع المسلمين امين يا رب العالمين

وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا
بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا
ومولانا محمد نبي الرحمة وكاشف
الغمة وعلى اله وصحبه
وسلم والحمد
لله وحده
آمين

م

فهرست كتاب تاريخ السلطان سليم خان مع السلطان الغورى

	صحيفه
ذكر النواب فى البلاد وهم الكشاف الموجودون فى زمن	...
السلطان الغورى	٠٠٣
ذكر ارسال القاصد من طرف السلطان سليم الى السلطان الغورى	٠١٠
ذكر ارسال القاصد من طرف السلطان الغورى الى السلطان سليم	٠١١
ذكر التقاء الجمعين وابتداء الحرب بينهما	٠١٤
ذكر قتل السلطان الغورى	٠١٨
ذكر اجتماع العسكر بالعسكر المقيم بمصر	٠٢٤
ذكر كتابة مرسوم من السلطان الغورى الى السلطان	٠٢٧
طومانباى	...
ذكر خروج السلطان سليم الى مصر	٠٢٨
ذكر التقاء طومانباى مع جانم السيفى	٠٤٣
ذكر تعدية السلطان سليم الى برالجيزه	٠٦٧
ذكر السبب فى القبض على السلطان طومانباى	٠٩٣
ذكر قتل السلطان طومانباى	١١٠
ذكر صفات السلطان طومانباى	١١٢
ذكر تولية الكشاف ومشايخ العربان من طرف	١١٣
السلطان سليم	...
ذكر خروج الغزالى نائب الشام وسلطنته بها	١٢٠
ذكر قتل الغزالى بالشام وموت خير بك بمصر	١٢٨

كتاب تاريخ السلطان سليم
خان بن السلطان بايزيد خان مع
قانصوه الغوري سلطان مصر
واعمالها تأليف الشيخ احمد بن
زنبل الرمال المحلي رضي الله
تعالى عنه على التمام
والكمال والحمد لله
على كل حال
وبه نستعين
امين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم هذه رسالة مشتملة على غزوة السلطان
الاعظم والخاقان المعظم مالك رقاب الامم صاحب السيف
والقلم خليفة الله فى العالم مولى ملوك العرب والعجم
فارس ميدان الشجاعه حارس بنيان الشهامه قاتل الفرنسيس
والجابره كاسر الاكاسره والقياصره مكمل الدوله
العثمانية ممهد القواعد السلطانيه السلطان بن السلطان
السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد خان مع قانصوه
الغورى سلطان مصر واعمالها فكان خروجه من مصر فى
يوم السبت سادس عشر ربيع الآخر سنة احدى وعشرين
وتسعمائة وكان امراء دولته اولهم سودون العجمى امير كبير
وازكماس امير سلاح وامير مجلس وسيدى محمد بن السلطان

الغوري امير اخور كبير وسودون الدوادار رأس نوبة
النواب وانس باي حاجب الحجاب قانصوه بن السلطان
جركس وتقطباي نائب القلعة وقانصوه كرت وطومان باي
دوادار كبير وتمر الزردكاش وجانبلاط ابو تربين ثاني
بك الخازندار وازبك المكحل ورزمك الناشف وابرك
رأس الجلبان واقباي الطويل وبيبرس ابن عم السلطان
وامير كرتباي الوالي والامير علان رأس القرانصة الشجعان
والامير قانصوه الفاجر والامير قانصوه ابو سنه والامير
قانصوه رجله فكان هؤلاء الاثنان وعشرون اميرا اصحاب
الطبلخانات في مصر لهم الامر والنهي والحكم مثل السلطان
وكان كرتباي الوالي اعظمهم حرمة واقومهم كلمة لشجاعته
وفروسيته ومقاومة الشجعان والابطال في حومة الميدان
وسيأتي ذكر طرف لما كانوا عليه رحمة الله تعالى عليهم اجمعين
آمين

ذكر النواب في البلاد

وهم الكشاف فاول النواب نائب قطيه كان قانصوه رجله
واما القدس الشريف وغزة والرملة وما هنالك من الضياع
فكان المتولي على جميع ذلك الامير دولتباي واما صفد
وترابلس الشام وبيروت وصيدا واعمالها فكان النائب عليها
الامير تمراز الاشرفي واما دمشق فكان نائبها اصلان بن
بداق واما حماه فكان نائبها الامير قنبردي الغزالي واما حلب
فكان نائبها جانبردي وعنتاب نائبها يونس بن اقبية واما
قلعة الروم فكان نائبها اباي يزيد وكانت اضنه وجميع بلاد عشر
واعمالها الى ديار بكر يحكم فيها علاء الدولة والى حين ينتهي الى ناحية
الروم يحكم فيها محمود بن رمضان وكان علاء الدولة يحمل
المال الى مصر من جميع حكمه وبلاده وهو الذي كان سبب

الفتنة بين السلطان سليم وبين الغورى وخير بك ايضا الى
ان حصل ما حصل من القتال بين الفريقين ان ربك هو يفصل
بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ان الارض لله يورثها
من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين واما الكشاف فكان
أسيوط فيها برسباى الاشرفى ومنفلوط كاشفها قانصوه
العادلى والفيوم والبهنسا كاشفها جانم الاشرفى ودمنهور
مع يونس البدوى والمحلة مع الماس وكان مشهورا بالظلم
واما الثغور المحروسة فكان نائب الاسكندرية قضابردى
ونائب دمياط على باى واما مشايخ العربان فى الصعيد الاعلى
فكان ابن عم الامير على فى جرجا واولاد الاحدب فى الشرقية
وشيخ عزالة محمد بن خير فى الجيزة والامير حجازى بن بغداد
بالمنوفية وشيخ البحيرة كان الجويلى واما الغربية كان من
نواحى سنهور حسن بن مرعى وكانوا على هذا الترتيب فى زمن
الغورى رحمة الله عليهم اجمعين وكان فى الشرقية احمد بن
يقر وكان قليل الخير سيرته سيئة ونرجع الى خروج السلطان
الغورى من مصر فلما وصل الى غزة قام بها ثلاثة ايام فشكت
الرعايا للسلطان من نائب غزة فعزله عنها ورسم عليه عوضه
على فعله وظلمه وزجره غاية الزجر وبعد ذلك رده اليها
لكونه ابن عمه فورد على السلطان مكاتبة وهو مقيم بغزة
من عند سيباى نائب الشام يذكر فيها الذى يعرضه المملوك
على المسامع العالية اعلاها الله تعالى وادامها ان العبد سمع
بان السلطان يريد السفر الى قتال ابن عثمان وان المملوك يقوم
بهذا الامر ويكون السلطان مقيما بمصر ويمد المملوك بالعساكر
المنصورة والذى يعلم به مولانا السلطان ان خير بك ملاحم
علينا ومكاتيبه لا تنقطع من عند ابن عثمان فى كل حين فرد عليه

السلطان

السلطان ها نحن قد جئناهم بأنفسنا ثم امر بالرحيل بالجيوش
والعساكر وهم يموجون كالبحر الزاخر والسحاب الماطر
فرسانا كالعقبان الكواسر ولكن اذا نزل القضاء عمى البصر
فالقى الله تعالى فيهم الفتنة فكان كل من الاعيان يستمني هلاك
السلطان حتى يكون هو السلطان فبهذا الموجب هلكوا اجمعين
ويبعثون على نياتهم ومن غريب صنع الله تعالى ان السلطان
الغوري كان له رمالا حاذقا فكان كل حين يقول له السلطان
انظر الى من يلي الحكم بعدي فيقول حرف السين فكان السلطان
يعتقد انه سيباي وكان كلما كتب سيباي للسلطان بما يفعله
خير بك نائب حلب من المكاتبات للسلطان سليم بانه معه
وانه ملاحي على ابناء جنسه ويحرضه على المجيء الى اخذ مصر من
الجراكسة والسلطان الغوري لا يقبل من سيباي نصيحة حتى
نفذ قضاء الله تعالى وحكمه وقدرته وكان ما كان ولم يتمكن
سيباي من ملاقاة السلطان الا على سعسع وهي قرية من
قرى الشام وحضر سيباي قدام السلطان وقدم تقدمة
عظيمة لها قدر وقيمة فشكره السلطان على فعله شكرا زائدا
بعد ان خلع عليه خلعة عظيمة ولم يخلع على احد من النواب
غيره وكل ذلك والسلطان معتقد ان الخيانة انما هي من
سيباي وما قصده الا اخذ السلطنة كما ذكر المنجم الرمال على حرف
السين ولا يظن ويخطر في فكره ان السلطان سليما يقدر
يدخل ارض مصر ابدا لما يعلم من شجاعة الجراكسة ولم يمكنوا
احدا من اخذ بلادهم وما دروا ان الارض لله يورثها
من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وكان السلطان
الغوري يعلم ان سيباي بطل من الابطال لا يخطر الموت
على باله فانه كان فارسا مناع وبطلا شجاع ذا عزم شديد

وباس مديد فكان السلطان لا يحسب لاحسابه واما خير بك
فانه لم يكن السلطان يحسب له حسابا لما يعلم من جبانته وعدم
شجاعته فاخذه من لا يكترثه وكان سيباى من مماليك السلطا
قايتباى وكان رجلا يعد برجال وهو الذى عمر المدرسة
التى بدمشق المعروفة بمدرسة سيباى وهى اذا طلعت
من سويقه باب الجابية وانت طالب الى دار السعادة تكون
على يسارك ووقف لها الاوقاف ورتبها الخيرات رحمة
الله عليه قال الناقل وهو الشيخ احمد بن زنبل الرمال المحلى
الجامع لسيرة الجراكسة وما وقع بينهم مع السلطان سليم بن
عثمان فان السلطان سليم كان له اخ اكبر منه يسمى السلطان
احمد وكان حاكم برصه وكان اخوه قورقود حاكم المغنيسا
والسلطان سليما قبل ان يتسلطن كان حاكم طرابزان ولكنه
كان ذا همة عالية فى طلب الملك والرياسة على اخوته فالهمه
الله تعالى تزواج ابنة ملك التاتار خان ليكون ظهرا له فتزوجها
ثم تجرد بعد ذلك لاخذ الملك من ابيه لما سمع من الجواسيس
الذين كانت تأتيه بالاخبار بان اباه السلطان بايزيد ضعيف
على موت وانه ارسل لولده احمد يحضره ليقلده الملك من بعده
فخاف احمد من اخيه سليم لما يعلم من طلبه الملك لنفسه فتأخر
عن المجئ فجرد سليم العساكر على ابيه فلما سمع ابوه ذلك اخذته
الغيرة وامر بالخروج لملاقاته فخرجت العساكر ووقع الحرب
بين الفريقين فكانت الكسرة على السلطان سليم فانهزم واخذ
نزر دخانته بجملتها فهرب الى الكوفة فدخل عند رجل يقال له
كمال اغا وهو دزدار القلعة فاضافه ومكث عنده مدة
أيام فشكى له السلطان سليم مما جرى له وما ذهب منه من
المال والرجال وهو متحير فى امره وقد قصد اخذ الملك من ابيه

قبل ان يعطيه لاخيه احمد فلم يصح له ذلك فقال له كمال اغا
عندنا من مال ابيك شئ كثير متحصل وكان يريد ان نرسله له
فخذه وتقوى به ففعل كما قال له كمال اغا وجمع له عسكرا اكثر
من الاول وكان السلطان سليم لا يتوقف فى جمع العسكر
لا على روحى ولا على مجنى بل كل من اختار ان يكون من عسكره
قبله ويعطيه الجامكية ويجعله من عسكره فجمع عسكرا كثيرا
وجرد على ابيه ثانيا يريد القسطنطينية وكانت عساكر ابيه
كلهم مالوا الى السلطان سليم لما يعلمون من علو همته واما
ابوه السلطان بايزيد فانه كان رجلا مباركا من اولياء الله
تعالى لا يحب العظمة ولا التجبر وكان رأس عسكره اغاة
اليكنجرية يونس أغا فلما وصل الخبر الى السلطان بايزيد بان
ولدك سليما جرد عليك ثانيا امر العسكر بالخروج لقتال
ولده فلم يطعه احد من عسكره فجاء السلطان سليم الى ان وصل
الى مدفن ابى ايوب الانصارى رضى الله عنه فدخل الوزير
الاعظم وكان اذ ذاك فرهاد باشا على السلطان بايزيد واخبره
بذلك واعلمه بان العساكر كلها مالت الى السلطان سليم بفضول
لما يعلمون من تعففك عن العصمة الملوكية وانت تعرف ما يترتب
على ذلك فامره السلطان بايزيد ان يقول لهم السلطان يولى
عليكم ولده احمد فابوا ذلك وقالوا ما نريد الا سليما كلمة
واحدة فخرج السلطان بايزيد يريد الكوفة بماله وعياله
وان يقيم هناك الى ان يموت ودخل السلطان سليم الى
القسطنطينية فجلس على تخت الملك فلم يسافر ابوه الا يومين
ومات رحمة الله عليه فى سنة ٩١٨ واما اخوه السلطان احمد
فانه لما ارسل خلفه ابوه ليقلده الملك جاء الى ان وصل اسكدار
فلم يجسر ان يدخل القسطنطينية خوفا من اخيه ومن العسكر

لاهم على غرض السلطان سليم فلما تولى السلطان سليم ارسل
لاخيه احمد خلعة وردّه الى مكانه وايضا ارسل خلعة الى اخيه
قورقود الى مملكته وهي مغنيسا بيرّا ناضول واستقر هو في
الملك ثم ارسل خلف كمال اغا الذي كان بالكوفة وجعله اغا
اليكچرية ويونس اغا جعله وزيرا وجعل فرهاد باشا باشتهر
روما يلي ثم امر بقتل اخوته واستقل هو بالملك فهرب اخوه
قورقود الى مصر واستجار بالغوري فاجاره فارسل السلطان
سليم يطلبه من الغوري فأبى ان يمكنه منه فاشتدت العداوة
بين الغوري وبينه حتى وقع ما وقع قال الراوي ومما وقع
بينهما من شدة العداوة ان السلطان سليما لما غزا على شاه
اسماعيل سلطان العجم وجاء بالعساكر من على البيرة وكان
نائبها يسمى علاء الدولة من طرف جناب السلطان الغوري
فأمر علاء الدولة اهل مرعش ان لا يبيعوا على عسكر السلطان
سليم شيأ مطلقا من المأكل ولا من غيرها فمات اكثر الدواب والناس
من شدة الغلاء وكان هذا سبب الحرب بين الغوري وبين
السلطان سليم وحصن علاء الدولة البلاد كلها والحصارات
والابراج فلما جرى للسلطان سليم ذلك اعرض على وزرائه
ذلك وحصل له من الغمّ ما لا مزيد عليه وكان السلطان سليم
حادّ المرارة صعب الخلق فاراد ان يأمر العسكر بالحملة على
تلك النواحي ويحاصر مرعش فأشار وزراؤه عليه ان يرسل
يعلم بذلك الغوري فأمر بكتابة مرسوم الى ملك مصر قانصوه
الغوري يخبره بما فعل علاء الدولة فاجابه الغوري بان علاء
الدولة عاصي امري فان قدرت عليه فاقتله وخلع على قصّاده
وارسلهم ثم كتب الغوري مرسوما وارسله خفية الى علاء الدولة
يشكره على ما فعل ويغريه على قتال السلطان سليم ولا يمكنه من

شئ ابدا وكان قصد الغوري القاء الفتنة بين الاثنين رجاء ان
يقتل احدهما او كلاهما فيكتفي شرهما فانه كان يعرف شدة بأس
كل منهما فقوى قلب علاء الدولة على قتال السلطان سليم
واما السلطان سليم لما قرأ جواب الغوري علم بفراسته انه
خديعة له فتحملت نفسه من الغوري غاية التحمل فكان ذلك
سببا لاثارة الفتنة بينهما حتى وقع ما وقع كما هو المشهور
ثم سافر السلطان سليم الى ملاقاة شاه اسماعيل ووقع
الاتفاق بينهما بأن يبطل النار ويقاتل بالسيف والعود فلم
يثبت السلطان سليم غير ساعة وولى عسكره منهزما لان الروم
لا قدرة لهم على ملاقاة الفرس من غير نار فعند ذلك امر اغاة
اليكنجريه ان يرموا بالنار فما كان الا ساعة وانهزم شاه اسماعيل
فان النار لا يطيقها احد فأخذ السلطان سليم ما وجد في
اوطاق العجم وانثنى راجعا منصورا يريد قتال علاء الدولة
واما علاء الدولة فانه جمع جيوشا كثيرة والتقى الجمعان وكان مع السلطان
سليم خان ابن شهسوار وكان شهسوار هو الملك والحاكم على تلك
الديار وهو اخو علاء الدولة فلما قبض على شهسوار بالحيلة
التي عملت عليه شنق على باب زويلة بمصر في زمن قايتباي
على يد الامير يشبك الدوادار كبير والقصة مشهورة ثم اخذ
علاء الدولة الحكم بعده وكان لشهسوار ولد اكبر اولاده
فهرب الى السلطان سليم فما زال عنده حتى وقع هذا الحرب
مع علاء الدولة واصطف الفريقان للقتال وخرج ابن
شهسوار الى الميدان بين الجمعين باذن من السلطان سليم وقال
من عرفني فقد كفى ومن لم يعرفني فأنا ابن شهسوار اين من
ربي في انعام ابي اين المحبون لي ولوالدي فليأتوا تحت سنجق
من حماني من عدوي ولا بد لكل انسان من يحبه ويبغضه فارتج عسكر علاء الدين

وافترق منه بعضه فمن كان يبغض علاء الدولة مالوا الى ابن شهسوار فما تم
غير ساعة حتى عقل علاء الدولة وغالب اولاده وقطعت رؤوسهم
وجاؤا بهم الى السلطان سليم فارسل بهم الى الغوري فلما
رآهم حس قلبه بزوال ملكه لما يعلم من اختلاف عسكره
عليه كما وقع لعلاء الدولة فان الملك ليس هو ملكا الا بالعسكر
فاذا انحرف عليه عسكره ضاع ملكه ثم ان السلطان سليما
طمعت آماله في اخذ مصر ثم توجه الى ادرنه ثم استشار مع
الوزير الاعظم وهو احمد باشا بن هرسك وبعده بيري باشا
فقال ابن هرسك للسلطان سليم نحن تصادمنا مع عسكر مصر
في زمن ابيك وكنت انا باش العسكر وكسرونا اشد كسرة وقبضوا
علي ودخلت مصر اسيرا حتى وقفت بين يدي السلطان قايتباي
فمن علي باطلاقي وعفى عني عفى الله عنه وقد حلفت له ان لا
اسحب في وجه القبلة سيفا ابدا وصدقه على ذلك بيري باشا
ثم بعد ثلاثة ايام امر السلطان سليم بعزل الاثنين ثم سار
قاصدا عسكر مصر فلما وصل الى مدينة زملطي اقام ينتظر
الاخبار فلم يأته أحد

ذكر ارسال القاصد من السلطان سليم الى الغوري

فأمر السلطان سليم بارسال قاضي الى الغوري وكان اسم
القاضي زيرك زاده وكان اعرج فما زال حتى وصل الى حلب
فرأى اوطاق الغوري خاليا من العسكر ما فيه الا نحو الف او
الفين لانهم كانوا كلهم دخلوا الى مدينة حلب واخرجوا الناس
من بيوتهم وسبوا حريمهم واولادهم واذوهم الاذى البليغ
وكان ذلك سببا لقيام اهل حلب مع السلطان سليم على الجراكسة
لشدة ما حل بهم من الضرر منهم فلما بلغ الغوري بأنه جاء
قاصد من عند السلطان سليم اذن له فتمثل بين يديه وتأدب

غاية

غاية الادب فرحب به وسأله عن السلطان سليم فقال له الناصح
هذا ولدك وتحت نظرك فقال له الغوري لولا انه مثل ولدي
ما جئت من مصر الى هنا باهل العلم جميعا حتى نصلح بينه وبين
اسماعيل شاه ثم اجزل عطاءه وصرفه ثم امر الغوري بالخروج
الى حلب فخرج جميع العسكر واودعوا جميع اموالهم عند اهل
حلب بعد ان كدروا عليهم غاية التكدير واذوهم غاية الاذى
فلما خرجوا من عندهم دعى عليهم الكبير والصغير والغني والفقير
لما حصل لهم من ضررهم فلما استقر الغوري في اوطاقه

ذكر ارسال الغوري الى السلطان سليم قاصدا

امر باحضار رسال قاصد للسلطان سليم فشاور اكابر دولته فاقتضى
رأيهم ان يرسل رجلا من اهل العلم والدين ليتكلم بينهما بالمعروف
رجاء لحقن دماء المسلمين فلم يفعل وامر باحضار الامير مغلباى
دوادار وكان رجلا فاضلا قادرا على رد الاجوبة واقامة الحجة
فقال له الغوري جهز نفسك واخرج اكشف لنا خبر اهل الروم
وما هم عليه واعط هذه المكاتبة الى ملكهم ثم امر عشرة من خيار
العسكر بالتوجه مع مغلباى الى عسكر السلطان سليم وهم
ملبسين بالملابس الفاخرة كل من راهم يتعجب في خلقهم وحسن
خيلهم وهندامهم وهم كالعرائس واصطفوا صفا واحدا فلما
دخلوا ووقفوا بين يدي السلطان سليم من غير اطالة نظر اليهم
مليا وامتلأ من الغيظ ثم قال للامير مغلباى يا مغلباى استاذك
ما كان عنده رجل من اهل العلم يرسله لنا وانما ارسلك بهؤلاء العشرة
يرعب بها قلوب عسكري ويخوفهم برؤية اجناده ولكن انا اكيده
بكيدة اعظم من مكيدته ثم امر برمي رقبة مغلباى وجماعته
وعيط من صميم قلبه بجلادفار تجفت قلوب الحاضرين لذلك
فقام الوزير يونس باشا وقبل الارض بين يديه وقال الرسول

لا يقتل وليس له ذنب فقال لا بد من ذلك فقال الوزير فان
كان ولا بد فابق على كبيرهم مغلباى فأمر بحبسه ورمى رقبة
العشرة قدام اوطاقه واحدا بعد واحد وهو ينظر اليهم وحبس
مغلباى بقلعة رملطويومين ثم احضره وحلق ذقنه والبسه
طرطورا وركبه على حمار اعرج معقور وقال له قل لاستاذك
يجتهد جهده وها انا حضرت اليه كالبرق الخاطف والرعد
القاصف ولم يقدر مكاتب الغورى لشدة غيظه لانه لما رأى
مغلباى والعشرة الملبسين بالحديد المانع فهم بالفراسة انه
ما ارسل هؤلاء الا لخوف عسكره من شدة باسهم وفرسانهم فلما
رجع مغلباى للغورى على هذه الصفة عسر عليهم ذلك واقامت
نفوسهم على قتال السلطان سليم بعدما كانوا يظنون انهم انما جاؤا
للصلح بين شاه اسماعيل والسلطان سليم ثم امر الغورى بان
يخرج العسكر من مدينة حلب الى اوطاقه ويتهيوا للقتال وامر
الامير كرتباى الوالى بان يكشف خبر السلطان سليم وعسكره
ويرجع على الفور ليمشى عليه ويبادر للحرب فلما وصل كرتباى الى
قيصرية وجد اهلها قد قفلوا ابوابها وتأهبوا للقتال اهل مصر
لما بلغهم ما فعلوه فى حلب واهلها من اخراجهم من اماكنهم
ونهب اموالهم وغصب نسائهم وبناتهم ثم وجد ايونس
باشا نائب عنتاب عزل حرمه وماله وهو معول على الرحيل الى
السلطان سليم وقد قلب على ابناء جنسه وما لمع الرومى فرجع
كرتباى الوالى واخبره بأن قيصرية وعنتاب عصوا علينا واردوا
قتالنا وما لوا مع السلطان سليم وجاءنا الخبر بأن طلائع عسكره
قد اقبلت فلما تحققنا ذلك عطفنا راجعين فارتج عسكر مصر
لذلك ووقع فيهم الخلل فعند ذلك انتبه الغورى من سباعته
وجمع الامراء والاعيان وتحالفوا على ان لا احد منهم يخون صاحبه

ويكونون

ويكونون على قلب رجل واحد ويقاتلون عدوهم بعد ان كان
غالب العسكر مايظن الا الصلح بين السلطان سليم وبين
شاه اسماعيل واما يونس نائب عنتاب فانه ندم على
فعله مع كرتباى الوالى وقال فى نفسه ربما تكون النصرة لهم
فلا أمن على نفسى ولكن اجعل لى معهم وجها وركب من ساعته
الى ان تمثل بين يدى الغورى وزعم ان السلطان سليما قبض
عليه وانه هرب منه وجاء الى مولانا السلطان مساعدا له
على عدوه فلم تنطل حيلته على السلطان ثم امر بتوسيطه فى الوقت
والساعة فوسط والامراء والاعيان كلهم مجتمعون فقام من
بينهم الامير سيباى نائب الشام وقبض على خيربك نائب حلب
وجره من طوقه بين يدى السلطان الغورى وقال يا مولانا
السلطان اذا اردت ان الله ينصرك على عدوك فاقتل هذا الخائن
وكان خيربك فى يده كالشاة بين يدى السبع وهو يجره فقام الامير
جانبردى الغزالى وقال يا مولانا السلطان لاتفتن العسكر
وتبدأ فى قتال بعضهم بعضا وتذهب اخباركم الى عدوكم ويزداد
طمعه فيكم وتضعف شوكتكم والرأى لكم وتأخر فى مكانه وهذه
مكيدة من الغزالى والا كان خيربك قد هلك ولكن اذا اراد الله
تعالى بأمر بلغه ولى ماله قاتل فأمرهم السلطان بأن يتحالفوا
ثانيا وان لايخون منهم احد والخائن يخونه الله تعالى وعليه لعنة
الله ثم امر السلطان ان ينادى فى حلب بالرحيل منها بالعسكر
لقتال السلطان سليم وان يتأهب كل احد ويستعد لنفسه
وكان ذلك فى يوم الجمعة الثانى من رجب سنة اثنين وعشرين
وتسعمائة وكان له مواكب حتى رجت الارض وليس الخبر كالعيان
وكان الجلبان ثلاثة عشر الف مملوك كلهم مشتروات الغورى
ولا واحد منهم الا ويعرف سائر انواع الحرب والفروسية فانه كان

جهد فى تعليم الجلبان وكان قصده ان ينشئ له عسكرا من مماليكه
مشتراته ويقطع القرانصة وهم مماليك الملوك الذين قبله
وكان يحسب حسابهم خوفا من ان يمكروا به كما فعلوا بمن قبله
وكان آخذا حذره ولكن الحذر لا ينفع من القدر والقاعدة
المشهورة من طلب جله فات كله وكان معه الاربعة الائمة من
المذاهب الاربعة وخليفة سيدى احمد البدوى وخليفة سيدى
ابراهيم الدسوقى وخليفة سيدى احمد الرفاعى وخليفة سيدى
عبد القادر الجيلانى وكان معه المؤذنون الدواخل والوعاظ
وكان له نظام عظيم فانخرم ذلك النظام وانتكست تلك
الاعلام ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

ذكر التقاء الجمعين

ولما التقى الجمعان فى مرج دابق وكان فى اول الجيش امير كبير سودون
العجمى وازكماس امير سلاح وخشباى امير مجلس وكان امير اخور
سيدى محمد بن السلطان الغورى اقام فى حلب بأمر والده وكذلك
دواداره صاحبنا الاشرفى ومن كان فى مقدمة العسكر سودون
الدوادارى رأس نوبة النواب وانس باى حاجب الحجاب وقانصوه
ابن السلطان جركس وكان من الابطال وتمر الزردكاش
وجانبلاط ابو ترسين وتانى بك الخازندار وازبك المكحل وبيبرس
ابن عم السلطان وباتوا تلك الليلة على غير حرب ولكن لم يهنأ
لاحد منهم نوم من مكر بعضهم لبعض

وكان ابتداء الحرب يوم الاحد المبارك

الثالث والعشرين من رجب سنة ٩٢١ فلما اتضح النهار ركبوا كالبحر
الزاخر فاذا اصفوف العثمانية قد بانت صفا بعد صف خارجا
عن الوصف والاعلام الملونة من اليسار واليمنة وهم سائرون
كالبحر السيال والمحيط الميال وقد رتبوا الصف من كل طرف فاذا

طير من الطرف الكبير الذى فيه السلطان سليم مدفعا كبيرا كالبرق الخاطف والرعد القاصف تزلزلت منه تلك الصحرا وطلع دخانه كالجبال الزرقا فكان اول من بادر العثمانية بالحرب من طائفة الجراكسة اصلان ابن بداق نائب حمص لخذ قطار بيده واطلق عنان جواده وصار يطعن فى الفرسان يمينا وشمالا فلما رأى الامراء فعل اصلان ابن بداق فى حملته اخذتهم الحمية فحمل الامير سيباى نائب الشام ثم حمل امير كبير سودون العجمى ومماليكه خلفه نحو الالف ملبسين ثم حمل الامير جانبلاط ابو نبر ثم الامير علان دوادار ثانى ثم حمل قانصوه ابن السلطان چركس ثم حمل كرتباى الوالى وكان فارس المنايا والموت الزوام فلله دره من شجاع كان فريد عصره ثم حمل تمر الزردكاش وخشبا امير مجلس والامير انس باى حاجب الحجاب والامير قنصوه كرت والامير تانى بك الخازندار والامير تانى بك النجمى والامير بيرس ابن عم السلطان الغورى والامير قانصوه ابو سنه والامير الفاجر والامير خير بك المعمار والامير جانبردى نائب بيروت والامير جانبردى الغزالى وخير بك نائب حلب وكلاهما كان رأس المتعصبين على الغورى والامير نمراز نائب ترابلس وحملوا حملتهم حملة واحدة وصادموا الروم وصالوا فى القتال والروم الاغرون لاقوهم كالاسد الدخال قال الشيخ احمد بن زنبل المحلى ولم نر فى التواريخ القديمة والحديثة وقعة مثل هذه الوقعة ولا اجتمع فيها مثل هذين العسكرين ولا اكثر عددا قال ولم يقاتل فى هذا اليوم من الجراكسة اكثر من الفى فارس وهم الامراء الذين قدمنا ذكرهم واتباعهم واما جلبان الغورى الذين هم مشتروا ته فلم يتحركوا من مواضعهم ولم يهزوا رمحا ولا جبذوا سيفا وسبب ذلك ان الله تعالى لما اراد ازالة دولتهم اوقع فى

الخلف لامر يقضيه وحكم يمضيه وعلى ما قيل ان السلطان
الغورى امر بان اول مرة يخرج للحرب الفرانصة لكونهم
اعرف بالحرب من الجلبان وكان قصده ان ينقطع القرانصة
ليكتفى شرهم ويصفو له الوقت فانه كان يحسب حسابهم خوفا
من مكرهم فامر بتقديمهم للحرب واخر جلبانه فعلموا مكره
لما راوه واقفا هو وجلبانه لم يتحرك منهم احد عن موضعه
فتغيرت نياتهم عليه وقالوا له نحن نقاتل بانفسنا مع النار
وانت واقف تنظر الينا كالعين الشامتة ما تامر احدا من مماليكك
يخرج للميدان فكان العسكر كله مختلفا فى بعضه مفسود
النية ليس لهم راى يرجعون اليه ولا تدبير يقفون عليه
بل كل من تكلم كلاما يقول الاخر بضده فمن ذلك اخرم نظاما
واما الامراء الذين تقدم ذكرهم نحو الاثنين هم ومن يلوذ
بهم اعتمد واعلى الله تعالى فى حملاتهم واصفوا نياتهم وصدموا
الروم وضرب الروم بالمدافع والبندقيات حتى صار النهار
كالليل الحالك من كثرة الدخان والغبار من حوافر الخيل لانهم
كانوا يقاتلون من قلب رجل واحد ونيات متفقة ليس لاحد
منهم فى قلبه غل ولا مكر ولا حسد لاحد وهذا احسن ما يكون
لمن يريد النصر ولقد اجاد القائل اذا اراد الله بقوم خيرا وفق
بينهم واذا اراد الله بقوم شرا فتنهم واوقع الخلف بينهم
ومن اعجب ما يكون من العجب ان هؤلاء القوم القريبين من الالفى
فارس المتقدم ذكرهم من الجراكسة يقاتلون قتال الموت فى نحو
مائة وخمسين الفا من الروم والترك ما بين الوف مشاة ومثلهم
خيالة من عسكر الروم ثم حطموا عليهم حطمة واحدة فبينما
هم كذلك الا والسلطان سليم رمح حصانه من قلب الصف الكبير
حتى وصل الى الصف الوسطانى وفى يده سيف عمر بن الخطاب رضى

الله عنه وصاح على عسكره هكذا تعاركون قدامي مع عدوي
وعبط على الباشات فلما نظر الروم الى ذلك ردوا على الجراكسة كالمجانين
اذا سال بعرض الوادي فترجع الجميع واطلقوا المدافع والبندقيات
وحملوا على الجراكسة وعبطوا لله الله فكانت الكسرة على الجراكسة
وطيروا الجراكسة والعربان والمشاة مثل القطر في الثرى وصار
النهار عليهم مثل القيامة الكبرى وكان يجئ كل مدفع على نحو
خمسين او ستين او مائة نفس فصارت تلك الصحراء كالجزرة
من الدماء ومازال الروم والسلطان سليم سائرين حتى جاوزا
الى صف الغوري فرجع خير بك والغزالي مع من انهزم من الجراكسة
حتى دخلوا وطاق الغوري وتنادوا بالعلى صوتهم الفرار الفرار
فان السلطان سليما احاط بكم وقتل الغوري والكسرة علينا
وانثنى طالبا حلب فتبعه الجلبان وتشتت العسكر وظنوا ان
السلطان قتل كما قال لخير بك وانما فعل ذلك بغضا ومكيدة مع
الغوري والسلطان الغوري واقف مكانه وحوله بعض الجلبان
القريبين منه واما البعاد عنه فانهم ظنوا انه قتل فانهزموا مع
خير بك قاصدين حلب فلما علم الغوري بما جرى لعسكره ممن تشتت
صار ينادي عليهم باعلى صوته يا اخوات الشجاعة صبر ساعة فلم
يلتفت اليه احد منهم وكان امر الله قدرا مقدورا وكل ذلك
بغضا منهم لسلطانهم فانه كان يريد ان يقطع القرانصة شيأ
فشيأ ثم يستقل هو بجلبانه ويصفي له الوقت والسلطنة ولقد
قال اهل المعرفة من طلب جله فات كله ولا تعاند تغلب لو انك
السلطان فتقدم الامير سودون العجمي امير كبير وقال له يا مولانا
السلطان اين جلبانك ابن خاصيتك هكذا عملت بنا ولا زلت
قائما في حظ نفسك حتى اهلكت نفسك واهلكتنا معك ولكن
القيامة تجمع بيننا وبينك وسنقف بين يدي مولانا سبحانه وتعالى

يحكم بيننا بالعدل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم
التفت عن يمينه فوجد الامير سيباى والامير اقباى الطويل والامير
علان والامير اصلان بن بداق ومن يشبه هؤلاء من القرنصة
الاعيان وهم واقفون متجهزون فان جيشهم انكسر قهرا وعاسى
ان تقاتل مائة نفس في مائة وثمانين الف نفس ولكنهم مع قلتهم
اوقفوا هذا الجيش العظيم ولم يقدر احد منهم ان يتقدم ثم عيت
هذه الطائفة القليلة من الضرب والقتل والكثرة تغلب الشجاع
وما زال الغوري حتى بقي وحده وخلفه حامل السنجق امير اللواء
وكان رجلا كبير السن من مماليك اينال الاجرود فمن شدة ما حصل
للغوري فانه انكسر قهرا ووقع على الارض مغشيا عليه

ذكر قطع رأس السلطان الغوري مع السلطان سليم

قال فلما وقع السلطان الغوري على الارض رمى حامل السنجق
الرمح واخذ القماش المطرز وكان يساوي ثلاثة الاف دهب فقال
الامير علان لاقباى الطويل ما ترى في امر السلطان قال له قل ما
عندك قال ان نحن تركناه ورحنا وخليناه يأتي العدو فيقتاونه
ويأخذون رأسه يطوفون بها جميع بلاد الروم قال فما الرأي قال
الرأي نقطع رأسه ونرمي بها في هذا الجب والجثة بلا راس لا يعرفها
احد قال نعم الرأي فأمر الامير علان عبدا من عبيده فقطع راس
السلطان الغوري ورمى بها في جب هناك ثم ولى الامير علان
الى ناحية حلب واما الامير اقباى الطويل فانه طلب ناحية العجم
واقام بها الى ان مات واما الامراء الذين انهزموا بالقتال مع الروم
فانهم فاض عليهم بحر المنايا وزاد وابلتوا بعساكر ملأت
السهل والواد واجتمع عليهم ذلك الجمع الكثير وخاضت خيولهم
في بطون القتلى فقاتلوا قتال من قطع من الدنيا اياسه فقصدهم
الرماة بالبندق فوقع الامير سيباى والامير سودون العجمي واما الامير

قانصوه

قانصوه بن السلطان جركس فانه لا يزال يضرب بالسيف حتى
خرق عسكر الروم وطلع من ذلك الجانب على حمية فلما خلص
شم الهواء وردت روحه اليه بعد ان كان ايس من الحياة والف
حسنة لرجل خرج من بين الوف ولكن اذا جاء امر الله قضى
بالحق والامر لله فيما قضى فوقع فى نهر هناك ينبت فيه العرفسوس
فالتفت على قوائم الفرس فغرق وكانت عسكر الروم تنظر
اليه على بعد فلما رأوه فى هذه الحالة طمعوا فيه واحاطوا به
فقبضوه وعروه من الملبس فقطعوه بسيوفهم واما الامراء
فغالبهم تشتت فى البلاد وغالبهم قتل وانهزمت تلك الجموع
فتمكن عسكر السلطان سليم من اوطاق الغورى واخذوا
كل ما فيه وكان شيئا يفوق الوصف من الذهب والفضة والقماش
المقطرة ومن البرق والملبوس والتحف التى جمعتها الملوك السالفة
ذهبت كلها ونهبت فى يوم واحد وذلك بالنسبة لما ابقاه
السلطان فى قلعة حلب وما اودعته الامراء والاجناد عند اهل
حلب وهو شئ لا ينحصر قليل جدا ومما نقل ان السلطان الغورى
لما خرج لملاقاة العثمانية اخذ معه مائة قنطار ذهبا دنانير
ومائتى قنطار فضة انصافا وكان قصده ان يجعل ذلك
نفقة للعسكر ونوى انه لا يزال ذاهبا حتى يصل اسلانبول
ويأخذها من يد السلطان سليم وسبب ذلك ان السلطان
سليما ارسل له كتابا على سبيل النصيحة وغالبه تهديدا كالسم
فى الدسم ومن جملة ما فيه انه قال ان لم ترجع عما انت فيه
من الظلم والعناء على المسلمين والا جئتك بعسكر من الروم
واخرب مصرك عليك فكان هذا الكلام من جملة السبب
المحرك للغورى على خروجه لحرب السلطان سليم فارسل فى
الجواب انا لا احوجك لمجيء الينا ولكن ناهب للقاء الابطال

وتنظر كيف تفعل الرجال وصدق فى قوله لانه افحم قلوب عسكره واهلك غالب الامراء من القرانصة فكرهته العساكر كلها وماخرجوا معه الا وكل منهم يتمنى ان لا يرجع الى مصر وكان هذا من سوء تدبيره وكل ذلك حتى يجرى القضاء والقدر قال الراوى وبات السلطان سليم فى مرج دابق ثم اصبح وامر ان تعد القتلى من الفريقين فوجدوا الذى قتل من الجراكسة الف نفس واكثرهم من المدافع والبندقيات والذى قتل من عسكر الروم اربعة الاف ثم وجد فى القتلى رجل عظيم من الجراكسة وعليه من الملابس الفاخرة ما يناسب الملوك وعليه من الهيبة والوقار ما لا يوصف ووجهه يتلألأ نورا وقد جاء مضروبا فان اخذ فخذه فجئ ببعض من يعرف الجراكسة فوجده سودون العجمى اميرا كبيرا فامر به السلطان سليم فغسل وصلى عليه وامر بدفنه فكان تراب فى زاوية هناك تسمى زاوية الشيخ ابى النور القارى واما ما كان من امر الجراكسة فانه لما وقعت عليهم الكسرة نهب بعضهم بعضا وصار كل انسان منهم يأخذ ما قدر عليه وكل من كان له عدو وقدر عليه قتله ولكل شئ آفة من جنسه وانظر الى قوله تعالى ولا تنازعوا فتفشلوا الاية * وقوله تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية الاية وقوله تعالى واذا اراد الله بقوم سوء فلا مرد له ثم ذهب غالب العسكر قاصدين الحلب فمنعهم اهل حلب لشدة ما قاسوا منهم حين مجيئهم مع الغورى فتشتت شملهم وذهبت حميتهم وانكسرت شوكتهم بعد تلك القوة والمنعة العظيمة والبأس الشديد وكان سبب سعادة اهل حلب من هذه الوقعة فانهم كانوا اودع عندهم الجراكسة جميع اموالهم وخرجوا على اجرائد الخيل فطمعت فيهم اهل حلب وصدوهم عن الدخول لاجل ذلك ولما

خيربك فانه دخل حلب واخذ سيدى محمد بن الغورى وكان
ابقاه ابوه على خزانته واموالة بقلعة حلب فاخبره بأن شهسوار
نازل على جيلان بعشرين الف فارس وهو قاصد اخذك واخذ
حلب فقال سيدى محمد فما الرأى يا امير خيربك قال الراى
ان تنادى فى العسكر بالرحيل الى مصر ويجتمع اليك بما شئت
من العسكر وتكون ملك مصر موضع ابيك وانا مساعدك فى
ذلك فصمم فى ذلك ونادى فى حلب بالرحيل الى مصر ومن
له رغبة فى المسير الى مصر فليتبعنا فخرجت الناس على وجوههم
وتركوا اثقالهم واموالهم واختاروا سلامة الروح وكانت
مكيدة وخرجوا من حلب كالهاربين وفعل ذلك خيربك حتى
يأخذ حلب للسلطان سليم من غير حرب وكان الامر كذلك فانه
ارسل الى السلطان يخبره بما فعل وانك تسير فى هذا الوقت
الى حلب فانها خالية من العسكر المصرى واما عسكر حلب فمن
اطاعنا ابقيناه فجاء السلطان سليم بموكبه ودخل حلب من
غير حرب واطاعته الرعايا والعساكر فملكها واخذ الاموال
التى وجدها ونهب الغالب وتلاشى امر ابن الغورى وما دخل
مصر الا فى اسوء الاحوال واذا اراد الله بأمر بلغه قال الراوى
فلما خرج ابن الغورى من حلب قصد دمشق الشام فخرجت عليه
العربان فنهبت اثقاله واثقال من معه ومن قدر واعليه ولولا
الامير ابرك رأس الجلبان والامير قنبردى الغزالى والا كانوا
نهبوا جميع العسكر فان العسكر مات قلوبهم والقى الله تعالى
فى قلوبهم الرعب فما دخلوا دمشق الا فى سوء الاحوال فضاقت
عليهم دمشق وغليت الاسعار فأقاموا بها ثمانية عشر يوما وارادا
الامير قنبردى الغزالى ان يتسلطن فمال الامير ابرك اولى بها تكون
السلطنة ان تكون لابن السلطان فأجابه الجلبان جملة واحدة

وبعض من القرانصة نعم فلما سمع ذلك الامير قنبردى الغزالى
أيس من السلطنة فشرع فى الملاحاة عليهم وفى تعكيس امرهم
وكلما دبروا امرا تحصل منه منفعة يسخطهم فيه فقام الامير
علان وقال تحن السلطنة بمصرام بالشام قالوا بمصر قال
فاذهبوا الى مصر واجتمعوا بمن بها من الامراء واتفقوا على
انسان تختارونه وسلطنوه فان السلطنة لا تصلح لاحد
الا لشجعنا واعقلنا وخصوصا نحن فى اضيق الاحوال وعدونا
فى طلبنا كيف نسلطن علينا ولدا صغيرا وان كان هو ابن السلطان
ليس فيه كفاءة وقدرة على السلطنة على هذا الوجه وهذا
الحال فاستصوبوا رأيه وما قصده الا ان تكون السلطنة
له فانه كان من الفرسان المخبورة المشهورة وكل انسان مايريد
لحظ الا وفر الا لنفسه فاقتضى رأيهم بالتوجه لمصر وابن
الغورى معهم كاحاد الناس لا يلتفتون اليه واما القرانصة
الرؤس كل منهم يتمنى ان يكون هو السلطان ولا يكون الا
مايريد مولانا سبحانه وتعالى ثم خرج العسكر من الشام قاصدين
مصر فقالوا للغزالى من يحفظ الشام قال الامير ناصر الدين
ابن الحنش فارسل خلفه وخلع عليه خلعة تليق بمقامه فانه
كان من اعيان شيوخ العربان بتلك الديار وقال له البلاد
بلادك تسلم حفظها حتى ننظر الامر كيف يكون ثم ذهب الامير
قنبردى الغزالى مع العسكر الى مصر وهو كان من اهم الغدر الذين
لم يسلطنوه واضمر على معاكستهم ومال بقلبه الى رأى خيربك
فى تحريض السلطان سليم على اخذ مصر فانه كان قصده
الرجوع من حلب الى الشاه اسماعيل وما قصده اخذ مصر ولكن
اطمعه فى اخذ مصر خيربك والغزالى فما زال الامراء والعسكر
سائرين الى ان دخلوا مصر ليلا وهم فى اسوء الاحوال فنزل قنبردى

الغزالى فى بيته وابن الغورى فى بيت ابيه الذى بناه له فى البندقانيين
وهو الذى هدمه الحمزاوى وجعله خانا للتجار وبقية البيت
باقية الى الآن وهى القاعة العظيمة وما حولها وبابها من ناحية
سر الغورية فسبحان من يغير ولا يتغير وكان الامير انس باى حاجب
الحجاب فى رأس حدرة البقر عن يمينك وانت متوجه الى
الصليبة وهو يعرف الآن ببيت حمزة الذى مات فى اليمن
وتمر الزردكاش فى البيت الذى فى ازائه وبيت الامير تانى
بك البجمى فى حدرة الصليبة عن يسارك وانت قاصد الكبش
وبيت الامير ازبك المكحل فى رأس الدابغ عن يسارك الذى كان
فيه المرحوم عثمان بيك قائم مقام وبيت قانصوه الفاجر اسفل
منه من ناحية باب زويله وبيت بخشباى بجاهه وبيت ابرك
رأس الجلبان فى رأس الصليبة من ناحية الكبش وبيت الامير
طومانباى دوبدار كبير على بركة الفيل وبيت الامير علان على
بركة الناصرية بجوار مدرسة امير اخور وبيت قانصوه كرت
بالقرب من قناطر السباع وانت قاصد مصر القديمة بجوار
مدرسة لاجين وبيت ابن السلطان جركس بقرب سيدى
عماد الدين وبيت تغطباى نائب القلعة بقرب حمام بشتاك
التى فى رأس سويقة العزة من داخل الدرب وهو الذى كان
ساكن فيه قايداغا ناظر الدشيشه وبيت اركماس امير مجلس
فى الازبكية فى بيت ازبك وتانى بك الخازندار فى بيت الامير
ماماى الذى هو الآن بيت قاضى العسكر وسودون الدودار فى
بيت جانبلاط بالقرب من الخرنفش مقابل مدرسة الباسطية
وبيت قانصوه ابو سنه فى رأس سويقة العزة من ظاهر الدرب
وبيت خوش كلدى فى التبانة بجوار سويقة البقلى وافباى الطويل
فى بيت ترابيه وبيت الامير قانصوه رجله فى الرميلة وبيت

جانبلاط ابو ترسين في سويقة صفية وبيت كرتباي الوالي
في رأس سويقة العزة وانت قاصد باب زويله وكانت مصر
بهذه الامراء كالعروس المجلية وكل امير من هؤلاء كالملك المنفرد بنفسه
وكل من في حارته عايش في رزقه وفي حمايته فسبحان من لا يحول
ولا يزول ولا تراه العيون وبيت قانصوه اصقله بباب الخلق
بالحدرة وانت قاصد سويقة صفية وهو مشهور الى الآن
وكان يأمر السياس بان يصقلوا جلد الحصان حتى يصير يلمع
كالمصقول من الثياب فلهذا سمي اصقله وكان بيت الامير سودون
العجمي في رأس سويقة السباعين على يسار القاصد للسويقة المذكورة
فرحم الله تعالى تلك الارواح

ذكر اجتماع العسكر بالعسكر المقيم بمصر

ونرجع الى اجتماع العسكر بالعسكر المقيم بمصر وحكاية ما وقع لهم
وكيف كسروا قهرا باختلافهم في بعضهم وملاحاتهم على سلطانهم
فانهم تسببوا في هلاك سلطانهم وهلاك انفسهم وكل ذلك
ثمرة العناد كما قال القائل ولا تعاند تغلب ولو انك سلطان
ثم اجتمع الامراء والاعيان في ثاني يوم بقلعة الجبل فاقتضى رأيهم
جميعا سلطنة طومانباي وبايعوه على السلطنة في يوم الاحد
خامس عشر شهر رمضان سنة تسعمائة اثنين وعشرين وكانت
سلطنة قانصوه الغوري في سنة ست وتسعمائة وكان رحمه
الله غليظ الجثة كبير البطن متوسط الطول كبير اللحية والوجه
ورزق من الاولاد الذكور بثلاثة ولم يعش له منهم سوى سيدي
محمد وقد اخبر ولده هذا عن والده الغوري انه عاش من العمر ستا
وسبعين سنة وقيل ستا وثمانين سنة ولما بايعوا طومانباي
على السلطنة اراد ان يقبض على سيدي محمد بن الغوري ويأخذ
ما معه من المال فقام الامير ايرك رأس الجلبان وقام معه من بقي

من الجلبان وقال لا سبيل الى اذى ابن استاذنا بوجه من الوجوه
حتى تذهب ارواحنا يهلك استاذنا بينكم ويغلب فجروا تريدون
ان تهلكوا ولده الأخر فلا كان ذلك ابدا الا ان هلكنا جميعا
فقالت القرانصة وكان المتكلم منهم الامير علان والامير كتباى
الوالى فانهم كانوا عرضوا طومانباى لما يعلمون من دينه وصلاحه
وشجاعته وفروسيته وليس الخبر كالعيان للجلبان
مهما حصل لابن استاذنا فى عرضنا وفى ذمتنا وانكم تعلمون
ان طومانباى رجل صوفى فقير من الدنيا وليس معه ما يقوم
بنظام السلطنة وقصدنا نأخذ من ابن استاذكم قدر ستين
الفا يدفعها لطومانباى يستعين بها على لقاء العدو والقادمين
علينا واما ابن استاذكم فانه ولد صغير ليس فيه كفاية لذلك
فاستحسن الجلبان هذا الكلام وخلوا ما كانوا عزموا عليه من
القيام على طومانباى هذا ما كان من امر الجراكسة واما السلطان
سليم فانه اقام بحلب نحو العشرين يوما وكان مع الغورى خلفاء
المشايخ مثل خليفة سيدى احمد البدوى وسيدى عبد
القادر الجيلانى وسيدى ابراهيم الدسوقى وامثالهم فلما
وقعت الكسرة على الغورى بقيت المشايخ المذكورون بحلب
فلما سمعوا بان السلطان سليما قادم الى حلب خافوا من سطوته
فأخذوا فى الذهاب الى نحو الشام فلما رآهم على بعد مع الرايات
والاعلام قال ما هؤلاء قالوا له هؤلاء خلفاء المشايخ كانوا
جاؤا مع الغورى فلما كسر خرجوا يريدون الذهاب الى مصر
فأمر باحضارهم فلما مثلوا بين يديه امر برمى رقابهم واحدا
بعد واحد ولم يرحم منهم كبير الكبره ولا صغير الصغره فقتلهم
عن آخرهم فرحمهم الله اجمعين وكانوا يزيدون على الف رجل قدر
الله عليهم ذلك ثم امر بالتوجه الى الشام وكان المشير له بذلك

خيربك ولما قدم على الشام امر باحضار على نائب القلعة فشنقه
لاجل عدم تقدمه على استقباله وشنق غالب جماعته وكان
السلطان سليم له اقدام على قتل النفس لا يفكر فى قتل احد وكان
الامير خيربك والامير ناصر الدين بن الحنش شيخ بلاد الدوادار هم
المساعدون للسلطان سليم على مراده ليصير لهم عنده يد وتصير
لهم مزية على سائر اهل البلاد ومن كان لهم عنده غرض يبقون
عليه قال الراوى ثم قوى عزم السلطان سليم على المجئ الى ارض
مصر وما حرضه الى مصر الا خيربك فانه قصد الرجوع الى
بلاده بعد اخذ حلب والشام كما فعل قبله السلطان تيمورلنك
خان فانه كان اخذ حلب وبر الشام بجملته واخرب الشام
وحلب مرة واحدة وافسد العباد والبلاد وهتك حرمان الله
فاخذه الله اخذة رابية وكان قصده اخذ مصر من يد
سلطانها قراجا بن قرقوف تخشى ان يتحول فعمل السكة والخطبة
فى مصر والحرمين باسمه فعاد على عقبه وكذلك السلطان
سليم لما اخذ بر حلب والشام قصد الرجوع الى بلاده فاغواه
خيربك وقنبردى الغزالى وناصر الدين بن الحنش على التوجه
الى مصر وضمن له خيربك اخذ مصر وذلك مكرهنه فانه علم
انه ان رجع السلطان سليم الى ارض الروم لم تبق الجراكسة على
خيربك ولو ذهب الى تخوم الارض فما ساعده الا انه التزم
للسلطان سليم باخذ مصر ان شاء السلطان فقال له السلطان
سليم واتى باخذ ملك مصر وجميع العسكر اجتمعوا بها وقد
اخذوا اهبتهم وسلطنوا عليهم طومانباى وهو مشهور
عندهم بالشجاعة والفروسية ولا بد لهم من امر يريدونه
ونخشى التجوين فى بلادهم وبعد المسافة بيننا وبين بلادنا
فقال خيربك ان العسكر الذين رجعوا من بعد الكسرة

انقطعوا

انقطعوا وانقطعت قلوبهم لاسيما والخلف واقع بينهم
فانهم جميعهم مختلفون وكل من الامراء الاعيان قصده هلاك
الآخر فحيثما كان كذلك فلا تخش من شئ وانت منصور ينصرك
الله لك وقرأ قوله تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم فطابت
نفس السلطان سليم على التوجه الى مصر واخذها ولو فنى
نصف عسكره

ذكر كتابة مرسوم الى السلطان طومانباى

قال ثم امر بكتابة مرسوم الى السلطان طومانباى ملخصه انى
اريد ان تكون الخطبة والسكة باسمى وانت نائبى عنى وابقيك
على ما انت عليه فلما وصل المرسوم الى طومانباى قرأه وفهم
معناه وطابت نفسه على ذلك لكونه فيه حقن دماء المسلمين
فقدر الله تعالى ان الامير علان طالع الديوان واذا قد كتب
منه التقاته فرأى ولاقية السلطان سليم واقفين تحت الديوان
والناس ينظرون اليهم وقد اشيع الخبر بان السلطان سليما ارسل
يطلب ان تكون السكة والخطبة باسمه فلما رآهم الامير علان
لم يتمالك من نفسه الا ان جذب سيفه وضرب اعناق الاولاقية
بيده وكانوا ثلاثة انفار وطلع الى السلطان طومانباى وهو
مملوء من الغيظ وقال له اصحيح ما قيل قال نعم قال فما الذى حملك
عليه قال اوافقه على ما اراد واكون سببا فى حقن دماء المسلمين
وبقاء كل واحد فى وطنه فانى علمت من كلامه انى اذا لم اجبه تحصل
عظيم وعلى كل فهو قادم علينا ولا محالة وعلمت ان العسكر كلهم مختلفون
وليس فيهم احد مع احد وما اظن الا ان الله تعالى اراد زوال
ملك آل جركس من هذه الديار فما رأيك انت قال رأيى أن
نقاتل عن بلادنا وحريمنا وارزاقنا ونقتل عن آخرنا قال
ولكم صبر على القتال قال هذا اسهل ما يكون فانى قاتلتهم فى مرج

دابق وعرفت حالهم فانه ليس عندهم معرفة بالفروسية ولا
ركوب الخيل وانما غاية ما عندهم الرماة بالبندق والمشاة فنحن
اذا صادمناهم ندكس عليهم دكسة واحدة ندعكهم تحت رجل
الخيل ولعل الله تعالى يمكننا منهم ومن سلطانهم نأخذه أسيرا
ونجعله مثلا ليوم القيامة فلما رأى طومانباى عزم الامير علان
على الحرب وانتشر الامر فيهم من اجاب الى ذلك واختار الحرب
والطعن والضرب ومنهم من اختار الصلح فقام عليهم الامير
علان والامير كرتباى الوالى وشنعوا عليهم بالكلام وذموهم
فما ساعدهم الا انهم اتفقوا على الحرب والدفع عن الحريم والاولاد
واما السلطان سليم فلما رجع له الخبر بأن اولاقيته قتلوا بمصر
ارسل خلف خير بك فلما حضر امره بالجلوس فجلس وكان السلطان
يحب خير بك لانه لا يأتيه الا على مراده فان السلطان سليما كانت
همته عالية ويحب ان يكون رأس المماليك وهو من كان خادما للحرمين
الشريفين فقال السلطان سليم لخير بك ما الرأى عندك قال
نركب الى مصر نأخذها ونقطع هذه الطائفة الجراكسة من ارض
مصر جملة واحدة واناضامن لك هذا الامر بعناية الله تعالى
فالتفت السلطان ليونس باشا وقال له ما تقول فقال اقول ان
السلطان يأخذ من غزة الى الشام ويترك لهم مصر فاننا ان مشينا
عليهم وتجونا فى بلادهم ما نأمن على انفسنا ان حصل لنا كسرة
لا سيما وعندهم من العربان ما لا يحصى عددا والعربة تركن اليهم
اكثر منا لانهم معتادون عليهم ومنهم من هو مصاهرهم وننتدم
حيث لا ينفعنا الندم فتألم السلطان لهذا الكلام من يونس باشا
وحقده فى قلبه ولكنه اسرها له فى نفسه حتى قتله وسيأتى
ذكر ذلك فى موضعه ان شاء الله تعالى

ذكر خروج السلطان سليم الى مصر

قال ثم ان السلطان سليما امر بالرحيل بعد ثلاثة ايام الى ارض
مصر واقاطوما نباى فانه لما رأى الامراء من الجراكسة معولين
على الحرب جمعهم وضرب المشورة على من يكون باشا على العسكر
فاتفق رأيهم على ان يكون جانبردى الغزالى وكان ذلك اول
عكسهم لكونه ملاحيا عليهم فى الباطن وكان جملة العسكر الذين
خرجوا معه فى هذه التجريدة عشرة الاف عسكريا وعشرة متقدمين
من الالوف وثلاثة من الامراء الاربعينات وثلاثين من الامراء العشرات
ومن الامراء المتقدمين من الالوف العشرة المذكورين جانبردى الغزالى
نائب اسكندرية وقانصوه ابوسنه وقانصوه كرت وتقطباى
نائب القلعة ومن الامراء الاربعينات برسباى الشهبى وقرقماس
والامير مسد وجانبردى والامير قايتباى نائب الكرك ومن
العشرات الامير خوش كلدى وقانصوه استدار صحبة والامير
جانم دوادار وسيدى محمد بن الغورى واخوه جانبك وقرقاس
الشريفى ولم يسافر فى هذه السنة الحج لان السلطان كان مشغولا
بالحرب ثم خرج العسكر فى اول شوال سنه اثنين وعشرين فلما وصلوا
خان يونس واذا بعسكر السلطان سليم قد اشرف فوقف كل
من العسكرين وارسل كل منهما فارسا يكشف الخبر فلما اجتمع الفارسان
سأل بعضهما بعضا فكل منهما اجاب عن قومه ثم افترقا ورجعا
واخبرا الامراء فلما تحقق كل من الفريقين الخبر تهيؤا للقتال ورتبوا
ترتيب الحرب ودكست الجراكسة بالخيل العربيه دكسة تهد الجبال
فلاقتهم اليكچرية برش بندق فخلت الارض اكثر من الواقف فدكس
الغزالى وجاشت الحمية والحمش فى القتل فتكاثروا عليه وجذبوه
بالكلاليب واخذوه اسيرا فتعصب له الذعر من الغلمان وخلصوه
من قلب العدو بعد ان قتلوا من اليكچرية مقتلة عظيمة وخلصوه
وكانت الكسرة على الجراكسة واما هذا العسكر من الروم فانه كان

فرهاد باشا تقدم على عسكر السلطان بقدر بريد وكان المسمى
له شيخ العرب المسمى بابن البريق على الجراكسة ولاضرهم الا البندق
فانه يأخذ الرجل على حين غفلة لا يعرف اين جاءه فقاتل الله
اول من اصطنعها وقاتل من يرمي بها على من يشهد الله بالوحدانية
ولرسوله صلى الله عليه وسلم بالرسالة ونرجع الى سياقة
الحديث فاما السلطان سليم فلم يزال سائرا على الكراحة حتى
دخل قطية فلم يجد بها احدا من العسكر مطلقا فأقام بها ثلاثة
ايام فورد عليه احمد بن بقر شيخ بني وائل ومعه اولاده عبد
الدائم وبيبرس والجذامي وخاطر وكان خاطر اصغرهم فخلع عليه
وعلى اولاده السلطان سليم خلعا وكان احمد بن بقر صاحب طبل
خانه في مصر واقره على ما هو عليه من بلاده وارزاقه وكذلك
مشايخ العربان ثم ان السلطان سليما امر باحضار خير بك ووزيره
وقال ما تقولون في حيلة يكون بها تفريق شمل الجراكسة قالوا وما
هي قال ائتوني بغلمان الكاتب وكان هذا الرجل يكتب بالسبعة
اقلام ويحاكي جميع الخطوط فحضر فقال له السلطان اريد منك
ان تكتب كتبا تحاكي فيها خطوطا مختلفة عن لسان امراء مصر وابن
الغوري بأنهم معي في الباطن ويحرضوني على المجيء الى مصر ويكونون
معي ويساعدوني على طومانباي وعلان وكرتباي الوالي فكتب
الكاتب على لسان الامراء المذكورين وربط الكتب المذكورة وارسلها
لرجل من جماعة خير بك وامره بالذهاب الى اوطاق طومانباي
وان يرميها بالقرب من مجلس السلطان ويقف لينظر ما يقع
بينهم من الخلف ثم يرجع يخبر السلطان سليما ففعل ذلك فرأى
المكاتيب بعض مما ليك طومانباي فأخذهم واوصلهم الى استاذه
فأخذها وقرأها وجمع الامراء واخبرهم بذلك فانكروا كلهم
ذلك وحلفوا الايمان المغلظة ان هذا لم يصدر منهم فتحير طومانباي

في امره واقتتل العسكر وكادوا ان يقتتل بعضهم بعضا فقال
لهم طومانباى ربما تكون هذه مكيدة من الاعادى كادونا
بها ليفتنونا ولكن الله تعالى يقابل كلا منا بما يستحق ولكن كونوا
على اهبتكم للقاء عدوكم فلما كان يوم الثلاثا آخر شهر ذى الحجة
الحرام جاءت الاخبار بان السلطان سليما دخل الخانقاه ونادى
السلطان طومانباى فى عسكره كل من جاء برأس رمى له ما يريد
من كل شئ فصارت فرسان الجراكسة تشن الغارة على عسكر
السلطان سليم وكل من استطرفوا به أخذوا راسه وجاؤا بها
الى طومانباى فصار يجزل عطاياهم فساء ذلك قنبردى الغزالى
فلما دخل الليل دخل خيمته وكتب كتابا وختمه وذكر فيه جميع ما فعله
طومانباى وانه اخرج المدافع الكبار التى اودعوها على الجبل
هناك وجعل جميع الآلات للحرب فى الريدانيه وقد اشرت عليهم بدفنها
فى الرمل لئلا ينظرها احد من الجواسيس فيخبركم بذلك فقبلوا
منى ذلك بعد جهد عظيم منى فانى خشيت على عسكر السلطان
من ذلك البلاء العظيم والصواب ان السلطان يدور ويأتى
من جانب الجبل فيصيرون اذا رموا لا يفيد رميهم شيئا وارسل الكتاب
الى خير بك فاوصله الى السلطان سليم فسر بذلك واجزل عطاء
القاصد به ورد الجواب ورجع فى جوف الليل الى سيده الغزالى وكل
شئ آفة من جنسه ففى صبيحة ذلك اليوم امر السلطان سليم بالرحيل
الى ملاقاة طومانباى واما السلطان طومانباى فانه اتفق مع
الامير علان والامير كرتباى الوالى ان يتفرق بعضهم عن بعض
ويحمى بعضهم بعضا وقد علموا ان الغزالى ملاحى عليهم وتحققوا
ذلك وقصدوا اقتله ولكنهم خشوا ان قتلوه يفتتن العسكر ولكن
توكلوا على الله واخلصوا نياتهم واتفق انهم يقصدون سنجق
السلطان سليم فلا يرجعون الا ان يقتلوه او يقتلوا فلما اصبح الصباح

ما طلعت الشمس الا وعسكر السلطان سليم منسكب من ناحية
الجبل كالجراد المنتشر من وراء ظهر عسكر طومانباى فارتجوا
لما راوا ذلك وايقن طومانباى بان عسكره ملاقح عليه وان
اشارتهم عليه بدفن المدافع مكيدة منهم له ولم ير له حيلة
يحتال بها فما ساعه الا التسليم لله تعالى فيما حل به فلم يرم شيئا
من تلك المدافع مطلقا الا ان رجلا واحدا وكان اخر من رمى
مدفعا يسمى مجنونة رماه وهرب ففتح فى عسكر السلطان سليم
زقاقا فارتج العسكر الرومى وظنوا ان خيربك والغزالى مكروا
بهم فارسل السلطان سليم خلف خيربك وكان قريبا منه
فقال ما هذا الذى ذكرته فى ردم مدافعهم بالرمل فما هذا
الحال ورأى منه الغضب فقال خيربك مهلا على وارسل
جاسوسا يكشف الامر فغاب ورجع مسرعا وقال رأيت
المدافع كلها مردومة بالرمل وانما هذا رجل اخرس لم يردم مدفعه
بالرمل وابقاه مكشوفا وقال انه ضنا من لذلك فرمى به
وهرب فاطمأن السلطان سليم واما السلطان طومانباى
فلم ينظر الى شئ وانما قصد سنجق السلطان سليم هو والامير علان
وكرتباى الوالى فلازالوا فى مشوارهم وهم يطعنون
بالقطاريات حتى غاصوا فى جميع عسكر الروم بجملتها فلله در هم
من فرسان لكونهم لقوا هذا الجيش العظيم بنفوسهم وليس الخبر
كالعيان فما زالوا يضربون ويطعنون حتى وصلوا سنجق السلطان
فظن السلطان طومانباى ان الذى تحت السنجق السلطان
سليم فقال له يا سليم انت غير سالم وجذبه من على سرجه بيده
اليسرى ورفعه بأعلى رأسه وخبطه على الارض فطبق ضلاعه
بين جنبيه وضرب الامير علان من على يساره فاز الرأسه وكان
معه محمود بن رمضان صاحب ضنه وكذلك فعل الامير كرتباى الوالى

بالامير علي بن شهسوار فلما فعلوا ذلك قوى قلبهم واشتفى
غليلهم وبقيت الروم باهتة باعينهم كانهم قطيع غنم بلا راعي
فاعقب الفرحة ترحه وظهر ان الذي قتله طوما نباى انما هو
الوزير الذي يسمى سنان باشا وسبب ذلك ان السلطان سليما
وخيربك وفرهاد باشا ويونس باشا التقوا من طرفي العسكر
ومر عليهم طوما نباى عند رجوعه وصحبته علان وكرتباى
وهم ينظرون اليهم فلم يقدر واحد منهم ان يتعرض له ولا يقربه
مع انهم لو علموا انهم هم ما برحوا حتى اخذوهم ولكن الحي ماله
قاتل فرجع طوما نباى من حملته تلك فلم ير احدا من عسكره فاذا
به منكسر والعدو في اثره فكشف عنه هو والامير ان المذكوران
ورد والروم عنهم واذا ببندقية جاءت للامير علان في قصبة
رجله فكسرتها ودخلت في جنب الحصان فقتلته لوقته فوقع من
ساعته الا ان الامير علان حمل نفسه وهم عن الفرس قبل ان
تصل الارض وجاؤا له بجنيب فركبه وقد أيس من الحياة فرد
السلطان طوما نباى ولوى عنان فرسه الى قناطر بني وائل فلما
عاين طوما نباى ذلك أيس من الحرب ولم يبق معه احد الا كرتباى
الوالي فقصد نحو القلعة وطلعوا من خلفها فلازالوا حتى نزلوا
بركة الحبش وتمادوا الى طرا واما الامير علان فانه ما زال سائرا
حتى وصل النيل وعدى لبر المنوفية وذهب الى فلاحه اين
بغداد الامير حسام الدين فلاقاه احسن ملتقى ورحب به
وارسل فجاء له بالجبر وبقي عنده نحو اليومين فرأى من عينه
الغدر وانه يريد ان يقبض عليه ويرسله الى عدوه فلما تحقق
ذلك تأسف على نفسه وامر بأن يشد له الحصان لاجل ان
ينام لهوا فظنوا انه لم يفطن بهم فركبوه فلما ركب جواده طلب
سيفه وترسه وقطاريسته فلم يقدر احد ان يتعرض له ولا يقربه

مع انه لو علم انهم كذا ما كان يقرب اليهم ولما ركب
على حصانه التفت الى الامير حسام الدين وقال له سننظر في
امرك واحكم بعدنا يا خونة الله يخون الخائن ولوى عنان جواده
فلم يتبعه احد وكلما لاقته سرية عرب يقول لهم انا علان
فلم يقدر احد ان يقربه فلا زال حتى عدى الجيزة وقصد نحو الصعيد
فلا زال حتى دخل بلدا في اقليم البهنسا يقال لها نويرة فنزل عن
فرسه واستقبل القبلة فمات رحمة الله تعالى عليه فصلى
عليه اهل البلد ودفنوه في زاوية هناك واما السلطان طومانباى
فانه لما رجع من الحرب لم يجد احدا من عسكره الا وقد ولى منهزما
من كثرة البندق والضرب بالزانات فلم يستطع احد ان يقف امام
ذلك فطلع من وراء القلعة وقصد ناحية طرا والعدوية وتبعه
بعض العسكر يقفون اثره سرية بعد سرية الى ان سار معه سبعة
الاف فارس الاعيان منهم الامير قانصوه كرت وقانصوه رجله
وقانصوه الفاجر وانس باى حاجب الحجاب وخشباى امير مجلس
وشاربك الاعور والامير قانصوه العادلى كاشف المنوفية
وازبك المكحل وتانى بك النجمى والباقى مماليكهم واتباعهم واما
الامير جانبلاط فانه قد تجون فى قلب العدو وما بقى يقدر على الهرب
فلما أيس من نفسه صار يقاتل الى وراء فلا زال كذلك حتى وصل
الى قبة الهواء فبطل جواده فنزل عنه وصار يقاتل راجلا يعنى
ماشيا فلما رأته الروم ترجل طمعوا فيه وقالوا هذا رجل ونحن
رجال فانطبقوا عليه كالجراد فصادفته ضربة زان فوقع الى
الارض ووقعوا عليه بالسيوف حتى صار لا يعلم له رأس من رجل
وكذلك الامير قانصوه رجله فى الرميلة وما بقى من عسكر
الجراكسة منهم من قتل بالبندق ومنهم من هرب ومنهم من تبع
السلطان طومانباى وباتت مصر ليس فيها جركسى الا ان كان

مختفيا

مختفيا فعند ذلك دخل خير بك على السلطان سليم واخبره بما وقع
وانه امر بارسال صوباشي فملك القلعة وليس فيها احد غيره
والرأي لما يراه مولانا السلطان فشكره السلطان على ما فعله
من تمليكه ملك مصر الذي مانت بحسرته الملوك فقال السلطان
صف لي مصر كأني انظر اليها فوصفها له من اولها الى اخرها فاختار
النزول على شاطئ النيل في الجزيرة الوسطانية وانما طلع الى
القلعة ساعة وجلس على المصطبة التي تجاه الديوان ثم نزل على
الفور خيفة على نفسه من الغدر من احد من الاعادي وبات
في الجزيرة ثم انه شرع في ارسال العسكر الى طومانباي فلم يجدوا
بمصر جركسيا وباتت مصر ليس فيها منهم احد واما طومانباي
فانه سار بمماليكه الى ناحية طرا والعدوية وتبعته العساكر
الجراكسة حتى بقي معه سبعة الاف خيال فاقتضى رأيهم بالرجوع
الى مصر وان يحاربوا عدوهم حتى يفنوا عن آخرهم فرجع طومانباي
ونزل في الشيخونية وتفرقت العساكر في الحارات فقتلوا من الروم
نحو العشرة الاف او اكثر في ليلة واحدة ثم اصبحوا فجاءتهم عساكر
الروم من جهة الكبش ومن جهة حدرة الحنة فاقتتلوا مرات عديدة
وظهرت الجراكسة على الاروام وقتلوا منهم نحو خمسة عشر الفا في
ثلاثة ايام وفي كل مرة يرجع الروم منهزمين فعند ذلك اقتضى
رأي السلطان سليم ان يركب هو بنفسه ويأتي من جانب القرافة
ويلقى طومانباي في الرميلة فاما له واما عليه ونوى ان وقعت
الكسرة عليه يتم سائرا الى بلاد الروم فلما فعل ذلك وجاء الى
الرميلة اطبق الجو من ضرب البندق والضرب بالزنات فلما سمع الجراكسة
ذلك بعد وابعدان كانوا غالبين مستبشرين بالنصر وهرب
غالب عسكرهم وقالوا من يقابل هذه النار المهلكة واما طومانباي
فانه لم يهرب وحطم عليهم حطمة الاسد الغضبان وقتل فيهم قتلا

حتى كل ساعده ولكن ماذا يفعل الواحد فى مائتى الف واكثر ثم
رجع فلم ير خلفه احدا من عسكره فما زال طالبا نحو الشيخونية
فلم ير احدا وكان قد تواعد مع عسكره انهم ان حصل لهم هزيمة
يكون موعدهم الجيزة ثم ذهب الى مصر القديمة وعدى الى
بر الجيزة ولقيه مماليكه وبعض العساكر حتى صار نحو الالفين
واما السلطان سليم فانه رجع منصورا الى الجزيرة الوسطانية
وارسل الى خير بك فقال له ما الرأى عندك قال له ما بقى لهم
بعد هذه الصدمة رأس تنقام ابدا قد هرب غالب العسكر
ولم يتبعوا طومانباى فالرأى عندك تنادى لهم بالامان ويغدر
ثلاثة ايام كل من وجد عنده جركسى مختبى شنق على باب داره
وكل من كان عنده واحد منهم واخبر السلطان بره وقبض عليه
فعليه الامان هو ومن يلوذ به فبقيت اولاد مصر كل من كان
عنده جركسى يأتى الى خير بك ويخبره بما عنده فيرسل له جماعة
يقبضون عليه ويأتى به الى اوطاق السلطان سليم فيضربون عنقه
ويرمونه فى البحر فمن جملة من كان مختبيا الامير كرتباى الوالى فانه
جاء تربندقية فى فخذه فاضربته فما ساعده الا الهروب فاختفى
عند رجل من اصحابه من المباشرين يسمى يحيى بن بكر فلما سمع بالنداء
قال فى نفسه احسن ما يكون وافعل انى اذهب الى اوطاق
السلطان سليم واخبره بأن كرتباى الوالى مختبى عندى وانه
يرسل له منديل الامان واقابله بره واكفى شره وتصير لى يد عند
السلطان فجاء الى اوطاق السلطان سليم واجتمع بره مع خير بك
ففرح السلطان بذلك واوعده بأن يعطى له اى منصب شاء
وارسل معه منديل الامان والمصحف وكتب له كتابا ان جاءه
وقابله لا يفعل فيه شيأ وعليه الامان ولا يرى منه الا خير
فرجع ابن بكر الى كرتباى الوالى وبشره بالفرج وانه اجتمع مع السلطان

سليم

سليم واعطاه منديل الامان وها هو وحسن له عباره فى المقابلة
وانه يصير آمنا على نفسه وماله وعياله فدخلت رأسه الجرأة
واجاب الى المقابلة وقام من ساعته وركب معه الى وطاق
السلطان سليم فلما رأه خيربك فرح به فرحا يورث ترحا وقال
له يا امير كربتاى اين عقلك تتبع هذا المجنون المخاطر بنفسه يشير
الى طوما بناى فسوف ترى كيف نأتى به ذليلا حقيرا ولكن حيث
جئت طائعا مختارا فما بقى عليك خوف بعد اليوم ثم دخل خيربك
على السلطان واخبره بمجئ كربتاى الوالى فخرج السلطان الى ظاهر
الخيمة وجلس على كرسى نصب له ونظر الى كربتاى الوالى وقال له
انت كربتاى قال نعم فقال اين فروسيتك واين شجاعتك قال
باقية على حالها قال اذكر ما فعلته مع عسكرى قال اعرفه ولا تسليت
منه شيئا قال ما فعلت بعلى بن شهسوار قال قتلته مع جمله من
قتلهم من عسكرك بعد ان عرف من عين السلطان الغدر وانه يقتله
ولا بقى له منه خلاص فترك الادب وتكلم كلام من أيس من الحياة
وجعل عينه فى عين السلطان ورفع يده اليمنى فى وجه السلطان
وقال له اسمع كلامى واصغ اليه حتى تعلم انت وغيرك ان منا
فرسان المنايا والموت الاحمر ولو يلى واحد منا بعسكرك بنفسه وحده
واذا لم تصدق فجرب فامر عسكرك ان يتركوا ضرب البندق
فقط وها انت معك مائتا الف من جميع الاجناس وقف مكانك
وصف عسكرك ويخرج لك منا ثلاثة انفار انا عبد الله والفارس
الكرار السلطان طوما بناى والامير علان وانظر بعينك كيف
تفعل هذه الثلاثة تبقى تعرف روحك ان كنت ملكا او يصلح لك
ان تكون ملكا فان الملك لا يصلح الا لمن يكون من الابطال المخبورة
كما كان عليه السلف الصالح رضى الله عنهم فانظر فى التواريخ
ما كان من الامام عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وخذ لك

بأعضيه من الشجاعة وكذلك الامام علي بن ابي طالب رضي
الله عنه وكرم الله وجهه واما انت فقد لفقت لك عساكر
من اطراف الدنيا من نصارى ومن ارواام ومن غيرهما وجئت
بهذه الحيلة التي تحيلت بها الافرنج لما ان عجزوا عن ملاقاة
العساكر الاسلامية وهي هذه البندق التي لو رمت بها امرأة
لمنعت بها كذا كذا انسانا ونحن لو اخترنا الرمي بها ما سبقتنا
اليه ولكن نحن قوم لا نترك سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
وهي الجهاد في سبيل الله بالسيف والعود والله يؤيد بنصره
من يشاء ويا ويلك كيف ترمي بالنار على من يشهد لله بالوحدا
ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة وقد جاء بهذه البندقية
رجل مغربي للسلطان الملك الاشرف قانصوه الغوري رحمه
الله تعالى وقتل قاتله واخبره ان هذه البندقية ظهرت من
بلاد البندق وقد استعملها جميع عساكر الروم والعرب وهي
هذه فامره ان يعلمها البعض مما ليكه ففعل وجيئ بهم فرموا بحضرته
فساءه ذلك وقال للمغربي نحن لا نترك سنة نبينا صلى الله عليه
وسلم ونتبع سنة النصارى وقد قال مولانا سبحانه وتعالى
ان ينصركم الله فلا غالب لكم فرجع ذلك المغربي وهو يقول
من عاش ينظر هذا الملك كيف يؤخذ بهذه البندقية وقد كان
كذلك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فقال له السلطا
سليم حيث كانت فيكم الشجاعة والشجعان والفرسان وانتم
على الكتاب والسنة كما زعمت فبأي سبب غلبناكم ومن ارضكم
اخرجناكم واستعبدنا اولادكم وافنينا جموعكم وها انت
جئت اسيرا بين يدينا فقال الامير كرتباي والله ما اخذتم
ارضنا بقوتكم ولا بفروسيتكم وانما ذلك امر قضاه الله
تعالى وقدره في الازل وقد جعل الله لكل شئ بداية ولكل بداية

نهاية

نهاية ولكل دولة مدة معلومة وقسمة مقسومة وقد جرت
عادة الله سبحانه فى خلقه بذلك اين الائمة المجتهدون اين الملوك
والسلاطين وانت ايضا لابد ان تموت وينخرم هذا النظام وما
اظنك الا من الذين قال الله تعالى فى حقهم سنستدرجهم من حيث
لا يعلمون واملى لهم ان كيدى متين كيف بك اذا وقفت بين يدى
الله رب العالمين فانتقم منه السلطان ولكنه اظهر الحلم وفؤاده
يتوقد من شدة الغيظ لما اغلظ عليه كرتباى واقام عليه الحجج
المسكتة التى ليس لها جواب ثم قال له واما قولك انك اخذتنى
اسيرا فانه كلام باطل وانما جاء فى رسولك بكتابك محتوما بختمك
وها هو فظننت انك تقف على قولك فما رأيت من ذلك شيئا ومما ورد
من هذا المعنى المؤمنون عند اقوالهم وايضا المؤمن ان قال صدق
وان قيل صدق وقل مولانا عز من قائل واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم
ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها فازداد السلطان سليم غيظا ولكنه
اظهر الحلم واما خيربك فقد طاطأ رأسه وصار العرق يقطر من وجهه
وبقيت الوزراء واقفين حولهم ينظرون ويسمعون الكلام ولا
يقدرون على شئ ومما ورد فى الحديث الشريف اربع خصال من
كن فيه فهو منافق من اذا ائتمن غدر وان عومل نكر واذا خاصم فجر
واذا قوطع هجر وانت تزعم انك تريد ان تكون خادما للحرمين الشريفين
وانك من اهل العدل والانصاف فما رأينا شيئا من ذلك وانما رأيناك
من اهل الجور والاعتساف يا ويحك كيف تنادى للناس بالامان واذا
جاؤك تخونهم ولكن كفاك ان اسمك سليم خان والله قد رأينا فى
التواريخ ان الملوك الاتى كانت قبلنا من الاتراك والاكراد رحمهم الله
تعالى كان لنصارى اذا قالوا لهم قولا وحلفوا لهم عليه او قالوا للنصارى
قولا وعاهدوهم عليه لا يخلفوهم فيه وهم نصارى فكيف بمن يدعى
انه من الملوك العادلة ويريد ان يكون خادما للحرمين الشريفين وهو

لا يصدق فى قوله والكذب سيمة المنافقين فلا حول ولا قوة الا بالله
العلى العظيم فلا يغرنك ما انت فيه وما اصبحت دولتك فيه من
الاقبال فانه لابد لكل اقبال من ادبار ولكل جمع من تفريق ولكل اجل
من انصرام ولكل توفيق من اختلاف ولكل فرح من ترح وقد كنا اقوى
منكم واشد بأسا واعظم مراسا وانظر كيف فعلت بنا هذه الدنيا
الغدارة المكارة وبعد ما حصل لنا ذلك انا بينكم واحد بمفردى
أو مع عسكرك ان يضربوا على يزك ويسيروا الى مائة بمائة او مائتين
بمائتين والف بألف وانظر ما اصنع فيهم كل ذلك والسلطان سليم
ساكت يسمع قول كرتباى وجراءته على هذا الكلام واستحضاره
هذه الاجوبة مع انه متحقق الهلاك ولا محالة ثم قال باى سبب تذمنا
فى قولك وتزدرينا وتسبنا والله لا يهمنا كثرة جموعكم ولا رميكم
ببندقكم واجاركم وانما كان السبب لزوالنا خلف حصل بيننا فنظر
السلطان الى خير بك واشار اليه بأن يقرب منه حتى يشاوره فى امر
كرتباى الوالى فلما وقف قدام الكرسى قال له ما تقول فى هذا الرجل
وجوابه وقوة قلبه ان قتل مثل هذا لا يليق وافتخر بمثل هذا فى عسكرك
واجعله سجقا فاصفر لون خير بك وقال يا مولاى ان ابقيت عليه
وجعلته وزيرا لا يبقى عليك هذا المعاند الباطل والكلب الجاهل ويفسد
جميع عسكرك وما قال ذلك خير بك الا بغضا فيه وفى ابناء جنسه
فقال له السلطان فما الرأى قال اضرب عنقه بلا تأخير وتأخر
خير بك ووقف مكانه ولونه مصفر متغير فعرف الامير كرتباى انه احسن
له قتله فقال الامير كرتباى للسلطان ان هذا قائدك الى جهنم اصنع
ما شئت من لم يمت بالسيف مات بغيره فعند ذلك نظر السلطان
اليه نظرة الغضب وقال له انى اردت ان اعتقك وافرج عنك
واجعلك اميرا من امرائى فرأيتك قليل الادب جرئ اللسان فحقك
فى مجلسى والذى يدخل على مجالس السلاطين بلا قيمة يخرج بلا قيمة

فقال له كرتباى الوالى معاذ الله ان اكون من امرائك ومن اتباعك
وانت بهذه الصفة فنادى السلطان بأعلى صوته وقد احمر وجهه
من شدة الغيظ وقال اين الجلاد فتقدم نحو مائة وخمسين
جلادا فقال اضربوا عنق هذا الملعون الجركسى فقال كرتباى قطع
رأسى وحدى لا يفيدك منه شئ فان وراءى ابطالا وشجعانا وكفى
بالسلطان طومانباى نصره الله فلما سمع السلطان بذلك امر
بالسياف ان يضرب عنقه فقال له والسيف فوق رأسه اذا
قطعت رأسى خذها وهى بدمها بيدك واجعلها فى كم امرائك ياخائن
يخونك الله فضربه السياف فطير رأسه قدامه وذهب الى حاله
واما السلطان طومانباى فانه لما وقعت الكسرة على الجراكسة كان
وعدهم قبل ذلك وقال ان جاءت الكسرة علينا يكون ميعادنا بر
الجيزة فلما كان كذلك عدى الى بر الجيزة وتبعه بعض الجراكسة حتى
صار معه القاخيان لكن فيهم كل فارس يقوم بالف فارس الا ان
الكثرة غلبت الشجاعة والنار لا يقابلها احد ولولا النار التى مع السلطان
سليم ما غلبهم فى الحرب ولا مرة ولكن اذا اراد الله بأمر بلغه ولله
فى هذه ارادة فذهب السلطان طومانباى الى نحو الصعيد وقصد
هوارة وطلب منهم النصرة وان يرفع عنهم الخراج ثلاث سنوات فأبوا
وقالوا قد بلغنا ان الروم تقاتل بالنار ومن يطيق النار فانثنى راجعا
وتبعه من العربان نحو سبعة الاف فارس محبة فيه فانه كان رحمه
الله تعالى محبوب الصورة لكل احد ولكن اذا تم الامر ترقب زواله اذا
قيل تم فلم يزل قادما حتى وصل الى قرب اطفيح فرأى قلوعا كثيرة
وهى مقلعة فلما عاينها وقف وقال ما اظن الا ان السلطان سليما
جاءنا او ارسل الينا جيشا قال فلما عاينوا بعضهم بعضا دخلت
المراكب البر وطلع منهم من الرماة نحو خمسة الاف رامى بالبندق
والضربزانات ومن المدافع خمسون وكان القيم على ذلك رجلا يسمى

جانم السيفي كاشف الفيوم فانه جاء مع السلطان طومانباى بعد كسرة
الريدانية واجتمعوا عند طرا والعدوية واتفق رأيهم بان يكبسوا
على السلطان سليم بالجزيرة الوسطانية التى بين بولاق وقصر
ابن لعيني فلما علم ذلك جانم قال فى نفسه احقها افعل انا اذهب
الى السلطان سليم خان واخبره بذلك واخذ لى منه الامان واكون
من حزبه فان دولتنا قد ولت فخرج ليلا من عسكر السلطان طومانباى
هو وامير آخر يسمى ابو حمزة ومعهم مماليكهم نحو المائتين فلما اصبحوا
علموا ان جانم السيفي قد خرج ليلا فاستقصروا خبره فقال بعض
الاجناد للسلطان طومانباى قد سمعناه وهو يقول ان الذى
يريد السلامة لنفسه يتبع السلطان سليما فان اسمه سليم ومن
تبعه سلم ومن عصاه ندم فتكدر السلطان طومانباى وقال
سيندم حيث لا ينفعه الندم وهل ينجى من العدو خير ولكن
لا دافع لله فيما قضى فلما اجتمع جانم السيفي بالسلطان سليم واخبره
انه جاءه راغبا فى طاعته وان طومانباى قد عول على كبسه فى
الليلة القابلة أخذوا اهبتهم واستيقظوا لانفسهم فجاءت
الاخبار لطومانباى بان جانم السيفي دخل فى طاعة السلطان سليم
واخبره بانك تريد ان تكبس عليه فأخذوا اهبتهم وعبوا النار
من كل جهة فان فعلت شيئا من ذلك هلكت نفسك واهلكت من
معك فاعرض عن ذلك واقتضى رأيه ان ينزل فى الشيخونية وينجار
كما تقدم ثم انكسر وذهب الى الجزيرة فلما علم السلطان طومانباى
ان هذه المراكب ما جاء بها الا جانم السيفي فانه لما اجتمع بالسلطان
سليم وعرف صدقه وامانته كان السلطان كلما يجلس فى ديوانه
يرسل خلف خيربك وجانم هذا ويأمرهم بالجلوس بحضرته ويستشيرهم
بما فيه الصواب ويظهر لهم انه ان تمكن على ملك مصر يعطى خيربك
باشويته الى ان يموت اقطاعا ويعطى لجانم الفيوم اقطاعا ثم قال

لهم

لهم قصدى ارسل لطوما نباى جيشا لعل ان اظفر به فقالوا له حبا وكرامة قل ما شئت فانا لامرك طائعون ولرأيك سامعون فقال من يكون باشا على العسكر فقال جانم السيفى انا اكفيك ذلك ان شاء الله وارجوان لا ارجع الا برأس طوما نباى واقبض عليه قبضا باليد واتى لكم به اسيرا فشكره السلطان على ذلك فارسل معه خمسة عشر الف راكب وخمسة الاف رامى بندق وخمسين ضربزانات وخلع عليه خلعة وخرج خرجة اطبقت الجوحين اقلع ورمت الرماة طلقا اظلم الدنيا وايقنت الناس ان طوما نباى لا طاقة له بهذ الجيش وخصوصا جانم السيفى مقدم عليهم وكان جانم هذا من الابطال المشهورة والشجعان المخبورة فلما عاين عسكر طوما نباى امر بدخول المراكب الى البر وسيبوا طلقا تزلزل الارض منه وارسل الى طوما نباى يقول له فى غد الحرب بيننا وبينك فقال طوما نباى حبا وكرامة

ذكر التقاء طوما نباى مع جانم السيفى

قال فلما اصبح النهار تصافوا للحرب فاما العرب التى كانت تجمعت مع طوما نباى فانهم لما راوا هذه النيران قالوا لبعضهم ومن يطيق هذا الامر المهلك لا يقاتل هؤلاء الا مجنون او فارغ من الحياة ولكن نحن نرتفع عن هؤلاء الى بعد فكل من رأينا الكسرة عليه نهبناه هذا ما كان من امر العرب واما السلطان طوما نباى فانه ثبت للحرب ولم يتاخر من مكانه فكان اول من خرج فى حومة الميدان جانم السيفى ونادى باعلى صوته لا يبرز الى الامير طوما نباى ولعب انداباتى فى الميدان حتى ادهش الناظرين وقوى قلب الروم حين راوا منه ذلك وقالوا ما يقاوم طوما نباى فى الفروسية الا هذا البهلوان وصاروا يشكرون فكلما سمع منهم ذلك زاد فى لعب الانداب حتى تعجب الحاضرون من الروم ثم بعد ذلك وقف

في حومة الميدان وقال للجراكسة اين فرسانكم اين شجعانكم فخرج
من بينهم فارس كانه الباشق اذا انقض على الصيد وقال له غرتك
نفسك ياجانم وخنت ابناء جنسك فسود الله وجهك ياخائن
فقال له بطل الكلام وابرز للضرب بالحسام فقال اصبر حتى
اريك لعب الانداب وكان ذلك الفارس هو الامير دولتباى
كاشف الجيزة فلعب في الميدان انداباً فاق عليه فتعجب الروم ثم
التطم الاثنان فوقع بينهما من الحرب ما حير النظار من اول
النهار الى الظهر فلما أيس جانم من خصمه رمى الرمح وسحب السيف
وضرب دولتباى على خوذته فقطعها وجرحه جرحاً غير بالغ
فلما ساح دمه عيطت الروم بأجمعها آفرم آفرم فقوى قلب جانم
وضرب خصمه ضربة ازال رمحه فبقي الرمح في يد دولتباى من غير
حربة فالتفت الركيز وحذفه على جانم فدخل الركيز في جنبه شبك
بين اضلاعه فوقع عن جواده فنزل دولتباى ليقطع رأسه
فاندلقت عليه الروم بجملتها فلم يتمكن من عدوه فما ساعده الا ان
تركه وانثنى على جواده والتطم الجيشان فلله در ألفين تقاتل
في عشرين الفاً وتكسرهم حتى وقفوهم في مراكبهم وكان النهار
قد ولى فنزل عسكر الروم الى المراكب وعدوا الى ذلك البر واما
السلطان طومانباى فانه بات في البحر الغربي فلما جن الليل جلس طومانباى ودعى الامير
شربك الاعور وبقية الامراء وضربوا المشورة فاقتضى الرأى ان يقتسموا
الى فرقتين فرقة مع الامير شربك وشرقة مع السلطان طومانباى
وان يذهب الامير شربك الى بعد ويقف السلطان طومانباى
في موضع العركة فان عدى الاروام وجاؤا لنا اخذناهم من واسطة
فاتفقوا على ذلك واما العسكر الرومي لما اصبحوا قالوا للجانم ما ترى
عندك قال ندهب للحرب اما بنا واما بهم ولا نرجع عنهم ولعلنا
نظفر بهم فلما رأوا جانم مصمماً على الحرب قالوا له انت مجروح وليس

لك قدرة على الحرب فقال لهم انا واحد وانتم الوف لاتحتاجون
الى واحد وكان المخاطب له اغاة اليكيجرية فلما سمعوا منه ذلك
قالوا صدق فى قوله فعدوا الى البر الغربى وطلعوا الى موضع المعركة
فرآهم الجراكسة فبادروهم بالحرب والتطم امعهم فبينما هم فى
قوة الحرب واذا هم بالامير شربك الاعور قد هجم عليهم من خلفهم
بعدان اخذ المراكب التى على الساحل بحملتها فما انفك منه غير مركبين
وارسل الجميع مع عشرين جنديا الى الجانب الوطاق السلطان طومانباى
وانطبقت على الروم الفرقتين من الجراكسة وهم كل فرقة نحو الثمانية
الاف والروم نحو العشرين الفا غير العربان فما مضى غير ساعة حتى
انكسرت الروم وقصدت المراكب فلم تجدها فانقطعت قلوبهم وتبعتهم
الجراكسة فأفنوهم وما نجى منهم سوى جانم والجمزة واغاة اليكيجرية
المسمى باياس اغا فانهم لما انهزموا قصدوا المراكب فلم يجدوها فأطلقوا
عنان خيلهم على شاطئ النيل فتبعهم قانصوه لكن كان بينه وبينهم مسافة
مرأى العين فلم يدركهم فجمعوا بنفوسهم فقط وجميع ما كان معهم من
الضربزانات والبندقيات والات الحرب وغيرها كله بجملته غنمته
الجراكسة واما جانم ورفقته فانهم لازالوا راجعين على شاطئ النيل
حتى لحقوا بالمركبين اللذين انفلتا من الامير شربك فقصدوا ان ينزلوا فيهما
وارتحوا فى التيار فلما رآهم قانصوه العادلى قد طلعوا فى المركبين
أيس منهم ورجع متأسفا لكونه لم يبلغهم وكان السلطان طومانباى
افتقد من قتل من عسكره فوجدهم الفين وتلثمائة غير العربان وكلهم
من البندق فلما رجع جانم وابو حمزة والاغا منهزمين وقتل غالب
عسكرهم وعلم السلطان سليم بذلك كاد ان ينفلق قلبه من شدة ما حصل
له من القهر والغم وارسل خلف خيربك وقال له قد غربتنا واذ اخلتنا
فى بلاد هولاء ولا احد يسهل عليه ترك بلاده ولو ان طومانباى
اعطانى الخطبة والسكة باسمى لرجعت عنهم من الشام وأكنت دست

هذه الارض برجلى ولاكنت ماثلا على دماء رقابهم ولا على ما لهم
واولادهم من حين دخلنا انا كنت احسبانهم زمرة قليلة وشرذمة
ذليلة وانه جمع على راسه جماعة من بقية سيوفنا وحصل منه ضرر
على عسكرنا نحن من الدوحة المباركة العثمانية لانرحم كبيرا لكبره
ولا صغيرا لصغره سيوفنا لامعة على رؤس اعدائنا فمن طلب حربنا
ندم ومن قصدامانتنا سلم وانا الذى هدمت الدولتين فى ركبتين
والسلاطين تفتخر بعبوديتنا والرمال تعد ولا تعد كثرة عساكرنا من
تقرب الينا شبرا تقربنا اليه ذراعا ومن تقرب الينا ذراعا تقربنا
اليه باعا وان للحرب دأبنا والجهاد صنعتنا نحن من الشجرة الطيبة التى
اصلها ثابت وفرعها فى السماء ويوم الحرب نمطر من سماء غضبنا حجارة
ورهصا من السماء على اعدائنا والذين هم كاصحاب الفيل نرميهم بحجارة من
سجيل فيصيح كل مدفع من مدافعنا صيحة الرعد وفيه البرق والسحاب
الثقيل وان هذا المتغلب الجاهل وفرعون الباطل ما هو اكبر من سلطان
العجم ولا من الغورى فانهم لم يقدروا ان يقفوا امامى يومين
كاملين فكيف يلم العرب والجراكسة ويعارك مع عسكرى ويعمل
عليهم حيل اليهود وعندى عسكر لا يقف عليه سلاطين العالم واذا
عاد مثله الى عسكر بفرد حكمى يجيبونه عسكر من دار سلطنتى اولهم
يكون فى مصر وآخرهم يكون فى القسطنطينية وما مراد هذا الكافر
الفاجر هو وغيره والغورى وقايتباى كانوا مماليك لنا اى شئ كان لهم
نسبة بالسلطنة لا تليق للسلطنة الا لنا لان جدنا سلطان بن
سلطان بن سلطان الى سيدنا نوح عليه السلام وشغلنا الجهاد
والقتال للكفار والروافض واهل الطغيان والعدوان فقال له
خير بك يا مولانا السلطان ان طومانباى رجل عاقل وانا اعرفه انه
ليس له رغبة ان يكون ملكا ولا له على السلطنة استحقاق وانما
عبدكم الغورى اوصى جميع امرائه انه اذا اصابه شئ لا يسلطنوا عليهم

الا طومانباى

الاطوما نباى لما يعلم من عقله ودينه وفروسيته وشجاعته فانه
فريد عصره وبعده شريك الاعور والامير علان الذى قدمات وجاء
خبره انه جاءته ضربة فى فخذه كسرته وكر نباى الوالى الذى قطعت
رأسه فقال له السلطان سليم انت اغررتنى وطمعتنى فى اخذ هذا
الاقليم فانظر كيف تصنع ودبر نفسك كيف تعرف والا فمى راسك
واغتاظ السلطان سليم من خيربك غيظا عظيما فخرج من عنده
وهو اعمى اصم لا يعلم كيف يصنع فلقيه يونس باشا الوزير الاعظم
فقال له ما خبرك فاخبره بما قال له السلطان سليم فقال الوزير
والله صدق السلطان فى قوله والله لو سمع قولى لاشرت عليه
بأن ينادى فى عسكره بالرحيل ونرجع الى بلادنا واوطاننا ونعرف
كيف صارت احوال بلادنا من هجوم الكفرة والرفضة فانك لاجل
غرضك وكراهتك لابناء جنسك جوعتنا بين هولاء الملاعين
وابعدتنا عن بلادنا فخاف خيربك على نفسه وحسب حساب يونس
باشا انه يكرهه وربما يتكلم مع السلطان سليم فى حق خيربك ويقتله
فانثنى خيربك راجعا الى خيمة السلطان واستأذن فأذن له فى
الدخول فقال له السلطان ما الذى دبرته من الراى قال ليعلم
مولانا السلطان انى ما جئتك الا راغبا فى طاعتك ومحبة لك وآثرتك
على جميع ابناء جنسى وقد اطلعت على بعض الملاحم فرأيت الرموز
تدل على انك ستملك هذا الاقليم وتصير سلطان الحرمين ولكن
يا مولانا السلطان اريد منك فرد شى وهو انك لا تقبل فى حقى
كلام احد الا بما يقتضيه رأيك السديد فان اقتضى رأيك ان
تقتلنى فافعل فقد حللتك دمى فتبسم فى وجهه السلطان وقال
له لولا تحققى محبتك ما اطعتك وجئت معك الى هنا ولكن كن بنا
فى تدبير ما فيه الصلاح فقال والله يا مولانا السلطان لا ابقى
ممكنا فى نصرتك ولو بروحى لا فعلته فشكره السلطان على ذلك

وامر له بخلعة عظيمة فلما رجع من عند السلطان وهو لابس الخلعة
ورآه يونس باشا وهو قادم عليه علم ان خيربك دخل على عقل
السلطان ومشى معه على مراده فقام له وبجله ظاهرا مع الكراهة
له باطنا فقال له ما الذى اقتضى رأى الامير قال ما يكون الا خيرا
وارجو من الله تعالى ان يمكننا من طومانباى ونأتى به اسيرا بين
يدى السلطان فقال له يونس باشا ان شاء الله تعالى بسعد دولة
سلطاننا فلما رجع جانم وابو حمزة واياس اغا الى اوطاق السلطان
سليم تكدر السلطان وندم على ارسال جانم ثم انه عمل ديوانا فلما
حضرته الوزراء والامراء قال اين خيربك فجاء ووقف بين يدى
السلطان فقال له ما تقول قال الامر امرك ونحن بين يديك مهما
امرتنا به فعلناه ولو كان فيه هلاكنا رواحنا قال السلطان ان
قلبى حسن من الاول ان جانما ليس هو كفؤ الطومانباى ولكن انا اريد
ان ارسل له كتابا بالامان مع قاصد عاقل يرد الجواب فلعل الله تعالى
ان يهديه ويبقيه على بلاده واخبره انى رضيت منه بالاسم فقط
بان اصير سلطان الحرمين وتصير لى مزية على ملوك الارض ويجعل
الخطبة والسكة باسمى واعطى له مصر الى ان يموت فقال خيربك
يفعل مولانا السلطان ما يقتضيه رأيه فى ارسال الاول ولا فى
ولكن انا اعرف انه معاند وجاهل لا يوافق على شئ من ذلك وربما
يقتل القاصد فقال السلطان اذا لم يوافق والا انا القاه بنفسى
والله يؤيد بنصره من يشاء فعند ذلك ارسل قاصدا يسمى مصطفى
وكان عارفا عاقلا طلق اللسان اديبا وارسل معه ايضا خمسمائة
نفس لان الطريق كانت مخيفة من العربان فلما وصل الى اوطاق
السلطان طومانباى وكان بالقرب من ناحية منية ابن خصيب
ترجل عن فرسه ونزل هو وجميع من معه فاستأذن فى الاجتماع
على السلطان فاذن له فاوصل المكاتيب للسلطان طومانباى فقرأها

واعطاها

واعطاها للامير شربك فانه قد ارسل لكل امير كتابا بخصوصه
يخبرهم بانه لاحاجة له ببلادهم وانه ما يريد الا الاسم فقط وان
كل من قابله خلع عليه واعطاه مرسوما بالامان وانتم على
ما انتم عليه وانتم فى امان الله تعالى والله يحون الخائن واوثق
كلامه بايمان واقسام فقال السلطان طومانباى ماتقولون يا امرا
فقال الامير شربك اما رأيى فقتل هؤلاء الطائفة التى ساقتها القدرة
الالهية الينا لنكتفى من شرهم واما انت ان مالت نفسك الى طاعة
عدوك فاعلم ان ما بينك وبين الهلاك الا ان تصل اليه وتقف بين
يديه فتصير الامانة خيانة والعزة اهانة وتكون كالذى القى بنفسه
الى التهلكة وطلب منها السلامة وندم حيث لا تفيد الندامة واما
انا فلا ادخل تحت طاعة عدوى فلتعلم ان ما بينك وبين الهلاك الا
وصولك وتقف بين يديه فتصير الامانة خيانة والعزة اهانة وتكون
كالذى القى نفسه فى التهلكة فلا ادخل تحت امان العدو فى عمرى
ولا مرة واحدة وذلك لانى اعرف ان ما آخر كل حياة الا الممات وقد
جعل الله تعالى لكل شئ ميقاتا فان دخلت تحت طاعته لا يزيد فى
عمرى لعلمى ان الموت لا مفر منه وان كل حى لا بد له من الموت فاقتضى
رأيهم ان يقبضوا على القاصد الذى جاءهم ومن معه وان يضربوا
رقاب الاولاقية فهرب الذين جاؤا معه الى السلطان سليم ثم امر
السلطان طومانباى بالمسير الى جهته فلم يزالوا سائرين حتى اشرفوا
على بركة الجبش فرأوا بها اوطاق السلطان سليم وهم من ذلك البر
على بعد فوقفوا ينظرون ويتأملون ويضربون الرأى كيف يصنعون
وعلموا ان السلطان سليما انما خرج الى بركة الجبش مريدا للحرب ويريد
ان يعدى الى بر الجيزة فبينما هم واقفون واذا بكردوس من الخيل
قام اليهم واذا به الامير زرعك الناشف فقدم على السلطان طومانباى
وقبل يديه واعتذر له بانه كان معذورا بسبب جراحة اصابته

يوم الريدانية واخبره بان قانبردى الغزالى كان رأس الملاحين
عليهم حين اخرجوا المدافع وامرهم بردمهم تحت الرمل وكان هذا
غاية المعاكسة لهم فقال السلطان طومانباى والله الذى عرفت انه
ملاحى علينا من اول مرة لما ارسلته بالجيش فقتل اكثره وانهزم فعلمت
انه بالقصد منه واما السلطان سليم فانما جاءه جاسم وابو حمزة
منهزمين واخبراه بما جرى لهم وان السلطان طومانباى قادم بجموعه
التى جمعها فارتاب السلطان سليم فعند ذلك امر يونس باشا بان
يرسل ويأتى بالامراء المسوكين عندهم فانهم كانوا قد نادوا لهم بالامان
وكان ذلك مكيدة من خيربك فبقوا كل من يأتيهم بالامان يجلسونه
ويوعدهم خيربك بانه اذا تم الامر للسلطان سليم يطلقهم ويبقيهم
على مراتبهم ومناصبهم التى كانوا عليها وباطنه بخلاف ذلك فلما جاءت
الاخبار للسلطان سليم بان السلطان طومانباى قتل المقاصد الذى
ارسله السلطان سليم وجميع من معه اغتاظ لذلك غيظا كبيرا وارسل
احضر الامراء المحبوسين بقلعة الجبل من الجراكسة وامر بضرب اعناقهم
اجمعين وكانوا ثمانين اميرا منهم ما هو امير مائة مقدم الف ومنهم
من هو امير اربعين ومنهم من هو امير عشرة فلما حضروا بين يديه سألهم
عن مناصبهم فاخبروه فقال لهم السلطان سليم لم تركتم ملككم
وجئتم الى عدوكم قالوا اثرنا خدمتك على طاعته واخترنا ان نكون
من اجنادك فقال لو كان فيكم خير كان لطومانباى فعند ذلك امر
بضرب اعناقهم بين يديه وهو ينظر اليهم فاول من ضرب عنقه تقطباى
نائب القلعة ثم انس باى حاجب الحجاب ثم تمر الزردكاش ثم ازكماس
امير سلاح ثم الامير ابن الكحل صاحب البيت الذى كان فيه المرحوم
الامير عثمان قائم مقام ثم الامير قانصوه الفاجر ثم الامير مغلباى الزردكاش
ثم الامير قانبك رأس نوبة ثم الامير ماماى المحتسب وهو صاحب بيت
قاضى العسكر ثم الامير بشبك ملوخية ثم جانبلاط الابج وكان قد عمله

السلطان طومانباى نائب القلعة ثم الامير خير بك الخازندار ثم خير بك
المعمار ثم بقيه الامراء الذين كانوا جاؤا له بالامان حتى صار الموضع
كالجزيرة ثم امر السلطان سليم بالتعدية الى البر الغربى فكانت كل تعدية
يكون فيها نحو الالفين او اكثر من الروم واما السلطان طومانباى
فانه كان واقفا يترقب بخور بوة عالية واقام وليدا ينظر له الخبر
فلما اخبر بأن الروم وصلت الى البر قال فى نفسه احسن ما يكون ان
اقطعهم اول باول فعند ذلك رمح عليهم رمحة واحدة فما شعروا الا
وهو كابس عليهم واوقع القتل فيهم فما وصلت التعدية الثانية الا
وقد افنى غالب الاولى فاربج عسكر السلطان سليم وتشتت امرهم
فمنهم من قتل ومنهم من انقلبت بهم المراكب بما فيها فحصل للسلطان
كرب عظيم وندم على فعله ذلك وقال لو اشار على احد بذلك
لقتلته اشد قتلة ولكن بهون الله تعالى فعند ذلك امر ان لا يعدى
احد وان يصفوا ضربزانات على شاطئ النيل ويرموا بها على الذى فى
ذلك البر من العراكسة فرموا عليهم طلقا ادق به الدنيا فبينما هم فى
تلك الحالة واذا هم بغبار قد طار من خلف اظهرهم وصياح وعياط
وخيل قد ملات الوادى فوقفوا ينظرون ما هذا الامر فلما قربوا
منهم واذا بهم عرب غزالة يقدمهم حماد بن خير ولخوه سلام
وكان سلام هذا بطلا لا يطاق فبادروا السلطان طومانباى
بالسب والشتم والكف عن محاربة السلطان سليم وقالوا له انكم
ترجع عن محاربة السلطان سليم والا كلنا عليك ونأخذك مواسطة
ولكن ارجع الى حيث شئت واخرج من ارض مصر فانكم قد قتلتم منا
خلقا كثيرا فى ايام ولايتكم وما منا من احد الا وله احد قد قتلتموه اما
اخوه واما ابوه واما قريبه وقد ازال الله تعالى دولتكم وجاء
بهذا الملك العادل فقال لهم طومانباى ستنظرون دارى واحكم بعدنا
وكف السلطان طومانباى وانثنى راجعا بعد ان خادعهم بالكلام

فلم يقبلوا منه قولا مطلقا فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم اعلموا يا اخوات ان دولتنا قد زالت واجالنا قد مالت وما
بقي لنا في هذه الديار نصيب ولكن لنا اسوة بمن كان قبلنا وانظروا
الى هذه الحالة وما النصر الا من عند الله وقرأ قوله تعالى ان ينصركم
الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده فما الرأي
عندكم قالوا له الرأي ما تراه وها نحن بين يديك كلما تفعله نحن موافقون
لك عليه فقال لهم سيروا بنا الى جهة الهرم فساروا فبينما هم
سائرون واذا بكردوس من الخيل قد هجموا عليه فارسل ينظر من هؤلاء
واذا به الامير قيت رجبي الذي كان محبوسا بالاسكندرية وقد كان
حبسه السلطان الغوري وكتب على قيده مخلد فلما تسلطن طومانباي
وحصل له ما حصل تذكر قيت رجبي هذا وكان من الفرسان المخبورة
فقال احق ما يكون ان ارسل فاطلق قيت رجبي واخلع عليه ليكون
لنا عونا على هؤلاء الاعداء فكان مجيئه في هذا الوقت فقبل يد
السلطان طومانباي وتلقته الامراء ولبسوه خلعة السلطان
وساروا معهم الى جهة اهرام الجيزة وبكوا بكاء كثيرا وحكوا الدما وقع
للغوري وما جرى لهم من اوله الى اخره فقال لهم بالله المستعان
وعليه التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ولا تستعينوا
الا بالله وكان من اهل الرأي والدين وكان قارئا كاتبا عارفا باداب
الحرب ولهذا حبسه السلطان الغوري خوفا من ان يدبر عليه امرا
ثم قال الامير قيت رجبي يا مولانا السلطان اختير عندي ان
نجعل هذه الواقعة نظما ونكتبها على هذا الهرم ليكون لنا بها
الذكر على ممر الدهور والايام وكان بانزاء الاهرام فقام السلطان
والامراء الى الهرم الغربي فوقفوا عنده قال الناقل فاخذ وشرع السلطان
طومانباي ينشد والامير قيت رجبي يسمع والامير يشرب
يكتب على الهرم هذه الابيات التي جاءت من احسن المعلقات تتضمن

جميع ما جرى لهم من اول الحرب الى آخره نظما حسنا وهى هذه الابيات

دموع العين فاضت من اماق ... وقلبى ذاب من كثر احتراق
فلا ناري طفاها دمع عيني ... ولا دمعي يفيض من اختناق
وفي اسف على اسف وحزن ... وهم فوق هم واشتياق
على زمن تقضى فى نعيم ... بمصر والعلى والعز راق
وشمس السعد فى شرف المعالى ... وبدر الضد فى درج المحاق
ولما ان اراد الله هذا ... اتانا الروم من جهة العراق
وسلطان الجميع سليم شاه ... عظيم الملتقى مر المذاق
وكان الماجد الغورى منا ... مليكا شبه بحر فى اندفاق
وقد قاد الجيوش لنحو حرب ... وكان المرج وعدا للتلاقى
وكان الحرب يوم الحد لكن ... تولى جيشنا والحرب باق
وسلطان لنا اضحى قتيلا ... طريحا والدما فى الانهراق
وكان الخائن الكلب الغزالى ... وخيربك المبوطن فى النفاق
هما اصل الهزيمة عن حقيق ... الى حلب كخيل فى سباق
وصار الجيش من حلب لمصر ... وزاد الكرب مع ضيق الخناق
وعند حماه خيربك المخامر ... رجع لعدونا يبغى شقاقى
وفى الشام الغزالى كاد كيدا ... وابراء عاقر كل انعواق
وساروا بعدها سيرا حثيثا ... لغزة ثم مصر فى لحاق
ولما استجمعوا فى مصر قالوا ... نسلطن ايكم لعد وواق
ولوا اينا اهل لهذا ... براى الفيل علان الموافق
وسيرنا الشريف بعظم جيش ... عشرة الاف فرسان استباق
وقدمنا على الكل الغزالى ... ولم يعلم بسوء الاختلاق
فاختار الهزيمة وهو سال ... سلاح الحرب خوفا من ذهاق
وجاء تنا رجال الروم مصرا ... وقد حازوا البلاد مع الافاق

خرجنا بالجموع لنلتقيهم ... وكان الشر يوم الحرب راق
وفي حط المدافع قام قومي ... وزادوا في الخصام وفي الخناق
وقد جاءت علينا الروم زحفا ... كبحر مالح في الاندفاق
وزاد الرمي بالبارود حتى ... حسبت الرعد محلول الطلاق
واطبق كل ناحية وفج ... واشغل بالمشقة والدقاق
وقلت لكرتباي ترى الاعادي ... علينا كالسحاب على الشراق
وقلت الى الفتى علان خفنا ... فليس لنا من الاحيا بواق
فقال اليوم نصليها بطعن ... تموت الناس والتذكار باق
وقمنا بعد ذلك قد حملنا ... كأسد لا تخاف ولا تواق
قتلنا من ملوكهم ثلاثة ... واسقيناهم كأس الدهاق
ولما قدروا ذا الفعل منا ... اتونا كالجبال بانطباق
فاسقيناهم كاس المنايا ... فخروا للثرى مذ كنت ساق
وبددت الفوارس في مجالي ... بطعن في الصدور وفي الاماق
وعدنا عودة للأسد لما ... اتوا بالصيد من قلب الوطاق
وقد صبنا الغزالي قد تولى ... واختار الهزيمة بالنفاق
وفي علان جاءت ضرب زان ... وكان به المنية والفراق
فوا اسفا عليه وقد تولى ... وودعني وداع الافتراق
تظل العين باكية عليه ... بدمع لا يمل كما السواق
وجاء بركبتيه كمثل هذا ... وصار الفخذ منه كالنطاق
كذلك جانبلاط غدا طريحا ... ابو يس في الشجعان راق
واما فانصوه امير قطيا ... فلم يوقه يوم الحرب واق
وكم قد رمت قتل سليم شاه ... فلم يبارزني وحر الحرب باق
وكم قد قلت اين سليم شاه ... يبارزني وحر الحرب باق
واقسم لو اراه غدا قتيلا ... بسيفي لو رقا سبعا طباق
ولما ان رأيت الحرب دارت ... علي وقد نأى عني رفاق

فوليت

فوليت الجواد لنحو مصر ... وحسبت الفنا والله باق
وعند طرا اتانا لجيش جمعا ... وسرنا الشرق يا بئس الشراق
وعدّينا لمصر لاجل حرب ... كبسنا الروم والديجور باق
قتلنا منهم جمعا عزيزا ... بضربات المهندة الرقاق
ثلاثين بان القتل فيهم ... وفينا والعساكر في محاق
وقومي قد ارادوا يغدروني ... ويرموني اسيرا في وثاق
وشاربك احتمى عني بسيف ... وكان بنفسه لي خير واق
جزاه الله عني كل خير ... وكان له رحيق المسك ساق
وبرحنا قلقشنده ثم عدنا ... وصرت اجد من عظم اشتياق
وجدنا قائما امسى قتيلا ... وفوق الالف معه في دهاق
فقلت لشاربك اذهب سليما ... واحذر من طبيعات الحماق
فان عداءنا جمع عظيم ... كمثل البحر زايد في تراق
فقال اليوم نصليها بطعن ... كمثل السم لا ينفعه راق
وقاتلنا الجموع وقاتلونا ... ونحن على المضرة والعناق
وبعد الظهر جاءتنا جيوش ... عداد الرمل جمعا في انطباق
وزلزلت البلاد بهم الى ان ... حسبت الحشر قام مع التلاق
فقلت لرفقتي خلوا وقلوا ... وولينا جميعا باقتراق
دخلت البيت نحميه لقاني ... جموع من نسانا في زعاق
وقاموا في ضجيج مع نحيب ... وجاءتني خوند بثوب طاق
وقالت لي تخلفنا على من ... وليس لنا ترى في الحي واق
وتهرب من ذئاب وانت ليث ... طويل ناب والمخلاب باق
وفيك السابقات لكل خير ... وفيك اللاحقات مع البواق
فخلصنا من الاروام ياذا ... فانا في مضيق وانغلاق
فقلت لهم ورب البيت اني ... صبوح المضرب بالبيض الرقاق
احب الي من شرب الملاهي ... على كاس وابريق وساق

وشرب دما الفوارس كل يوم مدامي واصطباحي واغتباق
واني اذ ذهبت الى اعتذار لقد قلت جموعي مع رفاق
وعنتر غاب عن عبلي سنينا بقيد الاسر في ارض العراق
ونام الزير دهرا عن كليب وبعد سنين جا لما يلاق
وان النيل يعلو بعد نقص ويرقى الاوج من بعد انمحاق
وان الليث يهرب من لهيب ويرجع رجعة كالسم فاق
واني بعرف امضي ثم اتى كرجعة عنتر يوم السباق
فعادت وهي نادبة بقهر تضج الضج من الم الفراق
وقالت يا طوماناي المغدى فراقك عندنا مر المذاق
فسافر في امان الله اني ودعتك للذي رفع الطباق
فرجعت الجواد ودمع عيني كسيل سال من بحر الاماق
وسافرت الصعيد فخرت جيشا كما قالوه راقا فوق راق
وجانم قد اتى وبدا بحرب فولى هاربا دون الزقاق
وسرت لنحو مصر في جيوش تقاد مع الحمولة والنياق
ورزمك قد لقاني في طريق فياله ماجد طلق طلاق
وصبحنا جيوش الروم صبحا على الجود المضمرة العتاق
وزدنا القتل حتى كل سيفي واشكل نيل مصر بانهراق
وقد رمنا تعدي البحر لكن غزالة قد اتونا في استباق
وراموا حربنا وبغوا علينا وان البغي اشام الاختلاق
فعدنا عن قتال الروم قهرا لقينا قيت سيد من يلاق
وعلقنا على الاهرام شعرا كنظم الدر في حسن النساق

قال الراوي

فاقتضى راي السلطان طوماناي ومن معه من الامراء ان يدخلوا الى دهشور وينادي في البلاد ان الخراج بطال ثلاث سنين وان من اراد القتال ونصرة السلطان طوماناي فليسرع

الينا

الينا وله مالنا وعليه ما علينا فلما كان كذلك اجتمع لهم عالم عظيم
من عرب وفلاحين وغيرهم ثم اقتضى رأيهم ان الامير شريك
يكون باشا على عشرة الاف فارس راكب وماشي الى قتال
السلطان سليم فى اى محل صادفه فيه. وان السلطان طومانباى
يستمر فى دهشور حتى يأتيه الخبر من عند شريك هذا ما كان من
امر هؤلاء واما ما كان من امر السلطان فانه ضاق صدره وندم على
دخوله مصر وخشى ان يطول عليه المطال ويدخل عليه الشتاء
وينقطع عنه خبر بلاده وخشى من امر النصارى ان يدبروا امرا فى
غيبته على اخذ الممالك الاسلامية فاشتغل فكره ودخل عليه
الوسواس فنوى ان يبطش بخير بك فانه هو الذى حسن له التوجه
فى اخذ مصر وخصوصا وعده السلطان ان يجعله باشا على مصر
الى ان يموت فبينما هو فى هذا التفكر وقد دخل عليه الوزراء واخبروه
ان بلاد الاطيخية خرجت عن طاعة السلطان سليم وقامت
العربان كلها على ساق لنصرة السلطان طومانباى فازداد غما على غمه
فاقتضى الرأى ان يرسلوا تجريدة تمهد العربان وتأمرهم بطاعة السلطان
سليم وانه ما قصده الا عمارة البلاد وانه لا يحصل منه اذية لاحد
من العرب ولا من الفلاحين وانه كل من عاند او خالف ليس له جواب
الا السيف فقال السلطان من يكون سردار على التجريدة فقالوا كل
من اختاره السلطان فقال يكون قانبردى الغزالى فانه يعرف بأمر
هذه البلاد وبقتال العربان فلما حضر امره السلطان بذلك فاجاب
بالسمع والطاعة وقال امر العربان هذا اسهل ما يكون ولا يهتم
مولانا السلطان بشئ من ذلك ابدا قال الشيخ احمد بن زنبل الرمال
ان السبب فى وصول الغزالى الى طاعة السلطان سليم هو انه
لما عاكس السلطان طومانباى فى امر المدافع وغطوهم بالرمل عنادا
وتكبرا منه ومن بعض الامراء فلما حصل ما حصل من الهزيمة فى وقعة

الريدانية وانهزم من جملة من انهزم وحسد امنه للسلطان
طومانباى وكان قصده ان يتسلطن هو فلما اقضى رأى الامير
علان والامير شربك الاعور والامير كرتباى الوالى والامير
قانصوه العادلى والامير ابرك رأس الجلبان وبقية الامراء
والاعيان ان يسلطنوا طومانباى لما يعلمون من فروسيته
وشجاعته ودبانته وانسانيته وتواضعه وزهده فى
الدنيا وعدم الكبر والتجبر وليس يستحق السلطنة الا هو فلما
كان كذلك غلب الحسد على قانبردى الغزالى والبغض لابناء جنسه
حيث انهم لم يؤهلوه للسلطنة وقد موا عليه طومانباى وكان
احق بها واهلها نسبة الى غيره والغزالى اخذ يعاكسهم فى كل امر
دبروه ويخطئ رأيهم فيما يفعلونه فعلم السلطان طومانباى
والامير علان انه ملاح عليهم فاراد الامير علان ان يبطش
بقانبردى الغزالى فقال له السلطان طومانباى لا تفعل فقال
له ما تنظر الى معاكسته لنا وعناده قال اخشى انك ان قتلته
ربما تقع الفتنة فى عسكرنا وينخرم نظامنا ولكن اصبر الى ثانى مرة
وما يكون الا ما يريده الله تعالى ولا يغلب الله غالب والله سبحانه
وتعالى يعلم اننا ليس لنا رغبة فى قتل احد وانما هؤلاء القوم بغوا
علينا ويريدون ان يأخذوا بلادنا واموالنا واولادنا ويهتكوا
حريمنا فوجب علينا ان ندفع عن انفسنا وعن اموالنا واهلنا
واولادنا دفع كل من قدر على شئ ان يفعله والله يفعل ما يشاء
فقال الامير علان والامير شربك والله ما دام هذا الخبيث
الولد الزنا بيننا لا ينتظم لنا نظام ابدا وما دام خير بك مع عدونا
لا يرد الخصم عنا ابدا فقال السلطان طومانباى والله ثم والله
ليس لى رغبة فى سلطنتى وانما انا واحد منكم ولولا انكم اخترتمونى
والزمتمونى بذلك ما طاوعتكم فى شئ من ذلك ولكن لله التدبير

فلما

فلما انهزم قانبردى الغزالى تبعه اثنا عشر اميرا قصاد فمنهم
الامير سودون الدوادارى ضرب زان اخذ فخذه فسار معهم
الى قليوب وهو بالاخذ فتصفى دمه فمات هناك ودفن بها
فجاء بعد ذلك على باى واخرجه من قبره وحمله الى مصر ودفنه
فى تربته وتم الامير قانبردى الغزالى ومعه احد عشر اميرا وكان
من جملتهم رزمك الناشف الى ان وصلوا الى الامير احمد بن
بقر فخرج الى لقائهم ورحب بهم واقام بخدمتهم وما زالوا
عنده والاخبار ترد عليهم وشاع ذكر طوما نباى وما ظهر
منه من الفروسية وما فعله فى عسكر السلطان سليم وما
قتل منهم وكذلك الامير شربك الاعور والامير قانصوه الغادى
وغيره من الاعيان الذين تبعوا السلطان طوما نباى فحصل
عندهم الغيرة من ذلك فان الجراكسة كانوا قوما نفوسهم
شامخة واعطاهم الله تعالى الشجاعة والفروسية وكانت هى
فخرتهم فكان كل منهم تحدثه نفسه انما يكون سلطانا الا هو
فلهذا اخذوا عن دابرهم فان اخذ الملك ليس كان عندهم الا بالشجاعة
والملك ليس بقوة وانما هو امر الهى يعطيه الله لمن يشاء من عباده
ولما ترادفت الاخبار بما فعله طوما نباى صاروا يتعجبون من ذلك
فان طوما نباى ما كان مشهورا عندهم الا بالدين والصلاح وكان
الذى ينظره بهذه السكينة والوقار لا يشك فى صلاحه وكان
محبوب الصورة عند كل احد فلما صارت منه هذه الشجاعة
والفروسية صاروا يتعجبون فقال لهم الامير رزمك الناشف
انا سمعت قول القائل الشجاعة صبر ساعة فقالوا له صدقت
يا امير لكن من يصبر على ملاقاة هذه النيران وضرب الزانات
والبندقيات ولو كانوا مثلنا يقاتلون على ظهور الخيل كان الواحد
منا يقاتل منهم مائة ومائتين لانهم ليس عندهم معرفة فى ركوب الخيل

ولا للجولان فى الميدان فقال الامير رزمك الحى ماله قاتل وقال
فى نفسه ما ثمرة بقائنا فى هذا المحل وسلطاننا يقاتل نفسه
والله ليس هذا من المروءة وتوكى على الذهاب الى السلطان طوما نباى
وبات ما اصبح ففتش عليه الغزالى فلم يجده فعلم انه سار الى السلطان
طوما نباى فخشى انه ان قام يوما اخر رجعت بقية الامراء الى
طوما نباى ويخبره بحال الغزالى الذى هو فيه فقال فى نفسه وتكلم
مع الامراء الذين معه وقال لهم يا اخوات اعلموا ان دولتنا قد
ولت وما بقيت هذه البلاد لاحد هذا الملك والاولى والاحسن
ان نذهب اليه ونأخذ له امانا فاذا اصرنا فى امانه امنا على انفسنا
واموالنا وحريمنا وايضا ليس هو مقيما فى هذا الاقليم فانه حيث
تمكن من البلاد يأخذها وقتل طوما نباى اقام خير بك نائبا عنه
وذهب الى بلاده فاذا ذهب عنا بقيت البلاد فى ايدينا نتصرف
فيها كيف نشاء قالوا له ومن اين لنا انه يعطينا الامان قال لهم انا
اضمن لكم ذلك فان بينى وبين خير بك اتفاقا باطنا لا يعلم به احد
الا انا وهو فعند ذلك اطاعوه وذهبوا معه الى ان وصلوا الى
كيمان الريش وارسل اعلم خير بك بقدومه ففرح خير بك بذلك
فرحا شديدا وذهب الى حضرة السلطان سليم واخبره بذلك
ففرح السلطان ايضا فرحا عظيما وارسل له خير بك والوزراء واعيان
دولته فتلقوه ودخل من باب القنطرة فى موكب عظيم وخلع عليه
خلعة عظيمة من اعظم خلع الملوك وقابل السلطان سليما وترحب
به وامنه وامن جميع الامراء الذين كانوا معه وصار معززا مكرما
عند السلطان سليم وعند عسكره ونرجع الى سياق الحديث قال
فلما اخبروا السلطان سليما ان العربان قامت على ساق وعصوا
وخرجوا عن طاعة السلطان واقتضى رأى السلطان فى ارسال
تجريدة فارسل الغزالى باشا على العسكر وكان معه خمسمائة فارس

من

من الجراكسة وخمسمائة رامى بندق من اليكنجرية الى بر الاطفيحية
فلما وصل الى اطفيح ورأى البلاد كلها قائمة على ساق والعربان مجمعة
وراوه قصدوه وبادروه بالسب والشتم ثم وقع بينهم الحرب
فكانت الكسرة على العرب فانه بادر برمى البندق فلم يثبتوا لذلك
فولوا هاربين فتقفاهم ومزقهم كل ممزق وشتتهم وامر بنهب
بخوعهم وسعيهم وحريمهم واولادهم وارسل جميع ذلك الى
السلطان سليم فامر ببيعهم فى الرميلة فبيعت النساء والاولاد
الاحرار كما يباع الرقيق ولكن بابخس قيمة فصارت الناس كل من
كان فى قلبه رحمة يشترى منهم الذى يشتريه ويعتقونهم فى الوقت
ووقع على الغزالى من دعاء العامة ما لا يحصى عددا حتى دعت عليه
اليهود والنصارى ولما سمعت العربان بذلك عصت جميعا *
وكذلك العشير والخوف وكان سيدى يحيى بن الامير ازبك صاحب
بركة الازبكية لما كانت وقعة الريدانية وانهزمت الجراكسة
تم على ظهر فرسه الى بلاد بنى حرام وكان بينه وبينهم مصاهرة
وتم مقيما عندهم والاخبار تتنقل اليه وترد عليه وقلبه مع
طومانباى ولكن لا وصول له اليه فلما كان كذلك وعصت
جميع العربان والبلاد رأى له طريقا الى الخروج فصار هو وبنى
حرام يخرجون ويدورون فى البلاد والطرقات حتى وصلوا الى
باب النصر وباب الشعرية وكل من وجدوه روميا قتلوه فقتل
من الاروام خلقا كثيرا خصوصا من الاروام الذين يسمون عجم
اوعلان فانهم كانوا يدورون ينهبون كلما يجدونه من مأكل
وغيره فكانت الزعر والفلاوية وحسن القتل فى ذلك الزمن وكان
سيدى يحيى بن الامير ازبك شجاعا عظيما وكان من الفرسان
المخبورة حتى اجمعت الناس على انه كان فريد عصره ووحيد دهره
فى كل فن من فنون الحرب وكان فيه محاسن تفوق عن الوصف

فلما سمع بان السلطان طومانباى يقاتل السلطان سليما عند المناوا
ورحل عنها الى دهشور وانه جعل الامير شربك الدوادار الكبير
مقام نفسه فى جميع اموره واشترط على نفسه ان ايده الله تعالى
ينصره جعله ولى السلطنة من بعده لاجل ما نظر من شجاعته
وقوته فى الحرب فعند ذلك قام سيدى يحيى بن الامير ازبك وعزم
على التوجه الى السلطان طومانباى وعدى من الشرق الى البر الغرب
وتمم سائرا وكل من تلقاه من العربان يترحب به ويفرح به ويلتم
اليه فانه كان مشهورا ومحبورا عندهم بالفروسية فلا زال
سائرا حتى وصل الى دهشور واجتمع بالسلطان طومانباى ففرح
به السلطان وساله عن حاله فاخبره بما فعله هو وبنو اخرام من
قتل الاروام فشكره السلطان على ذلك وامره ان يكون مع الامير
شربك من اصحاب المراتب قال الراوى هذا ما كان من امر هؤلاء
واما ما كان من امر السلطان سليم فانه لما نظر الى هذه الامور
المفزعة والاحوال المطربة خاف على نفسه وضاق صدره من
اجل ذلك وتحير فى امره فقال لارباب دولته ماذا تقولون فى
هذه الطائفة القليلة كلما اقول ان امورهم هانت فما اراها الا
تزيد فى كل يوم وقد حصل لنا منهم غاية الضرر فقال يونس باشا
والله كان رجوعنا من الشام هو الصواب الان خبرك لما ات
وعدتر بان يكون ملك مصر ما دام حيا صار يدبر فى تحصيل
مراده ولا قدرة له على ذلك فهو يحسن لنا ولانا السلطان العبارة
ويسهل لك الامور ويظهر لك انه ما قصده الا ان تكون البلاد
بلادك والحال انه فى باطن الامر انما يستعين بك على بلوغ مراده
وهو هلاك ابناء جنسه واستقلاله هو بالبلاد والملك وترجع
انت ونحن معك ان سلمنا ويستقل هو بالبلاد لنفسه وقد
طمعت اماله بانك لا تاخذ منه مالا ابدا فهو مجتهد فى ذلك غاية

الاجتهاد

الاجتهاد فحصل عند السلطان سليم تغير عظيم على خيربك حتى
ايقنوا اجمعين بانه لا يبقى عليه ابدا وكان يونس باشا الذى
هو الوزير الاعظم يكره خيربك فى الباطن لما رأى منه من
قلة الخير فى حق ابناء جنسه وكان ليونس باشا من الاخلاق
الحميدة والاوصاف الجميلة ما يفوق الوصف وكان يعرف
ان خيربك ما قصده الا بلوغ مراده ولكنه دخل فى عقل السلطان
سليم وصار يصغى لقوله وصار السلطان متحيرا لانه ان قتل خيربك
وهو مجنون فى مصر قامت عليه جميع البلاد من الشرق والغرب
فقال السلطان سليم لارباب دولته انا نحن قد اخذنا ارض
هؤلاء القوم وسبينا حريمهم وقتلنا اكابرهم فماذا نريد بعد
هذا وكفى ما قد جرى وصار الاحسن فيما ارى ان نجعل بيننا وبينهم
صلحا ونترك لهم بلادهم فاشاروا عليه بارسال خوشقدم فقال لهم حبا وكرامة
ولكن اذا لم يوافقوا على ذلك والا كنت انا اول من يقاتلهم ثم خرج من عند
السلطان سليم فطلبه يونس باشا واوصاه بانه لا يغلظ عليهم
فى الكلام فان الكلام الذين تقبله النفوس فلما وصل خوشقدم
الى دهشور رأى جيشا عظيما وخيلا كثيرة فلما وصل اليه فاذا
به الامير شربك ومعه هذه العساكر وهو قاصد قتال السلطان
سليم فلما اجتمع به ووقعت العين فى العين قال خوشقدم يا معشر
الامراء والسادات انى اريد الامير شربك واتكلم انا وهو فيما
يكون فيه الصلاح لنا ولكم فتقدم الامير شربك وعن يمينه الامير
ابرك رأس الجلبان وعن يساره قانصوه العادلى والامير فلج
وحركوا خيولهم وقد خرجوا عن قومهم حتى التقوا بالامير خوشقدم
وصار بينهم قدر رمحين فكان البادى بالسلام الامير شربك
فرد عليه خوشقدم السلام فقال الامير شربك ما معك انتما
الامير وفاى شئ جئت فقال جئت فى الصلح بينكم وبين هذا الملك

الذى هو سليم شاه الذى هو اعظم ملوك الارض ولست ارى لكم
ان تعاندوه والرأى عندى ان تدخلوا تحت طاعته احسن من
ان تصيروا فى قبضته وتذوقوا بين يديه العذاب ويقطع منكم
الرقاب لانه ارحم عليكم وانتم ارحم على ارواحكم وارقابكم
واولادكم ونسائكم وعيالكم فكفوا اشره عنكم فقال الامير
شريك اما انت فامرك امر عجيب فقال لماذا قال لانك كنت تقول
قبل هذا الملك الذى يقول انه اعظم ملوك الارض ان جاء من البر
الى ارضنا اول من يقاتله انا واكون فداء لابناء جنسى جميعا فلما
ذهبنا الى شرقاطفيح ورجعنا الى حرب عدونا وضربنا الرأى ان
نكبس عليهم ليلا فقهرت انت منا ورجعت الى عدونا الذى كنت
تقول انك اول من يقاتله واخبرته بما دبرناه واطلعته على ما عزمناه
فلا ادرى فعلت ذلك من جبن فى قلبك او خلل فى عقلك واعجب
من هذا انك جئت اليوم تزعم انك تريد الصلح فلا ندرى اخصم
انت ام حكم فقال له خوشقدم صحيح انى فعلت ذلك وما فعلته جبنا
من الحرب ولا خوفا من الطعن والضرب وانما فعلت ذلك لما
انى رأيتك صرت دوادار كبير وتعاليت علينا هذا العلو الزائد
كرهنا ان نكون تحت امرك وان ننقاد لقولك وفعلك فقال له
الامير شريك من حسن عقله وحلاوة لسانه وطول روحه
واديه فى جوابه والله يا امير خوشقدم لو اخذت انت هذه
الوظيفة التى حسدتنى عليها لكنت اول من يخدمك فيها ويقوم
بحوايجك فقال له خوشقدم بعد ان بخل منه واستحى والله انا
كنا حسدناك عليها ولكن لما سمعنا عنك ما لم نصدق من
الفروسية والشجاعة ورأينا ذلك عيانا قلنا والله انه احق
بها واهلها ولولا ان السلطان طومانباى يعلم منه انه يستحق
ذلك ما اعطاه له ولكن هذا قليل من ابن حتى يكون فى مرتبة كريتاى

الوالى فلما سمع الامير قلج منه هذا الكلام ما ساعه عقله ان يسكت
عن الجواب فقال له وانت لو علم الله ان فيك خيرا اعطاك اعلى
منا ولكن الله تعالى علم انك رجل خائن خارج عن حد المعارف
عن ابناء جنسك فلما سمع خوشقدم هذا الكلام اخر فعزا
وكان عنده طيشان عقل وخرجت منه الحدة فثلث قطاريته
وطعن الامير قلج طعنة بقوة عزمه يريد بها هلاكه فاخلى عنها
بمعرفته فراحت فى البطال ومن شدة الطعنة كاد ان يسقط
خوشقدم عن جواده فلما عاين ذلك الامير شربك خرج منه الحدة
وكان فى يده طبر جناح مكتوب على ظهره بالذهب هذا دليل لنهب
الارواح فضرب به خوشقدم على قطاريته فابراها كما يبرى
القلم فلما سقطت قطاريته من يده جذب سيفه وقصد الامير
شربك فضربه ضربة ثانية بالطبر على خودته فقطعها وجرح راسه
جرحا عظيما فلما رأى الدم على وجهه ولى هاربا فلما رأوه اتباعه
ولى هاربا والدم يقطر من لحيته ولو اوتبعوه منهزمين فتبعهم
شربك قدر ميل ورجع عنهم فما سلم منهم الا القليل فلما وصلوا
الى اوطاق السلطان سليم وشاع الخبر بان خوشقدم منهزما
وولى مجروحا ووصل الخبر الى السلطان سليم اغتاظ غيظا عظيما
فأمر باحضار خيربك فقال له انى اريد الرجوع الى دار سلطنتى
لان الاعادى فى حوالى مملكتى وقد قرب الشتاء واشتد الغلاء
واترك هذا الخراب لاهله فلما سمع خيربك ذلك عسر عليه هذا
الامر وقال يا مولانا السلطان ان فعلت ذلك سقطت من اعين
الملوك ويقولون هرب من الجراكسة ولكن الصبر عاقبته الفرج
ومن تأنى ينل ما يتمنى فعند ذلك امر باحضار من كان مع
خوشقدم من الارواام وقال لا تاتونى بجركسى ابدا ولا ترونى
احدا منهم وكل من يجيب اسارى يجيبهم قدام الخيمة ويقوم

المشاعلية يقطعون رؤسهم وكل من يجيب رأسا يؤديه الى
الوزير الاعظم فلما وقف كبيرهم بين يدى السلطان قال له
اما اجتمعت بطوما بناى فقال لا والله ما اجتمعنا به وانما وجدنا
شريك وهو سائر الى جهتنا وقاصدنا فقال السلطان فى كم
فارس يكون قال معه الف فارس من مدرع ولابس وفى الحديد
غاطس وهو امامهم يقول فى نفسه انه يقدر ان يفتح بهم الارض
شرقا وغربا فقال له السلطان انت نظرت شريك الاعور قال له
نعم وقربت منه حتى نظرت فى وجهه فقال له السلطان صف
صفته فانهم وصفوه عندى مرارا كثيرة فقال ليس هو طويلا
ولا قصيرا وانما هو شرطة الناس وليس هو سمينا ولا رقيقا الا
ان قوائمه كقوائم البعير اعرض ما فيه صدره واكتافه وذراعاه
حنطى اللون عرنى الوجه وليس هو اعور كما يقولون وكما يسمونه بالاعور
ولا به حول وانما اذا مال بعينه الى جانب يكون احد بياضها ان يبدو
من سوادها فلما سمع منه السلطان هذا الكلام قال له صدقت
ثم قال له وهل طال الكلام بينهما حتى تمكنت انت من النظر اليه
فقال نعم حتى انى سألت من جماعة خوشقدم عنه فقالوا اننا
رأيناه باعيننا وهو يمسك الفحل الجاموس من قرنه ويجذبه
فيقلعه من مكانه ويلوى قرونه بيديه فيقلبه على جنبه والناس
ينظرون اليه فقال له صدقت انى سمعت عنه ذلك ولكن اذا
نزل القضاء عمى البصر فلا تفيد الشجاعة فسوف ترى انى سأقبض
عليه واقطع رأسه وانت تنظر اليه فان دولتهم قد انعكس
طالعها ثم ان السلطان التفت كليته الى الحرب وامر ان تمسك جميع
المراكب ويجعلوها صفا واحدا من بر مصر الى بر الجيزة وان
تربط فى بعضها باحكام واتقان وامر ان تعدى العسكر على
المراكب ففعلوا كما امر واخذ معه نحو اربعين الف خيال ومشاهم

مشاة غير اتباعهم ولكنهم نقاوة النقاوة من شجعان عسكره
وطلب قتال الامير طومانباى وترك فى مصر الوزير يونس باشا
وبقية العساكر واوصاهم بحفظ البلد واخذ معه خير بك
نائب حلب واوصى الوزير الذى هو يونس باشا انه اذا اجاء
الغزالى برسالة اليه فامر الوزير من وقته وساعته بكتابة مرسوم
الى جانبردى الغزالى يامره بان يعدى الشرقى الى بر الصعيد وان السلطان
سليم يريد قتال السلطان طومانباى وهو مجد له فى الطلب وانت
اذا وصلت اليك تلك الكتابة تكون على اهبة حتى تجتمع بالسلطان
سليم وتكون انت وهو على طومانباى حيثما يكون وحيث ذهب

ذكر تعدية السلطان سليم الى بر الجيزة

قال فلما عدى السلطان سليم الى بر الجيزة ومعه سيدى محمد
ابن المرحوم السلطان الغورى وكان سيدى محمد قد قابل السلطان
سليما فى اول دخوله مصر على يد اخى جلبى وقاضى العسكر محمد
افندى بحكم وعهد وكتبه له السلطان سليم وحلف له ايضا
انه لا يضره بوجه من الوجوه ابدا ولما قابله اكرمه السلطان
غاية الاكرام وخلع عليه خلعة تليق بالملوك وزاد فى اكرامه حتى
اطمأن اليه وصار ياخذه معه فى كل محل ذهب اليه ولما عدى
السلطان سليم الى بر الجيزة كما تقدم وصار يسير بهم على الراحة
لاجل ما معهم من المدافع والضربزانات والاحجار والاثقال
قال الراوى هذا ما كان من امر السلطان سليم وسيره بالعساكر
واما ما كان من امر شربك فانه سار بمن معه حتى وصل الى
بر الجيزة وعن يمينه الامير قانصوه العادلى وسيدى يحيى بن
الامير ازبك والامير ولتباى كاشف الجيزة والامير يازدبك
وعن يساره الامير ابرك رأس الجلبان والامير تمر الزردكاش
نائب الاسكندرية والامير ولتباى الكبير كاشف الصعيد *

والامير قلج صديق الامير شربك وهم سائرون فقال الامير شربك
والله يا اخوانى اظن والله اعلم ان فى هذا اليوم تقع لنا
مضايقه من قبل عدونا فان قلبى قد جربته ما حدثنى بشئ الا
وقد صاد فى الصحة ولكن قال العارفون من ثبت نبت
والشجاعة صبر ساعة فبينما هم فى هذا الكلام الا وقد ظهر على
بعد جيش عظيم والتناجق والاعلام فقال لهم الامير شربك
رايتم ما قلت لكم ولكن تأهبوا وقفوا مكانكم واما السلطان
سليم فانه لما عاينهم عرفهم فانه قد جاءه بدوى من عرب الفيوم
واخبره بان شربك الاعور قادم عليك ومعه الفان من خيار
عسكر طومانباى كل واحد فى نفسه يقول انه يلقاك بمفرده
فعند ذلك امر السلطان سليم الرماة ان يبدؤا بالرمى ولما تقارب
الجمعان حمل الامير شربك عليهم حملة واحدة ودكس عليهم فلما
عاينوا ذلك رموا عليهم طلقا من البندق والمدافع والمكفيات
والسبقيات حتى ادوت الدنيا وتزلزلت تلك الصحارى ولا بقى
احد ينظر احدا فهلك من هلك وهرب من هرب وثبت من ثبته
الله ولكن الامراء الذين تقدم ذكرهم لم يهلك منهم احد ولم يهرب
منهم احد بل توكلوا على مولاهم واسلموا امرهم اليه وحطوا ايديهم
فى الروم وقاتلوا قتال من ايس من الحياة وقاتل الامير شربك قتال
الجبابرة فما مضى من النهار قدر نصفه الا وقد تقهقرت الروم الى
ورائهم ورأوا من الامير شربك ما لا يرونه من احد غيره فعند
ذلك امر السلطان سليم عسكره ان يتفرقوا عليه من كل جانب
فصار كل من قرب منه هلك لوقته فلم يقدر واحد منهم ان يضربه
ضربة لا بسيف ولا بعود وصار يصرخ فيهم ويقول خلوا عن
الحرب يا علوج الروم وارجعوا الى شوربتكم وبوظتكم ثم
كلمهم بكلام فاحش ذكره الحاج فارس وهو غلامه الذى كان

وراء ظهره بالجنيب قال وقد استقل الروم حتى عجزوا عنه بجملتهم وايسوا منه ولم يبق احد منهم بقربه فانه كل من قاربه هلك وهو ينادى وينقول اين انتم ياسليم يامن يريد ان يكون سيد الملوك والسلاطين ابرز الى الميدان ان كنت سلطان آه ياجبان يا ابن الجبان يامن يقاتل المسلمين بالنيران ثم التفت عن يساره فوجد كردوسا من الروم نحو الالفين واكثر قد احاطوا بالامير دولتباى كاشف الجيزة فمال عليهم ميلة منكرة فما شعر الروم الا وهو حاطم عليهم حطمة الاسد الغضبان فانه لما راح السلطان الغورى بهذه الامراء والعساكر الى مرج دابق وكانت عسكره من جلجولية الى الجون ولا كان احد يقول ان هذا العسكر ينكسر ابدا ولو اجتمع عليه اهل الدنيا فانه كان كل واحد من هؤلاء الامراء يقول فى نفسه انه مقوم بجيش وحده ولكن لما اختلفت كلمتهم وقامت النفوس بعضها من بعض ولاحوا على بعضهم فكسروا بعضهم جبرا وكسروا املاكهم قهرا فلما التحم الحرب مع السلطان سليم لم يصبروا غير ساعة وهى من طلوع الشمس الى وقت الغداة وكانت الكسرة عليهم قال الراوى وما زال الامير شربك كلما سمع الجاوشية يصيحون على الطوائف ويحرضونهم على الحرب فيعيد وفيها فيحمل بنفسه عليهم حتفا ويقول ان هؤلاء احق بالقتل من غيرهم فانهم يأمرون الناس بقتل بعضهم ويحرضونهم على ذلك وهم لا يقاتلون شيئا بل يكبرون العمائم ويجهرون بالاصوات ثم عمد الى ناحية من الجاوشية وقاتل قتالا لا يدخل تحت الحصر حتى صارت الرجال مطروحة جرحا فوق جرحى واما باقى الامراء من الجراكسة فان كل امير منهم كسر من بين يديه من العساكر ولكن حاولت الروم كل الهرب وانما تقهقرت مواكبهم وتبخت كتائبهم وعجزوا العجز العظيم وذاقوا البلاء العميم لانهم فى طول عمرهم ما قاسوا قتالا

مثل هذا اليوم وكان السلطان سليم يتأوه ويتحسر ويتقلق
ويتضجر ويقول ما كنت اظن ان اقاسي من احد مثل ما قاسيت في
يومي هذا ولا كنت اقول الى بهذه العشرة الاف فارس وراجل
التي هي خيار قومي وتبعها اكثر من عشرين الفا التي في هذا العسكر
الذي هو في اقل من خمسمائة فارس ما لقيت منه ويفني اكثر عسكر
فقال له خير بك والله يا مولانا السلطان كذلك انا اقول
ما كنت اظن ان شربك هذا بهذه الصفة ولا كنا نعتبره بين الفرسان
ولكن ابرز انت بنفسك للعسكر وازجرهم وامرهم بالحملة لعل ان
يكون بسعدك النصرة لك فعند ذلك خرج السلطان سليم على
عسكره وصاح في وجوه اكابرهم للحرب للحرب ما هذه الفترات
اين تذهبون والى اي ارض تهربون ثم انه صار يوعدهم بالترفي
والعطاء الجزيل ويقول لهم انظروا لهم فانه ما بقي منهم الا نحو
الخمسمائة فارس انزلوا عليهم بجمعكم وابطشوا عليهم بقوتكم ولا
تبقوا منهم على احد واقطعوهم الى ابد الابد واسرعوا في الحركات
فلما تكلم السلطان سليم بهذه الكلمات المعجزات مع اكابر دولته
خرجوا من بين يديه وهم لا يدرون ما يصنعون وصاحوا على
الطوائف المجتمعة وحمل كل صف من ناحية وكانت الجراكسة قد
ايقنوا بالنصر والظفر وما دروا ان في ذلك اليوم الموت الاحمر والبلاء
المنتظر ولكن اذا نزل القضاء عمي البصر وما بقي مع الامير شربك
الا نحو خمسمائة فارس من الالفين الذين كانوا معه واما البقية
فمنهم من قتل ومنهم من هرب ولكن لم يهرب منهم احد من ضرب
سيف ولا عود ولكن انما هربوا من النار ومن البندق والضربزات
وكذلك الذين قتلوا لم يقتل منهم احد بالسيف الا القليل جدا
وانما قتلوا بالبندق والنار ولما كانوا هزموا الروم ووقفوا
حول الامير شربك وهو بينهم كالاسد وكل منهم يدعوله ومنهم من يقبل يديه

ومنهم من يقبل رجليه لما رأوا منهم من الشجاعة التى لا تسمع الا عن عنترة
ابن شداد فصار يسأل عن الامراء ويتفقدهم واحدا بعد واحد
فما وجد واحد منهم قتل ولا جرح ففرح بذلك وانما الذين قتلوا
والذين هربوا كلهم مماليك واتباع واما الرؤس والاعيان مثل
الامير قانصوه العادلى والامير يحيى بن ازبك والامير قانصوه
كرت والامير ابرك رأس الجلبان والامير ولتباى كاشف الجيزة
والامير ولتباى كاشف منفلوط وكان صديقه قلج يساره
ويتحدث معه حتى مر على الامراء المذكورين جميعا وهو يتفقدهم
هل جرح منهم احد فوجدهم كلهم طيبين فقال لهم الشجاعة صبر
ساعة انظروا الماصبرتم كيف ظفرتم وايدكم ربكم فثبتوا نقوم
حتى يتم الامر لكم ومن تعب منكم يقف فى مكانه ولا يولى دبره
فيكسر قلب اصحابه ويطمع الاعادى فينا وكلما كنتم حزمة واحدة
كنتم انتم الغالبين فقالوا والله يا امير ليس منا احد يهرب لا من
طعن ولا من ضرب فان هؤلاء القوم قد عرفناهم ليسوا بافرس منا
ولا اشجع منا حتى نهابهم وانما ضررتنا من هذه النار وهذا
البندق والرصاص ومن هذه الضربزانات التى لو رموها على
الجبال لازالوها قال لهم لا اعتبار بشئ من هذا مطلقا والحى
ماله قاتل والانسان اذا فرغ اجله مات وهو على فراشه وقد
قال مولانا سبحانه وتعالى لكل اجل كتاب فلا يزيد العمر بالهرب
ولا بالثبات ينقص العمر يومك يومك طيبوا نفوسكم ولا تجبنوا
فان الله تعالى يكره الجبان واعلموا انكم ما تقاتلون الا عن حريمكم
واولادكم واموالكم وبلادكم فمن قتل منكم مات شهيدا ومن
عاش منكم عاش سعيدا واما هؤلاء فانهم باغون عليكم والباغى
له مصرع فبينما هم فى هذا الكلام وظنوا ان الروم قد بطلت
همتهم عن الحرب واذا بهم قد اقبلوا عليهم زحفا مثل قطع الغمام

فصاح عليهم الامير شريك الحملة اسرعوا يا كرام غير لئام فكان
هو اول من حمل بعد ما فرغ منه الكلام وتطح الجيش بصدره
كانه الليث الضرغام فرمت عسكر الروم اول طلق والثانى
والثالث بالبندق والضربزانات حتى صار البندق والاحجار نازلة
كالمطر المدرار والجراكسة قد التحموا فى الروم حتى صار بينهم
حملات ومحاربات ومصادمات ومهاجمات ومضايقات مما لا
عين رأت ولا اذن سمعت وصار لهم رقع بالسيف والدبابيس
على الابدان كرقع مطارق الحداد على السندال او كوقع حوافر الخيل
على الحجر الصوان وجرى بينهم من الحرب ما لا تسعه الاذهان وكان
لهم يوم مشهود لم ير مثله فى قديم الزمان وكان الامير شريك
قاله فى هذا اليوم قتال من استقل كالليث الغضنفر ان مال على
جماعة طحنها او على طائفة مزقها وفى يده سيف يقطع الاعمار
قطعا ويصدع الاكباد صدعا فلم يكن الا شئ قليل حتى انطفت
جمرة الروم وخمدت وكلت حركاتهم وجمدت ورد جموعهم الامير
شريك قهرا وزجرا بحد سيفه فتراجعت مواكب الروم بين
يديه الى الهروب وقالوا ان هذا البطل ما له من البشر مطيق ولا
يليق لاحد ان يقاتل هذا السبع الغضنفر فلله دره من بطل
الابطال وهازم الاقيال حتى صار بعض اكابر الروم يدعون له
كما يدعون لانفسهم مما راوا من شجاعته وفروسيته وعلموا انهم
لا يقاومونه لا فى ركوب الخيل ولا فى ضرب السيف ولا فى رمى
السهام وانما عمدتهم على رمى البندق والضربزانات والالات الكبار
فقال اكابرهم بعضهم لبعض ان القتال مع هؤلاء الابطال فى الفاغ
البطال فتفهقرت الروم الى ورائهم فلما زالوا حتى وصلوا الى
النيل السعيد وقصدوا انفضاض الحرب فهم فى هذه الحالة
واذا بغبار قد ثار حتى سد الاقطار فوقفت الروم تنظر الخبر

ووقف الامير شربك ايضا هو ومن معه من الجراكسة ينظرون
وقد بقوا فئة قليلة ولكن كل واحد منهم مقوم بالوف ولولا
النار التي مع الروم لكانوا افنوهم عن اخرهم فلما قرب الغبار وظهر
من تحته خيل تركض الارض ركضا فقال لهم الامير شربك لا يخلو
هذا الجيش القادم من ان يكون السلطان طومانباى والا فهم
عرب غزالة فجاؤا النا لنصرة عدونا قال فما تم الامير شربك
كلامه حتى قربت الخيل اليهم وتحققوهم واذا هم عرب غزاله يقدمهم
سلام بن خير واخوه حماد وهم قاصدون الى العسكر الجراكسة
فلما نظروا الى الامير شربك بادروه بالسب والشتم فلما عاين
ذلك منهم عرف ان الامر صعب فاقتضى رأيه ان يظهر هم الهزيمة
حتى يتبعوه فاذا تبعوه وبعدوا عن الروم يرد عليهم وربما ان الروم
يرمون عليهم طلقا فيكون فيهم هلاكهم وكان الامر كذلك
فانه لما اظهر لهم الامير شربك الهزيمة طمعوا فيه وتبعوه فلما
بعدوا عن الروم رجع عليهم الامير شربك رجعة الاسد وقاتلهم
قتال من ايس من الحياة فما ثبتوا بين يديه ولا درجة واحدة
وقد ولوا منهزمين فانه ما بقي يقربه احد الا قتله فما ساعهم
الا الهروب واما السلطان سليم فانه لما راى العربان تهزمت على
الفور امر الرماة ان ترمي فقالت له الاعيان كيف نرمي على العرب
وقد جاؤا النصرتنا قال ارموا ودعوا كل من فرغ عمره يموت فرموا
عليهم طلقا فاصاب غالبهم فلما رات العرب ما حل بهم من الروم
اغتاظت قلوبهم وقال بعضهم لبعض انظروا الى هؤلاء العلوج
نحن نقاتل عنهم وهم يرمون علينا بالنار ولا يرحمونا وتنادوا
لبعضهم من يرد السلامة يتبع الامير سلاما واخاه حمادا فتوجه سلام
وتبعته العربان وما سلم منهم الا طويل العمر فما مضى غير ساعة
حتى نعزلت عرب غزالة الى بعد نحو ميل ووقفوا ينظرون ماذا

يكون الامر بين الفريقين فلما عاين الامير شربك ذلك حسب
الحساب انه متى رجع الى قتال الروم تتفقاه العرب وتضايقه
وتعوقه عن مراده فأمر الامير قانصوه كرت ان يكون فى مائة
فارس تحت السنجق بمن معه فاينما وجد العرب حملوا يلقاهم
بالمائة فارس والعرب الوف وقد قتل منهم نحو الف او اكثر ثم
حمل الامير شربك والى جانبه الامير قانصوه العادلى والامير
ابرك والامير قلج والامير تمر والامير بردبك والامير يزيد
والامير دولتباى كاشف الجيزة والامير دولتباى كاشف الصعيد
وسيدى يحيى بن الامير ازبك صاحب بركة الازبكية فهم صف
واحد كل واحد منهم مقوم نفسه بجيش وحده فلله در هم من
فرسان افراد واتباعهم نحو الثلاثمائة تحطم على الوف مؤلفة
ورماة بالبندق وبالنار على سائر الات الحرب فلما رات الروم
الامير شربك قد رجع عليهم يريد الحرب صاروا يتعجبون منه غاية
العجب وقالوا لاشك ان هذا الرجل مجنون او معه احد من الجن
يساعده واما العاقل لا يلقى نفسه فى هذا الهلاك فأمرهم
السلطان سليم بالرمى عليه فرموا طلقا حتى صار البندق عليه
كالمطر فلم يرجع عنهم وصار فى حملته حتى حطم عليهم وحط يده
فيهم فما صرت تنظر الا رؤسا طائرة وفرسانا تتساقط وعملوا فى
بعضهم كما تعمل النار فى الحطب وكان النهار قد ولى وغربت الشمس
والح لها عظيما السلطان سليم فى الحرب وامر اجناده ان يضايقوهم
وكان يريد اخذهم فى ذلك الوقت لان غالب عسكر الامير شربك
منهم من قتل ومنهم من هرب وما بقى معه الا الامراء الرؤس
القرانصة وبعض مماليكه فطمعت فيهم الروم غاية الطمع وبذلوا
جهدهم فى الحرب فلله در هؤلاء الفرسان القلائل كيف اصطلوا
هذا الحرب بأنفسهم فلما عاين السلطان سليم الامر بخلاف ما املته

ودخل الليل ايس من اخذهم ونادى فى عسكره بالانفصال فما
كانت غير ساعة حتى رجع عسكر الروم تحت سنجقهم وصار الامير
شربك يشتمهم ويقول لهم بلسان تركى اذهبوا الى شويتيكم
يا علوج الروم يا كفرة يا فجرة وعسكر الروم ايضا تشتمه وتقول
له ان شاء الله تعالى يا معرص نقطع راس طومانباى وراسك
ونخليهم تحت ارجلنا مثل راس الكلب ونفيك امك وامراة غيرك
يا نصرانى يا ابن النصرانى يا كبشة حرامية يا عرصات يا ملاعين
يا خنازير اى شئ لكم نسبة بالسلطنة او الامارة يا كفرة يا مماليك
لو كان على راسكم دولة كنتم تعملون سياسا عند سلطاننا لان
سلطاننا خير السلاطين وسلطان الخواقين ونحن غزاة الاسلام
وعزنا الله على الاعراب والاعجام كلنا مجاهدون مع الكفار
والفجار وما نحن مثلكم اشرارا ولا كفارا لعنة الله عليكم وعلى
من اتبعكم الى يوم القيمة فرجع الامير شربك لينظر محلا ينزل فيه هو
وجماعته فقال له الامير يحيى بن الامير ازبك صاحب بركة الازبكية
انزلوا على شاطئ النيل تجاه عدونا فقال الامير شربك هو راى
صواب غير انى عندى راى اصوب منه وهو ان بالقرب منا بركة ماء
على الطريق فربما ان السلطان طومانباى يرسل لنا احدا او ياتى
هو بنفسه فلا ينظر الينا ولا يعرف فى اى جهة نزلنا فاستصوبوا
رايه فما لبثوا غير ساعة الا وقد اقبل عليهم خمس فوارس من عند
السلطان طومانباى فاجتمعوا بالامير شربك واخبروه ان
السلطان نازل على دهشور وهو مشغول الفكرة عليكم وما جاء
عنكم خبر الا عند الغروب فهم ان ياتى اليكم فراى النهار قد ولى
وبلغه ايضا ان عرب غزالة قد حاربوكم مساعدة لعدوكم فساء
ذلك وانقبض خاطره وبقى متحيرا فى نفسه فقال الامير شربك
ليته قد جاءنا فى ذلك الوقت والله لو جاءنا وقت الحرب اوسعفنا

بالطعن لهم والضرب لاخذناهم عن آخرهم فان الروم ليس لهم عزم
ولا قوة الا رمي النار ولما بطل رمي النار ولم يبق الا السيف والعود
م عاد لهم قدرة على ذلك ولو ان السلطان طومانباى صبح عنه كرا
كان جاء نا على الفور ولكن الله اعلم ان دولتنا قد ولت وانقضت
فاني نظر ان الرأى والصواب ننساه ولا نعرفه حتى يفوت وقت
واوانه والرأى لخطأ نتبعه فهذا دليل على الزوال ولا شك ولكن
لا دافع لله فيما قضى والله تعالى يعلم اننا لم نقاتل في حظ
انفسنا وانما قاتلنا عن انفسنا وحريمنا وعن ديارنا واموالنا
واولادنا فانه قال سبحانه وتعالى في كتابه العزيز فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم والله تعالى يعلم انهم
باغون علينا وقد قال تعالى ثم بغي عليه لينصرنه الله وقد اسلمنا
امرنا اليه تعالى وهو يفعل في ملكه ما يريد ويحكم في خلقه
ما يشاء ثم قال له القاصد ان السلطان امرني ان ساعة وصولي
اليك لا تتأخر ساعة واحدة وتحصله على صنيعة وردان فانه
ينتظركم هناك فعند ذلك امر الامير شربك بالرحيل ليلا وترك
الحرب واختار الهروب وقال من كان منا يتبعنا وقام من ساعته
وامر بالرحيل خوفا من سطوة سيف السلطان سليم فلما بلغ
مناه وبجل عن دعواه قال له بعض الامراء فان تبعنا العدو في
هذا الليل كيف نصنع فقال لهم وهل سمعتم ان الروم تقاتل
ليلا ابدا وما رأيتم لما ان دخل الليل كيف بسيتوا ان عقلكم فلما
سار وا ومروا على الروم من بعيد لم يخرج اليهم احد وقال
السلطان سليم لا احد يتبعهم منا فانهم ربما فعلوا ذلك مكيدة
لكم وحيلة عليكم وفرح السلطان سليم بمرورهم لجهة البحر
المالح فلا زال الامير شربك سائرا طول الليل الى ان طلع النهار
وهم في الوراق واذا بالسلطان طومانباى نازل هناك فلما رأو

على بعد امر السلطان جميع من معه من العسكر ان يذهبوا الى ملاقاة
الامير شربك فارس الزمان فلاقته العسكر احسن ملتقى ودعوا
له وفرحوا بسلامته فلما قرب من السلطان اراد ان ينزل عن
فرسه فاقسم عليه السلطان طوما نباى ان لا يترجل احد منهم
عن مركوبه فامتثلوا قوله وسلموا عليه وهم على ظهور الخيل وسار
السلطان طوما نباى والامير شربك عن يمينه والامير قيت الرجبى
عن يساره ومن ورائه الامير ابرك رأس الجلبان والامير قانصوه
كرت فلما وصل السلطان الى اوطاقه ترجل عن جواده وترجل
الامير شربك وبقية الامراء والاجناد وجلس السلطان على الارض
من غير كرسى وكذلك الامير شربك وبقية الامراء على قدر مراتبهم
فقال السلطان للامير شربك اخبرنا يا اميرنا ما وقع لك من الروم
وبما فعلت فى محاربتهم فقال الامير شربك والله يا مولانا السلطان
وقع لنا معهم حرب يشيب الاطفال فى المهد يلين لعظمته الحجر
الجلمود وكنا نحن الظافرين عليهم والغالبين لهم وقد كسرناهم حتى
رميناهم البحر ولكن ما سلمنا من عرب غزالة فانهم هم الذين عاقونا
عن مطلبنا وصدونا عن مقصدنا ومنعونا عن غرضنا واى والله
العظيم رب زمزم والحطيم لو ثبت معى الالفان الذان خرجت بهم
من عندك ما كنت رجعت عنهم وكنت قسمتهم قسمين قسم يقاتل
الروم وقسم يقاتل غزالة وما كنا بتنا الا فى مصرنا ولكن ما شئتهم
الا هذه النار التى يرمون بها فما يشعر الانسان الا وهو مضروب
بها وما يعرف من اى جانب جاءته فان غالب عسكرنا لم يقتل منهم
احد بالسيف الا القليل ولكن هذا ما جرت به المقادير من الرب
القدير ونسأله اللطف والتدبير الاله الحكم واليه المصير ثم قال
الامير شربك والله يا مولانا السلطان لو حزمت امرك وضبطت
رأيك لكنت لما سرت انا والالفا فارس وقاتلت العدو وصبرت انت

وسرت وجئت بشئ يسير من خلفي وقاطعت على العدو ومن وراءهم
لكنا اخذناهم مواسطة من قبل ان تأتيهم بقية العساكر وعربان
غزالة وماكانا بتنا الا في مصرنا وكان انفصل الامر بيننا وبينهم
واريتاحت قلوبنا من هذا العنا فان السلطان سليما كان معه
نحو عشرة الاف وكانوا نقاوة عسكره واتباعهم نحو العشرين
الفا ولكن ماكنت انظرهم في الميدان الا كالبهائم ليس فيهم من
يسوق حصانه في حومة الميدان الا ان يكون چركسيا منا من
الذين خانوا ابناء جنسهم وذهبوا اليه فالله يخود الخائن والله
اعلم ان دولتنا دعائمها قد مالت وايامها قد زالت واني ارى
ان الرأي الصواب ننساه ولا نذكره حتى يفوت ويمضي حكمه وان
الرأي غير الصواب نتبعه ولو تعلق بالنجاح وهذا مما يدل على
الاضطراب والانقلاب فنعوذ بالله من العكس في الاسباب
التي توجب الى الذهاب من غير ايابٍ ومن عظم مصيبة تحير فيها
عقول ذوي الالباب فقال له السلطان طومانباى دع عنك
الافكار والغم بما فات واعمل الرأي فيما هو آت فقال الامير قيت
الرجبي صدق السلطان فيما قال اضربوا لكم رأيا فيما تفعلون فان
العربان صارت كلها اعداء لنا وعونا لعدونا وليس فيهم من
يقاتل معنا ولا يكافح عنا لانه ما منهم احد الا من قتلنا اما اباً
واما اخاه واما ابنه واما ابن عمه واما واحد من اقاربه وذلك
لما كانوا يعصون علينا فهم الآن كل واحد منهم يطالبنا بثاره
القديم واما عدونا فانه قد جاءهم جديد وليس بينه وبينهم
شئ من العداوة ولا ناهم منه الا الخير فانه تذهب اليه اكابرهم
فيعطيهم ويرضيهم ويعلق آمالهم بجزيل المطامع ويحلف لهم
انه لا يؤذيهم ولا يقتل منهم احدا ولا يأخذ منهم خراجا وانما
يأخذ منهم العشر ويحكم بينهم بالعدل ولا سيما معه هذان

الشيطان ان الخبيثان خير بك والغزالى وهما يراسلان شيوخ العربان
ويقولان لهم هذا ملك عادل مسلم ابن مسلم وسلطان ابن سلطان
الى سابع جد ويحب الخير والانصاف ويكره الظلم والاسراف
ويميل ان قلوب الناس اليه ويعطفونهم عليه ويسميانه بالملك
العادل ويشكرانه لكل احد عاقل وجاهل وبعد هذا فما بقى لكم من
الراى الا ان ترسلوا قاصد القبيلة غزالة التى هى اشد القبائل
علينا وتوعدوهم بكل خير فلعل ان يميلوا الينا ويطيعونا فان
حصل ذلك كان خيرا وان ابوا فالاستعانة بالله خير لنا من كل
احد وغاية الامر الموت فانه امر لا بد منه فعند ذلك امر السلطان
طوما نباى بكتابة كتاب الى عرب غزالة فاول ما بدا فيه بشيخهم حماد
ابن خبير ويخوفهم من الله تعالى وعاقبة المكر والبغى وحلف لهم
ان اطاعوه ودخلوا فى طاعته ليقابلنهم باحسن مقابلة وان
لم يقبلوا ذلك يكفوا عن قتالنا ولا يعارضونا فى قتال عدونا
فانهم كانوا يجتمعون على بعد من الحرب ويرسلون من ينظرهم الخبر
فلما تقع الكسرة على الروم يرجعون برمحة واحدة على الجراكسة من
خلف ظهرهم فيضيقون علينا من هزيمة عدونا فلما ترى الجراكسة
الامر قد جاءهم من خلفهم يرجعون عليهم ليكفوهم عن انفسهم
ويردون عليهم فتصير الجراكسة فى الوسط فبهذه الوسيلة تغلب
الجراكسة غاية الغلبة فلما وصل كتاب السلطان طوما نباى الى
حماد بن خبير مع رجل يسمى محمد شيخ البكارية قراه حماد بن
خبير وعرف مضمونه واعطاه لاخيه سلام فقراه الاخر وعرف
مضمونه قال سلام لمحمد شيخ البكارية انت يا محمد ما تعرف ما جرى
بيننا وبين الجراكسة وما قتلوا منا وكم يعطونا الامان ثم يغدرون
فقال له محمد انما كان يفعل ذلك السلطان الغورى واما هذا
الرجل طوما نباى فانه رجل صالح وفارس فالح وما سمعنا عنه

لاحد سوءا ابدا وانا ضامن لك عهدته فانه رجل صادق في
قوله وليس هو كالغوري فقال له سلام واخوه حتى ننظر
ان كانت العرب تطيعنا او لا ثم نادى في جميع عرب غزة ان
تجتمع الاعيان منهم فاجتمعوا كلهم فقرأ عليهم كتاب السلطان
طومانباى فلما سمعوا قاموا كلهم قومة واحدة وقالوا لا سمع له
ولا طاعة ولا بيننا وبينه الا السيف فقال محمد شيخ البكارية
يا وجوه العرب اما ما قلتم عن السلطان الغوري فانه كله صحيح
وقد نظرتم كيف اخذه الله تعالى واما هذا الرجل طومانباى
فهل سمعتم عنه شيأ من الظلم والبغي قديما او حديثا فقالوا
لا ما سمعنا عنه سوءا ابدا لا في زمن الغوري ولا في هذا الأن
وانما هذه الطائفة دولتهم قد زالت وولت واوقاتهم مالت
وايامها ولت واعزاؤها ذلت ولو قمنا معه ونصرناه لا يفيد
ذلك بعد ان ولت دولته وان تركنا نصرة السلطان سليم
واعتزلنا لا نسلم من عتبه علينا فيما بعد ذلك بل ولا نأمن على
انفسنا منه فانه صاحب البأس الشديد والاولى ان نجعل لنا عنده
يدا نأمن بها على انفسنا فيما بعد وبعد ذلك لا تطل علينا في الكلام
واقتصر في الجواب فما بقي لك معنا كلام والسلام فلما ايس
منهم انثنى راجعا الى السلطان طومانباى واخبره بذلك فقال
لهم الامير شريك الأن قد بان لكم صحة قولي فقالت جميع الامراء
والله ان رأيك في جميع الامور هو الصواب من يوم الريدانية
وانت تقول لا تدفنوا المدافع في الرمل وقاتيردي الغزالي يقول
الصواب دفنها حتى لا ينظرهم احد وانما كان ذلك منه مكرا
وعنادا فلا لقاه الله خيرا فأعنت جميع الامراء على دعائه عليه
وكان كذلك فلم يلق نصرا الى ان قتل اسوء القتلات وسيأتي
خبر قتله فيما بعد ان شاء الله تعالى فقال لهم السلطان طومانباى

يا امراء يا اغوات الراى عندى ان نتوكل على الله ربنا سبحانه وتعالى
فان الامر بيده وما يضرنا اذا استنا شهداء فان الله تعالى يعلم انهم
قد بغوا علينا وقد قال تبارك وتعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين
فما بقى لنا الا التسليم لله فى الامور كلها ونقاتل الى ان نقتل والسلام
واما حريمنا وذريتنا فالذى خلقهم هو ارحم بهم منا ثم قال يا قوم
نحن اقمناها هنا يومنا وقد ثقلنا على اهل هذه القرية من جهة الاكل
والعليق والراى ان نرحل الى قريتام دينار ثم امر السلطان بالرحيل
وقام من وقته وساعته فقامت جميع الامراء الذين بقوا معه من
الاعيان رؤسهم الامير شربك والامير قانصوه العادلى والامير
قانصوه كرت والامير تمرناشب الاسكندرية والامير دولتباى
والامير ابرك رأس الجبان وباقى الامراء الذين تقدم ذكرهم فما كانت
غير ساعة حتى وصلوا ام دينار وتلقاهم اهلها احسن ملتقى وباتوا
تلك الليلة فلما اصبح الصباح قدم عليهم خيال من اهل تلك البلاد وهو
يصيح بهم الخيل قد اخذتكم فما استتم كلامه حتى اظلم البر من شدة
الغبار وكثرة الخيل فلما لاح لهم ذلك الغبار ركبوا وخرجوا الى
الحرب والقتال فالتقوا من غير ترتيب لميمن والشمال والتقى الجمعان
فوقع بينهم من الحرب ما يعجز عنه الوصف فلله در الامير شربك
وقانصوه العادلى وما فعلوا هذا اليوم مع هذه الجموع واما الامير
قيت الرجبى فانه تصادم مع قانبردى الغزالى فى حومة الميدان
فاقتتلا قتالا شديدا حتى تحيرت الانظار فيما وقع بينهما من الحرب
ثم تقارب بعضهما من بعض حتى تقابضا بالاطراف فلم يقدر قانبردى
الغزالى ان يتمتع قيت الرجبى من سرجه مع انه رجل كبير السن فى عشرة
التسعين وقد قعد فى الحبس محبوسا سنين ومع ذلك لم يتغير
له لون فعلم الغزالى من نفسه الخسة ودخل عليه الجبن وقال

في نفسه اذا كان هذا فعل هذا الشيخ الهرم فكيف لو وقعت مع شريك
ثم انه شجع نفسه واطلق الامير قيت الرجبي ثم بعد عنه واستعد
عليه بطعنة بقنطاريته من وراء ظهره قلبه عن جواده واراد
ان ينزل ويقطع رأسه واذا بفارس صرخ عليه صرخة افلجه
وطعنه طعنة اسرع من خروج السهم من كبد القوس فوقعت
في خاصرته قلبته عن جواده واثنى ذلك الفارس راجعا الى الحرب
والقتال فالتهى الغزالي بنفسه عن الامير قيت الرجبي فبادر الامير
قيت الرجبي الى حصانه فركبه ودكس خلف ذلك الفارس الذي
كشف عنه فاذا به الامير شريك فدعى له من صميم قلبه وارادات
يكون معه في القلب وما زال يشق الصفوف ويفرق الالوف حتى
عجز وكل وبطل جواده وكلت سواعده فلما علم من جواده العجز التفت
واثنى راجعا حتى خرج من المعركة فوجد خيلا اقبلت من كبد الكبر
لا يحيط بها الحصر واذا بهم عرب غزالة كان رسم لهم السلطان سليم
انهم يجتمعون مع العسكر هناك ويقاتلون الجراكسة فصادفوه على
هذه الصفة وقد بطل حصانه فرشقوه بالحراب فمنع عنه اللبس
فصادفه منهم سهم دخل في فؤاده فوقع على وجه التراب فنزلت عليه
النهابة فعروه واخذوا ما كان عليه وقتلوه هذا ما كان من امر قيت الرجبي
واما الغزالي فان مماليكه سارعوا اليه لما رماه الامير شريك وحملوه
الى ورا حتى ادخلوه في الوطاق واسقوه السكر ووجدوا جرحه
سليما واما الامير شريك فلا زال يقاتل قتال الجبابرة والفراعنة
حتى كل من تحته الجواد وتضاعف على الجراكسة المدد والاعداد وفاض
بحر الروم حتى ملأ السهل والوادي وقصرت الطائفة الجراكسة لتقصيرها
لانه كان هو وطنها والعماد وكثر القتل في الجراكسة وزاد وطلعت
عليهم العربان التي في تلك البلاد وصاحت عليهم المدافع والبنادق
وملأت الفؤاد وفي كل رمي كانت تتزلزل تلك البلاد فحضرت صفوف

الروم كالبحر الزاخر وبقيت الاحجار والرصاص نازلة كالامطار وصارت
المدافع صائحة والحديد مع الاجساد والرؤس طائرة قال الراوى
كان مع السلطان سليم ثمانمائة مدفع خلى منهم مائتين فى الشام وجاء
معه بمصر ستمائة منهم مائة وخمسون مدفعا كبيرة والبقية
ضربزانات كان طول كل واحدة خمسة وعشرين شبرا وكان يسحب
كل واحد من الصغار اربعة رؤس خيل واما الكبار فكان كل واحد
يسحبه ثلاثون او اربعون من الخيل وكان كل واحد منها مكسيا
بجوخ احمر ولما دخل مصر كان اول المدافع فى الريدانية وآخرهم
فى الخانقاه وكان عسكره كالنمل فى الوادى وكان على يمينه خيالة راكبون
كل واحد فى يده مزراق وفيهم بيارق حمر نحو عشرين وخمس
وعشرين الفا ومثل ذلك على شماله كلهم خيالة ببيارق صفر وقدامه
من البكنجرية نحو عشرين صفا كل صف لا يعد وقدامه صفوف
بالاعلام والطبلخانات والوزراء والباشوات وكل من جابوه من الجراكسة
يقطعونه قدامه وان كان رجلا كبيرا او ميرا شيعوه مكتفا الى
السلطان سليم ويقطعون رأسه قدامه وهو واقف فوق
الحصان وقدامه مكشوف والسعاة قدامه بطاسات من ذهب
نحو اربعمائة وفرقة فى رؤسهم الريش الابيض مشاة وفى ايديهم
سهام يسمونها صولاق كلهم كانوا يقفون قدامه مربوطين الايدى
وهم ينظرون الى الارض بادب وفى رواية سبعة اعلام باسماء
اجداده مكتوب عليها اسماؤهم بالذهب واربعة وعشرون
علما باسم السلطان سليم وكان مكتوب فى بعضها انا فتحنا لك فتحا
مبينا وفى بعضها نصر من الله وفتح قريب وكان معه علم ابيض
اكبر من سائرها سألت عنه فقالوا علم الاسلام ونرجع الى سياق
الحديث وهم اى الجراكسة فى ذلك الحرب الشديد والقتل المزيد
اذ لاح لهم غبار حتى سد الاقطار فتنحى كل فريق عن الآخر حتى يروا

ماتحت ذلك الغبار فما مكثوا غير ساعة حتى وصل اول الخيل وهم
يتصايحون بالقيس نحن فرسان غزالة ذوالكفوة والكفالة اليوم
ترون يابنو چركس الموت الاحمر وتذوقون من سيوفنا الوبال
الاكبر ويفنى جمعكم وتفرق كثرتكم وينقطع اصلكم وفرعكم وكان
المتكلم بهذا الكلام اميرهم وكبيرهم سلام بن خبير واخاه حماد وهما
كبراء القوم فقصد سلام بن خبير الامير قانصوه كرت فوقع بينهما
انداب من الحرب تحير الناظرين وحمل كل واحد منهما على صاحبه واظهر
فنونه وعجائبه وحملت فرسان غزالة على الچراكسة حملة واحدة
وحملت الروم من الجانب الاخر واخذوهم مواسطة فلا تسأل عما
قاسوا من الحرب والطعن والضرب فى ذلك اليوم فضايق سلام
ابن خبير الامير قانصوه كرت حتى رماه البحر وما بقى معه سوى عشرين نفرا
من مماليكه والذين مع سلام نحو الالف او اكثر ولما وقع الامير قانصوه
كرت فى البحر ثقل على الفرس من لبس الحديد وقد كان الفرس قد كل من
الجرى فلم يقدر ان يعدى الى ذلك البر فغرق هو وفرسه وغالب
مماليكه وذهب تحت المياه وما سلم منهم الا القليل فكان رحمه
الله حسن السيرة والاخلاق وكان اذا رآه الانسان يقول تبارك
الخلاق واما سلام بن خبير فانه رجع على الچراكسة رجعة منكرة
وهو ينادى يا لأخذ الثار فوجد شريك على ما هو عليه من الحرب الشديد
فلله دره من فارس الاعداء فارس فى مأتى فارس يقاتل الوفا
فوقعت الچراكسة فى كفة النقصان فبينما هم كذلك وفى هذه
الحالة واذا بعجاج قد ارتفع وارتفع الغبار وثار من ناحية ارض
وردان وهم يصيحون بالنصرة لآل عثمان اليوم يابنى چركس نذيقكم
الهوان ويحل بكم النقصان فنظروا اليهم واذا هم قانبردى
الغزالى ومن معه قد جاؤهم من جهة اخرى فبقيت الچراكسة
لا يعرفون من يقاتلون والى اين يذهبون قال صاحب الحديث

ان القوم

ان القوم لما وصلوا ضربوا لهم ميدانا ثم ان الامير قانبردى الغزالى
المارق من ابناء جنسه برز الى حومة الميدان ونادى بأعلى صوته
يا آل جركس نظرتم قوتكم وشوكتكم ونظرتم ما تكون دولة آل
عثمان ودولتكم اين شجعانكم اين فرسانكم اين سلطانكم عرفتم
مقداركم وندامتكم وانا احد عبيد لحضرة السلطان سليم الملك
العظيم صاحب القوة والجيش الكاسر منتشر العساكر قاصر القياصرة
كاسر الاكاسرة قاتل الفراعنة والجبابرة اما معكم احد من الشجعان
يبرز الى الميدان فقال السلطان طومانباى للخاصكى الذى بين يديه
ابرز اليه فبرز من وقته ولما صار فى ساحة الميدان قال له ذلك
الفارس الذى هو قانبردى الغزالى يا خاصكى ان روحك ضيقت
عليك حتى جئت بها الى الهلاك استغنم السلامة وارجع الى اهلك
فقال له الخاصكى وانت من اين يا انجس العرب حتى تبهتنى بهذا الخطاب
فان قانبردى الغزالى لما جاءنى هذه المرة لبس لبس العرب وتكلم
بكلامهم وتلثم حتى لا يعرف فما ظنه الخاصكى الا بدويا من عرب
غزالة ثم ان الخاصكى قام فى سرجه وطعن طعنة بالمزراق
فخرج من يده كالبرق الخاطف فلما نظرها قانبردى الغزالى جاءت
قاصدة صدره انحرف لها فى ظهر الجواد وخطفها من الهواء ثم صاح
على الخاصكى خذ حربتك فانك مقتول بها ثم هزها وطعنه بها ففطس
عنها الخاصكى فصبر عليه حتى استوى على سرجه وعاجله بها قبل ان
ينظرها فوقعت فى نحره فوقع على الارض طريحا ثم ان قانبردى جاء
فى الميدان وطلب البراز كل ذلك ولم يعرفوه الجراكسة وما يظنونه
الا بدويا من الفرسان المخبورة فانهم لو عرفوه لرموا بأنفسهم عليه
جميعا وقطعوه بسيوفهم فانه اول من خانهم واغرى عليهم اعداءهم
هو وخيربك فانه لولا هذان الاثنان ما كان السلطان سليم يجون
ويدخل ارض مصر مع انه كان لا يتنزل عليه بعد اخذه ارض مصر ان

يعمل باشا من جانبه احدا من الجراكسة ولا يعطى لاحد ذلك من امراء الجراكسة
لتقدم اطاعته فانه كان له عزم وباس وعظمة وتكبر وتجبر وكان
قهارا سفاكا للدماء ما كان يرحم فى محل السياسة ولا يشفق
لا على كبير ولا على صغير وكانت همته اذا عاش ان يأخذ الربع
المسكون من ايدى الملوك المتنوعة ويصير هو سلطانا على جميعهم
وكان سبب مجيئه الى مصر كثرة العناد الذى كان حصل من
الامراء وقتل الاولاقية وعدم طاعته على السكة والخطبة باسمه
وكان محركه خير بك ولكن لكل شئ آفة من جنسه فان تيمورلنك
لما خرج على الملك الناصر فرج بن برقوق اخرب حلب والشام واطلق
فيهما النار بعد ان نهب جميع ما فيهما ولا قدر ان يتجون ويدخل
مصر وفى الحقيقة ان السلطان سليم زاد على تيمورلنك بهذه
المدافع والبنادق والضربزانات التى اذا سيبوا منها طلقة تزلزل
الدنيا وترعب القلوب ولكن اذا اراد الله بامر هيأ اسبابه ونرجع
الى سياق الحديث فلا زال قانبردى الغزالى تبرز اليه الفرسان
واحدا بعد واحد حتى قتل منهم عشرة فهابته الفرسان وقالوا
قد تعجبنا من هذا الانسان فما عرفنا هل هو من الانس ام من الجن
فقال لهم قانبردى يا آل چركس اريحوا انفسكم وابرزوا الى
سلطانكم طوما نباى امنا ان يقتلنى واما ان اقتله فلما سمع السلطان
كلامه تعجب منه وقال الا تنظرون الى قوة هذا الفارس واقدامه
وشجاعته وكثرة كلامه فهل فيكم من احد يكفينى شره فقال
قلج انا يا مولانا السلطان فقال ابرز اليه وخذ حذرك فانى اراه
سريع الحركات ولا يخلو ان يكون بطلا من الابطال المخبورة ولولا
ان فرسى قد بطل لبرزت اليه ولا اظن ان فيكم احدا يقاس به فى
فروسيته فقال له قلج انا اكفيك شره بعناية الله تعالى ثم برز اليه
قلج وكان من الامراء الاربعين وقد كان تعين له ان يصير اميرا مائة

مقدم الف موضع الامير كرتباى الوالى ولو كان الامير شربك حاضرا
فى ذلك الوقت ما تركه يبرز الى هذا الفارس فانه كان من شدة
محبته له يفديه بنفسه فى كل امر صعب وفى الحقيقة ان الجراكسة
لو عرفوا ان هذا الفارس هو قانبردى الغزالى ما برز اليه الا
السلطان طومانباى بنفسه او الامير شربك فانهما يرجحان عليه
فى الفروسية ثم نزل اليه الامير قلج وحمل عليه فوقع بينهم من الحرب
اندك حتى تعجبت الناس من هذين الفارسين ثم ان الامير قلج ضرب
قانبردى ضربة على رأسه بالسيف قطعت الخودة ونزلت الى
الرفادة والسايتر فجرحته جرحا خفيفا فضرب قانبردى الغزالى
ضربة الى يمين الامير قلج فابراها كما تبرى القلم فوقعت الى الارض
هى والسيف فبهت الامير قلج واندهى وتخيل فهجم عليه قانبردى
وضربه اطاح رأسه عن جسده فلما عاينت الجراكسة ذلك عسر
عليهم قتل الامير قلج وقالوا ما يقايس هذا البطل الا الامير شربك
او السلطان طومانباى ثم ان هذا الفارس جال فى الميدان يمينا
وشمالا وصار يعجب بنفسه ويتمايل فى ظهر فرسه وصار يشتم
الجراكسة بالعربى ويقول لهم يا لئام غير كرام من يقاوم السلطان
سليما او يقاوى سلطانا او يثبت بين يديه يا كفار يا فجار وافحش
فى كلامه حتى فحم قلوبهم وكل ذلك ولم يعرفوا انه قانبردى الغزالى
وقال لهم اذا كان سلطانكم يزعم انه فارس او يقاوم الفرسان
فليبرز الى حومة الميدان وينظر نفسه اذا كان يربح او يقع فى كفة
الخسران فقال له السلطان طومانباى ها انت جئت الينا هات ما عندك
من فروسيتك وشجاعتك ولا تبق ممكنا فان السلطان طومانباى
قد تفرس فى القتال وصار القتال سجيته وصنعته فما بقى يتكلف
لشئ ثم ان السلطان طومانباى قال له انظر يا اخا العرب لا اقاتلك
ولا احاربك حتى اتكلم معك كلاما لعل ان يكون فيه صلاح لك فقال

له قل ما عندك فقال له السلطان طوما نباى اريد منك ان تخبرنى
من انت اولا وما الذى حملك على قتل فرسانى من غير اذية سبقت
منى اليك فانى والله ما ادركت نفسى ولا اعلم انى بغيت على احد
ولا ظلمت احدا ولا افتريت على احد وما امر سلطنتى هذه والله ثم
والله لم يكن فى غرضى ولا خاطرى وانما الامير علان والامير كرتباى
الوالى والامير شرهك ابرموا على وقالوا لا نرضى لهذا الامر الا انت
فعلمت انه امر ابتلانى الله تعالى به واما هذا السلطان سليم الذى تدّعى
انه ملك عادل وانه لا يحب الجور كيف يجوز له ان يتعدى علينا
ويرمى علينا بالنار والمدافع والاحجار ويقتل رجالنا ويسبى نساءنا
واولادنا ونحن مسلمون مؤمنون موحدون قائمون بحماية الدين
فلما ان بغى علينا وتعدى حده وجب علينا ان نقاتل عن انفسنا واولادنا
وحريمنا واموالنا وفى ذلك اذن من الله تعالى كما قال سبحانه وتعالى
فى كتابه العزيز وهو اصدق القائلين فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه بمثل ما اعتدى عليكم الاية ونحن فى الزمن الاول قدرنا عليهم مرارا
وعفونا عنهم وهم الآن قدروا فما عفوا وملكوا فما رحموا وفعلوا فينا
ما لم يفعلوه فى عبدة الاصنام والصلبان وهم جيرانهم ومحاذون لهم
واما نحن فانا مسلمون موحدون فانى سألتك بالله تعالى وبمحمد رسول
صلى الله عليه وسلم ان تكون معنا وتكون نحن وانت اخوانا من الآن
او تتركنا لانفسنا ولا علينا ونحن نستعين بالله تعالى عليهم وتكفينا شرك
وان اخترت الحرب والقتال فانى لا اقاتلك الا ان عرفتنى بنفسك فانك
قد قلت لا تريد الا انا فها انا قد جئتك بنفسى فعرفنى بنفسك واكشف
لثامك فانى متحير فيك واشكل على امرك فلا انت بدوى تعرف ولا جركسى
تعرف وكلامك لا يشابه كلام الروم ولا كلام العرب وانى اقسم عليك بالله الذى
خلقنى وخلقك الا ما اخبرتنى من انت فكشف له اللثام فاذا هو
قانبردى الغزالى فلما رآه السلطان طوما نباى غاب صوابه من شدة

المقهر وقال له يا ابن الف قرنان ونسل اولاد الزنا الشام ياخبيث
ياملعون يا ابن الملعون ياخائن يا ابن الخائن ولهذا اتبعت الخوان
فان الذى ذهبت اليه وصرت من حزبه شهرته الخيانة فانى اسمه
سليم خان ومن خان لا كان وانت ايضا قد عاهدتنا وخنتنا وعاهدتنا
واغريت علينا اعداء نا فيا لله العجب كيف طابت نفسك الخبيثة
بذلك ولكن صدق الله العظيم الخبيثات للخبيثين الآية ثم ان السلطان
طوما نباى حمل عليه حملة منكرة فما ثبت بين يديه الا وقد طعنه
السلطان طوما نباى طعنة بقنطاريته قلبه عن ظهر فرسه
ثم وضع القنطارية على صدره واراد ان يقتله بها فقال له انى
سالتك بالله تعالى وتوسلت اليك برسول الله صلى الله عليه
وسلم وبسر شيخك سيدى ابى السعود الجارحى ان تجعلنى عتيقك
فى هذا اليوم فلما سمع السلطان طوما نباى ذلك القسم رق
قلبه له وذلك من كمال ايمانه فقال له على شرط انك تكفينا شر
هذا العدو الذى جئت به الينا وبشرط انك لا تستحب فى وجه احد
من آل جركس سيفا فحلف له الغزالى على ذلك وقد شدد عليه فى
الايمان فعند ذلك رفع السلطان القنطارية عن صدره وقال له
قم ياخبيث فقام الغزالى وهو ينفض التراب عن راسه وجاء الى الرجل
السلطان وقبلها فى الركاب ودعا له وهو يكاد ان يبكى ندما على ما فعل
وسار الى فرسه وركبها وقال لجماعته ارجعوا عن القتال فقد حلفت
له انى لا اقاتله وانى واف له بالايمان ولكن اخاف اذا رجعت اليه
يقتلنى وانى راجع من هنا الى محل آخر اقيم الحرب فيه واغير الملبوس الذى
ترانى لابسه واما طوما نباى فانى لم اره بعد ولته قد نزلت لانه
لو قتلنى لا كفنى شرى ولكنه قدر على وعفى عنى الى ان وصلت العساكر
الى العظم ثم انه قصد نحو سنجق السلطان سليم وفى هذه الساعة
وصلت العساكر التى خلاها السلطان سليم مع الوزير يونس باشا

فى مصر لما عدى الى بر الجيزة لقتال الامير شربك وطومانباى
وكان السبب فى قدومهم ارسال مكاتيبه الى يونس باشا فى
الليلة الماضية يأمره بان يعدى الى برانبابه بجميع من معه من
العساكر ولما وصلت هذه العساكر فى تلك الساعة الى السلطان سليم اشتد
ظهره وقويت نفسه واما السلطان طومانباى فانه لما عفى عن
الغزالى ورجع الى سنجقه لم يرتحته الا جماعة قلائل من مماليكه
وبقية الامراء تشتتوا فى الحرب والطعن والضرب ولكن الكثرة غلبت
الشجاعة فلله در هم من فئة قليلة تقاتل هذه الجموع والعساكر
التى لم يعلم لها اول من آخر فاندهشت عقولهم وتحيروا فى امرهم
فقال لهم الامير شربك والامير قانصوه العادلى يا آل جركس اثبتوا
فان القتال ليس بكثرة العدد والمدد وانما هو بزيادة الصبر والجلد
واقرؤا قوله تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله
والله مع الصابرين وها أنا امامكم وفرد عصره السلطان طومانباى
نصره الله تعالى يرد عنكم فدونكم والحرب ما دمنا فى قيد الحياة فلا
تخافوا من احد ولا يغركم كثرتهم فانى وعزة الله تعالى لولا هذه
النار التى معهم لقاتلتهم بنفسى ولا اكترثت منهم احدا فانى ما رأيت
فيهم فارسا اعجبنى كره وفره ليس لهم بأس الا بهذه المدافع والبندقيات
وذلك لا يفيد منهم شيئا لان كل انسان جعل الله له عمرا لا يزيد
بهر ولا بتباته ينقص وقال العارفون الشجاعة صبر ساعة
واذا هم بغبار قد ثار من جهة اليمنة فنظروا اليه واذا بصياح آخر
وغبار قد ظهر من جهة الميسرة ثم بصياح وغبار قد ظهر من خلف
اظهرهم فتحيرت الجراكسة فى انفسهم الى اين يذهبون وسبب ذلك ان قانبردى
الغزالى لما رجع منهزما من السلطان طومانباى الى السلطان سليم واخبره بأصدهم
وقتل منهم عشرة فوارس ولكن شربك وطومانباى وقانصوه العادلى
حجبونى عن مرادى فاخترت الرجوع اليك بشئ اريد ان افعله

ففي ساعته نشيل الجراكسة فقال له السلطان سليم وما هو يا أبا
منصور قال تأمر ايأس باشا اغاة اليكجرية يذهب من جهة وأنا
اذهب بمن معي من جهة اخرى وتأمر يونس باشا ان يأتي من جهة
بمن معه من العساكر وانت بمن معك من جهة اخرى ونطبق عليهم
فانهم فئة قليلة ما يثبتون معنا ولا ساعة واحدة فقال السلطان
سليم نعم الرأي ثم امرهما اشارة فانبرى الغزالي فما مضى غير ساعة
حتى تفرقوا كما تقدم ثم احاطوا بالجراكسة من كل جهة وجاد تعرب
غزالة من جهة اخرى والسلطان طومانباي والامير شربك والامير
قانصوه والامير يحيى بن زنبك والامير ابرك رأس الجليان والامير ولتبا
والامير رزمك لنا شف انظر ما فعل هؤلا الفرشا القليلة في هذه
الالوف المؤلفة والجموع التي لا تحصى من الكثرة من كل جنس فصاروا
هذه الامراء المذكورون متحدين اركاب في الركاب لا يفارق بعضهم
بعضا وبقية العساكر خلف ظهرهم وهم دائرون في وسط هذه
العساكر لا يدرون اين يذهبون ولا من يقاتلون وما قتل من الجراكسة
احد بالسيف والعمود وانما كان القتل فيهم بالبندق واما الامراء
المذكورون لم يخرج منهم احد وفي هذا اليوم قتل من الجراكسة
اكثر من كل يوم بهذه العملة التي عملها قانبردي الغزالي وغالب
القتل ما كان الا بالبندق والضربزانات والان السيف على سائر
الصنوف وتم النهار ونادى منادي الحرب بالانفصال وافترقوا
على هذا الحال وقد تخلت الجراكسة عن بعضها ورجعوا وهم لا يعرفون
بعضهم بعضا من شدة ما حصل لهم من هول ذلك اليوم وليس
الخبر كالعيان قال الراوي ونزل السلطان سليم على قريته وريدان
ونزل السلطان طومانباي على قرية اسفل منها على شاطئ النيل السعيد
بحيث ان كل عسكر منهم ينظر الآخر رأي العين وباتوا تلك الليلة
في اسوء الاحوال من شدة ما حصل لهم من القتال ثم جلسوا بعد ما اكلوا

الطعام الذى جاء لهم من تلك القرية التى باتوا بها واخذوا
فى ضرب الراى فقال لهم السلطان طومانباى والله يا اخوانى
ما اظن الا ان دولتنا قد زالت فانى ارى اننا كلما فعلنا شيئا
نريد ان يكون فيه المصلحة فما يكون امرنا فيه الا بضد ما نريد
وارى ان اعداءنا امرهم يزيد فكم قتلنا منهم من الوف ومع ذلك
أرى الامر كله يزيد وان الغالب على ظنى زوال ملكنا وان الظفر
لهم وناموا انظروا اقول القائل

ان اقبل السعد قم قائما واقتبس من الثلج ان شئت نارا
وان رقد السعد فارقد له فما الليل فى العكس الا خسارا

ثم ان السلطان طومانباى قال لهم يا قوم ان هذه الواقعة اضرت
بنا وهدمت قوتنا بفقد الامير قانصوه كرت فانه كان ركنا ولا
يبقى لنا رأى الا ان نذهب الى حسن بن مرعى وابن عمه سقر شيوخ عرب
محارب فانى قد وليتهم عليهم واطلقت حسن بن مرعى من الحبس بعد
ان كان المرحوم السلطان الغورى كتب على قيده مخلد وقد اطلقته
لما ان صار الامر لى واخذت عليه العهود والمواثيق والايمان المغلظة
انه يكون معى ظاهرا وباطنا ويقوم معى بالقلب والقالب اذا احتاج
الامر لذلك ومازى احسن من سيرنا اليه ونكون نحن وهو على قلب
رجل واحد ثم بعد ذلك ندبر امرنا وننظر ما يكون من جانب الله تعالى
وهو يعلم انهم باغون علينا ثم انه امر بالرحيل من وقته وكان
ذلك الوقت نصف الليل فقال له بعضهم فان قام العدو علينا فى
هذا الليل فكيف يكون الامر فقال له السلطان هل رأيت وسمعت
ان الروم تقاتل ليلا فهذا الامر لا يكون وانما اعتماد هؤلاء القوم على
النار والرماة مشاة لا يقدرون على المشى بالليل فما كانت الا ساعة
حتى ركبوا وساروا من وقتهم وهم مستيقظون لانفسهم حتى
وصلوا الى مدينة سخا وكان حسن بن مرعى وابن عمه سقر قاطنين بها وعرفهم

منتشرين بها الى سنهور فنظروا الى خيل السلطان طوما بنائي وقد
اقبلت فبادروا الى خيلهم فركبت الفرسان وسادات القبيلة وهو
الامير حسن بن مرعي امير العرب والحاكم على تلك البلاد حتى قارب
عسكر السلطان فترجل عن جواده هو واولاد عمه وعشيرته ثم
قدم عليه السلطان وقدم هو على السلطان فقبل يديه وطلب
من السلطان ان ينزل الى منزله للضيافة فقال له السلطان
ما نحن فاضون للضيافة ولا لغيرها والعدو في اثرنا وقامت
علينا العربان من عرب غزالة لا لقاهم الله خير اخصوصا سلام بن
حنير لا سلمه الله تعالى وما جئت لك الا لتنظر لنا محلا نختمي فيه
ثم ندبر امرنا فيما فيه الصلاح لنا فقال له الامير حسن اذا كان الامر
كذلك انا اعرف لكم محلا يقال له الغابة وهو واد كبير واسع
وافر المياه اذا تحصن فيه القوم ووقف على بابه رجل واحد
منع من يدخل ولو كانوا الوفا من الناس فان هذا الوادي لا يمكن
ان يدخله غير فارس ولا يمكن ان يدخل منه اثنان متسايرين لانه
ضيق جدا ومن الجانبين ارض رابوسية كل من نزل بقدمه
وداس عليها صاخت به وهذا الوادي هو قلعتنا اذا قصدنا احد
من اعدائنا وعلمنا انه لا قدرة لنا عليه نذهب الى هذا الوادي
فنأمن على انفسنا منه فما لكم يا مولانا السلطان اعدل منه ولا
احسن منه فقال له السلطان اركب وسر بنا على بركة الله اليه لعل
الله ان يحفظنا به ونتحصن وما يكون الا ما يريده الله فساروا من
وقتهم حتى وصلوا الى فم الوادي الذي يدخل منه اليه فلما راه السلطان
وقف وغطس قلبه وانقبض خاطره وحس بقلبه انه لا يحصل له
من هذا الوادي خيرا بدا فحبس فرسه ووقف مكانه وتحير في
امره والتفت الى امراء دولته وقال لهم انى مخبركم بمنام رأيته من
مده يومين رأيت نفسي اني في هذا الوادي بعينه وانا على

جانب البحر المالح وقد قامت قرينة عظيمة واظلمت الدنيا ولا
بقي احد مع احد واذا بخمس كلاب سود قد احاطت بي واردت
ان تفترسني فجذبت سيفي واردت ان اضربهم به واذا به
قد طار من يدي وسقطت عمامتي ودقت الكلاب على وبصقوني
فصرت بينهم كقطعة لحم كل واحد ينتشني من ناحية فايست
من نفسي فانتبهت مرعوبا وقد عمني العرق فلما سمع منه الامراء
هذا المنام تشوشت خواطرهم وقال بعضهم ان هذه الرؤيا
لا تدل على خير وان هذا مما يدل ان الظفر لعدونا والنصرة له علينا
فان وقوع العمامة يدل على زوال المنصب واما قيام البحر فانه
قيام هذا السلطان علينا واما عدم السيف فانه يدل على عدم
القوة واما الكلاب فانهم رؤس الاعداء يقبضون عليك ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم فان صحت هذه الرؤيا فقد والله
زالت دولتنا وانقضت مدتنا فقال لهم السلطان ما بقي لنا حيلة
نحتال بها ولا متعة نستعين بها قد قاتلنا حتى تلفت نفوسنا
وتثلمت سيوفنا وقد قامت الدنيا كلها علينا فما عسى ان نصنع ولما
انا فقد اردت ان اسلم نفسي فان كان قد بقي في عمري بقية
فانهم يعطوني الامان وان كان قد فرغ فان كنت على فراشي فاني
اموت واما انتم يا اغوات فقد حللتكم فليذهب كل واحد منكم
في ناحية الى حيث شاء واراد فلما طال الوقوف قال الامير حسن
ابن مرعي يا مولانا اني اخاف عليكم ربما ان يكون العدو قريبا منكم
فيعسر عليكم الدخول من مضيق فم الوادي فادخلوا بنا على بركة
الله تعالى ثم بعد ذلك اجلسوا واستريحوا ودبروا امركم كيف
تختارون قال الناقل فدخل السلطان طومانباي من باب الوادي
ودخل وراءه الامراء والاجناد فقالت الامراء نحن معك لا نفارقك
حتى تذهب امرواحنا فلا زال بهم حسن بن مرعي حتى اوصلهم

الى صدر الوادى فضربوا للسلطان خيمة على تل عال على جانب
البحر المالح ونزلت بقية الامراء فى خيمهم فما هدأت نفوسهم حتى
جاؤا للسلطان لضرب الرأى واما حسن بن مرعى فانه اخذ اذنا
من السلطان ليرجع الى بلاده ويأخذ لهم الاخبار ويرسل
لهم يعلمهم بما يقع بالتفصيل فاذن له السلطان فى ذلك ودعى
له ثم قال السلطان لامرائه هذا الوادى خير لنا من قلعتنا التى
كنا بها ما لم يخنا حسن بن مرعى فقالت الامراء كلهم عن لسان واحد
الله يخون الخائن ثم رجع حسن ودخل منزله فسألته امه
عن السلطان طومانباى فقال لها قد دخلته فى وادى الغابة
وها انا قد رجعت فقالت له امه فما تحب ان تصنع اخبرنى بما فى
ضميرك فقال لها ان هؤلاء القوم دولتهم قد ولت وامورهم
قد حالت ولا سيما وعدوهم قد ملك البلاد وحكم العباد وولى
وعزل من اراد وهؤلاء ما عاد لهم من الامر الا ظهور خيلهم وقد
تحيرت فى امرى فان قاتلت عنهم فلا قدرة لى على ذلك وان قاتلت
معهم اوقعت نفسى فى الهلاك فقالت له امه وكانت من
الصالحات يا ولدى الايمان والعهود التى قد حلفتها انت وابن
عمك له ما تقول فيها فقال لها ولهذا انا متحير فى نفسى كيف اصنع
فهو فى هذا الكلام مع والدته واذا بفرسان العبيلة قد جاؤا
مسرعين وقد علت اصواتهم وهم ينادون اركب يا امير حسن
فاننا ننظر عسكر اجرار وخيلا ملأت الاقطار فركب حسن بن
مرعى وسار فى اول الخيل حتى اجتمع باوائل العسكر القادمين
واذا بهم عسكر السلطان سليم قد جاؤا فى طلب السلطان طومانباى
والسبب فى ذلك ان السلطان طومانباى لما ركب فى الليل
كما تقدم ولم يتبعه احد وطلع النهار جلس السلطان سليم وحوله
اكابر دولته وجاء الامير خير بك ولم يأت الامير قانبردى الغزالى

فسأل عنه السلطان سليم فقيل له انه ركب نصف الليل ومعه
خمسة انفار من مماليكه وتبع السلطان طومانباى فهو الى الآن
لم يأت فخاف عليه السلطان سليم وقال لخير بك انظر الى قله
عقل صاحبك كيف يخاطر بنفسه فانهم ان فطنوا به لا يبقوا منهم
ابدا وانه ان قتل تعطل امرنا وخشى السلطان ان يطول عليه الامر
وحسب حتسب الاعادى التى حول مملكته قال فما الرأى عندكم قالوا الرأى
ما يراه الخشكار واطرق رأسه متفكرا فيما يصنع واذا بقانبردى
الغزالى قد اقبل فلما حضر بين يدى السلطان سليم قال له اين كنت
يا قانبردى قال يا مولانا السلطان انى لما رحل طومانباى نصف
الليل احببت ان انظر الى اين يذهب فركبت وتبعتهم على بعد خشية
ان يدر فونى فرأيتهم قد سافروا الى ناحية البيرة والغربية
فلما سمع السلطان سليم ذلك الكلام قال له فما الرأى عندك فهل
الرأى عندى ان تعطينى ما اريد من العسكر ويكون صحبتى الامير
خير بك وارح نفسك فانى ارجو انى لا ارجع لك الا بره وبرأسه
فقال له السلطان العسكر بين يديك خذ معك ما شئت منهم
فاختار ان يكون اياس اغا اغاة الينكجرية باربعة الاف معه وخير بك
باربعة الاف خيال فامر السلطان بذلك ففى الوقت برزت هذه العساكر
وأمر على العساكر فرهاد باشا يكون سردار عليهم والامير خير بك
والغزالى يكونان تحت يده ويتقيدون برأيه فساروا فى اثر السلطان
طومانباى وهم يسألون من اهل البلاد حتى نزلوا على قبيلة محارب
وخرج لهم حسن بن مرعى كما تقدم فلما اجتمع بهم قالوا له انا سائرون
فى طلب السلطان طومانباى هل سمعت عنه خبرا الى اين يذهب
فقال لهم الذى يد لكم عليه ويسلمه لكم من غير حرب ولا قتال ماذا
يكون له عندكم فقالوا له ان اردت شاهر طلناك على مهما تريد وان
جعلت الامر لنا ولسلطاننا ولمروءتنا فيكون الذى يحصل لك اكثر مما

تؤمل

تؤمل انت فقال لهم على تسليمه لكم واجعل الامر بيدكم فضمن له
الوزير فرهاد باشا ان يقدمه عند السلطان على جميع مشايخ العرب
وان يقطع ارضه اقطاعاته الى ان يموت لا يؤخذ منه الدرهم
الواحد ثم ان الوزير فرهاد باشا خلع عليه قفطانا مذهبا من الخلع
السلطانية وخلع ايضا على ابن عمه شكرو وودعهما بكل خير ثم خرج
حسن بن مرعى وابن عمه وهما فرحانان حتى دخل على والدته فقالت
ماهذه الخلعة ومن اين جاءتك فاخبرها بما وقع له وانه التزم
لهم ان يسلمهم السلطان طوما بناى فقالت له انسيت ما فعله معك
السلطان طوما بناى قد اطلقك من الحبس وامنك بعد الخوف
وحلفت له الايمان بانك ما تخونه فكان جزاؤه منك ان تسلمه
لعدوه وتظن انك اذا فعلت ذلك تلقى خيرا بعده والله لئن فعلت
ذلك لاغضبن عليك غضبة تكون سببا لهلاكك فقال لها فما
الذى افعله وقد رهنت لسانى معهم بأنى اسلمه لهم واذا لم افعل
ذلك ما سلمت من شرهم وربما يبطشون بى فلا ينفعنى لا انت
ولا هو فقالت له ان الرأى الصواب ان ترسل فارسا للسلطان
طوما بناى وتخبره بما وقع وانه يكون على اهبة ان شاء حاربهم وان
شاء هرب الى جهة اخرى واما انت فارجع اليهم وشاغلهم الى ان
يطيب الطعام فبينما هم يأكلون يكون طوما بناى قد عدى بلادا
بعيدة او يكون قد تهيأ للحرب فتخلص انت من الجهتين فوافقها على
ذلك وخرج من عندها وهو متردد كيف يصنع ويقول لنفسه
اين عقلك تقتدى بكلام النساء الناقصات العقل والدين
وتترك ما يحصل لك من السلطان سليم من العز والجاه والفخر بين
العربان بسبب من غدرت به الايام والليالى وفاتت دولته
وانقضت مدته واذا لم امسكه انا مسكه غيرى وفاز بالفخر
والعز فليس هذا من الصواب فى شئ ثم انه اجتمع بابن عمه شكرو واخبره

بما قالت له امه فقال له منكر وهل عاقل يبيع عاجله بآجله ونمل
الى الكفة الناقصة فيحصل لك الخسران فاتفقوا على ان يكونوا مع
السلطان سليم واما السلطان طومانباى فقال لامرائه انى اريد
ان اخبركم بما رأيت فى هذه الليلة رأيت ان قائلا يقول لى رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئك السلام ويقول لك ان
دولتكم قد زالت وعمركم قد فرغ وانت جارنا فى الجنة بعد اربعة
ايام ارجع عن القتال فلا فائدة لك فيه وانا قد عزمت على رمى
سيفى فى هذا البحر المالح وقال لهم كل واحد منكم يذهب الى حيث
اراد وهذا اخر اجتماعنا فى الدنيا والقيمة تجمعنا فى الاخرة قال
الناقل فبينما هم فى هذا الكلام اذ وقد رأوا الخيل قد اقبلت عليهم
من بعيد فقامت الامراء كلهم على ساق وركب الامير شربك وبقية
الامراء واتباعهم وحطموا على عدوهم بقلوب كالحديد لكن العدو
كثير وهم طائفة قليلة لكنهم فرسان عارفون بركوب الخيل واولئك
كثير غير عارفين بذلك لكن اعتمادهم الاقوى على الرماية بالبندق
والضربزانات فلما رأهم الغزالى حطموا عليهم قال للعسكر فتحوا
لهم طريقا حيث ان طومانباى ليس هو معهم فصار من عسكر
الروم الذى يقرب على الجراكسة يقطعونه بالسيوف الى ان وصلوا
الى آخر الجراكسة وهرب بعضهم من مضيق الغابة الى خارج واما
قانصوه العادلى فانه ذهب الى اصبهان من عرب قطار وكان
معهم نحو الفى فارس راكبة مع القبائل التى جاءت لنصرة السلطان
طومانباى فلما رأوه ترك الحرب وفعل بنفسه هذه الفعال تركوه
واخذوا اصهرهم ورجعوا وصحبتهم سيدى يحيى بن الامير شربك
طلعوا من مضيق الغابة قبل وصول العسكر مع الذين هزموا واما
شربك الاعور فانه خرج قبل وصول العسكر وتبعه اثنان
من مماليكه وكان بينه وبين الامير احمد بن بقر شيخ العرب صحبة

اكيدة

اكيدة بحيث ان الامير احمد هذا اذا كانت له مصلحة فى مصر ما كان
ينزل الا عند الامير شربك فيقوم به الامير شربك احسن قيام ويكرمه
غاية الاكرام وليس الخبر كالعيان وكان يقضى له جميع مصالحه من
جانب السلطنة ويقوم بناصره على اعدائه حتى ان الناس كانت
تقول لولا الامير شربك على الامير احمد بن بقر ما كان له حال
وكانوا يتعجبون من محبته له واكرامه وقيامه بشانه ويحسدونه
على ذلك غاية الحسد حتى ان الامير شربك كان يقول له يا امير
احمد طول ما راسى تعيش لا تحمل هما ابدا ولا تحسب حساب احد من
السلطان الكبير فان الامير شربك كان يحسب حساب اقرانه للاسعوا
فى هلاكه فانه كان فريد عصره فى الفروسية وركوب الخيل وكان
اذا ركب ونزل فى الميدان عند لعب الجريد مع الامراء تحير النظار
ولم يغدر احد يقبل عليه وكان من شدة محبته اذا حصل
مضايقة من السلطان او من احد من الامراء الاعيان يذهب الى
صديقه الامير احمد بن بقر ويدبر امره ولما كان من امر السلطان
طومانباى ما كان من تركه القتال وتسليم نفسه للعدو وخرج
الامير شربك من الغيبة قال فى نفسه مالى اوفق من ان اسير الى
صاحبى الامير احمد بن بقر وانزل عنده حتى ادبر نفسى فيما افعل اما
انى اسافر الى بلاد العجم واكون مع سلطانهم او اسافر الى بلاد
اليمن ولله التدبير فيما يريد والشاعر يقول

تحذر من صديقك كل يوم ... وبالاسرار لا تركن اليه
سلمت من العدو فما دهانى ... سوى من كان معتمدى عليه

فما زال سائرا من بلد الى بلد والدنيا قائمة على ساق والعربان هاجت
والدنيا ما بقت وصار كل مفعول جائزا وكل من كان له عدو
قصده فان ظفر به قتله والناس مرتابون فى بعضهم فى اشد ما
يكون حتى وصل الى النيل السعيد وعدى منه الى الشرقية ثم سار

الى ان وصل الى الامير احمد بن بقر اخر النهار وحده فى منية غمر فرحب
به وانزله فى بيته واكرمه غاية الاكرام ثم حكى للامير احمد ما
وقع لهم مع عدوهم من الاول الى الاخر فكلهم تعجبوا من السلطان
طومانباى لانه اخطأ فى هذه الفعلة التى فعلها وتسليم نفسه لاعدائه
يتحكمون فيه كيف شاؤا وكيف يرى الهوان بعد العز وكان يقاتل
الى ان يقتل ولا يسلم نفسه فانهم لا يبقون عليه ابدا وتبقى
الاهانة والذل وشماتة الاعداء اقبح واتعس فقال الامير
شربك قدر الامر وذهبت دولتنا وما بقى كلام الا التدبير فى
المسير من هذه البلاد وقصد ان يرسل يأتى بحريمه وولده ويخرج
ليقصد بلادا غير هذه البلاد فقال له الامير احمد بن بقر يا امير
قالت العارفون من تأنى نال ما يتمنى اصبر حتى ننظر ما يتم الامر
عليه فقال له الامير شربك اين عقلك حيث ان السلطان طومانباى
سلم نفسه لعدوه هل بقى لك بعد ذلك شئ فى غد نأتيك الاخبار
بانه صلب على باب زويله او علقت رأسه عليها هذا ما اجر للامير
شربك واما السلطان طومانباى فانه بقى وحيدا فريدا وقد رمى
بجميع عدته وسلاحه وملبوسه فى البحر المالح حتى المصفح الفولاد
الذى ليس له نظير فى الدنيا والقنطارية المفردة حتى الطبر الجناح
الذى لم يسمح الزمان بمثله فانه كان صاعقة من الصواعق لا يضرب
به على حديد الا قطعه ولا على حجر الا فلقه فكان من تحف الملوك
القدماء فعند ذلك حطمت عليه العساكر يقدمهم اياس اغا اغاة
اليكچرية وخيربك والغزالى وحسن بن مرعى فاقتضى رأيهم انهم
يقبضون عليه حيا ويأتون به للسلطان سليم يفعل به ما يجب
ويختار ثم امروا جميع العسكر ان يعمدوا سيوفهم فانه قد رمى
سلاحه ولا بقى معه احد يقاتل عنه ففعل الجراكسة كما امروا
وعسكر السلطان سليم كذلك ثم حلقوا عليه من كل جانب وصاروا

بينهم

بينهم كالسبع فعند ذلك نزل اياس والغزالى وخيربك وجاؤا
اليه فقال له اياس اغا الامر امر الله تعالى فقم لمولانا السلطان
اجعل يدك اليمنى فوق اليسرى ولا تؤاخذنا فى ذلك يا مولانا
ففعل وربطوهما من قدام واوثقوهما فان الاعيان لا يكتفون
الا من قدام ثم قدموا له بغلة واركبوه عليها وقيدوه من تحت
بطنها واحاطت به اليكنجرية وبقية العسكر وجدوا فى السير
كانهم وقعوا بفريسة عظيمة اولقية ولو امكنهم ان يطيروا
به لطاروا فاخذ يتكلم مع اليكنجرية فسألهم عن حالهم وعن قدر
جوامكهم فقالوا لكل واحد منا ستة عثامنة الى عشرة عثامنة
فقال لهم انتم جئتم من بلادكم الى هنا لاجل ذلك فقالوا نعم
فقال لهم بارك الله فيكم وبهذا قد غلبنا سلطانكم لطاعتكم له
على هذا القدر اليسير والله ان جامكية احدكم لا تكفى ان تكون
جامكية سايس من سياسنا فوالله ثم والله لو تكونوا عسكرى
لجعلت لكل واحد منكم دينارا فى كل يوم فقال بعضهم لبعض ما لرأى
تطلق هذا الرجل وتكون اعوانا له ونأخذ دينارا فى كل يوم
ونصير عنده فى اعز ما يكون فمنهم من استصوب ذلك الكلام ومال
اليه ومنهم من قال لا يغركم هذا الكلام فانه ما قال لكم ذلك
الا لما رأى نفسه وقع فى ايديكم وهل يكون هذا قط ان يصير
لكل واحد منا دينار فى كل يوم فوقع فيهم الرجم وما زالوا سائرين
به حتى وصلوا الى اوطاق السلطان سليم وقد كانوا ارسلوا
اولا قاوقت قبضهم عليه يبشر السلطان بانهم مسكوه مسكا
باليد واعلموه كيف كان قبضهم عليه وان شيخ العرب حسن بن مرعى
هو الذى كان سببا فى ذلك لانه ما دلهم على موضعه الا حسن
هذا وانه حسن له عبارة فى دخوله فى هذا الوادى وحبسه فيه
وانه يستحق كل خير فانه لولا حسن هذا ما عرفنا له موضعا وذكروا

للسلطان جميع ما وقع وانهم قادمون به بالقيد والبند بعد ان
كان قد رمى سلاحه فى البحر المالح وسلم نفسه بالامان وقد
تشتتت جميع عساكره ومسكناه باليد وهو واقف على جبل
عال بمفرده ففرح السلطان بذلك غاية الفرح وقال الآن ملكنا
ملك مصر فما تم الكلام الا وقد اقبلت العساكر ولهم ضجيج عظيم
فقام اوطاق السلطان على ساق حتى ان السلطان ارتاب من
ذلك وظن ان العدو قد هجم على اوطاقه فقالوا له البشارة
هذا ايا ساغا وخيربك والغزالى قد جاؤا بغزبك فلما وصلوا
الى خيمة السلطان سليم خرج لهم الوزير الاعظم يونس باشا
وامرهم ان ينزلوا السلطان طومانباى واخبروه بالواقعة من
اولها الى اخرها وانه لولا الشيخ حسن بن مرعى هذا والا ما كنا
عرفنا له طريقا فشكره السلطان على ذلك ووعده بكل خير
فلما اصبح الله تعالى بالصباح امر السلطان ان يعمل الديوان
واظهر ما عنده من الزينة الملوكية ورتبوا له احسن ترتيب
وحضر جميع العساكر ووقفوا بين يديه على حسب مراتبهم واوكب
موكبا عظيما ووقف اليكنجرية صفوفا على احسن ترتيب وكذلك
المدافع فى ناحية العسكر صفوفا وجهزوا النار وهم منتظرون
امر السلطان ان يطلقوا عليهم وعلى البنادق نارا وتندق الكاسات
والطبلخانات التى للسلطان والتى للوزراء والباشاوات والامراء
ثم امر باحضار السلطان طومانباى والامير حسن بن مرعى فلما
حضر السلطان طومانباى ادخلوه من بين هذه العساكر ورأى
نظام العثمانية فى احسن ما يكون ونظر هذه العساكر وهذا
الترتيب الذى لا عين رأت ولا اذن سمعت ولما دخلوا به على
السلطان سليم خان سلم عليه بسلام الملوك فرد عليه السلطان
سليم كما يجب ولم ينقص مقامه فى سلامه ثم وقف طومانباى

فأمره

فأمره بالجلوس فجلس وهو فى غاية الندم على ما فعل وقال انى كنت
طير اطائرا وكانت الارض واسعة اذهب الى حيث ارید واختار
فسلمت روحى لعدوى بيدى بئسما كانت فعلة فعلتها اوجبت
لى الهم والذلة كل ذلك خطر فى نفسه وهو جالس لا يتكلم
ولا احد يتكلم ولا يرفع صوته ولا رأسه فنظره السلطان سليم
وتأمله بعين الفراسة فوجد فيه كل شئ يشهد له بالشجاعة
والفروسية وكمال العقل شاهد له لا عليه فتعجب السلطان سليم
فيه كيف سلم نفسه بغير حرب ولا قتال ولم يكن له شئ فيه
يشهد بانه جبان ابدا بل انه اذا راه من لا يعرفه يشهد له بانه شجاع
بطل ثم ان السلطان سليما قال فى نفسه انما هذا امر سماوى
اصابه وطالع نحس غرب غير صوابه حتى رمى سلاحه وسلم
نفسه مع انه قاتل قتال الجبابرة ولا لو هرب كانت الدنيا واسعة
بين يديه ايما شاء ذهب وحيث طلب هرب ثم التفت اليه وقال
له يا طوما نباى كم نهيناك عن القتال وعن سفك دماء المسلمين
اولا انى ارسلت لك من الشام ان تجعل السكة والخطبة باسمى
وانت مقيم على ملك مصر وانا ظهرك ومعين لك على سائر ملوك
الارض فأبيت ذلك وقلت رسلى والرسول لا يقتل فسرنا
بعساكرنا لقتالك ورفعنا الاعلام ونشرنا العساكر على خراب
ديارك فاول مقابلتك فى الريدانية هزمناك الى الصعيد وارسلت
اليك رسلا الى الصعيد ومعهم قضاة بلادكم فلم تقبل الصلح
وقتلت القضاة وتعديت شيم الكرام بقتل الرسل اولا وثانيا
ثم عاتبته عتابا كثيرا فقال له طوما نباى والله انه لم يكن
شئ مما جرى بخاطرى ولا بأمرى ابدا ولا برأيى والى لما ارسلت
الى من الشام الرسل اكرمتهم وامرت بنزولهم فى دار الضيافة
وفى نيتى ان افعل ما جاؤا به واراد الجواب كما امرتنى فلا قاهم الامير

علان وهم سائرون الى بيت الضيافة فقتلهم فلما بلغني عسر علي
ذلك وكذلك الرسل الذين ارسلتهم جرى في حقهم ما جرى
في حق غيرهم من غير رضاي وكل هذا ليس بأمري ولا بارادتي
وانما جرت بهم المقادير من الرب القدير وحتى تجري الامور على
ذلك على ما كانت من قديم الزمان بان دولتنا زالت وادبرت
ودولتكم جاءت واقبلت وهذا شئ كتبه الله تعالى في القدم
واجرى به القلم ودارت به الافلاك وسارت به الكواكب وما اراده
الله فلا مرد له ولا يغلب الله غالب تبارك وتعالى رب الافلاك
والكواكب ولولا ذلك ما قدرت انت ولا غيرك على اخذ بلادنا
فانه لو كان بالقوة والشجاعة ما كنتم اقوى منا ولا اشجع وها
انتم رأيتم كيف فعلنا مع عسكركم وكسرتهم كذا كذا مرة واما قولكم
انكم كنتم تريدون ان تكون السكة والخطبة باسمكم وان تكونوا
رؤس الملوك بخدمة الحرمين الشريفين فانا والله ما اخذت
السلطنة برغبة مني وانما قومي وعسكري اختاروني ورغبوا
في ان اكون انا السلطان عليهم لما علموا من زهدي في ذلك المال
فلما تقلدت ذلك وجب علي ان ارد عنهم واذافع عن اموالهم
وانفسهم واولادهم وحريمهم واما انت فانما قيامك في حفظ
نفسك لا لغير خصوصا ونحن مسلمون فكيف تستحل قتل المسلمين
وترمي عليهم بهذه المدافع والنيران كيف بك اذا وقفت بين يدي
رب العالمين فما جوابك وكل ملك وان تعاظم ملكه فهو لله عبد
اصغر فما انت وانا الا بجملة العبيد فتعجب السلطان سليم ثم قال
له انا ما جئت عليكم الا بفتوى علماء الاعصار والامصار وانا
كنت متوجها الى جهاد الرافضة والفجار فلما بغى اميركم الغوري
وجاء بالعساكر الى حلب واتفق مع الرافضة واختار ان يمشي
الى مملكتي التي هي موروث ابائي واجدادي فلما تحققت ذلك تركت

الرافضة ومشيت اليه ونظر سلطانكم وعسكركم قوتنا وقوتكم
وبعد حضوري الى الشام سمعت انك عملت سلطانا على الكبشة
الاجلاف وانت لست اهلا لها والسلطنة لا تكون ولا تليق الا
برجل يكون اباؤه واجداده سلاطين وانت وقايتباي الذي
هو اعظمكم والغوري ما اسما ابائكم ومن اين لكم السلطنة
ومن اين لكم الامارة كلكم اولاد نصارى وانتم مماليك بلا عتاقة
حتى بقيتم من قلة عقلكم وقلة ادبكم تعملون الرجل منكم سلطانا
تعزلونه وتقتلونه اي يد لكم حتى تعزلوا وتولوا وتقتلوا
وتطولوا اياديكم على السلاطين فانت وقومك كم قتلت من عسكري
كل مسلم وابن مسلم فما جوابك عنه عند الله تعالى فقال له مسرعا
ان الله تعالى قد اجاز لي ذلك قال سبحانه وتعالى في كتابه العزيز
وهو اصدق القائلين فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى
عليكم اللهم ان المرحوم الملك الاشرفي قانصوه الغوري وقع بينك
وبينه التنافس ودخلت الشياطين بينكم ورمت الاعادي بينك
وبينه وختم الله تعالى له بالشهادة وستقف انت وهو بين
يدي رب العالمين واحكم الحاكمين واما انا فليس بيني وبينك عداوة
ولا احد من عسكرك ولا غيرهم فقال له السلطان سليم والله ما كان
قصدي اذيتك ونويت الرجوع من حلب ولو اطعتني من الاول
وجعلت السكة والخطبة باسمي ما جئت لك ولا دست ارضك
فقال له طوما بناي الانفس التي تربت في العز لا تقبل الذل هل لو ارسلت
لك انا وامرتك ان تكون تحت امري هل كنت ترضى بذلك وهل سمعت
ان الاسد يخضع للذئب لا انتم افرس منا ولا اشجع منا وليس في
عسكرك من يقايسني في حومة الميدان ونحن قوم قد خصنا الله
سبحانه وتعالى بذلك ولكن انا اعرف ان ما عليك اضر من هذين
الشيطانين الخائنين فانه لو كان فيهما خير لكان لنا فقال السلطان سليم

للحاضرين والله مثل هذا الرجل لا يقتل ولكن اخروه في الترسيم
حتى ننظر في امره فأخذه اياس اغا وذهب الى خيمته واجلسه
بها واخذ السلطان سليم يتكلم مع الحاضرين في شأنه واذا
بالبشارة قد جاءت من عند الامير احمد بن بقر بأنه قبض على
شربك الاعور وانكم ترسلون من يأخذه فازداد فرح السلطان
سليم بذلك وقال من يذهب اليه ويأتي به فقال الغزالي على
ذلك فقال له انت لها يا ابا منصور فقام الغزالي من وقته
وخرج واخذ معه مائتين من نقاوة العسكر فما تم النهار الا وهم
في منية عمر فوجدوا الامير احمد بن بقر واقفا لهم في الانتظار
فلما اجتمع به قابردي الغزالي وسلم عليه قال له احمد بن بقر
انزل الى الضيافة قال لا يمكن ذلك فان السلطان سليما نصره الله
تعالى امرني ان ارجع اليه في يومي هذا فاسرع لنا بشربك وسر
معنا الى السلطان ليكافئك على فعلك ولا تخبرني كيف مسكته
انا ونحن سائرون فعند ذلك احضروه وهو مقيد مزندق ووقع
بصره على احمد بن بقر وقابردي الغزالي فقال لهم الله يخون الخائن
فلم يرد له جوابا وركبوه على بغل وقيدوه من تحت بطنه وطاروا
به كما يطير الغراب اذا اخذ البيضة ثم اخذ احمد بن بقر يحكي لقابردي
كيف قبض عليه فان الامير شربك لما خرج من الغابة بعد ان ايس
من السلطان طوما بناي وقصد صديقه وحبيبه الامير احمد
ابن بقر فلما وصل اليه اكرمه وزاد في اكرامه وقال له لا تخف
ولا تحزن حيثما وصلت الى فحكى له الامير شربك على ما حصل
له من السلطان طوما باي وكيف سلم نفسه لعدوه ورمى سلاحه
في البحر الملح وان ذلك كان سببا لانقضاء الدولة ثم دخل الليل فنام
الامير شربك ليأخذ لنفسه الراحة وكان له عدة ايام وليالي لم
ينم ولا طرق النوم عينه فنام واطمأن على نفسه فقال احمد بن بقر

لأصحابه خطر عندى شئ اذكره لكم قالوا وما هو قال ان هؤلاء
القوم قد زالت دولتهم حيث ان سلطانهم قد سلم نفسه وانى
اريد ان افعل كما فعل حسن بن مرعى واجعل لى يدا عند السلطان
سليم واخذ السنكرانية على غرة فقالوا له هذا هو الصواب
قال فقمت من ساعتى ودخلت عليه وهو نائم ومعى نحو عشرة
او عشرين نفسا فضربته بالنبوت فى رأسه بعد ان نبهته بسرعة
فلما رفع رأسه وهو مدهوش من ضربته التى فى رأسه وقد بطحته
امرت بقية الحاضرين فوقعوا عليه وكتفوه وقيدوه ونزندتر
وارسلت لكم على الفور اعلمكم بذلك فشكره على ذلك فانبرى
الغزالى وقال له الآن قد اشتفى قلبى من هذا الاعور الخبيث ولا زالوا
مجدين التبريه حتى وقفوه بين يدى السلطان سليم فتأمله ونظره
فوجده من اكمل الرجال وهيبته ظاهرة عليه وشجاعته لابسته
ذو استكانة وهيبة ووقار وضخامة وحشمة فاراد السلطان سليم
ان يختبر كلامه حتى ينظر عقله فقال له السلطان كيف تنظر الدنيا
يا شريك فقال كلا شئ فقال له حيث كانت كلا شئ فكيف تقاتل
عليها وتحارب فيها قال ما قاتلت عليها ولا انا فست احدا فيها وانما قاتلت
عن مالى وعيالى وعرضى واولادى وكتاب الله تعالى وسنة رسوله
صلى الله عليه وسلم اجاز لى ذلك فاما الكتاب فقد قال الله
تعالى فى كتابه العزيز فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى
عليكم وقال تعالى اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله
على نصرهم لقدير وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل
دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون عياله فهو شهيد فحين ما نقاتلكم
الا باذن من الله ورسوله وانت بأى دليل استحللت دماءنا
واموالنا فقال السلطان سليم اولا قد استفتيت عليكم واجازنى
العلماء بذلك فانه قد بلغنى انكم تقتلون ملوككم وتأخذون الامر بالسيف

ولا تقفون على الحدود الشرعية فقال شريك اما قتلنا الملوك فانه
كلام باطل فقد اقام المرحوم الملك السلطان الاشرف قايتباى
نحو ثلاثين سنة وهو ملك مصر الى ان مات رحمه الله تعالى
واما ابنه محمد فقد تعدى الحدود ولم يقف على حدود الشرع
ولهذا قتلناه واما الذين تولوا بعده فانا لم نرفهم قابلية للملك
فلهذا اقصيناهم فمنهم من حبسناه ومنهم من قتلناه اتقاء لشره وقد
اخترنا المرحوم الامير قانصوه الغورى وجعلناه سلطانا فاقام
الى ان خرج اليك لامر اراده الله تعالى فى الازل الى ان حصل ما حصل
وآخر الحياة الموت وما نحن باقون من الموت فقد قال الله تعالى
انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون
فلما سمع السلطان سليم ذلك الكلام من شريك اشار بيده ان
اخرجوه فاخرجوه فى الترسيم واقعدوه قال الراوى فى اليوم
الذى جاؤا بالسلطان طومانباى بعد سؤاله وجوابه اليه قبل
ما يعطيه الترسيم اشار اليه بيده ان اطلقوا المدافع والضربزانات
والبنادق ودقت النوبة السلطانية ودقت الكاسات والنقاريات
واطلقوا المدافع والضربزانات والبنادق وكبروا تكبيرات ثلاثة
ايام حتى تزلزلت الارض وضربوا النوبة من الوزير الاعظم وسائر
الوزراء والباشات والامراء وبعد اخرها اشار على ترسيم السلطان
طومانباى ثم امر ان ينادى فى جميع مصر بالزينة فزينوا الناس
جميع مصر والقاهرة وجميع البيوت والدكاكين وامعن الناس
فى ذلك واشيع فى سائر اقليم مصر بان السلطان طومانباى
مسكوه بدلالة حسن بن عرب وصار الناس منهم من يصدق
ومنهم من الاطراف والغلاحين من يكذب ولما كان فى ليلة
الاحدى والعشرين من شهر ربيع الاول وكان السلطان طومانباى
قد صلى العشاء وجلس وهو كثير التفكر زائد التضجر وزائد الحسرات

متتابع العبرات اخذته سنة من النوم وهو جالس فاذا هو بشخص
واقف قدامه وقال له يا طوماباى قدم نفسك للرحيل فقد
مضى الكثير والقليل وجاء الوقت المعلوم فانتبه من نومك فقد
حصل فراقك من اهلك وقومك فانتبه مرعوبا فزعا وتعوذ
بالله من الشيطان وقرأ ما تيسر من القرآن فنزل عليه من النوم
شيء ثقيل فاضطجع كانه ميت او قتيل قال ولم ينزل عليه من النوم
طول عمره اثقل من تلك الساعة والسبب في ذلك ان الروح تعلم
بفراقها البدن فتودعه بطيب الوسن ثم افاق بعد ذلك فوجد
نفسه كانه صبت عليه ماء من كثرة العرق وكان هو الذي اخر بذلك
عن نفسه للقاضي اصيل الطويل فانه لم يات احد من اهل مصر مخبرة
واوصاه ان يغسله ويكفنه بيده وقد فعل ذلك كما اوصاه
قال الناقل وما زال السلطان طوماباى على سهرته الى الصباح
فلما تباينت الوجوه واذا بالجاووشية قد جاؤا اليه والغليجية
وهم مسرعون وقالوا له قم فان السلطان يطلبك فقام معهم
وسار وابر الى ان قرب من خيمة السلطان سليم اوقفوه واذا بقانصوه
اغاسي قد خرج من عند السلطان وقال قد برز امر السلطان بان
تسير وابر الى باب زويلة وتصلبوه هناك وجاؤا له بالبغلة
واركبوه عليها وقيدوه من تحت البغلة ودارت حوله اليكنجرية
والعساكر من سائر الطوائف وخرجوا به من وطاق السلطان
الى ان بابه ونزلوه في مركب وعدوا به الى بولاق ودخلوا به من
مرجوش الى بين القصرين وقد انقلبت الدنيا بالضجيج والبكاء
والصياح وكان الواحد من عسكر الروم يجيء الى الرجل من اهل
مصر ويقول له هذا الذي على البغلة هو السلطان طوماباى
ام غيره فيقول المصري بل هو هو وكان ذلك اليوم على اهل المملكة
اشأم الايام وبكت عليه الارامل والايتام

ذكر صلب السلطان طومانباى على باب زويلة

قال الراوى فلما وصلوا به الى باب زويلة وجدوا الجمل مرخيا فاسرعوا به وانزلوه عن البغلة وصلبوه من غير مهلة ثم بعد ذلك انزلوه وساروا به فى نعش الى قبة السلطان الغورى فغسله القاضى اصيل الطويل وكفنه من ثياب ارسلها له السلطان سليم من خاص الموصلى الرفيع ثم صلى عليه القاضى ايضا كما اوصاه ودفنوه فى قبة المذكورة وارسل السلطان سليم ثلاثة اكياس من الفضة تصدقوا بها عليه قال الراوى انه حضر الصلاة على السلطان طومانباى ثم ان الذى فرق الاكياس على الناس فرقها من غير عدد بالتصييب اعطاه ثلاث حفنات فضة واعطى القاضى اصيلا مثل ذلك وفرق الباقى على الناس من غير عد بالتصييب قال ثم ان السلطان سليما فى الساعة التى امر فيها بصلب السلطان طومانباى احضر الامير شربك الاعور وامر بضرب عنقه فقطعوا رأسه وجاءت عياله وغلامه الحاج فارس فاستأذنوا فى اخذه فأذن لهم فاخذوه وجاؤا به الى المدرسة البيبرسية وغسلوه وصلوا عليه ودفنوه فى مسجد من داخل الخوخة التى عند الفرن بالقرب من داخل المدرسة المذكورة وكان هذا اخر مدة الجراكسة وهو يوم الاحد الحادى والعشرين من شهر ربيع الاول سنة اثنين وعشرين وتسعمائة قال المؤلف الذى وصل الى علمى من لفظ سيدى محمد بن السلطان الغورى ان السلطان سليما لم يكن فى نيته قتل السلطان طومانباى وانما كان التسبب فى ذلك خير بك نائب حلب وقانبردى الغزالى فانهما لما رأيا السلطان سليما لم يسهل عليه قتله وصرح لهم فى المجلس العام بان مثل هذا لا يقتل لما رأى كلامه مسددا وهو حق وصدق وثبت عنده صدقه وظهر له حاله ورأى من شجاعته ما يفوق الوصف فلم يسهل عليه قتله وكان اراد ان

يأخذه معه الى بلاد الروم ويبقيه عنده فخيرة بعد ان يستحلفه
الايمان المعظمة وثبت عنده دينه وصلاحه وكان رحمة الله
عليه محبوبا الكل من يراه فلا يراه غريب ولا قريب الا احبه وشهد
له بالصلاح فخشي خير بك على نفسه وكذلك فانبرد ان السلطان
سليما ان اخذه معه وصار بينهما اتحاد لا يبقى عليهما فأخذوا
يدبرون الحيلة ويحسنون للسلطان سليم قتله وانه متى ابقى
عليه لا يقوم له نظام ابدا وربما يفسد عليه عسكره فانه رجل
شجاع وكريم الغاية الدنيا عنده لا قيمة لها ابدا وخصوصا للاجناد
والعساكر فعند ذلك اقتضى رأى خير بك والغزالي بأن يكتبوا
للسلطان ورقة ويرسلوها من غير ان يشعر بها احد من الوزراء
ولا من غيرهم ومن جملة ما كتبوا فيها فليعلم مولانا السلطان
ان اهل مصر الذين تشتتوا من البراكسة لم يصمدوا ان سلطانهم
عجز وسلم نفسه وقبض عليه وكذلك اهل الاقاليم والعربان
وايضا ليعلم مولانا الخنكار انك متى ابقيت عليه فقد ضيعت
تعبك وسفرك وهلاك عسكرك واموالك فانه بمجرد ما تسافر
من هذه البلاد لو كان تحت الارض خرج منها وافسد عسكرك
بالعطاء وتندم حيث لا ينفع الندم فان اردت ان تطيعك الممالك
والبلاد وتحتوي على جميع البلاد من غير مانع يمنعك عنها ولا
مدافع يدفعك عنها عجل بهلاكه وارسل اصلبه على باب زويلة
ليراه الخاص والعام ويشاع ذلك في سائر البلاد وتيأس
الناس من بقائه وترزق الدنيا وتطمئن على نفسك وتملك هذا
الاقليم العظيم الذي ليس له نظير تحت سماء الدنيا ولقد قال
بعض الحكماء عدوك لا تنهها فيه وصديقك لا تجافيه وقال آخر
من لم يحسب العواقب بها الدهر له بصاحب فعند ذلك امر السلطان
سليم بصلبه طوما بناى وسرمى عنق شربك كما تقدم *

ذكر صفة السلطان طومانباى رحمه الله تعالى

كان رحمة الله عليه على ما حكاه عنه سيدى محمد بن المرحوم الغورى والقاضى اصيل الطويل والامير زمك الناشف وغيرهم ممن رآه وعاشره وعرفه ظاهرا وباطنا فاتفق الجميع على انه كان مقداما خبيرا بالحرب ومواقع الطعن والضرب والدخول فى الميدان والخروج منه لا يرهب الاقبال ولا يخطر الموت له على بال وقد ذكرنا ذلك فى حروبه ووقائعه وكان متوسط الطول ذهبى اللون واسع الجبين اسود العين والحاجبين واللحية وكان دينا صالحا خيرا فاضلا زائد الادب والسكون والخشوع والخضوع ملازما لزيارة المشايخ الاحياء منهم والاموات حتى انه لما غسله الغاسل وقلعه ما عليه من الثياب وجد واعلى بدنه جبة صوف حمراء واوصى ان يدفنوه بها ولم يظهر عنه فى حياته شئ من الافعال الرديئة ابدا لا شرب خمر ولا زنا ولا فواحش ابدا وكان قليل الشهامة لا يظهر شيأ مما يفعله اهل التجبر والعنف وكان الغالب على حاله السكينة والوقار وكان غالبا على نفسه رزينا فى احواله لين الكلمة ذا انخفاض كثير الرحمة والشفقة على كل احد حتى انه لما ظهرت منه هذه الفراسة والشجاعة فى قتال السلطان سليم صارت الناس يتعجبون منه غاية العجب ولا كان احد يظن انه بهذه الصفة وكان الذى عمره ما رآه اذا رآه لا يشك فى انه عبد صالح فان الصلاح والانس والخيرية كانت ظاهرة عليه وعلى وجهه وقد تقدم فى التاريخ ان السلطان سليما ما هان عليه قتله لما رآه وسمع كلامه وقال له والله يا طومانباى لو كنت اطعتنى على حرابى بان تجعل السكة والخطبة باسمى ما دخلت لك ارضها ولا بلادا ولا وقع بينى وبينك حرب ابدا ولكن لكل شئ سبب حتى جرى القضاء والقدر وقتل من قتل وسلم من سلم وكانت زوجته خوند

بنت قانصوه الغزالى دويدار كبير وتزوجت بعده برجل يقال
له ابن الشيخ ابراهيم الكلشنى وبقيت بمصر الى ان ماتت ولم
يخلف السلطان طومانباى اولاد الا ذكورا ولا اناثا واكثرت
فيه الشعراء من المراثى والقصائد ومضى كأنه لم يكن وكان لقانصوه
اصيل الطويل دائما يحكى عنه حكايات غريبه وامورا عجيبه
تشهد له بأنه من عباد الله الصالحين ومات القاضى اصيل فى
سنة سبعين وتسعمائة قال الراوى قد قدمنا فى هذا التاريخ
ان السلطان طومانباى تولى فى يوم الاحد الخامس عشر من شهر رمضان
سنة تسعمائة واحدى وعشرين وانقطع اسمه من الخطبة على
منابر مصر فى اول سنة اثنين وعشرين وتسعمائة وكان من
حين ضربت له السكة واقيمت له الخطبة ثلاثة اشهر وخمسة
ايام قال المؤرخ وفى الساعة التى امر السلطان سليم فيها بصلب
طومانباى وقتل الامير شرباك احضر فيها شيخ العرب حسن بن
مرعى وابن عمه شكرا وشيخ العرب احمد بن بقر وخلع عليهم خلعا
عظاما من اجل خلع الملوك واعطى لكل واحد منهم ولاية بلاده
اقطاعا له لا يحمل من مالها لديوان السلطان شيئا ولا درهما واحدا
ما داموا فى قيد الحياة وارسلهم الى بلادهم بعد ان احسن اليهم
احسانا جزيلا واكرمهم اكراما عظيما

ذكر تولية الكشاف ومشايخ العربان

قال الراوى ثم امر السلطان بتولية الكشاف فولى الامير جانم على
البهنسا والفيوم وجانم هذا هو الذى تحارب مع السلطان
طومانباى وولاهم على ما كانوا عليه فى مناصبهم وامران يكتب
فى الدواوين ولجميع الحكام بعدم المعارضة لجميع اصحاب
الاقطاعات والارزاق والاوقاف والجوامع والاولاد الامراء والامراء
الجراكسة الذين تخلفوا وكل من بيده شئ من الارزاق هو باق عليه

وجعل لعنة الله ثلاث كرات على من غيرا و بدل شيئا من ذلك
ففرح الناس بذلك غاية الفرح ثم ان السلطان قال للامير
خيربك اريد ان اعلم قدر مال مصر وما يجمع منها فى كل سنة قال
يا مولانا الخنكار ما يعلم ذلك ولا يعرفه الا القاضى ابو بكر بن
الجيعان فأمر باحضاره فلما حضر قال له خيربك مولانا السلطان
يريد ان تخبره بما يجمد من مال مصر فى كل سنة على وجه مختصر
فقال له القاضى فى غد ان شاء الله تعالى آتيه بخبر ذلك ثم انصرف
ورفع الدفاتر التى قد كان جاء بها وجاء فى ثانى يوم وقد كتب جملة
خراج مصر على ظفره فاعجب السلطان ذلك وقال له بارك الله فيك
خير القول ما قل ودل ثم ان السلطان امر بالرحيل من برانيابه وجاء
الى المقياس ونزل فيه ومعه جميع اكابر دولته واعيان اجناده
ثم ان السلطان خلع على شيخ العرب حماد بن خير شيخ عرب غزالة
باقليم الجيزة وجاء اليه الامير على بن عمر شيخ هوارة فخلع عليه
بامرية الصعيد بمدينة جرجا وخلع على علم الدين شيخ بنى عدى
وكتب لهم التواقيع بذلك وخلع عليهم وانصرفوا قال المؤرخ
ومن غريب ما جرى ان الامير قانصوه العادلى لما سمع بشنق
السلطان طومانباى وقتل الامير شربك كان عليه ذلك اليوم
من اشئم الايام وهجر الطعام والمنام ثم انه حدث نفسه بان يتحيل
بحيلة على قتل السلطان سليم فسهر ذات ليلة وهو متفكر فيما يفعله
وكيف يتوصل الى ما اراد فدبر فى نفسه ان يلبس مثل العرب
ويأخذ معه جماعة من اهل القوة وينزل الى مركب ليلا ويسير
بها الى تحت المقياس ويجعل له سلم تسليم ويصعد عليه وينزل
الى داخل المقياس ويقتل السلطان سليما ويأخذ بثار قومه وما
علم ان المنى ما له قاتل ثم انه فعل ذلك حتى وصل الى الطيارة التى
فوق المقياس وهى محل السلطان فوجد الحرس مستيقظين وسمع

حديثهم فكمن في محل وقال في نفسه اصبر لهم الى ان يناموا فلما
سكت حسهم ظن انهم قد ناموا وكانوا يقظا وبون الحرس بالساعات
فقام ومشى الى ان قرب منهم فغطنوا به ورأوه بالعين فقاموا
اليه يتصايحون بالسيوف مسرعين في طلبه فرجع هاربا الى
الموضع الذي جاء منه وفيه سلم التسليم فما ساعده الا ان رمى
نفسه من فوق الشرارف الى البحر وارتمى في التيار وتبعته
جماعته بالقوارب فحصلوه وهو عائم فاطلعوه واخذ روايه
ولم يبلغ مقصوده واما السلطان سليم فانه قام مرعوبا من نومه
لما سمع الضجة وطل من اعلى القصر ونظره وهو عائم في الماء
فامرهم بالرمي عليه بالبندق فلم يصبه شئ من ذلك الى ان
وصل الى ساحل بولاق وبقي مقهورا لانه لم يبلغ مقصوده
وكان في علم الله ان الذي بقي من عمر السلطان سليم ثلاث سنوات
فانه مات بالقسطنطينية في سنة ست وعشرين وتسعمائة ودفن
بها ومن الغرائب ان مدفنه لا يذهب اليه احد ولا يزوره الا القليل
فانه كان سفاكا للدماء لا يتوقف في قتل احد واما تربة والده
المرحوم السلطان ابا يزيد فانها تيرة عامرة موهلة للناس لا ينقطعون
عنه الا ان كان بعد صلاة العشاء فانه كان عبدا صالحا لا يشك
في ولايته وكان بينه وبين المرحوم السلطان قايتباي مودة
عظيمة ويهادون بعضهم بعضا في كل عام ويرسلون لبعضهم
السلام ويطلبون من بعضهم الدعاء الى ان توفاهم الله تعالى
تغمدهم الله برحمته ورضوانه واعجب من ذلك ان خير بك
ملك الامراء بمصر لما ان قامه السلطان سليم على ملك مصر الى ان
يموت فامر بعمل تربة لنفسه وجعلها في باب الوزير على طريق
القلعة يمر عليها الباشات والصناجق والاغوات عند ذهابهم
واياتهم فلم يلتفت اليه منهم احد ولا يترحم عليه ولا يقرأ له الفاتحة

مع انها تزينة مليحة المنظر ومع ذلك صد الله عنه قلوب الخلق لانه
كان سببا فى هلاك الوف مؤلفة من الجراكسة والارواموالعرب
وغيرهم فان بعض الحذاق من المؤرخين قاسوا وقعة الجراكسة
مع السلطان سليم على وقعة تيمورلنك الذى اخرب حلب والشام
وقتل اهلها وعساكرها فوجدوها قدرها خمسة عشر كرة تقريبا
قال المؤرخ ثم ان السلطان سليما اشتهى خاطره ان يذهب الى
الاسكندرية ويتفرج عليها ويحيط بها علما فخرج فى خمسمائة نفس
من الخصاء عسكره واخذ فى البحر فراى مدينة فوة ورشيد
وغيرهما من البلاد ورأى تلك الارزاق وراى الخيرات التى كانت
فى ايام الجراكسة فتعجب من ذلك وقال ان هذا الاقليم لا نظير له
فى كثرة الارزاق والخيرات ثم اخذ الى رشيد واحاط بها علما
ثم طلع فى البر الى الاسكندرية واقام بها ثلاثة ايام ثم رجع
ونزل فى المقياس وبقى كل ليلة ينزل فى الذهبية التى عمرها السلطان
قانصوه الغورى وكانت كلها منقوشة بماء الذهب كالاسقفة
التى فى الغورية وكانت لها بهجة عظيمة وكان الحاج عبد القادر
الاعرج هو الرئيس الذى يمسك الدفة ويقلع به ويحدر فاتفق
انه فى بعض الليالى اراد السلطان الطلوع من الذهبية الى
المقياس فلما قاربت الذهبية سلالم المقياس رهم السلطان ان
يطلع فلم تصل رجله الى درج المقياس وكاد ان يسقط بين
الدرج والذهبية والحاج عبد القادر واقف بحذائه ليطلعه
فلما رآه هوى الى البحر وكان يتلاحق به فما حصل الا عنقه فامسكه
وجذبه الى الذهبية من الماء فساعده عمر السلطان فاطلعه الى
المركب وقد غاب صوابه وايقن بالغرق فلما ردت اليه روحه
قال له تمن على يا عبد القادر فقال تمنيت ان اكون معرفى
البحرين فكتب له السلطان ان يأكلها الى الممات من غير ان يحمل منها

الى الديوان شئ مطلقا وان يكون مسموع الكلمة منقام الحرمة
الى ان يموت واعطاه عطايا الملوك ولما اصبح السلطان أمر
بالرحيل من المقياس فانزله خير بك فى بيته ترابية الذى على بركة
الفيل فانه ليس له نظير فى حسن بنائه ومنظره فأقام بها اياما
ثم امر بالرحيل الى القسطنطينية وكان من امراء الصناجق بمصر
ساكن فى قناطر السباع فهجم عليه طائفة من الينكجرية فقتلوه
فوصل خبره الى السلطان فقبض عليهم وقتلوهم عن اخرهم وكانوا
نحو العشرين رجلا ثم ان السلطان سليما قبل الرحيل بيوم خلع على
خير بك نيابة مصر ولقبه ملك الامراء وابقى عنده خمسة آلاف
ينكجرية ما عدى العسكر الخيالة وقال له اعطيتك هذه المملكة
اقطاعا لك الى ان تموت وكذلك فعل بقانبردى الغزالى فأعطاه
الشام اقطاعا له الى ان يموت ثم ان السلطان امر خير بك بأنه كل
من جاءه من الجراكسة الهاربين وطلب منه الامان يقبله ويبقيه
على منصبه واوصاه واكد عليه فى ضبط البلاد والانصاف بين
العباد ثم ان السلطان انصرف وامر بالسفر فلما سمعت الجراكسة
بذلك اطمأنت قلوبهم فجاء الامير زمك الناشف والامير ازدمر
وسيدى على بن سودون الدوادارى وغيرهم ممن كانوا هاربين
مختفين وطلبوا الامان من خير بك فأمنهم واستقل خير بك بملك
مصر يتصرف فيها تصرف الملوك واما سيدى محمد بن الغورى فانه
اخذه السلطان سليم معه الى بلاد الروم وكذلك الامير قانصوه
العادلى فان السلطان سليما لما ان جاء له قانصوه العادلى فى
المركب وطلع من على شراريف المقياس يريد ان يقتل السلطان
سليما كما تقدم وقد كان السلطان ارسل خلف خير بك وقال
له لابد وان تأتينى بخبر هذا الرجل الذى خاطر بنفسه وجاء
فى الليل ليقتلنى فاستقصى خير بك الخبر فقيل له هذا هو الامير

قا نصوه العادلى فلما اخبر السلطان به قال له لابد وان تأتينى
به فقال له يبرز امرك بالامان فلعل ان يطيع ويدخل فى يدنا -
فحلف السلطان ايمانا مغلظة انه ان قابله بالامان فعليه امان
الله ورسوله ولخائن يخون الله تعالى فارسل له خيريك من
استعطف بخاطره وقال له ان السلطان قد ندم على ما فعل من قتل
طوما نباى وشريك وما كان قصد السلطان شيئا من ذلك وانما
عنادهم هو الذى اوجب ذلك فانهم لو اطاعوه من الاول وجعلوا
السكة والخطبة باسمه لكف عنهم ورجع الى بلاده وابقاهم
على بلادهم ولكن جرى القلم بما به الاله حكم وقد تم الامر وما بقى
الا شر ولاجرى الاولى والاحسن ان تقابل السلطان وتأمن على
نفسك ومالك وعيالك فلما سمع الامير قانصوه العادلى ذلك
الكلام طاب خاطره للمقابلة وقال فى نفسه اما الموت فلابد منه
ومن لم يمت بالسيف مات بغيره فتوكل على الله تعالى وسلم امره لله
وقدم على خيريك ليلا فلما اجتمع به خيريك تلقاه باحسن ملتقى
وقال له ما بقى كلام وقد مضى ما مضى وتكلم معه كلاما كثيرا وامن
له من السلطان الامان واعلمه بان السلطان لا يخالف خيريك فى
شئ من ذلك فانه كان يعتقد محبته له ولما طلع النهار ركب خيريك
وقانصوه العادلى وذهبا الى السلطان سليم فلما وقف بين
يديه نظر اليه وتأمله وقال له ما اسمك فقال له اسمى قانصوه
العادلى فقال انت الذى جئتنى فى الليل وانا فى المقياس قال نعم
قال صف لى كيف صنعت فوصف له جميع ما صنعه فقال له
السلطان لاى شئ فعلت ذلك قال له قانصوه العادلى اما تدرى
ما صنعت انت وما فعلت فى سلطاننا وما اهلكت من عساكرنا وما
اخربت من ديارنا وما يتمت من اطفالنا وما هتكت من حريمنا وما
اخذت من اموالنا وما فعلت معنا من فعل لم يفعله احد من قبلك

ونحن مسلمون مؤمنون موحدون حماة الدين ونقرأ كلام رب
العالمين سنيون سنويون فماذنبنا قال له السلطان سليم
يا قانصوه والله ماكان هذا في خاطري من الاول ولا كان قصدي
شيأ من ذلك ابدا الا ان ملككم الذي هو قانصوه الغوري لما
ارسلت له وكاتبته واناذاهب الى قتال قزلباش الرافضي ارسل
لي جوابا ناقصا واغلظ فيه علي ثم ارسلت له ثانيا لما ان بلغني
منه ماكان يفعله بالناس من المضارات والقتل في الامراء
والاعيان فقلت له كف عن ذلك وانصف الناس من بعضهم
فان كل من كان خادما للحرمين الشريفين لا يكون الا عادلا منصفا
عاملا بالكتاب والسنة متمسكا بالشريعة فارسل لي جوابا بانه
قادم باشراره فتوجهت اليه وجردت عليه وقد نصرني الله
تعالى عليه ورمى كيده في نحره وانظر كيف القى الله تعالى فيكم
الفتنة كيف كنتم تخونون بعضكم وتفسدون فكان ذلك سببا
لزوال ملككم ولكن هذا ليس هو بقدرتي ولا بقدرتكم ولكن
هذا بتقدير الله تعالى وقد تم الامر على ذلك ولكن يا قانصوه
قد عطف الله قلبي عليك وقد امنتك على نفسك ومالك وعيالك
ولا بقي يحصل لك مني اذية ابدا فقبل الارض ودعى للسلطان
واعتذر له بانه عاجله في تلك الليلة الا لشدة ما حصل له من
القهر فيما تقدم ثم ان السلطان خيره في ان يقيم في مصر معززا
مكرما او يذهب معه الى بلاده فاختار الذهاب معه محبة
في ابن استاذه سيدي محمد بن الغوري فاخذه السلطان سليم
معه وامر عسكره باكرامه وبقي السلطان في كل يوم يطلبه
ويتحدث معه في الطريق ويعجبه كلامه وفصاحته واجوبته
ومعرفته وفضله وشجاعته وكان السلطان سليم في كل حين
يأمره بان يلعب بين يديه بالرمح والسيف وانداب الحرب ويعجبه

ذلك وكان يقول لعسكره انظروا هل فيكم من احد يعرف يعمل
شيئا من ذلك فقامت نفس يونس باشا الذى هو الوزير الاعظم
فأغلظ فى الكلام على السلطان وقال له من بعض قوله ما الذى
فعلته اخذت البلاد من الجراكسة ثم اعطيتها لهم ثانيا وعاديتهم
وقتلتهم ثم صافيتهم فما هذا الرأى فلو عرفنا ذلك ما جئنا
معك ولا اطعناك فى شئ من ذلك فقامت نفس السلطان من
هذا الكلام فأمر بضرب عنقه فى الوقت وقتل غالب اخصائه
تبعاله ثم هرب ابن يونس باشا وبعض جماعة الى مصر فقبض
عليهم خير بك ثم ارسلهم الى السلطان سليم فقتل الجميع ولما
وصل الى دمشق خلع على قانبردى الغزالى واعطاه الشام اقطاعا
الى ان يموت لا يؤخذ منه من مالها ولا الدرهم الواحد ثم سار
الى القسطنطينية واعز بالزينة فامعنت اهل بلاد الروم فى
ذلك فأقام بها الى سنة ست وعشرين وتسعمائة ودفن فى
مدفنه الذى كان عمره فى حال حياته بمدينة القسطنطينية
وكانت وفاته فى سادس شوال فكانت مدة سلطنته ثمان
سنين وثمانية اشهر وتسعة ايام ثم آل الملك لولده السلطان
سليمان وكان من الملوك العادلة رحمة الله عليه ومكث فى الملك
نحو ثمانية واربعين سنة وشهور لا يختل له نظام ابدا وكان
ملكا كريما عادلا فاضلا ذا هيبة ووقار

ذكر خروج الغزالى نائب الشام وسلطنته بها

قال فلما بلغ قانبردى الغزالى موت السلطان سليم وقد تولى
ابنه السلطان سليمان وهو شاب صغير طمعت نفسه الخبيثة فى
ان يتسلطن فى الشام ويعيد الملك الى الجراكسة كما كان فى الاول
ويكون هو السلطان وتعلقت آماله بالمحال فاخبر اخصاءه بما
نفسه فقالوا له ليس لنا قدرة على ذلك ونحن فئة قليلة ولكن

ارسل الى خيربك صاحب مصر اعلمه بذلك فان وافقك على ان
تفعل ما قلته فافعل والا فلا قدرة لك على عسكر الروم وكثرتهم
ونيرانهم فهل نسيت ما تقدم فقال لهم انما كان ذلك من
السلطان سليم وانما هذا ولد ليس له قدرة على فعل شئ من
ذلك ولا اظنه يتم سنة فى الملك وما علم انه يقيم فى الملك
ما يقرب من خمسين عاما ثم ارسل اعلم خيربك بما فى ضميره
فارسل له خيربك جوابا يحذره انه لا يفعل شيئا من ذلك
ويقول له اما ارضيك اقليم الشام تتصرف فيه تصرف الملوك
فاياك ثم اياك ان تتفوه بشئ من ذلك فلم يقبل من خيربك
وسولت له نفسه الخبيثة بان يتسلطن وارسل الى خيربك
ثانيا يقول له ان لم تطعنى على ذلك والا جردت عليك جحافلى
اما بى واما بك فلما رأى خيربك منه الجد ارسل يخادعه فى الكلام
ويقول له ان كان ولا بد وانت معول على ذلك اذهب الى حلب
وخذها فان ملكتها فانا مساعد لك فيما تقدم وموافق لك على
ما تقول ولما جاء الجواب له بذلك فرح به وارسل خلف سيدى
محمد بن الامير قرقماس وقال له انظر كتابة الامير خيربك
ملك الامراء الذى تقول انه لا يوافق على شئ من ذلك فقال
له سيدى محمد والله انى لم اصدق شيئا من ذلك وانما خادعك
بهذا الكلام لما رأى منك الجد ولكن ان قبلت رأيى ترك هذا
الامر عن بالك واقعد فى حالك فقال له الغزالى الذى ظهر لى
منك انك رجل ابن ناس وعزيزة مزهى فى الدلال اقعد لى انت
فى الشام واحفظ لى البلد الى ان ارجع اليك وتنظر الرجال فقال
له ها انا قاعد لك هنا واذهب حتى انظر كيف تصنع وما
اخوفنى عليك ثم ان الغزالى جرد على مدينة حلب ولفق له
عساكر من كل جنس من عرب ومن جركس ومن كرد ومن دروز

ومن سفل العالم وممن لا خير فيه وخرج من دمشق في ضجة
عظيمة من شرار الناس وممن لا يرتجى خيره ولما وصلت الاخبار
الى نائب حلب وكان اميرا من صناجق السلطان سليم رومي
لا قدرة له على تلك الجموع فما ساعه الا ان كتب بذلك كتابا
وارسله مع عشرة چاويشية الى السلطان سليمان بان يرسل
له عسكرا يرد الغزالي والا اخذت حلب من يدي وها انا
محاصر الى ان يريد الله بامر يريده فعند ذلك امر السلطان سليمان
اياس باشا الذي كان اغاة اليكچرية مع السلطان سليم لما اخذ
مصر من الجراكسة وايضا له معرفة تامة بالغزالي وخبر بك
من ذلك العهد فخرج من مدينة اسلانبول قاصدا الى مدينة
حلب واخذ خمسة الاف من اليكچرية وعشرة الاف من الاسبا هية
ومن الضربزانات والات الحرب شيا يفوق الوصف هذا ما
كان من امر اياس باشا واما الغزالي فانه كان قبل خروجه من
دمشق الشام منع الدعاء للسلطان سليمان في الخطبة وامر
بالدعاء له وايضا جعل السكة باسمه وتسلطن واطاعته
العساكر واهل الشام وخطب له على منابرها وامر بالزينة
فزينت له زينة لم يعهد مثلها مدة سبعة ايام ثم امر بالتبريز
الى مدينة حلب كما تقدم ولما وصل اليها وجد ابوابها قد قفلت
وطلعت الناس على سورها فلما قرب منها رموا عليه بالمدافع
والاحجار فامر بالاقامة لاجل ان يحاصرها فمكث ثلاثة اشهر
ولم يقدر على اخذها فدخل عليه الشتاء واشتد البرد فما ساعه
الا الرحيل عنها ونوى انه ان جاء الصيف يرجع اليها ولا يرجع
حتى ياخذها طيبة او غصيبة ثم امر بالرحيل فاخذ عساكر
حلب واهلها في شتمه وسبه ولعنه وهو يسمعهم ويسمع
كلامهم وصياحهم وضحكهم عليه فرجع مخزيا مشتوما مطرودا

فلما

فلما وصل الى دمشق تفرقت تلك الجموع الى بلادهم وقد دخل
عليهم الشتاء وقاسوا من البرد والمطر ما لا يوصف واما الغزالى
فانه ضاق صدره وجاءته الاخبار بان باشت حلب قد كاتب
السلطان سليمان واخبره بما فعلت وان عساكر الروم قد قدمت
عليك مع ايا سراغا وهم منتظرون الاذهاب الشتاء ودخول
الصيف ويأتون اليك فى عسكر يسد الارض فانظر كيف
تصنع فان امكنك الهروب فاهرب وكان المرسل له هذا الخبر
رجلا من اصحابه من اهل حلب وسفه رأيه فعند ذلك اضطرب
حال الغزالى وندم على ما فعل حيث لم ينفعه الندم وكتم ذلك
فى سره وبقى حيران فى نفسه كيف يصنع ان هرب ما يسهل
عليه ترك البلاد وان اقام لا قدرة له على ملاقاة الروم وقد
نشتتت منه تلك الجموع التى كان جمعها وذهبت الى بلادها
وايضا انه كان قبل ذلك لما ان اراد ان يتسلطن دبر حيلة —
وطلعت بيده وهو انه امر بعمل مولد وباشر فى عمله وامر
بان يحضره جميع عسكر دمشق الذين كانوا مع السلطان سليم
وابقاهم فى دمشق مع قانبردى الغزالى من الصهناجق والاغوات
والكچخرية وغيرهم فلما اجتمعوا عنده مد لهم سماطا طويلا
لم يعمل مثله احد وجلست الاعيان فى اعلى السماط ثم من دونهم
بالترتيب الى اخر السماط فالتهوا فى الاكل وكانت مماليكه واتباعه
واقفين خلف الذين يأكلون على السماط وكل واحد منهم سيفه
تحت ثيابه وهم يتعاطون الخدمة فعند ذلك اشار لهم فخطوا
ايديهم فى الارواس الذين على السماط فما شعروا الا ورؤسهم
طائرة فوقعت رؤسهم فى الطعام فلم ينج منهم احد فقتلوهم
اجمعين وصار الطعام كله رؤسا وتلف الطعام من كثرة
الدماء والقتلى فأمر باخراجهم ورميهم خارج دمشق فأكلتهم

الذئاب والحداة والغربان ولما فعل ذلك صفت له دمشق
ولم يبق عنده من يعارضه فيما يفعله فعند ذلك تسلطن
كما تقدم ولا زال في هم وغم حتى فرغ الشتاء ودفئت الدنيا
فجاءته الاخبار بأن اياس باشا قادم عليك في عساكر لا تحصى
فازداد غما الى غمه وامر بالخروج الى ملاقاة العساكر وقال
اما يبختي واما يبختهم ولكنه ندم على ما فعل غاية الندم حيث
لا ينفعه الندم وذلك من الحمق فان الاحمق يسعى في هلاك
نفسه وهو لا يشعر واما اياس باشا فانه لما وصل الى حلب
خرج اليه نائب حلب وقابله واخبره بما فعل من قفل ابواب
البلد وانه رمى على الغزالي من اعلى الصهريج وانه اقام محاصرا
لهم ثلاثة اشهر ثم دخل عليه الشتاء فرجع الى دمشق وذكر
له جميع ما وقع فشكره اياس باشا على ما فعل وخلع عليه وعلى
اغاة اليكچرية الذين كانوا بحلب ثم قصد دمشق والتم عليه
عساكر كثيرة لا تحصى فانه بقي كلما دخل مدينة اخذ منها جماعة
فصار في جيش عظيم فلما وصل الى ظاهر دمشق ارسل جاويشا
بكتاب الى قانبردي الغزالي بأن يتأهب للحرب والقتال والطعن
والنزال وينظر ما تفعله الابطال واخذ يوبخه ويحيط عليه
في ذلك ومن جملة ما قال له فيه انه لو كان فيك خير كان
لابنا جنسك فالذي ما فيه خير لجنسه كيف يكون فيه خير
لغير جنسه يا خائن يا فاجر يا غدار يا مكار واخذ يسبه سبا
مبرحا ويسود وجهه ويلعنه ويقول له انما هذه نيتك الخبيثة
انقلبت عليك فسوف ترى صنع الله في غد ان شاء الله تعالى
فلما وصل ذلك الكتاب للغزالي وقرأه ازداد غما على غمه وضاق
صدره ولم ينم تلك الليلة ولا طرق النوم جفنه وحتم زوال
النعمة عنه ولم تبق له حيلة يحتال بها ابدا فما ساعه الا ان

تأهب للقتال اما له واما عليه وقد تحقق انه لا خلاص له من
ذلك وانه قد خسر خسرانا مبينا ولكنه لم يظهر شيئا من ذلك
لاحد من خلق الله تعالى وكتم ما عنده ولما طلع النهار امر باقامة
الحرب وقد صفت عساكره ودق طبله ووقف بنفسه بين
الميمنة والميسرة فلما تم ذلك واذا بعساكر الروم قد اقبلت
صفوفا صفوفا ووقف اياس باشا والتحم القتال فامر اياس
باشا الرماة انهم لا يرمون حتى يأذن لهم في الرمي فحطم الغزالي
على عسكر الروم حطمة واحدة فشتتهم بها وعزقهم كل ممزق
وصار يقاتل قتال من ايس من الحياة فقتل من الروم مقتلة
عظيمة فلما عاين اياس باشا ذلك امر الرماة بان ترمي بالبندق
والمدافع والضربزانات فما شعر الغزالي الا والدنيا قد انقلبت
والقيامة قد قامت وانطبق الجو من الدخان والغبار فما كان
الا ساعة واحدة وقد ذهبت تلك العساكر والجموع وما سلم
منهم الا طويل العمر وبقي الغزالي واقفا لا يعرف كيف يصنع
ولا اين يذهب فالتفت فوجد صنجقه واقفا ليس عنده احد
فجاء الى حامل الصنجق وكان شابا شجاعا اسمه علي بالي رباه الغزالي
عنده من صغره ولكنه ليس جركسيا فلما رأه الغزالي شجاعا قربه
اليه حتى جعله حاملا لوائه وكان يصرخ ويقول ان عليا هذا
عندي اعز من ولدي فلما رأه واقفا والصنجق بيده قال له
يا ولدي الى متى انت تقف وعساكرنا كلهم هلكوا وتشتتوا
قال له والى اين اذهب روحي قبل روحك لا افارقك حتى
تذهب روحي فشكره الغزالي على ذلك وقال له يا ولدي
ما بقي لنا غير الفرار من هذا العسكر الجرار فقال له والله يا سيدي
ما عملت فينا خيرا وما ضرك لو كنت باقيا على ما انت عليه آمنا على
نفسك وانت كنت سلطانا مخفيا سعيت في هلاك نفسك وهلكنا

في جرتك قال ما كنت اظن ان الامر كذلك وان العساكر تفر مني
وينقلب الامر فقال له على ان العارفين قالوا من لم يحسب العواقب
ما الدهر له بصاحب فقال يا ولدي ما دام هذا الدخان
والغبار قائما اقلع هذا القميص من على رمحه وضعه في مخلاته
وارم الرمح وادفن المخلاة في هذا الكوم العالي ودعنا ننزل
عن خيلنا ونقلع لبسنا ونغير حالتنا وننجو بأنفسنا فاذا
رأونا لا يعرفونا ثم ان الغزالي نزل عن فرسه وخلع ما عليه
من اللبس والبولاد الذي لا نظير له ودفنه في التراب وبقي بطاق
القميص ورأسه مكشوفة كأنه قرندل اذا رآه من يعرفه لا يعرفه
وليط وجهه بالتراب وصار كأنه كان مدفونا في التراب
وطلع واما علي بالي فلما رأى ذلك قال له والله يا سيدي ليس
عندك من الرأي شيء فاننا لو كنا على ظهور خيلنا كنا هزمنا وحمينا
انفسنا حتى نخلص من محل الحرب ثم ننزل على بعد ونختفي في
مكان لا يعرفنا احد واما نزولنا في محل المعركة فلا فائدة فيه ثم
ان علي ركب فرسه ثانيا واخذ عدته وهم بالهروب فقال له
الغزالي هكذا يا علي تذهب وتخليني للعدو فقال له وما الذي
اصنع انا قلت لك افعل بنا هذه الفعال القبيحة التي لا يفعلها
المجانين فبينما هم في هذه الحالة الا وقد انجلى الدخان يسيرا
ونظر الناس بعضهم بعضا واذا بمنادي اياس باشا ينادي كل
من جاءنا بالغزالي او برأسه او دلنا عليه او على مكانه اعطيناه
جميع ما يتمناه فدكس علي بفرسه الى نحو الميدان واذا بهم
طائفة من السلحدارية والكيخيرية فلما وصل اليهم قال لهم أنا
ادلكم على موضعه فقالوا له اين هو فقال لهم أنا اعرف محله
وهو بالقرب منكم ولكن ما ادلكم عليه حتى تعاهدوني على ما اريد
قالوا له لك ذلك قال اريد ان اكون امير مبخق فاني أنا الذي

حامل صنجقه وأنا من اولاد الشام ونحن طائعون للسلطان
سليم باطنا وكذلك سيدى محمد بن قرقماش فقال له الاغا
لك منا جميع ما تريد ان دللتنا عليه فقال له اتبعونى وقصدوا
نحو الغزالى وهو واقف يبرم كاتبرم القرندلية وهو يقول
هو هو وقصده بذلك حيلة منه لئلا يعرفوه فقال لهم على هو
هذا القرندلى فهو الغزالى فقالوا له انت تتمسخر بنا يا فاعل يا تارك
واخذوا يشتمونه ويسبونه وهموا بقتله فقال لهم امهلوا على أنا
بين ايديكم ان لم يكن هو الغزالى والا فرأسى عوض كلامى فقالوا
له ان الغزالى كان بآلة الحرب من الحديد قال نعم وحكى لهم ما فعل
فجاؤا اليه واحاطوا به ومسكوه وهو يهدر كالمجذوب ويقول هو
هو هو فقالوا له انت الغزالى فقال لهم بعد ان قبضوا عليه وايرادوا
قتله انا رجل درويش عربان ومن اين لى ان اكون كالغزالى فتحيروا
فى امره وعلى بالى يحلف ويقول لا تصدقوه ولكن تعالوا انا ادلكم على
لبسه وفرسه وسلاحه انهم على ذلك الكوم العالى فأخذهم وذهب
بهم اليه واذا بملبوسه كله وصنجقه مدفونان فى التراب فطلعوا
ورأوه فعرفوه ورأوا فرسه واقفا عند ذلك المكان وهو ينكر
ويقول انا رجل درويش كيف تصدقوا هذا الكذاب انظروا الى
حالى فلما تحيروا فى امره قال لهم على انا اقطع رأسه واذهب بها الى
اياس باشا فانه يعرفه فاذا لم يكن هو والا فرأسى عوض عن رأسه
وجذب سيفه وضرب رأسه اطاحها واخذها فى مخلاته وقال
انا وانتم الى اياس باشا واخذوا معهم ملبوسه وفرسه فلما وقفوا
بين يدى اياس باشا تقدم ذلك الاغا واخبر اياس باشا بما وقع
فقال لهم هاتوا الرأس حتى انظرها فانى اعرفه غاية المعرفة فوضعوها
بين يديه فتأملها وقال هذه رأس الغزالى بلا شك ثم قال لهم اين الذى دللكم
عليه فقالوا له هذا الرجل فسأله عن حاله فاخبره بجميع ما فعل الغزالى فعند ذلك

خلع عليه خلعة عظيمة وعمله امير سنجق وكذلك سيدي محمد بن قرقماس ومن
اغرب ما وقع ان في يوم قتل الغزالي وقف رجل على باب الجامع الازهر
ونادى بأعلى صوته يا جماعة ان الغزالي قتل اليوم فاذا لم تصدقوني فاكتبوا تاريخ
هذا اليوم فكان كما قال ذكر تاريخ قطع رأس الغزالي الخائن
فما مضى الا ايام قليلة حتى جاءت الاولاقية من عند اياس باشا الى
خير بك ملك مصر بما وقع وان الغزالي قطعت رأسه في اليوم الفلاني
وكان العاشر من ذي الحجة الحرام سنة سبع وعشرين وتسعمائة
ثم ان اياس باشا ارسل برأس الغزالي الى السلطان سليم مع الاولاقية
فزينت البلاد وجعل السرور للسلطان ثم ارسل السلطان الجواب
لاياس باشا وشكره على ما فعل وامره بأن لا يمكن العسكر من ايذاء
احد من الرعايا ويأمره باقامة الحدود على الوجه الشرعي وان يصف
في احكامه الى آخره واما خير بك فانه لما بلغه قتل الغزالي تكدر
عيشه واوصى واعتق مماليكه فقالت زوجته تعيش رأسك
وتبقى وكانت تسمى خوند مصر بيك وكان قد تزوجها قبله الملك
الناصر محمد بن قايتباي وبقيت عازبة مدة سلطنة الغوري
الى ان تولى خير بك فتزوجها فانه لم يكن في النساء اسخى منها في
عصرها وكانت خازندارتها تسمى دلتباي وكانت خوند مصر
بيك كاتبة فقال لها ان بين عمري وعمره مدة سنة فكان كذلك
فما تم العام الا وقدمات خير بك بفرخ الجمر ودفن في تربته التي
عمرها في طريق القلعة عند باب الوزير وهي المعروفة الآن
بالخربكية وكانت الناس تسمع صراخه في القبر وهو يصيح حتى
ضجت الناس من ذلك وكان موته عبرة لمن اعتبر وهكذا الدنيا
تفعل بأهلها فهنيئا لمن اعرض عنها وقنع منها باليسير وترك الكثير
عن باله فتبا لها من دنيا غدارة غرارة وكفى ذما لها قوله سبحانه
وتعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا الاية ثم ان السلطان سليمان رحمه

الله عليه شرع فى التوجه الى الغزو فى سبيل الله لاخذ جزيرة
رودس فانه قد كان قوى بأسهم وزاد فسادهم وارتفعت
رؤسهم بعد موت السلطان سليم وفرحوا بموته فرحا
شديدا وطمعوا فى اخذ بلاد المسلمين وحدثتهم نفوسهم
الخبيثة بما لا قدرة لهم عليه وظنوا ان ولده السلطان
سليمان لا قدرة له على حرب ولا غيره فاظهر الله تعالى من
العدل والانصاف والخير ما يفوق الوصف فرحمه الله تعالى
ورحم اجداده الكرام وابناءه الطاهرين والسلام ثم انه
خرج بنفسه الى اخذ رودس ففتح الله تعالى عليه باخذها
وقد كان السلطان ارسل لخير بك ملك الامراء بمصر راية العقاب
وهى من رايات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبيا
والمرسلين فارسل من عسكر مصر ومن شباب مصر وجهزهم
فى نحو العشرين مركبا وجد السلطان سليمان فى محاصرة رودس
ولما دخلوا على رودس وجدوا العسكر مطمئنين ولما بلغ
السلطان سليمان قدوم العساكر امرهم بالدخول وكان قد
نصره الله تعالى على ايديهم ولما حصل النصر لاهل رودس بعمل
مهرجان وزينت البلدة احد عشر يوما ولما انقضى المهرجان انعم
على العسكر وامرهم بالانصراف الى اماكنهم والله سبحانه وتعالى
اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه
وسلم قد تم طبع هذا الكتاب المستطاب
بعون الله الملك الوهاب فى اوائل
شهر ربيع الآخر سنة ١٢٧٨ سنة انها
الله بخير على المسلمين آمين
والحمد لله وحده

ديوان اللوذعي الأديب الجهبذ الألمعي
الاريب من سجعت على اغصان
فصاحته ورقائق المعاني
الشاب الظريف محمد
بن سليمان العفيف
التلمساني

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد حمد الله الذي الحمد من نعمائه والصلاة والسلام على سيدنا
محمد خاتم انبيائه فهذا نسيم سرى ونعيم جرى وطيف لا بل اخف
منه موقعا في الكرى من شعر الاديب الاريب اللوذعي اللبيب
الذي ليس له في طريقه مماثل ولا مداني العلامة شمس الدين محمد
ابن الشيخ عفيف الدين التلمساني رحمهما الله تعالى فانه لم يأت في
شعره الا بما خف على القلوب وبرئ من العيوب رق شعره وكاد
ان يشرب ودق فلا غرو للقضب ان ترقص والحمائم ان تطرب
لزم طريقة دخل لها بلا استئذان وولج القلوب ولم يقرع باب
الآذان وكان لاهل عصره ومن جاء على آثارهم افتتان بشعره
لا سيما اهل دمشق فانه بين غمائم حياضهم ربي وفي كمائم غياضهم
خبي حتى تدفق نهره واينع زهره وقد شاهدت جماعة من خلطائه
لا يرون عليه تفضيل شاعر ولا يروون له شعرا الا عظموه كالمشاعر
ولا ينظرون له بيتا الا كالبيت ولا يقدمون عليه شاعرا ولا الكميت
ومرت له ولهم بالحمى اوقات لم يبق من زمانها الا ما نذكره ولا من
احسانها الا ما نشكره واكثر شعره لا بل كله رشيق الالفاظ
سهل على الحفاظ لا يخلو من الالفاظ العامية وما يحلو من المذاهب
الكلامية فلهذا علق بكل خاطر وولع به كل ذاكر وقد اردت جمعه
واخترت ان افوز بين الانام بهذه الشمعة ليكون هذا الكتاب
لديوانه مترجما ويغدو الواقف عليه مترحما

قافية

قافية الالف

قال رحمة الله عليه

يا راقد الطرف ما للطرف اغفاء ... حدث بذاك فما في الحب اخفاء
ان الليالي والايام من غزلي ... في الحسن والحب ابناء وانباء
اذ كل نافرة في الحب آنسة ... وكل مائسة في الحي خضراء
وصفوة الدهر بحر والصفا سفن ... وللخلاعة ارساء واسراء
يا ساكني مصر شمل الشوق مجتمع ... بعد الفراق وشمل السكر اجزاء
كان عصر الصبا من بعد فرقتكم ... عصر التصابي به للهو ابطاء
نار الهوى ليس يخشى منك قلب فتى ... يكون فيه لابراهيم ارجاء
ندب يرى جوده الرائي مشافهة ... والجود من غيره رمز وايماء
ذو همة لو غدت للافق ما رحلت ... له ثريا ولا جازته جوزاء
لولا اخوك ولا الغى مكارمه ... لم تحو غير الذي تحويه بطحاء
اليك ارسلت ابياتا لمدحكما ... في ساحتيهن ارساء واسراء
وعند ذلك ظل بارد شبم ... ولم يطأهن في الترتيب ايطاء

وقال رحمه الله تعالى

وافى الحبيب بطلعة غراء ... من فوق قامة صعدة سمراء
وبمقلة خفق الفؤاد وقد اتت ... ان الجنون يكون في السوداء

وقال وقد كتب اليه بعض اصحابه رقعة حمراء

بعث الكتاب برقعة محمرة ... جاءت تهددنا بفرط جفائه
فسألتها عنه فقالت انه ... ذبح الوداد فكنت بعض دمائه

وقال يستدعي صديقا له

يوم اتانا برده في بردة ... اضحى بها مثل الحديد الماء
والارض قد بسطت لحسن صنيعه ... بالثلج في الارض اليد البيضاء
فاحضر فنحن كما تحب بمجلس ... لو لم تغب تمت به السراء

وقال عفا الله عنه

مَنَعَتْ جُفُونِي لَذَّةَ الْإِغْفَاءِ ... عَلَقُ الْمُنَى وَتَقَسُّمُ الْأَهْوَاءِ
عَجَلَ الزَّمَانُ عَلَيَّ فِي شَرْخِ الصِّبَا ... بِتَشَتُّتِ الْقُرَنَاءِ وَالْقُرَبَاءِ
وَسَوَادُ عَيْشِي لَمْ يَدَعْ لِي لَذَّةً ... أَقْتَضُّهَا بِاللِّمَّةِ السَّوْدَاءِ
يَا صَاحِبَيَّ تَوَجَّعَا لِهَوًى فَتًى ... أَلِفَ الضَّنَا وَلَوَاعِجَ الْبُرَحَاءِ
هَلْ غَيْثُ رَبْعِ الْحَيِّ بَعْدَ مَدَامِعِي ... أَمْ أَمْسَكَتْ عَنْهُ يَدُ الْأَنْوَاءِ
أَحْبَابَنَا قَضَى الْفِرَاقُ وَلِيَدُهُ ... بِفِرَاقِكُمْ لَكِنْ عَلَى أَحْشَائِي
فَمُرُوا الرِّيَاحَ بِأَنْ تَقُصَّ حَدِيثَكُمْ ... عِنْدِي فَمَا يُبْدِي الْكِتَابُ شِفَائِي
وَدَلِيلُ ذَلِكَ أَنَّ طَرْفِي غَاسِلٌ ... قَبْلَ الْقِرَاءَةِ نَقْشَهُ بِبُكَائِي

وقال رحمه الله تعالى

لَاحَتْ مِنْ سَنَاكُمُ الْأَحْيَاءُ ... فَبِكُمْ تَجْلُو بِهَا الظَّلْمَاءُ
كَانَ دَمْعُ الْحَيَا عَلَيْهِنَّ سَقْيًا ... فَهُوَ مُذْ غِبْتُمْ بِهِنَّ بُكَاءُ
مَا مُرَادِي بِالرَّبْعِ أَسْمَاءَ أَنْ تَسْـ ... ـخُو بِوَصْلٍ أَوْ أَنْ يَدُومَ لِقَاءُ
بَيْدَ أَنَّا نَحُنُّ بِالدِّيَارِ وَقَدْ طَا ... لَ وُقُوفٌ مِنَّا وَطَالَ رَجَاءُ
إِذْ سَرَتْ مِنْ دِيَارِهِمْ نَسَمَاتٌ ... بِسِمَاتٍ فِي أَسْرِهَا إِرْضَاءُ
مَرْحَبًا مَرْحَبًا عَلَيْهَا سُتُورٌ ... مِنْ وِدَادٍ أَذْيَالُهُنَّ الْوَفَاءُ

وقال في مليح لابس اسود

قُلْتُ وَقَدْ أَقْبَلَ فِي حُلَّةٍ ... سَوْدَاءَ مَنْ حَلَّ بِأَحْشَاءِ
عَرَّفْتَ كُلَّ النَّاسِ يَا سَيِّدِي ... أَنَّكَ أَصْبَحْتَ بِسَوْدَاءِ

وقال في مليح لابس احمر

وَافَى بِأَحْمَرَ كَالشَّقِيقِ وَقَدْ غَدَا ... يَهْتَزُّ فِيهِ بِقَامَةٍ هَيْفَاءِ
فَعَجِبْتُ مِنْهُ وَقَدْ غَدَا فِي حُلَّةٍ ... حَمْرَاءَ إِذْ مَا زَالَ فِي سَوْدَاءِ

قافية الباء الموحدة

قال رحمه الله تعالى يمدح النبي عليه السلام

أَرَضُ الْأَحِبَّةِ مِنْ سَفْحٍ وَمِنْ كُثُبِ ... سَقَاكِ مُنْهَمِرُ الْأَنْوَاءِ مِنْ كَثَبِ
وَلَا عَدَتْ أَهْلَكِ النَّائِينَ مِنْ نَفَسِ الصَّـ ... ـبَا تَحِيَّةُ عَانٍ فِي الْقَلْبِ مُكْتَئِبِ

قَوْمٌ هُمُ الْعَرَبُ الْمَحْمِيُّ جَارُهُمُ ... فَلَا رَعَى اللهُ إِلَّا أَوْجُهَ الْعَرَبِ

أَعِزُّ عِنْدِي مِنْ سَمْعِي وَمِنْ بَصَرِي ... وَمِنْ فُؤَادِي وَمِنْ أَهْلِي وَمِنْ نَشَبِي

لَهُمْ عَلَيَّ حُقُوقٌ مُذْ عَرَفْتُهُمُ ... كَأَنَّنِي بَيْنَ أُمٍّ مِنْهُمُ وَأَبِ

إِنْ كَانَ أَحْسَنُ مَا فِي الشِّعْرِ أَكْذَبُهُ ... فَحُسْنُ شِعْرِيَ فِيهِمْ غَيْرُ ذِي كَذِبِ

حَيَّاكِ يَا تُرْبَةَ الْهَادِي الشَّفِيعِ حَيًا ... بِمُنْطَقِ الرَّعْدِ بَادٍ مِنْ فَمِ السُّحُبِ

يَا سَاكِنِي طَيْبَةَ الْفَيْحَاءِ هَلْ زَمَنٌ ... يُدْنِي الْمُحِبَّ لِنَيْلِ السِّتْرِ وَالْأَرَبِ

ضَمَمْتَ أَعْظَمَ مَنْ يُدْعَى بِأَعْظَمِ مَنْ ... يَسْعَى إِلَيْهِ أَخُو صِدْقٍ فَلَمْ يَخِبِ

وَحُزْتَ أَفْصَحَ مَنْ نَهْدٍ وَأَوْضَحَ مَنْ ... يُبْدِي وَأَرْجَحَ مَنْ يُعْزَى إِلَى نَسَبِ

تَحَدُّوا النِّيَاقَ كِرَامٌ نَحْوَ تُرْبَتِهِ ... فَمَا لَأَرْضٍ مِنْ نَجْبٍ وَمِنْ نُجُبِ

يَسْعَوْنَ نَحْوَ هِضَابٍ طَابَ مَوْرِدُهَا ... كَأَنَّمَا الْعَذْبُ مُشْتَقٌّ مِنَ الْوَدَبِ

أَرْضٌ مَعَ اللهِ عَيْنُ الشَّمْسِ تَحْرُسُهَا ... فَإِنْ تَغِبْ حَرَسَتْهَا أَعْيُنُ الشُّهُبِ

يَا خَيْرَ سَاعٍ بِبَاعٍ لَا يُرَدُّ وَيَا ... أَجَلَّ دَاعٍ مُطَاعٍ طَاهِرِ الْحَسَبِ

مَا كَانَ يَرْضَى لَكَ الرَّحْمَنُ مَنْزِلَةً ... يَا أَشْرَفَ الْخَلْقِ إِلَّا أَشْرَفَ الرُّتَبِ

لِي مِنْ ذُنُوبِي ذُنُوبٌ وَافِرٌ فَعَسَى ... شَفَاعَةٌ مِنْكَ تُنْجِينِي مِنَ اللَّهَبِ

جَعَلْتُ حُبَّكَ لِي ذُخْرًا وَمُعْتَمَدًا ... فَكَانَ لِي نَاظِرًا مِنْ نَاظِرِ الثَّوْبِ

إِلَيْكَ وَجَّهْتُ آمَالِي فَلَا خَجِلَتْ ... عَنْ بَابِ جُودِكَ إِنَّ الْمَوْتَ فِي الْحَجَبِ

وَقَدْ دَعَوْتُكَ أَرْجُونِيكَ مَكْرُمَةً ... حَاشَاكَ حَاشَاكَ أَنْ تُدْعَى فَلَمْ تُجِبِ

وقال رحمه الله تعالى

لِي مِنْ هَوَاكَ بَعِيدٌ وَقَرِيبُهُ ... وَلَكَ الْجَمَالُ بَدِيعُهُ وَغَرِيبُهُ

يَا مَنْ أُعِيذُ جَمَالَهُ بِجَلَالِهِ ... حَذَرًا عَلَيْهِ مِنَ الْعُيُونِ تُصِيبُهُ

إِنْ لَمْ تَكُنْ عَيْنِي فَإِنَّكَ نُورُهَا ... أَوْ لَمْ تَكُنْ قَلْبِي فَأَنْتَ حَبِيبُهُ

هَلْ حُرْمَةٌ أَوْ رَحْمَةٌ لِمُتَيَّمٍ ... قَدْ قَلَّ فِيكَ نَصِيرُهُ وَنَصِيبُهُ

أَلِفَ الْقَصَائِدَ فِي هَوَاكَ تَغَزُّلًا ... حَتَّى كَأَنَّكَ بِالنَّسِيبِ نَسِيبُهُ

هَبْ لِي فُؤَادًا بِالْغَرَامِ تَشُبُّهُ ... وَاسْتَبْقِ لِي وُدًّا بِالصُّدُودِ تُشِيبُهُ

لَمْ يَبْقَ لِي سِرٌّ أَقُولُ تُذِيعُهُ ... عَيْنِي وَلَا قَلْبٌ أَقُولُ تُذِيبُهُ

كَمْ لَيْلَةٍ قَضَّيْتُهَا مُتَسَهِّدًا ... وَالدَّمْعُ يَجْرَحُ مُقْلَتِي مَسْكُوبُهُ
وَالنَّجْمُ أَقْرَبُ مِنْ لِقَاكَ مَنَالُهُ ... عِنْدِي وَأَبْعَدُ مِنْ رِضَاكَ مَغِيبُهُ
وَالْجَوُّ قَدْ رَقَّتْ عَلَيَّ عُيُونُهُ ... وَجُفُونُهُ وَشَمَالُهُ وَجَنُوبُهُ
هِيَ مُقْلَةٌ سَهْمُ الْفِرَاقِ يُصِيبُهَا ... وَيَسِيحُ وَابِلُ دَمْعِهَا فَيَصُوبُهُ
وَجَوًى تَضَرَّمَ جَمْرُهُ لَوْلَا نَدَى ... قَاضِي الْقَضَاءِ قَضَى عَلَيَّ لَهِيبُهُ

وقال رحمة الله عليه

يَا زَائِرًا جَعَلَ الدُّجَى مَرْكَبَا ... أَهْلًا عَلَى رَغْمِ الْوُشَاةِ وَمَرْحَبَا
أَمْطِ اللِّثَامَ وَأَلْقِ بُرْدَكَ يَتَّضِحْ ... وَجْهٌ وَعِطْفٌ كَالصَّبَاحِ وَكَالضُّبَا
وَاقْتَرَّ مُبْتَسِمًا فَدَمْعِي صَامِتٌ ... أَنْ لَا يَكُونَ بَرِيقُ ثَغْرِكَ خُلَّبَا
أَفْنَى هَوَاكَ تَمَسُّكِي بِتَنَسُّكِي ... فَخَلَعْتُ فِيكَ عِذَارَ عِلْمِي أَشْيَبَا
فَأَدِرْ عَلَيَّ شَبِيهَ ثَغْرِكَ رِقَّةً ... تُهْدِي إِلَيَّ شَذًا كَعَرْفِكَ طَيِّبَا
صَهْبَاءُ كَمْ نَهَبَتْ نُهًى وَصَيَانَةً ... مِنَّا وَأَعْطَتْ صَبْوَةً وَتَطَرُّبَا
فِي حَلْبَةٍ مَا جَالَ فِي أَرْجَائِهَا ... طَرْفُ الْحَمَامَةِ نَائِيًا إِلَّا كَبَا

وقال يمدح الأمير ناصر الدين الحراني

صَبَا وَهَزَّتْهُ أَيْدِي شَوْقِهِ طَرَبَا ... وَجَدَّ مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ الْهَوَى لَعِبَا
لَا تَعْتِبُوهُ فَمَا أَبْقَى الْغَرَامُ لَهُ ... مِنْ سَمْعِهِ مَا بِهِ يَصْغَى لِمَنْ عَتَبَا
وَلَا أَثَاهُ وَأَمْرُ الْحُبِّ فِي يَدِهِ ... عَذْلٌ فَكَيْفَ وَأَمْرُ الْحُبِّ قَدْ غَلَبَا
يَهْوَى بُرُوقَ الْحِمَى لَكِنْ يُخَالِفُهَا ... فَكُلَّمَا ابْتَسَمَتْ مِنْ جَوِّهَا انْتَحَبَا
يَا قَلْبُ حَتَّى مَتَى تَهْوَى مَنْ سَلَاكَ وَمَا ... جَفَنِي كَمْ تَبْكِيَانِ الْجَمْرَةَ الْغَضَبَا
أَعِنْدَ قَلْبًا تَوَى حُبُّ الْأَمِيرِ بِهِ ... مِنْ أَنْ يُرَى بِسِوَى حُبِّيهِ مُلْتَهِبَا
لَا تَنْظُرُ الْعَيْنُ مِنْهُ السَّيْفَ مُنْتَضَلًا ... إِنْ فَارَقَ الْغِمْدَ حَلَّ الْهَامَ فَاحْتَجَبَا
لَوْ أَقْسَمَ الْمُدْلِجُ السَّارِي عَلَى قَمَرٍ ... بِاسْمِ الْأَمِيرِ دَعَاهُ فَطَّ مَا غَرَبَا
وَلَوْ وَضَعْتَ اسْمَهُ يَوْمًا عَلَى ذَكَرٍ ... طَاحَتْ رُؤُسُ الْأَعَادِي وَهْوَ مَا ضَرَبَا
وَلَوْ تَلَوْتَ عَلَى مَيْتٍ مَنَاقِبَهُ ... رَدَّ الْإِلَهُ لَهُ الرُّوحَ الَّتِي سَلَبَا
وَلَوْ مَزَجْتَ بِمَاءِ الْمُزْنِ مَا اكْتَسَبَتْ ... مِنْ لُطْفِ شِيمَتِهِ مَا غُصَّ مَنْ شَرِبَا

مِنَ الْأَكَارِمِ أَبْنَاءِ الْأَكَارِمِ آ ... بَاءِ الْأَكَارِمِ لَا زُورًا وَلَا كَذِبَا
يَسْعَى لِنَيْلِ الْعُلَا مِنْ مَعْشَرٍ وَهُمُ ... تَسْعَى الْمَعَالِي إِلَى آبَائِهِمْ أَدَبَا
يُعَلِّمُونَ الْوَرَى آدَابَهُمْ وَلَهُمْ ... بِيضٌ إِذَا غَضِبُوا لَا تَعْرِفُ الْأَدَبَا
لَوْ لَقَّبُوا بِالْغُصُونِ السُّمْرِ صَدْرَهُمُ ... جَعَلَ الرُّؤُوسَ لَهَا يَوْمَ الْوَغَى كُثُبَا
الْمُنْجِدِينَ إِخَا وَالْمُوجِدِينَ سَخَا ... وَالْمَاجِدِينَ آبَا وَالْوَاجِدِينَ إِبَا
لَمَّا انْتَسَبْتُ إِلَى آبَائِهِ كَبُرَتْ ... بِي هِمَّةٌ صَغُرَتْ فِي عَيْنِيَ الرُّتَبَا
لَوْ رُمْتُ أَسْحَبُ أَذْيَالِي عَلَى فَلَكٍ ... لَمَدَّ لِي سَبَبٌ مِنْ جُودِهِ سَبَبَا

وقال تغمده الله برحمته

فَهَا أَنَا فِي الْحُضُورِ مُنْتَهَزٌ ... أُمْنِيَّةُ النَّفْسِ غَيْبَةُ الرَّقَبَا
وَمِنْ عَجِيبٍ أَنْ اسْتَزِيدَكَ مِنْ ... شُرْبٍ وَسُكْرِي عَلَيَّ قَدْ غَلَبَا

وقال رحمه الله تعالى

أَهْلًا بِمُعْتَلِّ النَّسِيمِ وَمَرْحَبَا ... وَمُذَكِّرٍ عَهْدَ الصَّبَابَةِ وَالصِّبَا
حَمَلَ التَّحِيَّةَ مِنْ أُهَيْلِ الْمُنْحَنَى ... وَأَبَانَ عَنْهُمْ بِالْمَقَالِ وَأَعْرَبَا
فَعَرَفْتُ عَرْفَهُمُ بِهِ لَكِنَّنِي ... أَنْكَرْتُ صَبْرًا عَنْ عُهُودِي نُكَّبَا
يَا عَاذِلِي كُنْ عَاذِرِي فِي حُبِّهِمْ ... لَمْ أَلْقَ لِلسُّلْوَانِ عَنْهُمْ مَذْهَبَا
لَا تَلْحَ فِيهِمْ بَعْدَمَا أَلِفَ الضَّنَا ... يَجِدُ الْغَرَامَ بِهِمْ لَذِيذًا طَيِّبَا
غِبْتُمْ وَأَنْتُمْ حَاضِرُونَ بِمُهْجَتِي ... فَبِمُهْجَتِي أَفْدِي الْحُضُورَ الْغَيْبَا

وقال تغمده الله برحمته

صَدَقْتُمْ قَدُّ يُحْكِي الْقَضِيبَا ... أَلَمْ تَرَهُ حَوَى زَهْرًا وَطِيبَا
وَلَكِنْ تَحْمِلُ الْكُثْبَانُ بَانًا ... وَلَمْ أَرَ بَانَةً حَمَلَتْ كَثِيبَا
وَلَمَّا أَنْ تَلَاقَيْنَا وَأَبْدَى ... لَنَا شَفَقُ الضُّحَى كَفًّا خَضِيبَا
مَلَأْتُ يَدَيَّ مِنْ يَاقُوتِ دَمْعِي ... وَكُنْتُ مُحَقَّقًا لُؤْلُؤَهُ نَحِيبَا
ذَهَلْتُ عَنِ النَّسِيبِ بِهِ فَبَاتَتْ ... مَحَاسِنُهُ تُعَلِّمُنِي النَّسِيبَا
وَبِتُّ أَهَابُ سُودَ الْأُسْدِ لَمَّا ... دَنَى وَعَهِدْتُهُ ظَبْيًا رَبِيبَا
فَيَا لِلَّهِ لَحْظُكَ مِنْ عَدُوٍّ ... أَرَاكَ لِأَجْلِهِ أَبَدًا حَبِيبَا

آيا قمرا اعد عندي طلوعا ... والا فاتخذ عندي مغيبا
ويا ليل الذوائب طلت فاقصر ... وكن من تحت اخمصه قريبا

وقال رحمة الله عليه

غرامي منكم ما الذ واطيبا ... واهلا بسقمي من هواكم ومرحبا
غزالكم ذاك المصون جماله ... الى غيره في الحب قلبي ما صبا
تجلى على كل القلوب فعندما ... سبى حسنه كل القلوب تجنبا
احبابنا هل عائد في حماكم ... اوقات انس كلها زمن الصبا
على حبكم افنيت حاصل ادمعي ... وغيروا لاكم عندكم ما تكسبا
وحاشاكم ان تبعدوا عن حماكم ... حليف هوى بالروح منكم معذبا
وان تهجروا من واصل السهد جفنه ... وهذب فيكم عشقه فتهذبا
واحسنتم تاديبه بصدودكم ... فلا تهجروه بعد ما قد تاديبا
ولي مهجة دين الصبابة دينها ... فكيف ترى عنكم مدى الدهر مذهبا

وقال عفا الله عنه

صدودك هل له امد قريب ... ووصلك هل يكون ولا رقيب
قضاة الحسن ما صنعي بطرف ... تمنى مثله الرشا الربيب
رمى فاصاب قلبي باجتهاد ... صدقتم كل مجتهد مصيب
باي حشاشة وباي طرف ... احاول في الهوى عيشا يطيب
وهذي فيك ليس لها نصير ... وهذا منك ليس له نصيب
وفي تلك الهوادج ظاعنات ... سرين وكل ذي وجه حبيب
اذا اسفرن فانكسرت عيون ... لهن فتكن فانكسرت قلوب
فيا تلك الذوائب هل صباح ... فلي في ليلكن اسى مذيب
ويا تلك اللحاظ ارى عجيبا ... سهاما كلما كثرت تصيب
ويا تلك المعاطف خبرينا ... متى يتعطف الغصن الرطيب

وقال غفر الله له

تحرش الطرف بين الجد واللعب ... افتى المدامع بين الحزن والطرب

إلى متى أنا أدعو كل مقترب ... دانى المزار وأبكى كل مغترب
وكم أردد فى أرض الحمى قدمى ... تردد الشك بين الصدق والكذب
لو أنكرتنى بيوت الحى لاعترفت ... مواطئ العيس منفى وطئها لك بى
كأننى لم أعرس فى مضاربها ... ولم أحط بها رحلى ولا قتبى
ولم أغازل فتاة الحى مائسة ... يا حسن معتى الرضى فى صورة الغضب
تبدى النفار دلالا وهى آنسة ... فى روضها بين ذاك الحلى والذهب
ليت الليالى التى أولت بشاشتها ... إن لم تدم رهبة اللذات لم ترهب
ما بالها غلبت حزنى على فرحى ... وألفت الجد بين النجح والطلب
ما اختص بى حادث منها فأغبنها ... كذاك شيمتها فى كل ذى أدب
وقائل والمطايا قد أحد بها ... سير الدليل بجد غير ذى لعب
حتى مر تنصبنى وتغنينى العيس قلت له ... نيل المناصب موقوف على التعب
مالى وللشعراء المنكرى شرفى ... وفوق درهم ما تحت مختلبى
إن غبت عنهم نبا هو فى قصائدهم ... بغيبة الشمس تبدو زينة الشهب

وقال رحمه الله تعالى

أبدا بلا سبب ولا ذنب ... تبدى الصدود لمغرم صبب
أصبحت بالهجران تقتله ... وما اكتفيت بلوعة الحبب
لا بيت مثل مبيت مهجته ... مأوى الهموم ومجمع الكرب
صب يقلبه الهوى فكرا ... ويديره جنبا إلى الجنب
وأراك يا أملى ملالت وما ... طالت فدينك مدة القرب
يا عاذلى فيمن كلفت به ... أعد الملام وعد عن عتب
هو من علمت وقد رضيت به ... الله يحفظه على قلبى

وقال يمدح حسام الدين الحنفى الرازى رحمهما الله

أضحى له فى اكتئابه سبب ... يمسى فى رضابه شغب
قلت كما يفهم السلو جرى ... فيه كما يعلم الهوى لهب
لا يدعى العاشقون مرتبتى ... متى تساوى التراب والذهب

أبكي إذا ما شكوا وأندب إن ... بكوا وأقضي نحبي إذا انتحبوا

فيمن بأعطافه وأعينه ... جر قضيب وجردت قضب

منتقم بالصدود منتقل ... عن وده بالجمال منتقب

يا حبذا دانه وإن بعدت ... وحبذا أهله وإن غضبوا

وحبذا الشام إن سمت بحسا ... مر الدين منها البطاح والكثب

لا أختشي الحادثات والحسن ... محسن لي في جنابه أرب

من معشر قد سموا وقد كرموا ... فعالا وطابوا أصلا إذا انتسبوا

إن أظلم الدهر ضاء حسنهم ... وإن أمرت أيامنا عذبوا

وإن أرادوا مكارما بلغوا ... وإن أرادوا مكارها غلبوا

ما إن سعوا في محامد رفعوا ... لها بناء فعاقهم نصب

قوم يشقون كلما شعب آل ... خطبك ومن ذا يشق ما شعبوا

وتستقر العيون إن نزلوا ... وتستقر القلوب إن ركبوا

وتخجل السحب من أكفهم ... من أجل هذا تبدى الحيا السكب

من فضة عرضهم ونشرهم ... يعطر الكون آية ذهبوا

ما اشركوا في ذكا معركة ... إلا ذكا من ذكائهم غرب

إن حضروا في مجالس خطبوا ... وإن ناوا عن مجالس خطبوا

قل لأجل الورى إذا انتسبوا ... حسبك ما يقتضي لك الحسب

يا ضاحكا والحياة عابسة ... وثابتا والجبال تضطرب

الدهر روح وأنت فيه قضيب ... البان غضا وغيرك الحطب

خذ مدحا لم أرد بها منحا ... حسبي أني إليك انتسب

وقال عفر الله ذنوبه

يا فاضح البدر حسنا ... ومخجلا للقضيب

ويا عزا لا شدودا ... مرعاه حب القلوب

ويا هلا لا تبدا ... على قضيب رطيب

عليك لحي عذولي ... وفيك لحي رقيبي

قَدْ زِدْتَ وَاللهِ عُجْبًا عَلَى مُحِبٍّ كَئِيبِ

وقال رحمة الله عليه

مَنْ شَاءَ بَعْدَ رِضَى الأَحِبَّةِ يَغْضَبُ مَا بَعْدَ بَهْجَةِ ذَا السُّفُورِ تَحَجُّبُ
أُنْسٌ لَهُ فِي كُلِّ قَلْبٍ مَوْقِعٌ وَرِضًى لَدَيْهِ كُلُّ عَيْشٍ أَطْيَبُ
لَا يَصْدُقُ التَّخْوِيفُ مِنْ وَاشٍ سَعَى حَسَدًا وَلَا قَوْلُ الأَمَانِي يَكْذِبُ
فَالْيَوْمَ رَاحَتِي مَنَازِلُ لَا تُشْتَهَى سُكْنَى وَمَيَاهُهَا لَا تُعْذِبُ
وَبِمُهْجَتِي الْقَمَرُ الَّذِي الْقَمَرُ الَّذِي بِتَمَامِهِ لِتَمَامِهِ لَا يُحْجَبُ
مُتَمَنِّعٌ مِنْ أَنْ يُرَى مُتَمَنِّعًا مُتَجَنِّبٌ عَنْ أَنَّهُ يُتَجَنَّبُ

وقال عفا الله عنه

لَا غَرْوَ إِنْ هَزَّ عِطْفِي نَحْوَكَ الطَّرَبُ قَدْ قَامَ حُسْنُكَ مِنْ عُذْرِي بِمَا يَجِبُ
مَا كَانَ عَهْدُكَ إِلَّا ضَوْءَ بَارِقَةٍ لَاحَتْ لَنَا وَطَوَتْ أَنْوَارَهَا الْحُجُبُ
تَمِيلُ عَنَّا مَلَالًا مَا لَهُ سَبَبٌ سِوَى أَعِزَّائِي أَنِّي فِيكَ مُكْتَئِبُ
فَرَاعِنِي فِي وِدَادٍ كُنْتُ رَاعِيَهُ إِنِّي رَغِبْتُ وَغَيْرِي مِنْكَ مُقْتَرِبُ
لِلْعَيْنِ عِنْدَكَ رَاحَاتٌ مُوَفَّرَةٌ وَلِلْفُؤَادِ نَصِيبٌ كُلُّهُ نَصَبُ
فَإِنْ عَشِقْتُ فَهَذَا الْحُسْنُ لِي وَطَرٌ وَإِنْ سَلَوْتُ فَهَذَا الْهَجْرُ لِي سَبَبُ
لَكِنَّ لِي حُسْنَ ظَنٍّ أَنْ يُعِيدَكَ لِي ذَاكَ الْحَيَاءُ وَذَاكَ الْفَضْلُ وَالأَدَبُ
وَبَيْنَنَا مِنْ عَلَاقَاتِ الْهَوَى ذِمَمٌ وَمِنْ رَضَاعَةِ أَخْلَاقِ الصِّبَى نَسَبُ
قِسْنِي وَقِيسًا مَنَاطِقًا وَهَوًى وَأَنْصِفْ تَجِدْ رُتْبَتِي مِنْ دُونِهَا الرُّتَبُ
وَلَا يَغُرَّنْكَ مِنْ فُودَيَّ شَيْبُهُمَا فَصُبْحُ عِزِّي لَيْلٌ لَيْسَ يَحْتَجِبُ
كَمْ مُهْمَةٍ جُبْتُهُ وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرٌ وَوَجْهُ بَدْرِ الدُّجَى بِالْغَيْمِ مُحْتَجِبُ
إِذَا سَقَى حَلَبٌ مِنْ مُزْنِ غَادِيَةٍ أَرْضًا فَخُصَّتْ بِأَوْفَى قَطْرِهِ حَلَبُ
أَقُولُ وَالْبَارِقُ الْعُلْوِيُّ مُبْتَسِمٌ وَالرِّيحُ مُعْتَلَّةٌ وَالْغَيْثُ مُنْسَكِبُ
أَرْضٌ إِذَا قُلْتَ مَنْ سُكَّانُ أَرْبُعِهَا أَحَاكَ الأَشْرَفَانِ الْجُودُ وَالْحَسَبُ
قَوْمٌ إِذَا زُرْتَهُمْ أَصْفَوْكَ وُدَّهُمُ كَأَنَّمَا لَكَ أُمٌّ مِنْهُمُ وَأَبُ

وقال سامحه الله تعالى

أنتم لعبدكم أحبّة ... وله عليكم حقّ صحبة
يا نائمين عن المسهد فارغين من المحبة
والله ما عندي من السلوان عنكم وزن حبة
قد كنتم أنسي فها ... أنا بعدكم في دار غربة
لا فرّجت عن مهجتي ... إن ملت للسلوان كربة

والصاحب

وقال يمدح القاضي محيي الدين بن النحاس رحمه الله

قف بالركائب أو سعها بترتيب ... عسى يسير إلى الحي الأعاريب
واسأل نسيمًا ثنت أعطافنا أصلًا ... من أين جاءت فنيها خمرة الطيب
وفي الركائب مطوي على حرق ... يلحقن مرد الهوى العذري بالشيب
يلقى الفراق بصبر غير منتصر ... على النوى وبوجد غير مغلوب
يا ربة الهودج المحمي جانبه ... إلى مرحلك يغريني ويغري بي
ظننت أن شبابي فيك يشفع لي ... وأن جودي يقضي بتقريبي
وقعت بي وبآمالي على خدع ... من المنى بين تصديق وتكذيب
وإن أبعد حالات المحبة أن ... يلقى المحب وفاء غير محسوب
كم قد شقيت بعذالي عليك وكم ... شقوا بصدي واعراضي وتغليبي
أسعى إليك ويسعى بي ملالهم ... وأقتفي بين تأويب وتأنيب
صددت بلا سبب عني فقلت لها ... يا حسن يوسف حالي صبر أيوب
ترحلي أو أقيمي أنت لي سكن ... وأنت غاية آمالي ومطلوبي
شيئان قد أمنا من ثالث لهما ... وجدي عليك واحسان ابن يعقوب
أغر لا الوعد ممطول لديه ولا ... أسلوبه في الندا عندي بمسلوب
إذا استطى قلت يا أسد العرين قفي ... وإن بدا قلت يا شمس الضحى غيبي
يبيت بالبأس منه البشر مبتسما ... والسيف غير صقيل غير مرهوب
صمّ المسائل في يوم الجدال له ... أمضى وأنفذ من صمّ الأنابيب
يا من له الود من سيري ومن علجي ... ومن إلى بابه شدي وتقريبي
لو رمت دون اشتياقي أن تباعدني ... لكي ترى صدق ودي بعد تجريبي

بِكَ انْتَصَرْتُ عَلَى الْأَيَّامِ مُقْتَدِرًا ... فَبِتُّ مِنِّي بِجَدٍّ جَدِّ مَرْهُوبِ
وَأَنْتَ أَتْقَنْتَ بِالْإِحْسَانِ تَرْبِيَتِي ... وَأَنْتَ أَحْسَنْتَ بِالْإِتْقَانِ تَرْتِيبِي
وَأَنْتَ أَكْسَبْتَنِي رَأْيًا غَنِيتُ بِهِ ... عَنْ مَا أُكَابِدُ مِنْ هَوْلِ التَّجَارِيبِ
فَاسْأَلْ مَعَانِيكَ عَنِّي فِي تَخَبُّرِهَا ... تُخْبِرْكَ عَنْ كَرَمٍ مِنْهُنَّ مَوْهُوبِ
مَنْ سَيَّرَ الشُّهْبَ مِنْ نَظْمِي كَالشَّمْسِ ضَحًى ... أَضْيَاءَ مَا بَيْنَ تَشْرِيقٍ وَتَغْرِيبِ
قَدْ جَرَّدَ الْبِيضَ مِنْ ذِهْنِي وَمِنْ هِمَمِي ... وَقَلَّدَ الْبِيضَ مِنْ مَدْحِي وَتَشْبِيبِي
وَمِنْ مُحَمَّدٍ اقْدَامِي وَمَعْرِفَتِي ... وَمِنْ مُحَمَّدٍ اعْدَامِي وَتَهْذِيبِي
لَا رَأْيَ لِي فِي جِيَادِ الْخَيْلِ آرُكُهَا ... إِذَا نَهَضْتُ فَعَزْمِي غَيْرُ مَرْهُوبِ
أَعَاذَكَ اللهُ مِنْ هَمٍّ أُكَابِدُهُ ... أَقُولُ كُرْهًا لِأَحْشَائِي بِهِ ذُوبِي
مُلِئْتُ بِالدَّهْرِ عِلْمًا وَهْوَ يَمْلَأُنِي ... جَهْلًا وَيَحْسَبُ مِنِّي غَيْرَ مَحْسُوبِ
إِحْدَى الْأَعَاجِيبِ عِنْدَهُ لَوْ وُصِفَتْ ... لَكَانَ وَصْفِي لَهَا إِحْدَى الْأَعَاجِيبِ
لَا يَسْتَقِرُّ بِوَجْهٍ غَيْرِ مُبْتَذَلٍ ... وَلَا يَسِيرُ بِعِرْضٍ غَيْرِ مَثْلُوبِ
وَلَا يَبِيتُ لَهُ جَارٌ بِلَا فَرَقٍ ... وَلَا يُسَرُّ لَهُ ضَيْفٌ بِتَرْحِيبِ
يَصُدُّ عَنِّي إِذَا قَابَلْتُهُ غَضَبًا ... كَأَنَّنِي صَدَّ عَنْ بَعْضِ الْمَحَارِيبِ
وَلَوْ ضَرَبْتُ بِأَدْنَى الْفِكْرِ قُلْتُ لَهُ ... قُتِلْتَ فِي شَرِّ ضَرْبٍ شَرَّ مَضْرُوبِ
يَفْدِي نِعَالَكَ مَا ضَمَّتْ أَسِرَّتُهُ ... وَإِنْ فُدِينَ بِمَقْتُوتٍ وَمَسْبُوبِ
إِنَّ الْمَعَالِي بَرَاءٌ مِنْ تَحَشُّمِهَا ... تَلْبِيسَ الْمَجْدِ فِيهَا بِالْأَكَاذِيبِ
فَلَتْ كُلَّ مُرِيبٍ غَابَ عَائِبُهُ ... فِدَاءُ كُلِّ بَرِيءِ الْعِرْضِ مَعْتُوبِ
وَلَيْتَ أَنِّي لَمْ أَدْفَعْ إِلَى زَمَنٍ ... أَلْقَى الْأَسُودَ بِهِ طَوْعَ الْأَرَانِبِ
إِنْ يَعْجَبِ الْأَضْعَفُ الْأَقْوَى فَلَا عَجَبٌ ... فَرُبَّ عَقْلٍ بِسِتْرِ الْوَهْمِ مَحْجُوبِ
وَالدَّهْرُ لَيْسَ بِمَأْمُونٍ عَلَى بَشَرٍ ... يُدِيرُهُ بَيْنَ تَنْعِيمٍ وَتَعْذِيبِ
فَلَا يَرُقْ مَسْكَنٌ فِيهِ لِسَاكِنِهِ ... وَلَا يَثِقْ صَاحِبٌ فِيهِ بِمَصْحُوبِ
وَإِنَّمَا النَّاسُ إِلَّا أَنْتَ فِي سِنَةٍ ... مُعَلَّلِينَ بِتَرْغِيبٍ وَتَرْهِيبِ
أَلَسْتَ مِنْ نَفَرٍ لَمْ يَثْنِ دُونَهُمُ ... عَادٍ بِنَجْحٍ وَلَا عَافٍ بِتَخْيِيبِ
عَالِينَ فِي رُتَبٍ عَافِينَ عَنْ رِيَبٍ ... دَانِينَ مِنْ شَرَفٍ نَائِينَ عَنْ حُوبِ

كَرِيمٌ مَا اَظْهَرُوهُ مِنْ شَمَائِلِهِمْ ... كَرِيمٌ مَا سَتَرُوهُ فِي الْجَلَابِيبِ

صَاغَتْ عِبَارَتُهُمْ حُسْنَ الْبَدِيعِ بِهَا ... مِنَ الْبَلَاغَةِ فِي اَسْنَى الْقَوَالِيبِ

مِنْ كُلِّ مُنْتَبِهٍ جُودًا وَمُسْتَهِجٍ ... بِشْرًا اِلَى حَلَبِ الْفَيْحَاءِ مَنْسُوبِ

فِيهِمْ لِكُلِّ فَتًى يَغْشَاهُمُ اَبَدًا ... اِنْصَافُ مُعْدِلَةٍ فِي كُلِّ اُسْلُوبِ

لِكُلِّ ذِي كِبَرٍ اِكْبَارُ تَكْرِمَةٍ ... وَكُلِّ ذِي صِغَرٍ تَصْغِيرُ تَحْبِيبِ

فَاهْنَأْ بِذَا الْعِيدِ يَا عِيدًا تُقَلِّلُهُ ... وَاْبْشِرْ بِسَعْدٍ وَاَجْرٍ فِيهِ مَحْلُوبِ

وَاسْلَمْ عَلَى مَا بِهَذِي النَّاسِ مِنْ عَطَفٍ ... فِي الْعُرْبِ اَوْ فِي الْحِجَى اَوْ فِي التَّرَاتِيبِ

فَلَيْسَ مَجْدُكَ فِي مَجْدٍ بِمُحْتَجِبٍ ... وَلَيْسَ مَدْحُكَ فِي مَدْحٍ بِمَكْذُوبِ

وَلَيْسَ تَلْقَى اللَّيَالِي غَيْرَ مُنْصَرِفٍ ... وَلَيْسَ تَرْقَى الْمَعَالِي غَيْرَ مَخْطُوبِ

دَعْنِي وَشِعْرِي وَمَنْ فِي جَفْنِهِ مَرَضٌ ... دُونِي يُزِلْ مَرَضَ الْاَجْفَانِ تَطْبِيبِي

وَخُذْ شَوَاهِدَ مَا اَمْلَيْتُ مِنْ فِكَرٍ ... تُثْنِي عَلَيْكَ بِمَلْفُوظٍ وَمَكْتُوبِ

فَالدُّرُّ يُحْسَنُ مَثْقُوبًا لِنَاظِمِهِ ... وَحُسْنُ لَفْظِي دُرٌّ غَيْرُ مَثْقُوبِ

وَكُلَّمَا قِيلَ شِعْرٌ اَوْ يُقَالُ فَمَا ... اَرَاهُ اِلَّا رَذَاذًا مِنْ شَآبِيبِي

وقال غفر الله له

حَمَوْا بِكُعُوبِ السُّمْرِ بِيضَ الْكَوَاعِبِ ... وَصَانُوا مِنَ الْاَتْرَابِ دُرَّ التَّرَائِبِ

وَهَزُّوا الْعَوَالِي مِنْ اَكُفٍّ قَوَابِضٍ ... رِقَابَ الْمَعَالِي بِالسُّيُوفِ الْقَوَاضِبِ

فَكَمْ حَاجِبٍ يَلْقَاكَ مِنْ دُونِ اَعْيُنٍ ... وَكَمْ اَعْيُنٍ تَلْقَاكَ مِنْ دُونِ حَاجِبِ

وَكَمْ بِتُّ اَرْعَى مِنْ بُدُورٍ طَوَالِعٍ ... وَاَرْعَى عُهُودًا مِنْ شُمُوسٍ غَوَارِبِ

وَسَارُوا فَيَا لِلّٰهِ كَمْ مِنْ حَبَائِلٍ ... تَصِيدُ قُلُوبًا مِنْ عُيُونِ الْحَبَائِبِ

حَلَوْنَ عَلَى الْاَحْدَاقِ خَيْرَ سَوَالِفٍ ... وَكُنَّ عَلَى الْعُشَّاقِ شَرَّ سَوَالِبِ

بِمُحْمَرَّةِ خَدٍّ لَا تُصَابُ بِعَارِضٍ ... وَمُحْمَرَّةِ ثَغْرٍ لَا تُعَافُ لِشَارِبِ

اَلَا فِي سَبِيلِ الْحُبِّ يَعْلُو بِمُهْجَةٍ ... عَلَيْهَا لَكَ الْاَشْوَاقُ ضَرْبَةُ لَازِبِ

فَفِي وَدِّ عِينًا قَدْ بَدَتْ غُرَّةُ النَّوَى ... وَاَذَّنَّا بِالْبَيْنِ سَيْرُ الرَّكَائِبِ

وقال رحمه الله عليه

عَذَابِي مِنْ ثَنَايَاكَ الْعِذَابِ ... فَهَلْ شَفَعَ الرِّضَى عِنْدَ الرُّضَابِ

تكلف

تكلّفُ من تكلّفَ منكَ وِدًّا ... طِلابُ الشّرابِ من السّرابِ
نُسِبتَ إلى الجمالِ وفيكَ بُعدٌ ... أضافَ لكَ المحالَ إلى المحابِ
أما وهواي فيكَ لغيرِ عارٍ ... كما زعمَ الوُشاةُ ولا بعابِ
وما يحويهِ خدُّكَ للاجتناءٍ ... وما يوحيهِ صبُّكَ لاجتنابِ
ومدحي حاتمًا في الجودِ أندى ... وأدنى في السّخاءِ من السّحابِ
وأنتَ وإن عززتَ فأنتَ روحي ... ألذُّ إليَّ من صِلةِ الشّبابِ
فتًى فيهِ المعالي والمعاني ... تجمّعنَ له العِرابَ إلى العِرابِ
فيطربُ حينَ يضربُ في خطوبٍ ... ويُعربُ حينَ يُغربُ في خِطابِ
أمُوضحُ ثغرِ غامضِ كلِّ علمٍ ... إذا ما عنهُ أُغلوقُ كلِّ بابِ
وكاشفُ كلِّ مظلمةٍ وظلمٍ ... بآراءٍ خُلقنَ من الصّوابِ
رميتَ عداكَ في حربٍ بيرجٍ ... بأمثالِ البحارِ من الحرابِ
فطارتْ أنفسٌ فوقَ الثّريّا ... وغارتْ أرؤسٌ تحتَ التّرابِ
وحسبي إن تطلّبتُ المعالي ... بأنّي إلى محبّتِكَ انتسابي

وقال رحمه الله تعالى

كيفَ يُلهي على هواكَ كئيبُ ... لكَ حُسنٌ وللأنامِ قلوبُ
كم تجنّيتَ والمحبُّ مع الوجدِ وإن لم يجدْ لِقاكَ حبيبُ
كانَ يرجى السّلوُّ لو كانَ غيري ... وسواكَ المحبُّ والمحبوبُ
عجبي من قويمِ قامتِكَ الهيفاءِ قاسٍ وقيلَ عنهُ رطيبُ
وكذا الحسنُ كلُّ من في الورى بعضُ رعاياهُ وهوَ فيهم غريبُ
سلبتني الرّقادَ أعينُكَ السّو ... دُ ويحلو فعالُها ويُصيبُ
يا أخا الظّبيِ هكذا يحسنُ السّلـ ... ـبُ إذا ما ارتضى بهِ المسلوبُ
وأخا الغصنِ لا عداكَ قبولٌ ... وأخا البدرِ لا دعاكَ غروبُ

وقال عفا الله عنه

إن دامَ هذا التّجنّي منكَ والغضبُ ... فلا تسلْ عن فؤادي كيفَ يلتهبُ
جعلتُ قرطَ غرامي فيكَ لي نسبًا ... في الحبِّ قلْ لي فدتكَ النّفسُ ما السّببُ

يَا شَعْرَهُ كَمْ دُمُوعٍ فِيكَ أَنْثُرُهَا ... وَهٰكَذَا اللَّيْلُ فِيهِ تَظْهَرُ الشُّهُبُ
تَرَاهُ عَيْنِي فَتُخْفِيهِ مَدَامِعُهَا ... كَأَنَّهُ حِينَ يَبْدُو حِينَ يَحْتَجِبُ
وَمَا بَدَا قَطُّ يَوْمًا وَهُوَ مُقْتَرِبٌ ... إِلَّا وَمِنْ دُونِهِ وَاشٍ وَمُرْتَقَبُ
يَا لَيْلُ مَنْ لِي بِصُبْحٍ بِتُّ أَرْقُبُهُ ... تَاللَّهِ قَدْ فَنِيَتْ مِنْ دُونِهِ الْحُقُبُ
إِنَّ الَّذِينَ فُؤَادِي فِي الْهَوَى نَهَبُوا ... لِنَاظِرَيَّ سُهَادِي فِي الدُّجَى وَهَبُوا
اللَّهُ جَارُهُمُ فِي أَيِّ سَلَكُوا ... إِنْ أَعْتَبُوا عَاشِقًا فِي الْحُبِّ أَوْ عَتَبُوا

وقال سامحه الله تعالى

يَا دَهْرُ قَدْ سَمَحَ الْحَبِيبُ بِقُرْبِهِ ... بَعْدَ النَّوَى وَأَمِنْتُ عَتْبَ مُحِبِّهِ
تَاللَّهِ لَا أَخَذَتْ صَرْفُكَ بَعْدَمَا ... صَرَفَ الْبِعَادَ وَلَا جَنَحَتْ لِعَتْبِهِ
أَبْدَى النَّوَى عُذْرًا وَأَبْدَى لِي التُّقَى ... إِحْسَانَ صَفْحِي عَنْ إِسَاءَةِ ذَنْبِهِ
شَتَّانَ وَكُلٌّ يَشْتَكِي لِرَفِيقِهِ ... بَعْضَ الَّذِي فَعَلَ الْهَوَى فِي قَلْبِهِ
لَفْظٌ يَرِقُّ كَمَا تَرِقُّ مُدَامَةٌ ... أَمْ خُلْقُ زَيْنِ الدِّينِ رَقَّ لِصَحْبِهِ
ذُو غُرَّةٍ وَدَّ الزَّمَانُ لَوْ أَنَّهُ ... يَحْلُو بِنَيِّرِهَا دُجُنَّةُ خَطْبِهِ
وَمَنَاقِبٍ عَلَوِيَّةٍ لَمَّا بَدَتْ ... فَرِحَ الظَّلَامُ وَظَنَّهَا مِنْ شُهْبِهِ
مَوْلَايَ دَعْوَةُ مَنْ لَوَاقِحُ الْمُنَى ... مَا كَانَ إِلَّا أَنْتَ غَايَةَ إِرْبِهِ
وَافَى إِلَى حِفْظِ الْوِدَادِ فَوَفِّهِ ... وَدَعَى يُرَجِّي الْعَهْدَ مِنْكَ فَلَبِّهِ

وقال عفا الله عنه

هُوَ الصَّبْرُ أَوْلَى مَا اسْتَعَانَ بِهِ الصَّبُّ ... وَلَوْلَا تَجَنِّي الْحِبِّ مَا عَذُبَ الْحُبُّ
إِذَا كُنْتُ لَا أَهْوَى لِغَيْرِ تَوَاصُلٍ ... فَعِشْقِي لِرُوحِي لَا لِمَنْ قُلْتُ ذَا الْحِبُّ
وَمَا أَنَا إِلَّا مُغْرَمُ الْقَلْبِ لَوْ بَقِي ... عَلَى مَا أُعَانِيهِ مِنَ الْوَجْدِ لِي قَلْبُ
يَدُومُ عَلَى بُعْدِ الْمَزَارِ بِحَالِهِ ... غَرَامِي وَيَقْوَى إِنْ تَدَانَى بِهِ الْقُرْبُ
كَذَا شِيمَتِي فَلْيَفْتَدِ الْعَاشِقُونَ بِي ... وَإِلَّا فَدَعْوَاهُمْ وَحَاشَاهُمُ كَذِبُ
أُجِيبُ الْجَوَابَ السَّهْلَ عَمَّا سُئِلْتُهُ ... وَإِنَّ الَّذِي يُشْكَى إِلَيْهِ الْهَوَى صَعْبُ

وقال غفر الله ذنوبه

حَبَاكَ الْجَمَالُ وَوَافَى النَّصِيبَا ... فَصِرْتَ إِلَى كُلِّ قَلْبٍ حَبِيبَا

وَرَدَّ جَلَالُكَ عَنْكَ الْعُيُونْ ... فَكُنْتَ الْحَبِيبَ وَكُنْتَ الرَّقِيبَا
وَأَقْسَمْتَ أَنْ لَا يَرَاكَ امْرُؤٌ ... سِوَى نَظْرَةٍ ثُمَّ يَدْعُو الطَّبِيبَا

وقال عفا الله عنه من أبيات يمدح بها الأمير علم الدين الدوادار

دَعَاهُ وَرَقْمُ اللَّيْلِ بِالْبَرْقِ مُذْهَبُ ... هَوًى بِكَ كَبَّاهُ الْفُؤَادُ الْمُعَذَّبُ
لِطَيْفٍ لَطِيفٍ مِنْ خَيَالِكَ طَارِقٍ ... بِلَيْلٍ بَلِيلٍ فِيهِ لِلسُّحْبِ مَسْحَبُ
بِرُوحِي يَا طَيْفَ الْحَبِيبِ مُحَافِظًا ... عَلَى الْعَهْدِ يَدْنُو كَيْفَ شِئْتَ وَيَقْرُبُ
وَمَنْ كُلَّمَا عَاتَبْتُهُ رَقَّ قَلْبُهُ ... وَيَعْطِفُهُ الْخُلْقُ الْجَمِيلُ فَيُغْلَبُ
يَشُقُّ جَلَابِيبَ الدُّجُنَّةِ زَائِرِي ... عَلَى رَغْمِ مَنْ يَلْحَى وَمَنْ يَتَرَقَّبُ
فَأُخْجِلُهُ مِمَّا أَبَثُّ عِتَابَهُ ... وَيُخْجِلُنِي مِنْ فَرْطِ مَا يَتَأَدَّبُ
أَرَى كُلَّ شَيْءٍ مِنْهُ يَأْتِي مُحَبَّبًا ... وَلَا سِيَّمَا ذَاكَ الرِّضَابُ الْمُحَبَّبُ
عَلَى أَنَّنِي مَا الْوَجْدُ يَوْمًا بِشَاغِلِي ... عَنِ الْمَجْدِ لَكِنِّي امْرُؤٌ مُتَطَرِّبُ
وَمَا أَنَا إِلَّا شَمْسُ كُلِّ فَضِيلَةٍ ... لَهَا مَشْرِقٌ لَكِنَّ أَصْلِي مَغْرِبُ
وَكُلُّ كَلَامٍ فِيهِ ذِكْرُكَ طَيِّبٌ ... وَكُلُّ مَكَانٍ فِيهِ تَحْصُلُ أَطْيَبُ

وقال رحمة الله عليه

يَا حَبَّذَا نَهْرُ الْقَصَيْرِ وَمَغْرِبَا ... وَنَسِيمُ هَانِيكَ الْمَعَالِمِ وَالرُّبَا
وَسَقَى زَمَانًا مَرَّ بِي فِي ظِلِّهَا ... مَا كَانَ أَعْذَبَهُ لَدَيَّ وَأَطْيَبَا
أَيَّامَ أَوْلَعُ بِالْخُدُودِ نَقِيَّةً ... وَالْقَدِّ أَهْيَفَ وَالْمُقَبَّلِ أَشْنَبَا
وَأَزُورُ حَانَاتِ الْمُدَامِ وَلَا أَرَى ... غَيْرَ الَّذِي قَضَتِ الْخَلَاعَةُ مَذْهَبَا
فَلَأَهْجُرَنَّ أَخَا الْوَقَارِ وَشَأْنَهُ ... وَلَأَرْكَبَنَّ مِنَ الْغَوَايَةِ مَرْكَبَا
وَلَأُطْلِعَنَّ شُمُوسَ كُلِّ مَسَرَّةٍ ... وَأَكُونَ مَشْرِقَ أُفْقِهَا وَالْمَغْرِبَا
يَا صَاحِبَيَّ خُذَا مَقَالَةَ مُغْرَمٍ ... قَوْلَ امْرِئٍ عَرَفَ الْأُمُورَ وَجَرَّبَا
لَمْ يَخْلُقِ الرَّحْمَنُ شَيْئًا عَابِثًا ... فَالْخَمْرُ مَا خُلِقَتْ لِأَنْ تُتَجَنَّبَا

وقال في مليح نحوي

يَا رُبَّ نَحْوِيٍّ لَهُ مُبْسِمٌ ... تُقَبِّلُهُ أَبْلَغُ مَطْلُوبِ
قَدْ صُغِّرَ الْجَوْهَرُ فِي ثَغْرِهِ ... لَكِنَّهُ تَصْغِيرُ تَحْبِيبِ

وقال فى آسم على الكوافى

إسم حبى وما يعانى ... قد شغلا خاطرى وقلبى
قالوا على ما فقلت قدرا ... قالوا كوافى فقلت قلبى

وقال فى بحانقى

تسلطن فى الملاح بحانقى ... فلم يرض ببدر التم نائب
وقد صنعت له الأتراك جندا ... وأصبح راكبا تحت العصائب

وقال فى مليح قلندرى

هويت من ريقته قرقف ... وعاله فى ذاك من شارب
قلندريا حلقوا حاجبا ... منه كنون الخط من كاتب
سلطان حسن زاد فى عدله ... فاختار أن يبقى بلا حاجب

وقال رحمة الله عليه

لما درت أن المحب بغيرها ... وبغير ذكر محبها لم يطرب
هجرته حينا ثم لما أنعمت ... جاءته فى رمضان قبل المغرب

وقال غفر الله ذنوبه

يا ذا الذى صد عن محب ... به أذاب الغرام قلبه
مالك فى الهجر من دليل ... لكن هذى علو قلبه

وقال عفا الله عنه

شدا حالى ليطربهم ... بلفظ للهوى يعرب
فقال لسان حالهم ... مغنى الحى ما يطرب

وقال عفى عنه

لو لم تكن إبنة العنقود فى فمه ... ما كان فى خد القانى أبو لهب
بتت يدا عاذلى فيه ووجنته ... حمالة الورد لا حمالة الحطب

وقال رحمه الله تعالى

هجرت فتى أدنى الأنام محبة ... إليك وأوفى من إلى العهد ينسب
وأبغيت من لا برتضى حين ترتضى ... ولا هو غضبان إذا أنت تغضب

وقال سامحه الله

يا مهاكًا والوجوه عابسة ... وثابتًا والجبال تضطرب
الدهر روح وأنت فيه قضيب ... البان حقًا وغيرك الحطب

بيت مفرد

أيحمل سلوا بي إذا هجر الحب ... أمر الصبر أولى بي إذا وله الحب

قافية التاء

قال وكتب بها إلى ابيه رحمه الله تعالى

أبدًا بذكرك تنقضي أوقاتي ... ما بين سماري وفي خلواتي
يا واحد الحسن البديع لذاته ... أنا واحد الأحزان فيك لذاتي
وبحبك اشتغلت حواسي مثلما ... بجمالك امتلأت جميع جهاتي
حسبي من اللذات فيك صبابة ... عندي اشتغلت بها عن اللذات
ورضاي أني فاعل برضاك ما ... تختار من محوي ومن إثباتي
يا حاضرًا غابت به عشاقه ... عن كل ماض في الزمان وآت
حاسبت أنفاسي فلم أر واحدًا ... منها خلا وقتًا من الأوقات

ومنها

ومدلهين حجبت عنك عقولهم ... فهموا من الأحياء كالأموات
لما بكوا وضحكت أنكر بعضهم ... شأني وقالوا الوجد بالعبرات
فاظنهم ظنوا طريقك واحدًا ... ونسوا بأنك جامع الأشتات
يا قطر عمر دمشق واخصص منزلًا ... في قاسيون وحله بنبات
وترنمي يا ورق فيه ويا صبا ... مري عليه بأطيب النفحات
فيه الرضا فيه الهوى فيه الهدى ... فيه أصول سعادتي وحياتي
فيه الذي كشف العمى عن ناظري ... وجلى شموس الحق في مرآتي
فيه الأب البر الشفوق فديته ... من سائر الأسواء والآفات
كف تمد بجوده نحوي وأخرى للسماء بصالح الدعوات
ولذا جنيت بسيئاتي عدها ... كرمًا وإحسانًا من الحسنات

وَإِذَا وَقَيْتُ بِوَجْنَتَيَّ بِغَالَهُ عَدَّيْتُ تَقْصِيرِي مِنَ الزَّلَّاتِ
آبِي وَإِنْ جَلَّ النِّدَاءُ وَقَلَّ مِقْـ ـدَارِي نِدَاءَ الْعَبْدِ لِلسَّادَاتِ
إِنِّي الْتَفَتُّ وَأَيْتُ مِنْكَ مَحَاسِنًا إِنْ مِلْتُ نَشْوَانًا فَهُنَّ سُقَاتِي
وَأَرَى الْوُجُودَ بِأَسْرِهِ رَجْعَ الصَّدَى وَأَرَى وُجُودَكَ مَنْشَأَ الْأَصْوَاتِ
فَعَلَيْكَ مِنْكَ مَعَ الْأَصَائِلِ وَالضُّحَى تُسْلَى أَجَلُّ تَحِيَّةٍ وَصَلَاةِ

قافية الحاء

وقال رحمه الله تعالى

نَاوِلِينِي الْكَأْسَ فِي الصُّبْحِ ثُمَّ غَنِّ لِي عَلَى قَدَحِي
وَأَدِيرِي شَمْسَ وَجْهِكِ لِي فَضِيَاءُ الشَّمْسِ لَمْ يَلُحِ
وَاشْغَلِي كَفَّيْكِ فِي وَتَرٍ لَا تُهَدِّيهَا إِلَى الْمَسْحِ
وَإِذَا اطْرَبْتِنِي وَبَدَا بِانْتِشَائِي حَالُ مُغْتَصِحِ
عَانِقِينِي بِالْيَدَيْنِ كَمَا يَفْعَلُ الْأَحْبَابُ مِنْ فَرَحِ
وَإِذَا عَانَقْتُ مِنْ طَرَبٍ غُصْنَ قَدٍّ مِنْكِ مُتَّشِحِ
فَدَعِي أَزْرَارَ طَوْقِكِ عَنْ صَدْرِكِ الْفَتَّانِ بِالْمُلَحِ
وَإِذَا مَا الْأَمْرُ كَانَ كَذَا فَانْزِعِ السِّرْوَالَ وَاطَّرِحِ
وَخُذِي ذَا الْإِبْرِيقَ أَجْمَعَهُ وَاطْلُبِي مَا شِئْتِ وَاقْتَرِحِ
ثُمَّ رُوحِي بِالْأَمَانِ فَمِثْـ ـلِي بِسِرٍّ قَطُّ لَمْ يَبُحِ

وقال رحمة الله عليه

أَخْجَلْتَ بِالثَّغْرِ ثَنَايَا الْأُقَاحِ يَا طُرَّةَ اللَّيْلِ وَوَجْهَ الصَّبَاحِ
وَأَعْجَمْتَ أَعْيُنَكَ السِّحْرَ مُذْ أَعْرَبْتَ مِنْهُنَّ صِفَاحًا فِصَاحْ
فَيَا لَهَا سُودًا مَرَاضًا غَدَتْ تَسْلُبُ لِلْعَاشِقِ بِيضًا صِحَاحْ
يَا لَلْهَوَى مِنْ مُسْعِدٍ مُغْرَمًا رَأَى حَمَامَ الْأَيْكِ عَنَّا فَنَاحْ
يَا بَانَةً مَالَتْ بِأَعْطَافِهِ هَا قَدْ عَرَفْنَا مِنْكِ هَزَّ الرِّمَاحْ
وَأَنْتِ يَا أَسْهَمَ الْحَاظِهِ أَثْخَنْتِ وَاللَّهِ فُؤَادِي جِرَاحْ

وقال رحمة الله عليه

صاحي الجوانح لست منه بصاحي سلب الجسوم وهم بالارواح
يا بدر قد سد الغرام مسالكي فأنر بوجهك مسرحي ومراحي
قد حرت فيك بمن اروم تشفعا حتى تفوز مقاصدي بنجاحي
بفؤادي المرتاح ام بسهادي الفضاح ام بودادي الوضاح
فبعرفك الفياح او فبطرفك السفاح او فبعطفك الرماح
لا ترقدن عن ساهر في ليلة مذ غاب وجهك لم يفز بصباح

وقال فيما يقتضي ذلك

مولاي انا في جوارك خمسة بتنا ببيت ما به مصباح
ما فيه لا لحم ولا خبز ولا ماء ولا شيء له نرتاح
كل تراه من الكآبة والطوى شبحا فنحن الخمسة الاشباح
ما فاتنا الا التجلل بالعبا فجسومنا لعبت بها الارياح

وقال غفر الله له ه

وبين الخد والشفتين خال كزنجي اتى روضا صباحا
تحير في الرياض فليس يدري ايجني الورد ام يجني الاقاحا

وقال عفا الله عنه

بدا وجهه من فوق اسمر قده وقد لاح من ليل الذوائب في جنح
فقلت عجيب كيف لم يذهب الدجى وقد طلعت شمس النهار على رمح

قافية الدال

قال رحمه الله تعالى

ءاخاف صرف الدهر ام حدثانه والدهر للمنصور بعض عبيده
ملك نداه فكني وانتاشني من مخلبيه ومن اسار قيوده
ملك اذا حدثت عن احسانه حدثت عن مبدي الندا ومعيده
ساد الملوك بفضله وبنفسه والعز من آبائه وجدوده
واذا ترنمت الرواة بمدحه وثنائه اهتزت معاطف جوده
لابي المعالي راحة وكافة كالغيث يوم بروقه ورعوده

صَبٌّ بِتَحْصِيلِ الثَّنَاءِ وَجَمْعِهِ ... كَلِفٌ بِبَذْلِ الْمَالِ أَوْ تَبْدِيدِ
مَازَالَ يَشْمَلُ حَاسِدِيهِ نَوَالُهُ ... حَتَّى أَقَرَّ بِهِ لِسَانُ حَسُودِهِ
سَلْ عَفْوَهُ وَحُسَامَهُ فِي غِمْدِهِ ... وَحَذَارِ ثُمَّ حَذَارِ مِنْ تَجْرِيدِهِ
يَغْشَى الْوَرَى مُتَلَفِّعًا بِرِدَائِهِ ... وَيَخُوضُهَا مُتَسَرْبِلًا بِحَدِيدِهِ
فَتَرَى الشُّجَاعَ يَفِرُّ مِنْهُ مَهَابَةً ... وَالْمَوْتُ بَيْنَ لَهَابَتَيْهِ وَوَرِيدِهِ
يَتَقَهْقَرُ الْجَيْشُ اللُّهَامُ مَخَافَةً ... مِنْهُ إِذَا وَافَا أَمَامَ جُنُودِهِ
وَتَعُودُ مُخْفَقَةُ الرَّجَاءِ عِدَاتُهُ ... وَقُلُوبُهَا خَفَّاقَةٌ كَبُنُودِهِ
فِي مَعْرَكٍ إِنْ كَبَّرَتْ فِيهِ الْقَنَا ... وَصَلَ الْحُسَامُ رُكُوعَهُ بِسُجُودِهِ
جَارَى الْغَمَامَ فَفَاتَهُ بِنَوَالِهِ ... كَرَمًا وَفَاقَ كَثِيرَهُ بِزَهِيدِهِ
وَالدِّينُ أَقَلَّهُ وَشَادَ مَنَارَهُ ... حِينَ اعْتَنَا بِحُقُوقِهِ وَحُدُودِهِ
وَالْمُلْكُ لَمْ يَنْفَكَّ يُعْمِلُ عَزْمَهُ ... فِي نَصْرِ ظَاهِرِهِ وَنُصْحِ سَعِيدِهِ
إِنَّ الْمَنَايَا وَالْأَمَانِيَّ لَمْ تَزَلْ ... طَوْعًا لِسَابِقِ وَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ
وَأَرَى الْحَيَاةَ لَذِيذَةً بِحَيَاتِهِ ... وَأَرَى الْوُجُودَ مُشَرَّفًا بِوُجُودِهِ
هَاجَرْتُ نَحْوَ مُحَمَّدٍ لَمَّا رَأَيْـ ... ـتُ الْعَالَمَ الْعُلْوِيَّ فِي تَأْيِيدِهِ
وَثَنَيْتُ أَعْنَاقَ الْقَوَافِي نَحْوَهُ ... وَنَظَمْتُ دُرَّ مَدَائِحِي فِي جِيدِهِ
وَنَظَرْتُ نُورَ جَلَالِهِ وَوَرَدْتُ بَحْـ ... ـرَ نَوَالِهِ وَلَبِسْتُ وَشْيَ بُرُودِهِ
وَمَلَأْتُ عَيْنِي مِنْ مَحَاسِنِهِ الَّتِي ... مَلَأَتْ عُيُونَ عَدُوِّهِ وَحَسُودِهِ
وَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْ أَجَلِّ زَمَانِهِ ... قَدْرًا وَوَاحِدِ عَصْرِهِ وَفَرِيدِهِ
وَأَفَدْتُ سَمْعِي مِنْ فُكَاهَةِ مُمْتِعِ الْـ ... أَلْفَاظِ مَقْبُولِ الْكَلَامِ مُفِيدِهِ
وَصَدَرْتُ عَنْ صَدَقَاتِ مَشْكُورِ النَّدَى ... وَالْجُودِ مَشْكُورِ الْفَعَالِ حَمِيدِهِ
فَلَوَ انَّنِي خُيِّرْتُ مِنْ دَهْرِي الْمُنَى ... لَاخْتَرْتُ طُولَ بَقَائِهِ وَخُلُودِهِ
يَا آلَ أَيُّوبَ بْنِ شَادِيَ صَالِحًا ... عَنْ مُحْسِنٍ مَدَحَ الْمُلُوكَ مُجِيدِهِ
وَنَعِمْتُمُ مَا افْتَرَّ عَنْ ثَغْرِ الضُّحَى ... صُبْحٌ وَمَا فَضَّ الدُّجَى بِعَمُودِهِ
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي حَازَ الْعُلَى ... فَثَنَى عِنَانَ الْفِكْرِ عَنْ تَحْدِيدِهِ
أَمَّا الزَّمَانُ فَأَنْتَ دُرَّةُ عِقْدِهِ ... وَسِنَانُ صَعْدَتِهِ وَبَيْتُ قَصِيدِهِ

والشعر انت احق من يهتز عند سماعه ويميل عند نشيده
فاسلم لملك بل لمجد انت في تأسيسه والله في تأييده

وقال غفر الله له

فضحت جيد الغزال بالجيد ووقته بالدلال والغيد
وكنت اولى من الغصون بما يعزى لاعطافها من الميد
لست اطيع العذول فيك على غيّ لديه ولا على رشد
ما انت ممن يدى على كبد اتلفتها بل يدى على كبدى
يا ساقيا مهجتي كؤس هوى وسائقا مقلتي الى السهد
ومودعي صبوة اوائلها يقصر عنها اواخر العهد
عندي من الوجد ما به اجلى يفنى ولم ابده الى احد
قد نضجت مهجتي هوى فاذا قالت قد للغرام قال قد
وجدت منك القلا بلا طلب فكم طلبت اللقا فلم اجد
اول عهدي بالحب فيك غدا آخر عهدي بالصبر والجلد
يا شعره قد اعنت ليلى في الطو ل على ناظري فاتئد
وانت يا خد نسبت الى الرّ قة الا على اخي الكمد
وانت يا طرفه السقيم اما ترحم ما قد حكاك من جسدي
يميل قلبي لرشف ريقته من اين للنار نسبة البرد
هل لقتيل الخدود من دية او لطعين العدود من قود
يا من لحظي ما راح منعكسا الا بهجر في الحب مطرد
تالله يا ليلى الطويل لقد قصرت نومي فلم يعد بغد
حسبي وحسب الهوى وحسبك ما يفعله الهجر بي فلا تزد
يا ناسيا عهدي القديم وما غير هواه يمد في خلدي
اين الليالي وانت عندي قد حوالك طرفي وانت طوع يدي
حيث انا دي وانت مبتسم يا عين رودي ويا شفاه ردي
والليوم لي ادمع تسرب في ال خد كورق بكف منتقد

وقال عفا الله عنه

تداركه قبل البين فاليوم عهده ... وجد معه بالدمع فالدمع جهده
له كل يوم في الوداع مواقف ... يذوب لها رخو الجماد وصلده
خليلي من بان المصلى ورنده ... سقي بالحيا بان المصلى ورنده
على مرمت قلبي هناك ظباؤه ... وقد كنت قدما تتقيني اسده
بليت بحظ كلما رمت مقصدا ... يساق به من جانب الدهر ضده
اجيراننا انا وان برح الهوى ... وعز علينا بعد من طال بعده
لنأسوا جراحات الهوى بتعلل ... يشار باطراف الاماني شهده
يلذ بكم سهل الغرام وصعبه ... ويحلو بكم هزل العتاب وجده
تعالوا نعيد الوصل نحن وانتم ... فلا رأي منا عند من دام صده
ولا تفتحوا للعتب بابا فربما ... يعز عليكم بعد ذلك سده
ومنتقم مني وذنبي عنده ... مقالي وهذا الحر قلبي عبده
سكرت باقداح وعيناه خمرها ... وهمت ببستان وخداه ورده
رعى الله ليلا زارني فيه والدجى ... يكتمه لولا تضوع نده
وقد نظمت صدري عناقا وصدره ... عقود الرضى حتى تناثر عقده
فقابلت وجها مجتلى العين بدره ... وقبلت ثغرا مشتهى النفس برده
فلما بدا واشي الصباح بوشيه ... ونيط علينا من يد الجو برده
ترقرق در الدمع من متن لحظه ... فحققت ان السيف فيه فرنده
فما باله من بعد عرف تنكرت ... خلائقه حتى تغير عهده
كذاك رأيت الدهر ان يصف منهل ... تكدر من حوض الحوادث ورده
اقول لقلبي والغرام يقوده ... وسيف التجني والتمني يقده
اذا لم تدم للروح والجسم صحبة ... فاي حبيب دائم لك وده
سأسري وجنح الليل يسطو ظلامه ... واسعى وقلب الشمس يلفح وقده
اروم بعزمي فوق ما دون نيله ... لواء المنايا خافق الظل بنده
وما شرفي الا بنفسي وان يكن ... لقومي فخار طاول النجم مجده

ولو

وَلَوْ كَانَ تَحْصِيلُ الْفَخَارِ بِنِسْبَةٍ ... تَسَاوَى إِذَا حَدُّ الْحُسَامِ وَغِمْدُهُ
وَلَا ذَنْبَ لِي إِلَّا الْكَمَالُ عَلَى الصِّبَا ... فَمَنْ لِي بِعَيْبٍ أَوْ بِشَيْبٍ أَعُدُّهُ

وَقَالَ غَفَرَ اللهُ لَهُ

حُيِّيتَ يَا رَبْعَ الْحِمَى بِزَرُودِ ... مِنْ مُغْرِمٍ دَنِفِ الْحَشَا مَعْمُودِ
يَا نُزْهَتِي الْكُبْرَى وَمَعْهَدَ لَذَّتِي ... وَمَحَلَّ أَهْلِ مَوَدَّتِي وَعُهُودِي
عُوجُوا عَلَيْهِ فَلَسْتُ أَبْرَحُ غُلَّةً ... حَتَّى أُعَفِّرَ فِي ثَرَاهُ خُدُودِي
لَوْ كُنْتُ إِذْ دَعْوَا أَجَابَ لَقُلْتُ يَا ... أَيَّامَ أُنْسِي بِاللِّوَى عُودِي
أَيَّامَ ذَاتُ الْخَالِ لَيْسَ تَخُلُّ فِي ... وَعْدٍ وَذَاتُ الْجِيدِ ذَاتُ الْجُودِ
وَرَشِيقَةُ الْأَعْطَافِ ذَاتُ مُقَبَّلٍ ... يَفْتَرُّ عَنْ عَذْبِ الرُّضَابِ بَرُودِ
نَادَيْتُهَا وَالرَّكْبُ بَيْنَ مُوَدِّعٍ ... تُهْدِي الْجَوَى وَمُوَدِّعٍ مَكْمُودِ
يَا ظَبْيَةَ الْوَعْسَاءِ مَا ضَرَّ الْهَوَى ... لَوْ كُنْتِ مِنْ قَنَصِي وَبَعْضِ صُيُودِي
قَالُوا الشَّبَابُ إِلَى الْغَوَانِي شَافِعٌ ... مَالِي رَجَعْتُ بِشَافِعٍ مَرْدُودِ
قَالُوا الثَّرَاءُ يَزِينُهُ فَاعْمِدْ إِلَى ... ظِلِّ ابْنِ عَبْدِ الظَّاهِرِ الْمَمْدُودِ
فَرَجَتْ أَظْهَرُ هِمَّتِي وَمَحَبَّتِي ... وَمَطِيَّتِي وَمَقَاصِدِي وَقَصِيدِي
وَسَرَيْتُ مُدَّلِجًا إِلَيْهِ وَمُدْلِجًا ... وَالشَّوْقُ يُدْنِي مِنْهُ كُلَّ بَعِيدِ
لَا وَعْرُ أَهْلِ الشَّامِ يُبْعِدُنِي وَلَا ... الرَّمْلُ الْمَدِيدُ وَلَا اتِّسَاعُ الْبِيدِ
حَتَّى أَنَخْتُ بِمَنْ بِهِ اتَّضَحَتْ لَنَا ... طُرُقُ الْهُدَى وَأَدِلَّةُ التَّوْحِيدِ
عَظِّمْ وَمَجِّدْ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّهُ ... أَعْلَى مِنَ التَّعْظِيمِ وَالتَّمْجِيدِ
لَا تَنْقُضِي أَوْصَافُهُ الْحُسْنَى وَلَا ... أَوْصَافُ آبَاءٍ لَهُ وَجُدُودِ
عَشِقَتْهُمُ الْعُلْيَا وَإِلَّا أَنَّهَا ... أَمِنَتْ جِنَايَةَ هَجْرِهِ وَصُدُودِ
رَفَعَتْهُمُ وَأَزَّانَ مَنْظَرُهَا بِهِمْ ... فَهِيَ السَّمَاءُ وَهُمْ بُدُورُ سُعُودِ
أَقْوَالُهُمْ لِلصِّدْقِ وَالْأَفْعَالُ لِلـ ... ـتَّسْدِيدِ وَالْآرَاءُ لِلتَّسْدِيدِ

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِ

مَتَى يَعْطِفُ الْجَانِي وَتُقْضَى وُعُودُهُ ... فَقَدْ طَالَ مِنْهُ هَجْرُهُ وَصُدُودُهُ
أَشَدُّ نِفَارًا مِنْ مَنَامِي عِطْفُهُ ... وَأَكْذَبُ مِنْ طَيْفِ الْخَيَالِ وُعُودُهُ

هِلَالٌ بَعِيدُ النَّيْلِ مَنْ زَارَ رَوْمَهُ ... وَمَرْعَاهُ خِصْبُ الرَّوْضِ مَنْ زَارَ رُودَهُ

لَيْلٌ سُيُوفُ اللَّحْظِ مِنْهُ فَبَيْضُهُ ... إِذَا رَامَ فَتْكًا فِي الْمُحِبِّينَ سُودُهُ

إِذَا أَسَرَتْ صَبًّا سَلَاسِلُ شَعْرِهِ ... فَذَاكَ الَّذِي مَا إِنْ تَفُكُّ قُيُودُهُ

يَسُوقُ إِلَى قَلْبِي الْقَضَا وَيَقُودُهُ ... وَيَطْرُدُ عَنْ جَفْنِي الْكَرَى وَيَذُودُهُ

يُرِينِي قَضِيبُ الْبَانِ مِنْهُ تَهَوُّضَهُ ... وَيَحْكِي كَثِيبُ الرَّمْلِ مِنْهُ قُعُودُهُ

وَإِنْ جِئْتُ أَبْغِي وَصْلَهُ زَادَ صَدُّهُ ... كَأَنِّي مِنْ هَجْرِ انْبِرَاهُ أَسْتَزِيدُهُ

كَأَنَّا قَسَمْنَا نِصْفَ شَعْبَانَ بَيْنَنَا ... عَلَى حُكْمِ مَا يَرْضَى الْهَوَى وَيُرِيدُ

حَلَاوَتُهُ فِي ثَغْرِهِ وَكَلَامِهِ ... وَنِيرَانُهُ فِي مُهْجَتِي وَوَقِيدُهُ

وَقَالَ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ

وَصَالُكَ أَنْهَى مَطْلَبِي وَمُرَادِي ... وَحُسْنُكَ أَبْهَى مَرْتَعِي وَمَرَادِي

وَدُونَكَ لَوْ وَافَيْتَ رَبْعَكَ زَائِرًا ... خِطَابُ جِدَالٍ فِي خُطُوبِ جِلَادِ

حَبِيبِي لَقَدْ رَوَّيْتَ عَيْنِي بِدَمْعِهَا ... وَغَادَرْتَ قَلْبِي لِلتَّصَبُّرِ صَادِي

وَنَقَّصْتَ مِنْ حَظِّي كَمَا زِدْتَ فِي الْهَوَى ... صُدُودِي يَا كُلَّ الْمُنَا وَبِعَادِي

فَوَاللَّهِ لَمْ أُطْلِقْ لِغَيْرِكَ مُهْجَتِي ... غَرَامًا وَلَمْ أَمْنَحْ سِوَاكَ وِدَادِي

بِعَيْشِكَ نَبِّهْ نَاظِرَيْكَ لَعَلَّهَا ... تَرُدُّ عَلَى طَرْفِي لَذِيذَ رُقَادِي

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو فِي الْغَرَامِ مُحَبًّا ... بِقَلْبِي فَلَا تَلْقَاهُ عَيْنِي بِبَادِ

أُحَاذِرُ طُولًا مِنْ ذُؤَابَةِ شَعْرِهِ ... فَقَدْ وَصَلَتْ مِنْ قَدِّهِ لِفُؤَادِي

وَقَالَ سَامَحَهُ اللَّهُ تَعَالَى

كَيْفَ خَلَاصِي مِنَ الَّذِي أَجِدُ ... قَدْ أَعْوَزَ الصَّبْرُ عَنْهُ وَالْجَلَدُ

مَا قُلْتُ يَوْمًا قَدِ انْقَضَى عَدَدُهُ ... مِنَ الْأَعَادِي إِلَّا أَتَى عَدَدُ

قَدْ عَرَفُوا مَنْ أَنَا وَعَاقَبَهُمْ ... عَنْ أَعْتَرَافٍ بِفَضْلِيَ الْحَسَدُ

مَا بَلَغُوا مَا حَوَيْتُ مِنْ أَدَبٍ ... فَبَالَغُوا فِي أَذَايَ وَاجْتَهَدُوا

وَزَوَّرُوا قَوْلَهُمْ وَمَا صَدَقُوا ... فِي نَقْلِ شَيْءٍ ضُرِّيَ بِهِ قَصَدُوا

حَاشَا لِمِثْلِ الْأَمِيرِ يَسْمَعُ مَا ... قَالُوهُ عَنِّي وَمَا بِهِ شَهِدُوا

مَا لِي إِلَّا بَيْتِي أُقِيمُ بِهِ ... فَلَا يَرَانِي مِنْ بَعْدِهَا أَحَدُ

وَالْأَرْضُ إِلَّا دِمَشْقَ لِي وَطَنٌ ... وَالنَّاسُ إِلَّا الْأَمِيرَ لِي سَنَدُ

وَقَالَ عَفَا اللهُ عَنْهُ

دَمْعٌ تَنَاثَرَ عِقْدُهُ ... وَهَوًى تَحَكَّمَ عَقْدُهُ
يَا لَلْهَوَى مِنْ مُعْرِضٍ ... يَصِلُ التَّعَتُّبَ صَدُّهُ
ثَغْرٌ يُبَاحُ شَهِيدُهُ ... فَعَلَى مَ يُحْمَى شُهْدُهُ
لَمْ يَكْسُنِي بُرْدَ الضَّنَا ... وَأَبِيكَ إِلَّا بَرْدُهُ

وَقَالَ غَفَرَ اللهُ لَهُ وَرَحِمَهُ بِرَحْمَتِهِ الْوَاسِعَةِ

أَلِينُ فَيَقْسُو ثُمَّ أَرْضَى فَيَحْقِدُ ... وَأَشْكُو فَلَا يُشْكِي وَأَدْنُو فَيُبْعِدُ
يَهُزُّ قَوَامًا نَاضِرًا وَهُوَ ذَابِلٌ ... إِذَا مَا تَثَنَّى فَهُوَ فِي الْحُسْنِ مُفْرَدُ
يَقُولُ لِيَ الْوَاشِي تَعَدَّ عَنِ الَّذِي ... تَبِيتُ بِهِ مُضْنَى الْفُؤَادِ وَيَرْقُدُ
وَدَعْ عَنْكَ ذِكْرَى مَنْ غَدَا لَكَ نَاسِيًا ... مَلُولًا فَكَمْ فِي الْعَالَمِينَ مُحَمَّدُ
فَقُلْتُ اتَّئِدْ يَا عَاذِلِي لَيْسَ فِي الْوَرَى ... يُرَى مِثْلُ مَنْ قَدْ هِمْتُ فِيهِ وَيُوجَدُ
فَمَا كُلُّ زَهْرٍ يُنْبِتُ الرَّوْضُ طَيِّبٌ ... وَلَا كُلُّ كُحْلٍ لِلنَّوَاظِرِ إِثْمِدُ

وَقَالَ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ

وَمَا فِيهِ مِنْ حُسْنٍ سِوَى أَنَّ طَرْفَهُ ... لِكُلِّ فُؤَادٍ فِي الْبَرِيَّةِ صَائِدُ
وَأَنَّ مُحَيَّاهُ إِذَا قَابَلَ الدُّجَى ... أَنَارَ بِهِ جُنْحٌ مِنَ اللَّيْلِ رَاكِدُ
وَأَنَّ ثَنَايَاهُ نُجُومٌ لِبَدْرِهِ ... وَهُنَّ لِعِقْدِ الْحُسْنِ فِيهِ فَرَائِدُ
فَكَمْ يَتَجَافَى خَصْرُهُ وَهُوَ نَاحِلٌ ... وَكَمْ يَتَحَالَى رِيقُهُ وَهُوَ بَارِدُ
وَكَمْ يَدَّعِي صَوْنًا وَهَذِي جُفُونُهُ ... بِفَتْرَتِهَا لِلْعَاشِقِينَ تُوَاعِدُ

وَقَالَ غَفَرَ اللهُ لَهُ

أَيُّهَا الْمُودِعُ قَلْبِي ... نَارَ وَجْدٍ تَتَوَقَّدْ
كَيْفَ تَسْتَأْهِلُ نَارًا ... مُهْجَةٌ تَهْوَى مُحَمَّدْ
نَجْمُ حُسْنٍ لِفُؤَادِي ... فِيهِ وَجْدٌ يَتَجَدَّدْ
نَوْءُهُ بِالطَّرْفِ وَالنَّارُ بِقَلْبِي لَيْسَ تَخْمُدْ

وَقَالَ عَفَا اللهُ عَنْهُ

لَهُ مِنِّي ٱلْمَحَبَّةُ وَٱلْوِدَادُ وَلِي مِنْهُ ٱلْقَطِيعَةُ وَٱلْبِعَادُ
فَقَلْبِي لَا يُلَايِمُهُ ٱصْطِبَارٌ وَجَفْنِي لَا يُفَارِقُهُ ٱلسُّهَادُ
كَلِفْتُ بِحُبِّهِ صُوفِيَّ وَصْلٍ فَمَا ضِيهِ إِلَيْهِ لَا يُعَادُ

وقال رحمة الله عليه

سُيُوفُ مَوَاضٍ مُرْهَفَاتٌ قَوَاطِعُ قَوَاضٍ يَرُوحُ ٱلْمَوْتُ فِيهَا وَيَغْتَدِي
إِذَا جُرِّدَتْ فِي ٱلْحَرْبِ صِلْنَ كَأَنَّهَا عُيُونُ عَلِيٍّ فِي فُؤَادِ مُحَمَّدِ

فى مليح يلوح فى وجهه حب الشبا

قَالُوا حَبِيبُكَ فِيهِ حَتَّى يَلُوحُ بِخَدِّ
فَقُلْتُ مَا هُوَ حَبٌّ لَكِنَّهُ زُرُّ وَرْدِ

وقال فى من يأكل الحشيشة

مَا لِلْحَشِيشَةِ فَضْلٌ عِنْدَ آكِلِهَا لَكِنَّهُ غَيْرُ مَصْرُوفٍ إِلَى رَشَدِهْ
صَفْرَاءُ فِي وَجْهِهِ خَضْرَاءُ فِي فَمِهِ حَمْرَاءُ فِي عَيْنِهِ سَوْدَاءُ فِي كَبِدِهْ

وقال فى انسان سافر الى مصر

وَأَطْوَلُ شَوْقَاهُ إِلَى غَائِبٍ غَيَّبَ عَنْ جَفْنِيَ طُولَ ٱلرُّقَادْ
فِي مِصْرَ عَهْدِي أَنَّهُ سَاكِنٌ فَكَيْفَ مِنْ قَلْبِيَ حَلَّ ٱلسَّوَادْ

وقال أيضا من ابيات

فَكَمْ جَمَعَ ٱلْحُسْنَ ٱلنَّفِيسَ مِنَ ٱلْعُلَى وَكَمْ فَرَّقَ ٱلْجَيْشَ ٱلْخَمِيسَ مِنَ ٱلْعِدَا
وَكَمْ قَدْ نَضَى سَيْفًا بِكَفٍّ كَرِيمَةٍ فَأَحْسَنَ وَضْعَ ٱلسَّيْفِ فِي مَوْضِعِ ٱلنَّدَى

وقال من ابيات

أَهْدَى لَنَا بِنَفْسَجًا مَنْشُورَهْ يَزْهُو قُنَا مِنْ كَفِّهِ ٱلْغَضِّ ٱلنَّدِي
كَأَنَّهَا فِي كَفِّهِ مَدَامِعٌ مِنْ أَعْيُنٍ قَدْ مُلِئَتْ بِاثْمِدِ

وقال فيه ايضا رحمه الله

بِنَفْسَجٍ جَاءَتْ وَحَيَّتْ بِهِ مَنْ قَدْ هَا يَحْكِي ٱلْقَنَا ٱلْأَمْلَدَا
كَأَنَّهُ فِي كَفِّهَا مَدَامِعٌ مِنْ أَعْيُنٍ قَدْ مُلِئَتْ إِثْمِدَا

قافية الذال المعجمة ٥

وقال غفر الله ذنوبه

لي فؤادٌ وفؤادٌ يرتجي ... طيبَ وصلٍ منكمُ بالهجرِ لا ذا
فاعجبوا بالله من أمرهما ... شابَ هذاكَ وما أدرك هذا

وقال غفر الله له من قافية الذال

وذي قامةٍ كالرمحِ تُقِّفَ قدُّهُ ... لهُ ناظرٌ كالسيفِ أحكمَ شحذُهُ
تفرّدتُ حبًّا منذ تفرّدَ في الهوى ... جمالاً كلانا واحدُ الدهرِ فذُّهُ

قافية الراء

من قصيدة

وتغيّرَ الجسمانِ جسمُكَ والحِجى ... لا أنتَ أنتَ ولا الديارُ ديارُ
وغدوتَ يسعدُكَ الحمامُ وكيفَ لا ... وحشاكَ وهي كلاهما أطيارُ
وعجبتُ منكَ بكلِّ وادٍ هائمٌ ... فيهم وما من شأنكَ الأشعارُ
تضعُ الخدودَ على مواضعَ قدسقتها العينُ وهي جميعُها آثارُ
ويرقُّ جنحُ الليلِ منكَ على فتىً ... في إثرها يقسو عليكَ نهارُ
إن غبتَ وجدًا عن أذى هذا وذا ... تدري بريقةَ ذا فما هو عارُ
ما فيكَ بعدهمُ لصحوٍ فضلةٌ ... هيهاتَ أفنى صحوكَ الإسكارُ
ما زلتَ تلغي ما تقولُ عواذلٌ ... حتى استوى الإقلالُ والإكثارُ

وقال غفر الله له

رشيقُ القامةِ النضرهْ ... لقد أصميتَ بالنظرهْ
وقد سوّدتَ حظّي منـ ... ـكَ يا أبهى الورى غرّهْ
سوادُ الخالِ والمقلـ ... ـةِ والعارضِ والطرّهْ
قديرُ الهجرِ من لفتى ... قديرٍ في الهوى هجرهْ
فكم تلقاهُ بالإبعـ ... ـادِ والإبعادِ والنفرهْ
وكم يشكو ولا تطرَ ... حُ في قفيتهِ كسرهْ
رأينا منكَ جنيَ وجفـ ... ـا ولكن زدتَ في كرّهْ
فهل تمنحُ أو تسمـ ... ـحُ بالوصلِ ولو مرّهْ

فَقَدْ أَصْبَحْتُ لَا أَمْلِكُ مِنْ صَبْرِي وَلَا ذَرَّهْ
وَقَدْ صَيَّرَ فِي هَجْرِ كَ فِي كِسِّ أُخْتِ مَا أَكْرَهْ
عَذِيرِي فِيهِ مِنْ قَمَرٍ يُرِيكَ بِخَدِّهِ الزُّهْرَهْ
إِذَا قَارَنَ بِالْأَكْوُ سِ إِذْ يَمْزُجُهَا ثَغْرَهْ
أَرَاكَ الذَّهَبَ الْمِصْرِ يَّ فَوْقَ الْفِضَّةِ النُّقْرَهْ

وقال غفر الله له

خُذْ مِنْ حَدِيثِي مَا يُغْنِيكَ عَنْ نَظَرِي فَإِنَّهُ سَمَرٌ نَا هِيكَ مِنْ سَمَرِ
كَمْ مِنْ أَبٍ قَدْ غَدَا أُمًّا لِمَعْشَرِهِ فَأَعْجَبْ لِإِعْطَاءِ أُمٍّ وَهُوَ مِنْ ذَكَرِ
وَنَاطِحٍ بَقَرُونٍ لَا قُرُونَ لَهُ وَكَبْشِ قَوْمٍ بِنَقْلِ الْعِلْمِ مُشْتَهِرِ
وَرُبَّ حَامِلِ وِزْرٍ غَيْرِ مُجْتَرِمٍ وَلَا بِطٍ وَهُوَ عِفُّ الذَّيْلِ وَالنَّظَرِ
يَدُبُّ لِلْفَرْجِ أَحْيَانًا وَآوِنَةً مِنَ التَّخَلُّفِ يَأْتِي الْمَرْدَ فِي الدُّبُرِ
وَضَارِبٍ لِي أَهْوَاهُ وَأُكْرِمُهُ أَرَاهُ يَحْضُرُ عِنْدِي وَهُوَ فِي النَّفَرِ
وَكَمْ بِلَيْدٍ يُظَنُّ الْغَيْبَ حَدَّثَنَا وَذِي ذَكَاءٍ رَأَيْنَاهُ مِنَ الْحُمُرِ
وَكَمْ بَدَا عَاقِلٌ يَوْمًا وَلَيْسَ لَهُ فِكْرٌ وَلَيْسَ بِمَنْسُوبٍ إِلَى الْبَشَرِ
وَكَمْ نَظَرْتُ لِوَجْهٍ لَيْسَ فِي بَدَنٍ وَكَمْ سَمِعْتُ بِصَخْرٍ لَيْسَ مِنْ حَجَرِ
وَرُبَّ نَاظِمِ أَشْعَارٍ وَلَيْسَ لَهُ شِعْرٌ فَهَلْ مِثْلُ هَذَا سَارَ فِي السِّيَرِ
وَمُمْسِكٍ بِيَدَيْهِ النَّجْمَ يَقْلَعُهُ وَلَيْسَ لِلْمَرْءِ نَيْلُ الْأَنْجُمِ الزُّهْرِ
وَلَابِسٍ وَهُوَ عَارٍ لَا رِدَاءَ لَهُ كَسَوْتُهُ أَطْلَسًا مِنْ أَخْشَنِ الشَّعَرِ
وَعَابِدِينَ مِنَ الْمِحْرَابِ قَدْ هَرَبُوا تَرَى الْمَسِيحَ يُوَافِيهِمْ عَلَى قَدَرِ
وَمُدْبِرِينَ وَمَا وَلَّوْا وَلَا اجْتَرَمُوا وَيُنْسَبُونَ بِلَا شَكٍّ إِلَى دَبَرِ
وَصَالِحِينَ رَأَيْتُ الْخَمْرَ عِنْدَهُمُ قَدْ حَلَّلُوهُ بِلَا خَوْفٍ وَلَا حَذَرِ
وَسَالِحِينَ وَمَا زَالَتْ طَهَارَتُهُمْ وَآمِنِينَ وَقَدْ أَمْسَوْا ذَوِي خَطَرِ
وَنَازِلِينَ بِأَرْضٍ قَدْ أَصَابَهُمُ غَيْمٌ بِلَا بَلَلٍ وَالْقَوْمُ فِي مَطَرِ
وَتَابِعِينَ إِمَامًا وَهُوَ مِنْ خَشَبٍ وَقَدْ يُوَنَّثُ فِي وَصْفٍ وَفِي خَبَرِ
عَجَائِبٌ مَا لَهَا حَدٌّ فَقُلْ وَأَطِلْ إِنْ شِئْتَ أَوْ فَاقْتَصِدْ فِي الْقَوْلِ وَاقْتَصِرِ

قوله امّا فى سيّد الناطح كما قرئ من الجمل يقرون اى بصوت قرون وكبش القوم والوزر الثقل ولا بط اى مطين الحائط يدب للفرج الثلم فى الحائط اى فى الدبر اى فى الخلف ليستحم على العادة والضارب الشارب والغيب الشارب والذكاء السن من العمر والعاقل جبل والوجه الجهة وشعر اى علم الحسن وغيره ولابس عالم الثياب من قولهم لبست عليهم امرهم والاطلس ما لا يلبسون والاخشن المتعول الخلق والدبر العرق فى الكعب والسبج والمسبح هو والمدبر من ضد مدبر وهو ناقل حديث الزبل يعلفونه الدبر فيخرج بالبعر فيلقطونه

كَأَنَّهَا لِابْنِ يَعْقُوبٍ صِفَاتٌ عُلَا ... لِذَاكَ إِحْصَاؤُهَا أَعْيَا عَلَى الْبَشَرِ

وقال عفى عنه

جَيْشُ الْمَلَاحَةِ مَقْرُونٌ بِهِ الظَّفَرُ ... فَأَيُّ قَلْبِ مُحِبٍّ مِنْهُ يُنْتَصَرُ

فَاذْهَبْ إِذَا مَا أَرَاكَ الْحُسْنُ بَارِقَةً ... فَإِنَّ دَمْعَكَ إِنْ تَسْتَسْقِهَا الْمَطَرُ

وَنَارِ طِبِّيَ النَّقَا إِنْ عَنَّ مُلْتَفِتًا ... يَا نُزْهَةَ الْعَيْنِ لَوْلَا الدَّمْعُ وَالسَّهَرُ

إِنِّي أَبُثُّكَ مِنْ شَرْحِ الْهَوَى طَرَفًا ... فَبَعْضُ يَسِيرِهِ عِنْدِي لَهُ سِيَرُ

سَهْلٌ وُقُوعُ الْفَتَى لَكِنْ تَخَلُّصُهُ ... صَعْبُ الْمَرَامِ بِظَبْيٍ سِنُّهُ غِيَرُ

حَتَّى إِذَا لَمْ يَفُزْ بِالصَّبْرِ حَامِلُهُ ... رَامَ السُّلُوَّ وَقَدْ لَا يُسْعِدُ الْقَدَرُ

فَإِنْ يَفُتْهُ يَمُتْ وَجْدًا وَإِنْ ظَفِرَتْ ... بِهِ يَدَاهُ بَقِيَّ عِنْدَهُ أَثَرُ

إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ أَنْهَى النَّاسَ عَنْ كَلَفٍ ... فَإِنَّ لِي فِي الْهَوَى شَأْنًا لَهُ خَبَرُ

وَنَاظِرَاتٌ فِي تَسْهِيدِ قَلْقَا ... أَلُومُهُ ثُمَّ أَسْتَحْيِي فَأَعْتَذِرُ

يَا حَبَّذَا مَعْهَدُ الْحُسْنِ مَا دَرَسَتْ ... رُسُومُهُ وَسَقَاهُ الدَّلُّ وَالْخَفَرُ

فَالْقَدُّ فَالْجِيدُ فَالْخَدُّ الْمُوَرَّدُ فَالْـ ... أَصْدَاغُ فَالثَّغْرُ فَالْأَجْفَانُ فَالْحَوَرُ

مَنَازِلٌ مَا سَرَتْ فِي حَيِّهَا مُهَجٌ ... إِلَّا وَأَوْقَفَهَا فِي حُبِّهِ الْفِكَرُ

وَاهَيْفَ كُلِّ قَلْبٍ فِي مَحَبَّتِهِ ... عَانٍ وَكُلِّ دَمٍ فِي حُبِّهِ هَدَرُ

لَوْلَا النُّهَى وَظُنُونُ الْكَاشِحِينَ بِنَا ... لَكَانَ وِرْدُ الْهَوَى مَا عَنْهُ لِي صَدَرُ

لِي هِمَّةٌ فِي الْعُلَى لَا طَالَ لِي عُمُرٌ ... إِنْ كَانَ فِي سَاعِدَيْ عَنْ نَيْلِهَا قِصَرُ

قَالُوا الشَّبِيبَةُ عَنْ دَعْوَاهُ تَزْجُرُهُ ... لَقَدْ صَدَقْتُمْ وَلَكِنْ لَيْسَ يَزْدَجِرُ

إِنَّ الَّذِي لَمْ يَزَلْ فِي عَزْمِهِ كِبَرٌ ... مَا ضَرَّهُ إِنْ يَكُنْ فِي عُمْرِهِ قِصَرُ

لِي بِالْأَمِيرِ أَدَامَ اللَّهُ رِفْعَتَهُ ... عِزٌّ مَنِيفٌ بِهِ أَسْطُو وَأَقْتَدِرُ

وقال سامحه الله تعالى

كَيْفَ يَذُوقُ عَاشِقٌ ... حَلَاوَةً فِي صَبْرِهِ

فَأَعْجَبُ لِنَوْرِ زَهْرِهِ ... وَأَعْجَبُ لِنَوْرِ زَهْرِهِ

يَا عَاشِقُونَ حَاذِرُوا ... مِنْ غَدْرِهِ وَمَكْرِهِ

وَطَرْفُهُ السَّاحِرُ مُذْ ... شَكَكْتُمْ فِي أَمْرِهِ

يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ

وقال غفر الله له

رَأَى الْحُسْنَ فِي الْعُشَّاقِ مُمْتَثِلَ الْأَمْرِ ... فَجَارَ وَنَابَتْ عَنْهُ عَنَّاهُ فِي الْغَدْرِ
وَقَالَ خُذِ الْهَجْرَ الْمُبَرِّحَ بِالْحَشَى ... فَقُلْتُ خُذِ الصَّبْرَ الْمُبَرِّحَ بِالْهَجْرِ
وَلِي فِيكَ بَيْنَ الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ مَشْهَدٌ ... يُرِينِي صَدُوقَ الْجَهْرِ فِي كَذِبِ السِّرِّ
أُمَثِّلُ مَا اخْتَارَ مِنْكَ بِخَاطِرِي ... فَيُمْحِي وَصْلًا وَإِنْ كُنْتُ لَا أَدْرِي
أَحَبَّانَا بِنْتُمْ وَخَلَّفْتُمُ الْهَوَى ... يُمَلِّكُ حُرَّ الشَّوْقِ مِنَّا حَشَى الْحُرِّ
هَلُمَّ إِلَى الْعَهْدِ الْقَدِيمِ نُجَدِّهُ ... وَنَنْشُرْ بِهِ مَيْتَ الْهَوَى طَيِّبَ النَّشْرِ
فَنَحْنُ قَبِلْنَاكُمْ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ ... أَحِبَّاءَ لَا نَسْلُوكُمُ آخِرَ الدَّهْرِ
وَنَحْنُ فَعَلْنَا مَا يَلِيقُ مِنَ الْوَفَا ... فَلَا تَفْعَلُوا مَا لَا يَلِيقُ مِنَ الْغَدْرِ
أُسَائِلُكُمْ هَلْ رَوَّضَ الشِّعْبَ بَعْدَنَا ... وَهَلْ سَحَّ فِي سَاحَاتِهِ وَابِلُ الْقَطْرِ
كَوَاكِبُ قَالَ النَّاسُ هُنَّ كَوَاعِبٌ ... تَقَلَّدْنَ بِالْأَحْدَاقِ مِنَّا وَبِالدُّرِّ
نَحَرْنَ جُفُونِي بِاللُّمُوعِ وَإِنَّمَا ... سَلَبْنَ عُقُودَ الدُّرِّ مِنْ ذَلِكَ النَّحْرِ
رَعَى اللهُ نَفْسًا كُمْ أَكَلَّفَهَا الْهَوَى ... وَأَجْنِي بِهَا حُلْوَ الْأُمُورِ مِنَ الْمُرِّ
وَأَلْقَى صُرُوفَ الدَّهْرِ مُسْتَقْبِلًا بِهَا ... فَلَسْتَ تَرَى تَأْثِيرَهَا فِي سَوَادِ صَدْرِي
وَقَدْ شَابَ فَوْدِي قَبْلَ أَنْ يَنْقَضِي لَهَا ... سِوَى الْخَمْسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ مُدَّةِ الْعُمْرِ
أُحِبُّ وُرُودَ الْمَاءِ يُحْرَسُ بِالظُّبَى ... وَأَهْوَى أَزْدِيَارَ الْحَيِّ يُمْنَعُ بِالسُّمْرِ
وَلِي بِابْنِ عَبْدِ الظَّاهِرِ الْهِمَّةُ الَّتِي ... أَجَادَ بِهَا حَظِّي وَأَعْلَى بِهَا قَدْرِي
هُوَ الْبَرُّ إِلَّا أَنَّهُ إِنْ قَصَدْتَهُ ... تَيَقَّنْتَ أَنَّ الْبَحْرَ مِنْ ذَلِكَ الْبَرِّ
يُقَاسِمُنِي قَلْبِي إِلَيْهِ أَشْتِيَاقُهُ ... فَيَرْبَحُ شَطْرَ الشَّوْقِ مِنْهُ عَلَى الشَّطْرِ

وقال غفر الله له

مَنْ لِي بِهِ كَالْبَدْرِ فِي إِسْفَارِهِ ... نَفَرَ الْمُحِبُّ عَنِ الْكَرَى بِنِفَارِهِ
قَدْ كُنْتُ أَرْجُو جَنَّةً بِمُحَمَّدٍ ... وَالْيَوْمَ أَخْشَى فِي الْهَوَى مِنْ نَارِهِ
يَا نَجْمُ بَلْ يَا بَدْرُ بَلْ يَا شَمْسُ بَلْ ... كُلٌّ أَرَاهُ يَلُوحُ مِنْ أَزْرَارِهِ
مَا فِي صُدُودِكَ رَاحَةٌ لِمُتَيَّمٍ ... إِلَّا أَحْتِمَالُكَ عَنْهُ مِنْ أَوْزَارِهِ

فارفق به واحذر رقيبك أهله ... في الحب أن يتطلبوك بثاره
وافا هواك فلم يزل عن قلبه ... جلد وزال الصون عن أسراره
هيهات يطمع في لقاك ودونه ... خطر القنا الميادي من خطاره
حاشاه يا أمل النفوس بأن يرى ... متعديا في الحب عن مقداره

وقال عفا الله عنه

جادت عليك من السحاب سواري ... بمدامع تروي حماك غزاري
يا مربع الأطراب والأتراب بل ... يا مربع الأنواء والأنوار
ربع قطعت به الليالي واصلا ... خمر اللذاذة والهوى بخمار
حتى كأني للخلاعة آخذ ... بيد الصبا من صرفهن بثار
حيث التغزل لا التعزل شيمتي ... ووصال ربات الشعور شعاري
إذ لا يعود إلى الديار مسائلا ... شعري ولا أشكو فراق قفار
وإذا جنحت إلى الحسان تعشقا ... شغفت شبيبتي الهوى بيساري
ولت فليس سوى الشباب مصاحبي ... منها وليس سوى الرجاء بجاري
وكلاهما عندي تعلة راقد ... مترقب طيف الخيال الساري
ولقد أقول لصاحبي برملة ال ... جرعاء ما بين النقا والغار
حيث النياق بنا تسير ونحن في ... قلب الدجى أخفى من الأسرار
لا تخدعنك كالمعاطف إنها ... نار القلوب وجنة الأبصار

وقال رحمة الله عليه

يا راقدا لم يدر عمر الدجى ... درى وحاشاك به الساهر
غبت فلا والله لم يبق لي ... قلب ولا سمع ولا ناظر
يا زهرة الآداب من لطفه ... وجدي فيك المثل السائر
رفقا بعان فيك طاو على ال ... جمر حشا فيها الجوى ناشر
هل عاذر في الحب لي عاذل ... أو جابر ناظره الجائر
الله في قتلي ظلما أما ... آمنت أن يظهر لي ثائر
يا طرفه الحامي حمى خده ... بهجتي ذا الحارس الساحر

إِنْ قِيلَ مَظْفُورًا غَدَا شَعْرُهُ ... فَهُوَ بِقَتْلِي فِي الْهَوَى ظَافِرُ

وَقَالَ غَفَرَ اللهُ لَهُ

أَهْلًا بِوَجْهِكَ لَا مُحِبْتَ عَنْ نَظَرِي ... يَا فِتْنَةَ الْقَلْبِ أَوْ يَا فِتْنَةَ الْبَصَرِ

أَهْنَى الْمَحَبَّةِ أَنْ تَرْضَى بِلَا عَتَبٍ ... وَأَطْيَبُ الْعَيْشِ أَنْ يَصْفُو بِلَا كَدَرِ

وَقَالَ سَامَحَهُ اللهُ تَعَالَى

أَيُّهَا الْهَاجِرُ حَدِّثْنِي مَا أَوْجَبَ هَجْرَكْ
مَا الَّذِي لَوْ وَجَدْتَ بِالْـ ... ـوَصْلِ جَبْرِي كَانَ ضَرَّكْ
أَيُّهَا الصَّابِرُ عَنِّي لَيْتَنِي أَعْطَيْتُ صَبْرَكْ
أَيُّهَا الْجَاهِلُ قَدْرِي أَنَا لَا أَجْهَلُ قَدْرَكْ
أَيُّهَا الشَّاغِلُ أَسْـ ... ـرَارِي مَا أَفْرَغَ سِرَّكْ
يَا مُحَيَّاهُ أَنَا ... رَاللهُ فِي الْعَالَمِ بَدْرَكْ
قَدْ يُبِيحُ النَّاسُ مِنْكَ خَيْرًا فَكَفَانَا اللهُ شَرَّكْ

وَقَالَ غَفَرَ اللهُ لَهُ

خُذُوا خَبَرًا مِنْ نَظْمِ دَمْعِي وَنَثْرِهِ ... عَنِ الْحُبِّ يُنْبِيكُمْ بِغَامِضِ سِرِّهِ
وَلَا تَسْأَلُوا عَمَّنْ هَوَيْتُ فَإِنَّنِي ... أَغَارُ عَلَيْهِ أَنْ أَبُوحَ بِذِكْرِهِ
وَإِنْ رُمْتُمُ وَصْفِي بَدِيعَ جَمَالِهِ ... فَأَيْسَرُ مَا فِيهِ الْجَمَالُ بِأَسْرِهِ
مَلِيحٌ جَلَا لِي ضَوْءُ بَدْرٍ جَلَالُهُ ... وَلَكِنْ أَرَانِي يَوْمَ بَدْرٍ بِهَجْرِهِ
أَمِيرُ جَمَالٍ مَا انْتَضَى سَيْفَ نَاظِرٍ ... عَلَى عَاشِقٍ إِلَّا وَقَامَ بِنَصْرِهِ
وَقَدْ كَانَ عَهْدِي الدُّرَّ فِي الْبَحْرِ قَلَّمَا ... رَأَيْتُ رُضَابًا مِنْهُ يَجْرِي بِدُرِّهِ

وَقَالَ عَفَا اللهُ عَنْهُ

لَا أَسْهَرَ اللهُ طَرْفًا نَامَ عَنْ سَهَرِي ... وَعَذَّبَ الْقَلْبَ بِالْأَشْجَانِ وَالْفِكَرِ
وَلَا سَقَى دَارَهُ يَوْمًا إِذَا سُقِيَتْ ... دَارِي بِدَمْعِي إِلَّا وَابِلُ الْمَطَرِ
يَا قَوْمُ قَدْ شَغَفَنِي وَجْدِي بِبَدْرٍ دُجًى ... عَلَى قَضِيبِ أَرَاكٍ نَاعِمِ نَضِرِ
ظَبْيٌ مِنَ الْإِنْسِ لَوْلَا سِحْرُ مُقْلَتِهِ ... مَا بِتُّ فِيهِ بِلَيْلٍ غَيْرِ ذِي سَحَرِ
فِي حَاجِبَيْهِ وَعَيْنَيْهِ وَمَنْطِقِهِ ... شِبْهٌ مِنَ الْقِسِيِّ وَالْأَسْهَامِ وَالْوَتَرِ

رَوْضُ الْجَمَالِ وَأُفْقُ الْحُسْنِ فَهْوَ لَذَا ... قَدْ رَاحَ يَجْمَعُ بَيْنَ الْغُصْنِ وَالْقَمَرِ

وَقَالَ رحمة الله عليه

أَمَا وَتَمَايُلِ الْغُصْنِ النَّضِيرِ ... وَحُسْنِ تَلَفُّتِ الظَّبْيِ الْغَرِيرِ
وَصُدْغٍ قَدْ حَكَى لَمَّا تَبَدَّا ... خَيَالَ الرَّوْضِ فِي صَفْوِ الْغَدِيرِ
لَقَدْ نَشِطَتْ لَوَاحِظُهُ لِقَتْلِي ... بِعَزْمٍ وَهِيَ تُوصَفُ بِالْفُتُورِ
كَمَا جَهِلَتْ ذَوَائِبُهُ غَرَامِي ... عَلَيْهِ وَهِيَ تُنْسَبُ لِلشُّعُورِ
هِلَالٌ فِي التَّبَاعُدِ وَالتَّدَانِي ... غَزَالٌ فِي التَّلَفُّتِ وَالنُّفُورِ
أُعَايِنُ مِنْ مَحَاسِنِهِ وَدَمْعِي ... طُلُوعَ الشَّمْسِ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ

وَقَالَ غفر الله له

وَحَقِّ هَذِي الْأَعْيُنِ السَّاحِرَهْ ... وَحُسْنِ هَذِي الْوَجْنَةِ الزَّاهِرَهْ
لَوْ وَاصَلَتْنِي فِي الدُّجَى لَرَبِيَتْ ... قَلْبِي مِنْهَا وَهْوَ بِالْهَاجِرَهْ
بِاللهِ خَفِّفْ إِثْمِي يَا قَاتِلِي ... فَالْيَوْمَ دُنْيَا وَغَدًا آخِرَهْ
قَلْبِي مِصْرٌ لَكَ مَا بِالُهُ ... قَدْ ذَابَ مِنْ أَخْلَاقِكَ الْقَاهِرَهْ
خِيلَانُ ذَاكَ الْخَدِّ مِنْ مُقْلَتِي ... فَهِيَ لِذَا فِي حُسْنِهِ حَائِرَهْ

وَقَالَ عفا الله عنه

أَسِيرُ لَحَاظٍ كَيْفَ يَنْجُو مِنَ الْأَسْرِ ... وَعَاشِقُ ثَغْرٍ كَيْفَ يَصْحُو مِنَ السُّكْرِ
وَلَا سِيَّمَا صَبٌّ يَذُوبُ صَبَابَةً ... بِمَا جَلَّ عَنْ حَصْرٍ بِمَا دَقَّ مِنْ خَصْرِ
يُهَدِّدُهُ الْوَاشِي وَيَبْكِي صَبَابَةً ... فَيَغْرَقُ مِنْ نَهْرٍ وَيَغْرَقُ فِي نَهْرِ
تَأَلَّقَ فِي أُفْقِ الْمَلَاحَةِ كَوْكَبًا ... تَأَلَّقَ دُرِّيٌّ وَضَاحَكَ عَنْ دُرِّ
فَفِي كُلِّ جَوٍّ مِنْهُ نَقْعٌ مِنَ الْهَوَى ... وَفِي كُلِّ قُطْرٍ مِنْهُ وَقْعٌ مِنَ الْقَطْرِ

وَقَالَ سامحه الله تعالى

فَرِّقْ بَيْنِي وَبَيْنَ مُصْطَبَرِي ... بِالْجَمْعِ بَيْنَ الْجُفُونِ وَالسَّهَرِ
أَسْمَرُ قَدْ بَاتَ فِي مَحَبَّتِهِ ... وَجْدِي سَمِيرِي وَذِكْرُهُ سَمَرِي
أَقَلُّ مَا فِي جَمَالِ طَلْعَتِهِ ... أَجَلُّ مَا فِي مَحَاسِنِ الْقَمَرِ
مَنْطِقُهُ فِي الْهَوَى وَنَاظِرُهُ ... أَوْفَى بِالْحُوَارِ وَالْحُورِ

كم قلت للقلب منه حين رنا ... إياك من كاسر بمنكسر

وقال في زجاج

قولوا لزجاجكم ذا الذي ... له محيا بالسنا مسفر
إن كنت في الصنعة ذا خبرة ... أو كان معروفك لا ينكر
فما لأحداقك أقداحها ... في صحة من حسنها تكسر

وقال في عطار

يا رب عطار بسكر ثغره ... سكر المحب ولم يفق من سكره
عقد الشراب لذي السقام وكيفما ... عقد الشراب لجفنه من ثغره

وقال عفا الله عنه

لا تنكروا احراقه في الهوى ... قلبي فما في ذاك من عار
قلت له أنت له مالك ... فكان فيه خازن النار

وقال في اشقر

عابوا من المحبوب حمرة شعره ... لما غدوا بدليله لم يشعروا
لا تنكروا ما احمر منه فإنه ... بدماء أرباب الغرام مظفر

وقال في عجانه

كلف الفؤاد بظبية عجانة ... ما كنت يوما آمنا من هجرها
عجنت فؤادي بالغرام فماؤها ... من أدمعي ودقيقها من خصرها

وقال في طباخ

رب طباخ مليح ... فاتر الطرف غرير
مالكي أصبح لكن ... شغلوه بالقدور

وقال في منير

منير وجدي به ... أكتمه ويظهر
وكيف تخفى لوعتي ... وقد غدا ينير

وقال عفا الله عنه

دأحبابنا إني وإن رمت سلوة ... وقام بها من جوركم لي أعذار

لعندي

لِعَهْدِي ٱلْتِفَاتٌ نَحْوَكُمْ وَتَشَوُّقٌ ... إِلَيْكُمْ وَمِنْكُمْ بَعْدُ فِي ٱلْقَلْبِ آثَارُ

وقال رحمه الله عليه

يَا خَالَهُ خُضْرَةٌ بِعَارِضِهِ ... حَرَسَتْهَا عَنْ مُتَيَّمٍ مُغْرَى
فَكُنْ عَنِ ٱلْعَاشِقِينَ مُقْتَصِرًا ... هَلْ أَنْتَ إِلَّا حُوَيْرِسُ ٱلْخُضْرَا

وقال غفر الله له

زَارَ وَجُنْحُ ٱلظَّلَامِ مُنْسَدِلٌ ... فَٱنْشَقَّ ثَوْبُ ٱلدُّجَى عَنِ ٱلْفَجْرِ
وَبِتُّ مِنْ صُدْغِهِ وَمَبْسِمِهِ ... أَجْمَعُ بَيْنَ ٱلْحَشِيشِ وَٱلْخَمْرِ

وقال في مؤذن

وَمُؤَذِّنٍ فِي حُبِّهِ ... أَنَا مُغْرَمٌ لَا أَصْبِرُ
لَمَّا طَلَبْتُ وِصَالَهُ ... أَضْحَى عَلَيَّ يُكَبِّرُ

وقال عفر الله له

قَالُوا غَدًا يَنْدَمُ مَنْ لَثَمَهُ ... فِي ثَغْرِهِ إِذْ يَغْلِبُ ٱلسُّكْرُ
فَقَالَ لِي مَبْسِمُهُ دَعْهُمُ ... ٱلْيَوْمَ خَمْرٌ وَغَدًا أَمْرُ

وقال رحمه الله تعالى

أَنْعِمْ إِلَى سَرِيعًا ... مِنْ غَيْرِ مَطْلٍ وَزُورِ
فَثَمَّ أَمْرٌ مُهِمٌّ ... وَثَمَّ شُغْلٌ ضَرُورِي

وقال عفا الله عنه

يَا بَاعِثًا شَعْرَهُ ٱنْتِشَارًا ... بِقَامَةٍ مَا لَهَا نَظِيرُ
ٱلْمَوْتُ مِنْ نَاظِرَيْكَ لَكِنْ ... مِنْ شَعْرِكَ ٱلْبَعْثُ وَٱلنُّشُورُ

وقال في باطيه

أَنَا لِلْمَحَاسِنِ وَٱلْجَلِيسِ أَنِيسُهُ ... أَزْهَى بِحُسْنٍ نَاضِرٍ لِلنَّاظِرِ
أَصْفُو فَأُظْهِرُ مَا أُجِنُّ وَلَمْ يَكُنْ ... فِي بَاطِنِي شَيْءٌ يُخَالِفُ ظَاهِرِي

وقال فيما كتب في كأس

لَعَمْرُكَ لَمْ أَدُرْ بِٱلشَّرْبِ إِلَّا ... عَلَى كَلَفِي بِتَقْبِيلِ ٱلثُّغُورِ
وَمَنْ نَزَلَتْ بِهِ غُمَّةٌ فَإِنِّي ... أُبَدِّلُهَا سَرِيعًا بِٱلسُّرُورِ

وقال في بساط

بساط يملأ الأحداق نورا ... ويهدي للقلوب به سرورا
ويشرح حين يبسط كل صدر ... وخير البسط ما يرضي الصدورا

وقال سامحه الله

دمعي وقلبي مطلق وأسير ... وعظيم مطلوبي عليك يسير
يا من له في الحسن غرة عزة ... شوقي وحقي في هواك كثير

وقال عفي عنه

أراك فيمتلي قلبي سرورا ... وأخشى أن تشط بنا الديار
فجر واهجر وصد ولا تصلني ... رضيت بأن تجور وأنت جار

قافية السين

قال عفر الله له

قالوا سمعنا في البلاد قضية ... مضمونها أن قد قضى إبليس
فأجبت قد كان الذي خبرتموا ... عنه وخرب ربعه إبليس

وقال عفا الله عنه

أدور لتقبيل الثنايا ولم أزل ... أجود بنفسي للندامى وأنفاسي
وأكسو كف الشرب ثوبا مذهبا ... فمن أجل هذا لقبوني بالكاس

وقال فيما يكتب على جلاس

صفا باطني حسنا كما رق ظاهر ... وصاحبت فتيانا من الناس أكياسا
إذا نهضوا كنت الرفيق لهم وإن ... هموا جلسوا أمسيت في الوسط جلاسا

وقال عفا الله عنه

لما عتبت فلان حين رأيته ... والأير في أحشائه مدسوس
أومى بمبعره وقال بثغره ... من هاهنا يتعوج الفقوس

وقال رحمة الله عليه

أسكرني باللفظ والمقلة الـ ... ـكحلاء والوجنة والكاس
ساق يريني قلبه قسوة ... وكل ساق قلبه قاس

قافية

قافية الضاد

قال رحمة الله عليه

أحيانا أين ذاك العهد قد نقضا ... وأين وصل بنا يا مر الوصال مضى
وأين أيمانكم بالله إنكم ... لا تمزحون بسخط في الغرام رضى
عودوا فقد أوحش الناديّ لغيبتكم ... عنه وأظلم ما قد كان منه أضا
لما رميتم سهام البين عن مللٍ ... صيرتموا كل قلبٍ في الهوى غرضا
أشكو إليكم سقامي من فراقكم ... تالله لا جوهرًا أبقى ولا عرضا
حسبي محافظة أني أموت بكم ... وجدًا ولست أبي عنكم عوضا

وقال سامحه الله

للعاشقين بأحكام الغرام رضى ... فلا تكن يا فتى للعذل معترضا
روحي الفداء لأحبابي وإن نقضوا ... عهد الوفي الذي للعهد ما نقضا
قف واستمع سيرة الصب الذليل تجد ... فمات في حبهم لم يبلغ الغرضا
رأى فحب فسام الوصل فامتنعوا ... فرام صبرًا فأعيى نيله فقضى

قافية الطاء المهملة

قال

يا ذاية في حسنها ارتضى ... أن عذولي دائمًا يسخط
تداركي من مهجتي حاملًا ... حبك من خوف النوى تسقط

قافية العين

قال رحمه الله

ما كنت أندب رامة وطويلعا ... لو كنت يا قمري على طويلعا
يا ساكني نعمان لا اصطنع الهوى ... صبًا يكون بكم هواه تصنعا
قد أزعج القلب الغرام وأعجز الـ ... ـطرف المنام فحق لي أن أجزعا
أضمرتموا هجرًا وأمرضتم حشًى ... مني وأضرمتم بنارٍ أضلعا
ولقد وقفت على حماكم مجدبًا ... فجرى به دمع إلى أن أمرعا
وحفظت عهدكم وضيعتم فلا ... أدعو لأجلكم على من ضيعا

قَالَ الْعَوَاذِلُ إِنَّ مَنْ أَحْبَبْتَهُمْ ... لَمْ يَتْرُكُوا لَكَ فِي وِصَالٍ مَطْمَعَا
أَنَا قَدْ رَضِيتُ بِمَا أَرَتْضُوهُ فَاعْسُو ... أَنْ يَبْلُغَ الْوَاشِي لَدَيَّ إِذَا سَعَى
لَا تُبْدِيَا قَمَرَ الْمَلَاحَةِ بَعْدَ أَنْ ... تَبْدُو السِّرَارَ وَتَخْتَفِي أَنْ تَطْلَعَا
وَلَرُبَّمَا يَا ظَبْيُ تَرْتَاعُ الظُّبَى ... مِثْلَ ارْتِيَاعِكَ ثُمَّ تَأْنَسُ رَتَّعَا
مَا سِحْرُ هَارُوتَ الْمُفَرِّقُ غَيْرَ مَا ... فِي مُقْلَتَيْكَ مِنَ الْفُتُورِ تَجَمَّعَا
أَخْلَيْتَ مَرْبَعَ كُلِّ قَلْبٍ فِي الْهَوَى ... مِنْ صَبْرِهِ وَجَعَلْتَهُ لَكَ مَرْتَعَا
وَهِيَ الْقُلُوبُ الطَّائِرَاتُ فَمَا لَنَا ... أَبَدًا نَرَاهَا فِي حِبَالِكَ وُقَّعَا
مَا صَدَّ عَنِّي فِي الْغَرَامِ فَدَيْتُهُ ... لَمَّا بَذَلْتُ لَهُ دَمِي فَتَمَنَّعَا
لَكِنْ رَأَى قَلْبِي يَزِيدُ بِقُرْبِهِ ... صَدًّا فَأَشْفَقَ إِنْ دَنَا أَنْ يُصْدَعَا
يَا عَاذِلِي دَعْنِي وَعَلِّمْ مُقْلَتِي ... لِتَرَى خَيَالَ مُعَذِّبِي أَنْ تَهْجَعَا
مَنْ كَانَ مَدْمَعُهُ نَجِيعًا فِي الْهَوَى ... هَيْهَاتَ عَذْلُكَ عِنْدَهُ أَنْ يَنْجَعَا
أَمْ كَيْفَ رِيقَتُكَ الَّتِي أَرِقَتْ لَهَا ... عَيْنِي وَمَا رَاقَتْ تُكَفْكِفُ أَدْمُعَا

وقال — غفر الله له

طَرْفٌ تَعَرَّضَ بَعْدَكُمْ لِهُجُوعِ ... لَا زَالَ ذَا شَرَقٍ بِفَيْضِ دُمُوعِ
وَجَوَانِحٌ جَحَدَتْ لِغَيْرِ بِمَا لَكُمْ ... لَا بُشِّرَتْ مِنْ عَوْدِكُمْ بِرُجُوعِ
يَا غَائِبُونَ وَهُمْ بِدُورٌ هَلْ لَكُمْ ... أَنْ تَسْمَحُوا لِطَوِيلِعٍ بِطُلُوعِ
أَوْطَانُهُ لَيْسَتْ بِأَوْطَانٍ إِذَا ... غِبْتُمْ وَلَيْسَ رُبُوعُهُ بِرُبُوعِ
وَإِذَا حَلَلْتُمْ فِي مَحَلٍّ مُمْحِلٍ ... كَسِيَتْ رُبَاهُ حُسْنَ كُلِّ رَبِيعِ
مَنْ لِي بِهَا قُرَشِيَّةً قَمَرِيَّةً ... تُشْبِيكَ بِالْمَنْظُورِ وَالْمَسْمُوعِ
زَادَتْ بُطَرَّةِ شَعْرِهَا الْمَفْرُوقِ فُو ... قَ جَبِينِهَا فِي حُسْنِهَا الْمَجْمُوعِ
فَعَجِبْتُ مِنْ تِلْكَ الذَّوَائِبِ بَعْضُهَا الـ ... ـمَحْمُولُ جَاذِبُ بَعْضِهَا الْمَوْضُوعِ
قَدْ نَزَّهَ الْبَدْرَ الْمُنِيرَ وَجْهُهَا ... وَالشَّمْسَ بِالتَّثْلِيثِ عَنْ تَرْبِيعِ
بَخِلَ الْخَيَالُ بِهَا وَزَارَتْ يَقْظَةً ... فَخَطَى بِهَا سَهَرِي وَخَابَ هُجُوعِي
وَالذَّمُّ مَا كَانَ الْوِصَالُ إِذَا أَتَى ... شَفَعًا كَمَا تَهْوَى بِغَيْرِ شَفِيعِ
فَرَفَعْتُ عَنْ تِلْكَ الْعُقُودِ قِنَاعَهَا ... شَرَهًا وَكَمْ لَاكَ دُونَهُ بِقُنُوعِ

فتبسمت

فتبسّمت عن مثل ما في جيدها ... لطفاً ففاضت للسرور دموعي
فتوهّمت اني بكيت تخضّعاً ... فتواضعت جبراً لفرط خضوعي
وضممتها ضمّ الكمام لوردها ... احنو على مجموعها بجميعي
لولا الضلوع عدمتهنّ منعنني ... لجعلتها بالضمّ تحت ضلوعي
ما كان احلا في المزار دنوّها ... لو لم تشبّه بساعة التوديع
كالروح فيها للنفوس حياتها ... ونزوعها ان آذنت بنزوع
كم ميّت بعد الغريق حيا ... في قرب حيّ بالعقيق جميع
في منزل كهل الثمار مراهق ... ازهار من ثدي الغمام رضيع
عاقت سريع نسيمه عذباته ... بالميل فهو بهنّ غير سريع
عرب اعاجم ورقهم تشني على ... سجعاتهم بالمنطق المسموع
يحمون سمرهم ببيض مثلها ... في كل ضنك للكماة وسيع
مزجت دموع العاشقين باوضم ... ودم العدى يسقى الحيّ بنجيع
بابي بديع راقني من قدّه ... والثغر بالتوشيح والتوشيع
نادى العواذل فيك غير مجاوب ... ودعوا الى السلوان غير سميع
كم من معين للدموع بذلته ... بمصون دمع من حماك منيع
لم ادر كيف كسرت قلبي وهو بيـ ... ـت هواك حتى بات في التقطيع

وقال عفا الله عنه

تمّت بما تحفو عليه ضلوعه ... اسقامه وشجونه ودموعه
جلبت نواظرك لمهجته اسى ... وجوى يذوب ببعضه مجموعه
مغرى بوسنان اللحاظ وانما ... في حبّه هجر المحبّ هجوعه
ابدا محيّاه واسبل شعره ... والبدر يخسف في الظلام طلوعه
للطرف فيه سنى وفيه بارق ... هذا وذاك يروقه ويروعه
دارت عقاربه صدغه في خدّه ... فغدا وقلبي في الهوى ملسوعه
يا وافر البحر الطويل تولّى ... فيه الاوعد يجود سريعه
نبّه جفونك من نعاس فتورها ... لترى محبّا ذاب فيك جميعه

مَا أَنْتَ يَا طَرْفِي بِمُتَّهَمٍ عَلَى ... سِرِّي فَكَيْفَ إِلَى الْوُشَاةِ تُذِيعُهُ
حَمَّلْتَنِي ثِقَلَ الْهَوَى وَوَضَعْتَهُ ... عِنْدِي فَهَلْ مَحْمُولُهُ مَوْضُوعُهُ
مَنْ لِي بِمَنْ لَوْ سَامَ قَلْبِي غَيْرُهُ ... مَا كُنْتُ بِالدُّنْيَا الْغَدَاةَ أَبِيعُهُ
دَعْنِي وَسَهْمَ اللَّحْظِ مِنْهُ فَإِنَّنِي ... صَبٌّ كَمَا شَاءَ الْغَرَامُ صَرِيعُهُ

وقال عفى عنه

رَكَائِبُ سُهْدِي مِنْ قِرَاهَا الْمَدَامِعُ ... هَدَاهَا لَهِيبٌ أَضْرَمَتْهُ الْأَضَالِعُ
أَبِتُّ أَبِيتُ اللَّيْلَ إِلَّا بِلَوْعَةٍ ... أَفَاضَتْ بِهَا وَجْدًا عَلَيَّ الْأَضَالِعُ
كَأَنَّ الدُّجَى يَبْكِي لِحَالِي رَحْمَةً ... فَتِلْكَ النُّجُومُ الزَّاهِرَاتُ مَدَامِعُ
فَيَا رَبِّ هَلْ طَيْفُ الْأَحِبَّةِ زَائِرِي ... وَهَلْ عَهْدُ لَيْلَى بِالْأَجَارِعِ رَاجِعُ
وَيَا رَبَّةَ الْخَالِ الْحَلِيَّةِ مِنْ جَوًى ... مُحِبٌّ لَهُ دُونَ التَّصَبُّرِ مَانِعُ
هَجَرْتِ فَلَمْ يَسْتَغْرِقِ الطَّرْفُ هَجْعَةً ... فَنَاظِرُ صَادٍ وَهَجْرُكِ صَادِعُ
وَمَا ذَنْبُ مَنْ لَا عِنْدَهُ الْحُبُّ ذَائِعٌ ... وَلَا السِّرُّ مَبْذُولٌ وَلَا الْعَهْدُ ضَائِعُ

وقال غفر الله له

يَشْكُو إِلَيْكَ مُتَيَّمٌ ... صَبٌّ جَفَاهُ هُجُوعُهُ
يَعْصِي الْعَذُولَ عَلَى هَوَى ... بِكَ لَا يَزَالُ يُطِيعُهُ
يَفْدِيكَ مِنْ أَلَمِ الْجَوَى ... مَا ضُمِّنَتْهُ ضُلُوعُهُ
إِنْ لَمْ تَرِقَّ لَهُ فَقَدْ ... رَقَّتْ عَلَيْهِ دُمُوعُهُ

وقال رحمة الله عليه

لِلْمُنْطَقِيِّينَ أَشْتَكِي أَبَدًا ... عَيْنَ رَقِيبِي لَبَّتْهُ هَجَعَا
حَاذَرَهَا مِنْ أَحِبَّتُهُ فَأَبَى ... أَنْ نَخْتَلِي سَاعَةً وَنَجْتَمِعَا
كَيْفَ غَدَتْ فِي الْهَوَى وَمَا انْفَصَلَتْ ... مَانِعَةَ الْجَمْعِ وَالْخُلُوِّ مَعَا

وقال في بخيل منطقي

يَا جَامِعَ الْمَالِ وَهُوَ يَمْنَعُهُ ... عَنْ رَاغِبٍ فِي نَوَالِهِ طَامِعِ
أَصْبَحْتَ فِي الْبُخْلِ قَدْ عُرِفْتَ بِهِ ... كَأَنَّكَ الْحَدُّ جَامِعٌ مَانِعُ

وقال ايضا عفى عنه

إِنَّ الَّذِي مَنْزِلُهُ ... مِنْ سُحْبِ دَمْعِي أَمْرَعَا
لَمْ أَدْرِ مِنْ بَعْدِي هَلْ ... ضَيَّعَ عَهْدِي أَمْ رَعَا

قافية الفاء

وقال عفى عنه

أَتَرَاكَ بِالْهَجْرَانِ حِينَ فَتَكْتَ فِي ... قَلْبِي عَلِمْتَ بِمَا يَحِنُّ فَتَكْتَفِي
عَاهَدْتَنِي أَنْ لَا تَحُولَ وَلُمْتَ فِي ... طَلَبِي وَفَاءَكَ بِالْعُهُودِ وَلَمْ تَفِ
إِنْ جَالَ طَرْفِي فِي سِوَاكَ فَلَا عَفَى ... أَوْ مَالَ قَلْبِي عَنْ هَوَاكَ فَلَا عُفِي
أَنَا صَابِرٌ بَلْ شَاكِرٌ فِي الْحُبِّ إِنْ ... أَخْلَفْتَ عَهْدَ الْوَصْلِ أَوْ لَمْ تُخْلِفِ
لَكِنَّنِي أَهْوَى وَفَاكَ وَفَاكَ إِذْ ... أَحْبَبْتُ نَيْلَ تَشَرُّفٍ وَتَرَشُّفِ
وَأَبُثُّ وَجْدِي فِي الْهَوَى بِتَوَصُّلٍ ... وَتَوَسُّلٍ وَتَطَفُّلٍ وَتَلَطُّفِ
تَاللَّهِ لَمْ أَتَوَقَّ فِي وَجْدِي وَقَدْ ... نَادَى هَوَاكَ جَوًى وَلَمْ أَتَوَقَّفِ
إِنِّي لَأَنْأَى مُعْرِضًا عَنْ عَاذِلِي ... إِنْ عَادَلِي أَوْ عَنْ فِيكَ مُعَنِّفِي
وَأَهِيمُ فِيكَ بِمُرْسَلٍ وَمُسَلْسَلٍ ... وَمُوَرَّدٍ وَمُجَعَّدٍ وَمُهَفْهَفِ
لَوْ زُرْتَنِي يَا مُنْيَتِي وَمُنَيَّتِي ... وَرَحِمْتَ فَرْطَ تَلَهُّبِي وَتَلَهُّفِي
لَرَأَيْتَ طَرْفًا لَيْسَ يُنْكِرُ لِلْبُكَا ... وَشَهِدْتَ جِسْمًا بِالضَّنَا لَمْ يُعْرَفِ
لَمْ تَخْلُ مِنْ قَلْبِ الْمُحِبِّ وَحَقِّ مَا ... تَرْضَى بِهِ وَبِغَيْرِهِ لَمْ أَحْلِفِ
إِلَّا هَوَاكَ وَأَنْتَ فِيمَا أَدَّعِي ... أَدْرِي بِأَنِّي عَنْهُ لَمْ أَكُ أَكْفِي
قَدْ جَارَ جَارَ الْحُبِّ فِي قَلْبِي وَلَمْ ... أَرَ فِي الصَّبَابَةِ مِنْ صَفَا مِنْ مُنْصِفِ

وقال عفا الله عنه

بَالَغْتَ بِالْإِعْرَاضِ فِي إِتْلَافِي ... وَوَصَلْتَ بَيْنَ قَطِيعَةٍ وَتَجَافِي
لَسْتُ الْمَلُومَ بِمَا اجْتَنَيْتَ فَإِنَّ مِنْ ... شَرْطِ الْمَحَبَّةِ قِلَّةَ الْإِنْصَافِ
أَشْكُوكَ أَمْ أَشْكُو إِلَيْكَ صَبَابَةً ... مَا مِثْلُهَا عَنْ عِلْمِ مِثْلِكَ خَافِي
حَمَّلْتَنِي بِهَوَاكَ أَضْعَافَ الَّذِي ... يَكْفِيكَ مِنْهُ الْبَعْضُ فِي إِضْعَافِي
وَطَلَبْتُ مِنْكَ السُّخْطَ أَطْمَعُ فِي الرِّضَا ... عِلْمًا بِأَنَّكَ آخِذٌ بِخِلَافِي
هَلَّا تَرَكْتَ كَوَجْنَتَيْكَ عَلَى فَتًى ... يَجِدُ الْمُنَى فِي الْوَجْدِ وَهُوَ مُنَافِ

أسرفت في هجري وليتك حيث قد ... أسرفت لا أسرفت في الإسراف
يا طالباً قتلي ولست مؤاخذاً ... أني وعنه حمى التصبر عافي

وقال غفر الله له

كفى شرفاً أني بحبك أعرف ... فما آن أن تحنو علي وتعطف
عمرت جهاتي في هواك ولا أرى ... سواك وما لي عنك ما عشت مصرف
فزد في التجني حيث شئت فإنه ... وحقك أنت المالك المتصرف
ومثلي أولى من يموت صبابة ... ومثلك أولى من يحن ويسعف
أيا من له الحسن الذي بهر الورى ... ومن حاز معنى لا يحد ويوصف
تجليت لي في كل شيء تكرراً ما ... فلست لهجر واقع أتخوف

وقال عفي عنه

يا رب قد علقته ... لدن المعاطف أهيفا
والنرجس الغض الذي ... في ناظريه تألفا
هو مضعف لكن بكسر العين أصبح مضعفا
إن كان أذنب بالصدو ... د فإن صبري قد عفا
كم رمت رقة خصره ... فأبان لي منها جفا
وطلبت من ذاك العذا ... ر تعطفاً فتوقفا

وقال في زهر اللوز

تبسم زهر اللوز عن طيب وصفه ... وأقبل في حسن يجل عن الوصف
هلم إليه بين قصف ولذة ... فإن غصون الزهر تصلح للقصف

قافية القاف

قال غفر الله له

لا تخف ما صنعت بك الأشواق ... واشرح هواك فكلنا عشاق
قد كان يخفى الحب لولا دمعك الـ ... جاري ولولا قلبك الخفاق
فعسى يعينك من شكوت له الهوى ... في حمله فالعاشقون رفاق
لا تجزعن فلست أول مغرم ... فتكت به الوجنات والأحداق

وَاصْبِرْ عَلَى هَجْرِ الْحَبِيبِ فَرُبَّمَا ... عَادَ الْوِصَالُ وَلِلْهَوَى أَخْلَاقُ
كَمْ لَيْلَةٍ أَسْهَرْتُ أَحْدَاقِي بِهَا ... مُلْقًى وَلِلْأَفْكَارِ بِي إِحْدَاقُ
يَا رَبِّ قَدْ بَعُدَ الَّذِينَ أُحِبُّهُمْ ... عَنِّي وَقَدْ أَلِفَ الرِّفَاقَ فِرَاقُ
وَاسْوَدَّ حَظِّي عِنْدَهُمْ لَمَّا سَرَى ... فِيهِ بِنَارِ صَبَابَتِي إِحْرَاقُ
عَرَبٌ رَأَيْتُ أَصَحَّ مِيثَاقٍ لَهُمْ ... أَنْ لَا يَصِحَّ لَدَيْهِمُ مِيثَاقُ
وَعَلَى النِّيَاقِ وَفِي الْأَكِلَّةِ مُعْرِضٌ ... فِيهِ نِفَارٌ دَائِمٌ وَنِفَاقُ
مَا نَاءَ إِلَّا حَارَبَتْ أَرْدَافُهُ ... خَصْرًا عَلَيْهِ مِنَ الْعُيُونِ نِطَاقُ
تَرْنُو الْعُيُونُ إِلَيْهِ فِي إِطْرَاقِهِ ... فَإِذَا رَنَى فَلِكُلِّهَا إِطْرَاقُ

وقال سامحه الله تعالى

مَنْ لِي بِهِ رَقَّ مَعْنًى فِيهِ رَوْنَقُهُ ... مَا كَانَ أَكْمَلَهُ لَوْ صَحَّ مَوْثِقُهُ
أَسْتَنْظِرُ الدَّهْرَ يَعْفُو عَنْ مُمَانَعَتِي ... فِيهِ كَأَنِّي مِنَ الْأَيَّامِ أَسْرَقُهُ
يَا حُسْنَهُ أَنْتَ تَدْرِي فَرْطَ جَفْوَتِهِ ... فَلِمْ أَمَرْتَ قُلُوبَ النَّاسِ تَعْشَقُهُ
بِاللهِ يَا رَاقِدَ الْأَجْفَانِ رِقَّ عَلَى ... ذِي نَاظِرٍ لَمْ يَزَلْ هَمٌّ يُؤَرِّقُهُ
مَا ضَنَّ بِالدَّمْعِ يَوْمَ الْبَيْنِ فِيكَ فَهَلْ ... إِنْ ظَنَّ مِنْكَ لَهُ وَصْلًا تُحَقِّقُهُ
يَا آخِذَ الْقَلْبِ فَارْدُدْهُ عَلَى جَسَدِي ... أَوْ حَاذِرِ اللهَ فِيهِ أَنْ تُحَرِّقَهُ
لَا أَشْتَكِي مِنْكَ فِي وَجْدٍ تَخُصُّ بِهِ ... قَلْبِي وَدَمْعٍ بِأَجْفَانِي تُرَقْرِقُهُ
فَإِنَّ لِي بَعْضَ صَبْرٍ أَسْتَعِينُ بِهِ ... يَرْفُوهُ كَفُّ التَّأَسِّي إِذْ تُمَزِّقُهُ

وقال عفا الله عنه

مَا عَهِدْنَا كَذَا تَكُونُ الرِّفَاقُ ... كُلَّ يَوْمٍ تَجَنُّبٌ وَفِرَاقُ
يَا قَضِيبًا تَهُزُّهُ نَشَوَاتٌ ... زُرْ مُحِبًّا تَهُزُّهُ الْأَشْوَاقُ
لَسْتُ أَصْبُو إِلَى سِوَاكَ وَإِنِّي ... وَالِهٌ فِي الْهَوَى لِيَ اسْتِغْرَاقُ
لَكَ يَا فِتْنَةَ الْعُقُولِ التَّجَنِّي ... وَالتَّجَافِي وَتَصْبِرُ الْعُشَّاقُ
غَيْرَ أَنِّي أَرَى الْجَفَا مِنْكَ بِدْعًا ... حَيْثُ تِلْكَ الْأَعْطَافُ مِنْكَ رِقَاقُ
يَا أَمِيرًا لَهُ لِوَاءٌ مِنَ الشِّعْرِ عَلَيْهِ وَكُلُّ قَلْبٍ وِطَاقُ

وقال غفر الله له

أَوْحَشْتُمُوا نَظَرِي فَكَمْ مِنْ عَبْرَةٍ ... سَمَحَتْ بِهَا الْأَجْفَانُ وَالْآمَاقُ
لَا أُخْضِرَ بَعْدَكُمُ الْعَقِيقُ وَلَا حَلَا ... مِنْ مَائِهِ لِلْوَارِدِينَ مَذَاقُ
حَتَّى يَرَاكُمْ نَاظِرِي وَتَضُمُّنَا ... بِكُمُ الدِّيَارُ وَيَسْعَدُ الْمُشْتَاقُ
لَوْ أَجْنِ ذَنْبًا مُذْ عَرَفْتُ هَوَاكُمُ ... فَعَلَى مَكَاسَاتِ الصُّدُودِ إِذَاقُ

وقال رحمه الله عليه

كَمْ شَمْلِ صَبْرٍ هَجْرُكُمْ فَرَّقَهْ ... وَنَاظِرٍ بَعْدُكُمْ أَرَّقَهْ
فَكَمْ رَنَا طَرْفٌ عَلِيلٌ بِكُمْ ... وَكَمْ تَرَكْتُمْ مُهْجَةً شَيَّقَهْ
طَوْرًا تَجُودُونَ بِوَصْلٍ أَرَى ... أَيَّامَهُ مِنْ قُرْبِكُمْ مُشْرِقَهْ
وَتَارَةً تَبْدُونَ هَجْرًا فَيَا ... وَيْحَ حَشَى نَحْوَكُمْ سَيَّقَهْ
نَشَفْتُمُونِي فِي هَوَاكُمْ وَقَدْ ... أَخَذْتُمُوا رَأْسِي فِي جَرْدَقَهْ

وقال رحمه الله تعالى

يَا قَلْبُ كَمْ ذَا الْخُفُوقُ وَالْقَلَقُ ... هَا قَدْ ثَوَا رَحْمَةً وَقَدْ رَفَقُوا
بِلْتَ أَمَانِيكَ وَالْأَمَانُ بِهِمْ ... وَزَالَ ذَاكَ الْفِرَاقُ وَالْغَرَقُ
فَادْعُ إِلَى اللهِ أَنْ يَدُومَ لَكَ الْـ ... وُدُّ وَمَا شَاءَ بَعْدُ يَتَّفِقُ
وَأَنْتَ يَا طَرْفِي الْقَرِيحَ أَسًى ... بُشْرَاكَ زَالَ الْبُكَاءُ وَالْأَرَقُ
قَدْ غُفِرَتْ زَلَّةُ الزَّمَانِ وَقَدْ ... لَانَ لَنَا مِنْهُ ذَلِكَ الْخُلُقُ
وَقَدْ صَفَا وُدُّ مَنْ كَلِفْتُ بِهِ ... وَلَاحَ بَرْقُ الْوِصَالِ يَا تَلِقُ
وَظِلْتُ إِذْ زَارَنِي أُقَبِّلُهُ ... وَأَجْتَلِي حُسْنَهُ وَأَعْتَنِقُ

وقال غفر الله ذنوبه

بِتَثَنِّي قَوَامِكَ الْمَمْشُوقِ ... وَبِأَنْوَارِ وَجْهِكَ الْمَعْشُوقِ
وَبِمَعْنًى فِي الْحُسْنِ مُبْتَكَرٍ فِيكَ وَقَلْبٍ كَقَلْبِيَ الْمَسْرُوقِ
صِلْ مُحِبًّا مِنْ نَاظِرَيْكَ وَمِنْ قَدِّكَ يُرْمَى بِرَاشِقٍ وَرَشِيقِ
وَمِنَ الْخَالِ وَالْمُقَبَّلِ مَا بَيْـ ... ـنَ حَرِيقٍ يَفْنِي وَبَيْنَ رَحِيقِ
جُدْ بِوَصْلٍ أَوْ زَوْرَةٍ أَوْ بِوَعْدٍ ... أَوْ كَلَامٍ أَوْ وَقْفَةٍ فِي الطَّرِيقِ
أَوْ بِأَرْسَالِكَ السَّلَامَ مَعَ الرِّيـ ... ـحِ وَإِلَّا فَبِالْخَيَالِ الطَّرُوقِ

أَيْمَنَاكَ كُلَّمَا سَارَ بَرْقٌ ... لَيْسَ مِثْلِي وَجْدًا عَلَى التَّحْقِيقِ
بَيْنَنَا فِي الْهَوَى اخْتِلَافٌ وَإِنْ كَا ... نَ اتِّفَاقٌ فَرُبَّمَا فِي الْخُفُوقِ
يَا عُرَيْبَ الْعَقِيقِ مَنْ لِي وَهَيْهَا ... تَ بِأَيَّامِنَا بِوَادِي الْعَقِيقِ
حَيْثُ غُصْنُ الْوِصَالِ رَطْبٌ وَرَوْضُ الْـ ... حُبِّ زَاهٍ وَبَدْرُهُ فِي الشُّرُوقِ
وَجَبِيبٌ قَدْ لَانَ عِطْفًا وَعَطْفًا ... فَهْوَ يُزْرِي بِكُلِّ غُصْنٍ وَرِيقِ
يَمْلَأُ الْكَأْسَ لِي بِسِرٍّ قَدِيمٍ ... وَحَدِيثٍ حُلْوٍ وَلَحْظٍ وَرِيقِ
وَإِذَا نَقَّطَتْ دُمُوعِي عَنَّا ... مَا عَهِدْنَا كَذَا دُمُوعَ الْمَشُوقِ

وقال عفا الله عنه

جَدِّدْ عُهُودَ تَوَاصُلٍ وَتَلَاقِ ... وَاسْتَبْقِ لِي رَمَقًا فَلَسْتُ بِبَاقِ
وَاشْفَعْ إِلَى مَا رَقَّ مِنْ تَرَفِ الصِّبَا ... فِي وَجْنَتَيْكَ بِرِقَّةِ الْأَخْلَاقِ
وَارْجِعْ إِلَى حُسْنِ الْوَفَاءِ فَإِنَّ قُبْـ ... ـحَ الْغَدْرِ حُجَّةُ سَلْوَةِ الْمُشْتَاقِ
وَالْحُسْنُ لَيْسَ بِحَافِظٍ لَكَ ذِمَّةً ... إِلَّا بِحِفْظِكَ ذِمَّةَ الْعُشَّاقِ
يَا عَاجِلًا بِالْهَجْرِ مِنْهُ وَجَاعِلًا ... بَيْنَ الْجَوَانِحِ لَاعِجَ الْأَشْوَاقِ
مَا حَقُّ ذِي قَلْبٍ صَفَا لَكَ وُدُّهُ ... تَقْطِيعُهُ بِقَطِيعَةٍ وَفِرَاقِ
مَعَ ذَا وَذَا كَيْفَ اشْتَهَيْتَ فَكُنْ أَنَا الْـ ... مَوْثُوقُ بِي فِي صِحَّةِ الْمِيثَاقِ
وَعَلَى مَذَاقِ الْمُرِّ مِنْ ثَمَرِ الْجَفَا ... يُبْلِي الصَّحِيحُ هَوَى مِنَ الْمَذَّاقِ

وقال عفى عنه

مَلِيحٌ كَانَ الْحُسْنَ أَصْبَحَ هَادِيَا ... يَسُوقُ إِلَيْهِ كُلَّ طَرْفٍ يَشُوقُهُ
تَحَمَّلَ فِيهِ الْخَصْرُ رِدْفًا فَأَثْقَلَهُ ... وَحَمَّلَ مِنْهُ الصَّبَّ مَا لَا يُطِيقُهُ
وَحَكَّمَ فِيهِ طَرْفُهُ وَقَوَامُهُ ... فَرَاشِقُهُ يُؤْذِي بِهِ وَرَشِيقُهُ

وقال رحمه الله تعالى

لَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِ عَاشِقٍ رَمَقًا ... لَمَّا بَدَا وَالْعُيُونُ تَرْمُقُهُ
وَكَانَ عَزْمِي عَنِ السُّلُوِّ إِذَا ... عَنَّفَنِي الْعَاذِلُونَ يُوثِقُهُ
وَكَيْفَ يَسْلُوهُ مُغْرَمٌ دَنِفٌ ... يَرَى بِجَمِيعِ الْوُجُودِ يَعْشَقُهُ

وقال تغمده الله برحمته

وَلَمَّا ٱلْتَقَيْنَا لِلْوَدَاعِ وَلِلْجَوَى ... بِقَلْبِي سُكُونٌ طَالَ مِنْهُ خُفُوقُهُ
لَثَمْتُ ثَنَايَاهُ وَقَبَّلْتُ فَرْقَهُ ... وَقَدْ جَدَّ وَجْدٌ بِالْفُؤَادِ يَشُوقُهُ
فَقَدْ رَاقَنِي يَوْمَ الْوَدَاعِ وَرَاعَنِي ... بِحُسْنٍ وَحُزْنٍ فَرْقُهُ وَفَرِيقُهُ

وقال غفر الله له

لَمَّا رَأَتْ عُشَّاقَهَا قَدْ أَحْدَقُوا ... مِنْ حُسْنِهَا بِحَدَائِقِ الْأَحْدَاقِ
شَغَلَتْ سَوَادَ عُيُونِهِمْ فِي شَعْرِهَا ... وَتَوَشَّحَتْ بِبَيَاضِهِنَّ الْبَاقِي

وقال عفا الله عنه

كَتَبَتْ وَلَوْ أَنِّي مِنَ الشَّوْقِ قَادِرٌ ... لَسَارَعْتُ فِيهِ نَحْوَ مَنْ أَنَا رَاقِمُهْ
وَلَوْ أَنَّنِي أَسْعَى إِلَى ذَلِكَ ٱلْحِمَى ... عَلَى ٱلرَّأْسِ مَا أَدَّيْتُ مَا أَسْتَحِقُّهُ

وقال عفا الله عنه

أُنْظُرْ إِلَى الْأُفْقِ تَبْدُ سَدْمٌ ... وَحَوْلَهُ مِنْ كُلِّ نَجْمٍ شَارِقْ
كَرُقْعَةِ الشَّطْرَنْجِ إِلَّا أَنَّهَا ... لَا يَبْقَ إِلَّا النَّقْشُ وَالْبَيَادِقْ

وقال رحمه الله تعالى

لَمْ تَجْرَحِ ٱلسِّكِّينُ كَفَّ مُعَذِّبِي ... إِلَّا لِمَعْنًى حُسْنُهُ مُتَحَقِّقُ
هِيَ مِثْلُ مَا قَدْ قِيلَ جَارِحَةٌ لَهُ ... وَلِكُلِّ جَارِحَةٍ إِلَيْهِ تَشَوُّقُ

قافية الكاف

قال غفر الله ذنوبه وستر عيوبه

قَدْ مَالَ سَمْعِي إِلَى عُذَّالِهِ نِيكَا ... يَكْفِيكَ تَلْوِيحُ هَذَا الْقَوْلِ تَكْفِيكَا
كَمْ بِتَّ تَفْكُرُ بَعْضًا كَيْفَ تُسْخِطُنِي ... وَبِتُّ أَفْكُرُ حُبًّا كَيْفَ أُرْضِيكَا
يَا نَاظِرَيَّ أَرِقَّا لِلْخَيَالِ وَيَا ... قَلْبِي ٱسْتَرِحْ مِنْ هَوَى مَنْ كَادَ يُفْنِيكَا
وَكَيْفَ أَرْضَى بِنَفْسِي أَنْ تَسُودَ مَنْ ... لَمْ تَرْضَ أَنِّي لَهُ أَصْبَحْتُ مَمْلُوكَا

وقال غفر الله له

أَحْبَابَنَا إِنْ بَاحَ فِيكُمْ بِالْهَوَى ... صَبٌّ بَكَى وَجْدًا بِكُمْ وَتَهَتَّكَا
قَدْ كَانَ يَسْتَحْيِي فَيُخْفِيهِ وَقَدْ ... نَزَحَ الْحَيَا مِنْ عَيْنِهِ لَمَّا بَكَى

قافية اللام

قال رحمه الله

بلا غيبة للبدر وجهك اجمل ... وما انا فيما قلته متجمل
ولا عيب عندي فيك لولا صيانة ... لديك بها كل امرئ يتبذل
وحجبك حتى لو عن الحجب تلتقي ... حجابا ولا تبدو لها كنت تفعل
لحاظك اسياف ذكور فما لها ... كما زعموا مثل الارامل تغزل
وما بال برهان العذار مسلما ... ويلزمه دور وفيه تسلسل
على ضمان ان طرفك لا يرى ... من الحسن شيئا عند غيرك يجمل
وان قلوب العاشقين وان تجر ... عليها الى سلوانها ليس تعدل
حبيبي ليهنى الحسن انك حزبه ... ويهنى فؤادي انه لك منزل
اذا كنت ذا ود صحيح فلم يكن ... يضرني العذال حيث تقولوا
راوا منك في حظي المحبة آخرا ... لذا حرفوا عني الحديث واولوا

وقال غفر الله ذنوبه

بالله يا ريح الشمال رسالة ... فسواك لم اركن الى ارساله
قولي لتياه الشمائل لم يزل ... يبدي لنا مللا بشرع مطاله
عاني التعطف حين تبصر عانيا ... واذا ظفرت بواله بك واله
يا من يلوم الصب في برحائه ... اوج السلامة لا تبيت بحاله
من شغله بالحب عن محبوبه ... كيف الفراغ له الى عذاله
الحرب بين عهوده ووفائه ... كالسلم بين وعوده ومطاله
طالت مسافة هجره فكانها ... من ليل عاشقه ومن آماله
داني المزار يروع قلبي صده ... يا قرب شقته وبعد مناله

قال رحمة الله عليه

حللت باحشاء لها منك قاتل ... فهل انت فيها نازل او منازل
وما كنت مجنون الهوى قبل ان بدا ... لقلبي من صدغيك في الاسر عاقل
ولي منطق من نحو شوقي اصوله ... بعلم المعاني من خلافك شاغل
ايسعدني يا طلعة البدر طالع ... ومن شقوتي خط بخديك نازل

ولو انّ قسًّا واصفٌ منك وجنةً ... لاعجزه نبتٌ بها وهو باقلُ
ولي فيك عرفٌ من ودادك عاطرٌ ... وحالي من عرفان وصلك عاطلُ
ومن كلّ امرٍ منك عونٍ فربّما ... يعين الذي ابلا بما انت فاعلُ
وبي ساحرٌ في اللحظ للخدّ حارسٌ ... وذابلُ اعطافٍ لدمعي باذلُ
وشعرٌ كليلٍ كان طولاً فما له ... قصيرًا كحظّي هل لذاك دلائلُ
نعم قد تناهى في الظلام تطاولاً ... وعند التناهي يقصر المتطاولُ

وقال في المديح عفا الله عنه

من القوم اضحوا للمعالي قلائدًا ... فمن دونهم كلّ الكرام خلاخلُ
اذا رمقوا كانوا شموس الضحى سنًا ... على انّهم اذ ينسبون اصائلُ

وقال عفي عنه

مذ راته الشمس في الحمل ... لم تكد تبدو من الخجل
غصن بانٍ مثمرٌ قمرًا ... يخجل الاغصان بالميل
ورد خدّيه يضرّجه ... خجلٌ من نرجس المقل
وسوى ذا انّ مبسمه ... جامعٌ للخمر والعسل
من مجيري من لواحظه ... انّني منها على وجل
كلّما سلّت صوارمها ... قال قلبي قد دنا اجلي

وقال رحمة الله عليه

كيف يصغي لعاذلٍ او يميلُ ... مغرمٌ شفّه ضنًا ونحولُ
لي شغلٌ بالحبّ حتّى عن الحبّ ... فماذا عسى يقول العذولُ
انّ للحبّ معركًا يسخط القا ... تل فيه ويرتضي المقتولُ
يا ملولاً ومالكًا ما الذي يصـ ... ـنع فيك المملوك والمملولُ
دون نيل الوصال منك خطوبٌ ... كلّما خلتها تهون تهولُ
للسيوف الحداد ضربٌ وللسمـ ... ـر طعانٌ وللجياد صهيلُ
اين راح الوصال بل اين كان الـ ... ـهجر بل كيف للدنوّ سبيلُ
ان شكا الطرف باكيًا طول ليلي ... قلت مهلاً ليل الشتاء طويلُ

مَا مُعِينِي عَلَى الْهَوَى غَيْرُ نَدْبٍ ... وَهْوَ فِي الْحَادِثَاتِ لَيْثٌ يَصُولُ
وَلِمَنْ حَارَبَ الزَّمَانَ حُسَامٌ ... وَلِمَنْ حَاوَلَ الْإِخَاءَ خَلِيلُ
يَا كَثِيرَ الْإِحْسَانِ إِنَّ كَثِيرَ الْـ ... ـمَدْحِ فِيمَا حَوَيْتَهُ لَقَلِيلُ
وَكَرِيمَ الْأَحْسَابِ مَا ضَرَّكَ الدَّهْـ ... ـرُ إِذَا مَا وَافَاكَ وَهْوَ بَخِيلُ
لِي شُهُودٌ مِنَ الْوَفَاءِ عُدُولٌ ... أَنَّنِي عَنْ هَوَاكَ مَا لِي عُدُولُ
لَا تَلُمْنِي إِنْ كُنْتُ قَصَّرْتُ فِي الْمَدْ ... حِ فَعُذْرِي عِنْدَ الْوَرَى مَقْبُولُ
هَلْ يُحِيطُ اللِّسَانُ مِنْكَ بِوَصْفٍ ... فِيهِ يَفْنَى الْمَنْقُولُ وَالْمَعْقُولُ

وقال عفا الله عنه

مِنْ سِحْرِ طَرْفِكَ يَا عَلِي ... قَلْبُ الْمُتَيَّمِ قَدْ بَلِي
يَا نُزْهَةً يَا زَهْرَةً ... لِلْمُجْتَنِي وَالْمُجْتَلِي
يَا مَنْ يَرُوقُ جَمَالُهُ ... لِنَوَاظِرِ الْمُتَأَمِّلِ
إِنْ لَمْ تَجُدْ لِي بِاللِّقَا ... كُنْ بِالْوُعُودِ مُعَلِّلِي
يَا سَاكِنًا طُولَ الْمَدَا ... فِي الْقَلْبِ لَمْ يَتَحَوَّلِ
أَهْلًا بِأَكْرَمِ نَازِلٍ ... قَدْ حَلَّ أَشْرَفَ مَنْزِلِ

وقال غفر الله له

فَدَتْكَ نُفُوسٌ قَدْ حَلَا بِكَ حَالُهَا ... وَأَضْحَى صَحِيحًا فِي هَوَاكَ اعْتِلَالُهَا
مَلَكْتَ قُلُوبَ الْعَاشِقِينَ بِطَلْعَةٍ ... يَرُوقُ جَمِيعَ النَّاظِرِينَ جَمَالُهَا
وَزَادَكَ الْحُسْنُ الْبَدِيعُ نَضَارَةً ... كَأَنَّكَ فِي وَجْهِ الْمَلَاحَةِ خَالُهَا
سَلَبْتَ فُؤَادَ الصَّبِّ مِنْكَ بِقَامَةٍ ... حَكَى الْغُصْنُ مِنْهَا مَيْلَهَا وَاعْتِدَالُهَا
فَصِلْ مُغْرَمًا حَمَّلْتَهُ مِنْكَ فِي الْهَوَى ... بَلَابِلَ وَجْدٍ لَا يُطَاقُ احْتِمَالُهَا

وقال عفا الله عنه

فِي غَزَالٍ مِنْ لَحْظِ ذَاكَ الْغَزَالْ ... أَخْبَارُ صَبٍّ قَتَلَتْهُ الْبِلَالْ
غُصْنٌ سَقَتْهُ أَدْمُعِي ثُمَّ مَا ... أَثْمَرَ لِي مَالًا إِلَّا الْمَلَالْ
وَهَبْتُهُ يَاقُوتَ دَمْعِي وَلَا ... يَسْمَحُ لِي مُبْتَسِمُهُ بِاللَّآلْ
حَلَّ ثَلَاثًا يَوْمَ حَمَّامِهِ ... ذَوَائِبًا يَعْبَقُ مِنْهَا الْغَوَالْ

فقلت والقصد ذو ابتاته يا سهري في ذي الليالي الطوال

وقال عفر الله له

ملامك لا يربط لديه ولا حل ومن للهوى إن كان يرضى الهوى حل
إليك وما موهت عني فإنما السجاهل عند العارفين به جهل
برومي وأهلي من إذا عرضوا لها بذكري قالت دونه الروح والأهل
تحدثت في النادي بذكري وذكرها وصار لأهل الحي من ذكرنا شغل
وما الحب إلا أن يقلوا ويكثروا بنا ويصحوا في الظنون ويعتلوا
أبت رقتي إلا الذي يقتضي الهوى وعزي إلا ما اقتضى الرأي والعقل
فوا عجبا إني خفيت ولم أبن وقد راح مملوءا بي الحزن والسهل
طريد ولي مأوى مباح ولي حمى وجيد ولي صحب غريب ولي أهل
ساجهد إما للمنايا أو المنى فصار أي إما النصر أو ما جنى النصل
فإن لم تصلني همتي بمطالبي ولم ينسبح للشيب في لمتي غزل
فلا نظرت عيني ولا فاه بمقولي ولا بطشت كفي ولا سعت الرجل
ومن عرف الأمر الذي أنا عارف رأى كل صعب كل إدراكه سهل
خذ العز من أي الوجوه رأيته فلا خير في عيش يكون به الذل
وللمرء من داعي الطبيعة قائد إذا لم يذده دونه الحلم والعقل
من الترب هذا الطبع والنفس من علا فللمرء أن يدنو وللمرء أن يعلو

وقال رحمة الله عليه

أسير الخاطر بخد أسيل كليم أحشاء بطرف كليل
في حب من حظي من شعره لكن قصير ذا وهذا طويل
ظبي من الترك هضيم الحشا هز عطفيه دلالا جميل
ذو وجنة توريدها شاهد إن أنكرت قتلي بطرف كحيل
تلاعب الشعر على ردفه أوقع قلبي في العريض الطويل
كم قلت من وجدي به مشفقا ولي حشا من هجره في غليل
ليس خليلا لي ولكنه أضرم في الأحشاء نار الخليل

يَارِدْفَهُ جُرْتَ عَلَى خَصْرِهِ رِفْقًا بِهِ مَا أَنْتَ إِلَّا ثَقِيلُ

وقال عفا الله عنه

قُلْ لِي بِعَيْشِكَ هَلْ عَلَى هَذَا الْجَفَا تَبْقَى قُلُوبٌ أَوْ تَدُومُ عُقُولُ
مَا بَالُ خَدِّكَ جَارَ فِي تَقْسِيمِهِ لِي نَارُهُ وَلِغَيْرِيَ التَّقْبِيلُ
يَا طَرْفُهُ وَالرُّمْحُ فِيهِ نَضَارَةٌ فَعَلَى مَرَى حَدِّ السِّنَانِ ذُبُولُ
يَا مَنْ جَعَلْتُ إِخَاءَهُ لِي عُدَّةً فِي يَوْمِ يَدَّخِرُ الْخَلِيلُ خَلِيلُ
مَا بَالُ قَلْبِكَ مَا دَعَتْهُ صَبَابَةٌ مَا بَالُ دَمْعِكَ مَا عَرَاهُ هُمُولُ
أَيْنَ الْمَوَدَّةُ إِنَّهَا لَعَزِيزَةٌ أَيْنَ التَّوَدُّدُ إِنَّهُ لَقَلِيلُ
أَيْنَ الْمُعِينُ عَلَى الصَّبَابَةِ أَهْلَهَا لِيَخِفَّ عِبْءُ الْوَجْدِ فَهْوَ ثَقِيلُ
أَيْنَ الَّذِي يَحْوِي صِفَاتِ مُحَمَّدٍ هَيْهَاتَ عَزَّ فَمَا إِلَيْهِ سَبِيلُ

وقال غفر الله له

قَابَلْتُ عِزَّ هَوَاكُمُ بِتَذَلُّلِي مَعَ أَنَّنِي فِي ذَاكَ لَسْتُ بِأَوَّلِ
يَا جَائِرِينَ وَعَادِلِينَ إِلَى النَّوَى مَا دُونَ مَعْدِلِ حُسْنِكُمْ مِنْ مَعْدِلِ
وَحَيَاتِكُمْ أَنْتُمْ عَلَى إِعْرَاضِكُمْ عِنْدِي أَعَزُّ مِنَ الشَّبَابِ الْمُقْبِلِ
إِنْ تَذْكُرُونِي فَاتَّنِي لَمْ أَنْسَكُمْ أَوْ تَسْمَحُوا إِلَيَّ فَإِنَّنِي لَمْ أَبْخَلِ
يَا عَلْوَ أَيْنَ زَمَانُنَا إِذْ جَارُكُمْ جَارِي وَمَنْزِلُكُمْ بِرَامَةَ مَنْزِلِي
مَا كَانَ أَسْرَعَ مَا تَقَشَّعَ غَيْمُكُمْ وَمَنَعْتُمُ الْوَسْمِيَّ عَنِّي وَالْوَلِي
كُمْ كُنْتُ أَخْشَى الْبَيْنَ قَبْلَ وُقُوعِهِ فَمَضَى الَّذِي حَاذَرْتُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ
وَحَذِرْتُ سَهْمَ فِرَاقِكُمْ حَتَّى إِذَا أَرْسَلْتُمُوهُ أَصَابَ مِنِّي مَقْتَلِي
الْيَوْمَ لَسْتُ أُجَابُ بَعْدَ سُؤَالِكُمْ كُمْ كُنْتُ قَبْلُ أُجَابُ إِذْ لَمْ أُسْأَلِ
فَالدَّارُ لَمْ تَبْعُدْ وَفُؤْدِي لَمْ يَشِبْ وَالْمَالُ لَمْ يَنْفَدْ وَحُبُّكَ مَا سَلِي

وقال عفا الله عنه

بِمَنْ أُبَاحَكَ قَتْلِي عَلَى مَ حَرَّمْتَ وَصْلِي
فَكَيْفَ أَقْوَى لِهَجْرٍ وَكَيْفَ أَصْغَى لِعَذْلِ
أَنَا لَكَ الْمُتَمَنَّى وَغَيْرِيَ الْمُتَمَلَّى

يا اكرم الناس عندي قد لذ لي فيك ذلي
ملكت يا نور عيني قلبي ولبي وكلي
يا نافرا متجنيا كن سافرا متجلي
يا احسن الناس طرا في حسن خلق وشكل
في كل نوع وجنس من الجمال وفصل
اراى معانيك تبدو حسنا فتجب عقلي
وليس مثلك يهوى في الحب هجران مثلي
ما دمت تهوى فواصل فذا ربيع مولي
حسبي وحسبك ذقن تاتي بفرقة شملي
وبعد ذاك اذا ما رايت وجهي قولي

وقال غفر الله ذنوبه وستر عيوبه

ارح يمينك مما انت معتقل امضى الاسنة ما فولاذه الكحل
يا من يريني المنايا واسهما نظر من السيوف المواضي واسهما قتل
ما بال لحاظك المرضى تحاربني كانما كل لحظ فارس بطل
وما لقومك ساءت بي ظنونهم فليتهم علموا مني الذي جهلوا

وقال منها ايضا

ومعشر لم تزل في الحرب بيضهم حمر الخدود وما من شانها الخجل
اذا انتضوها هبوا وقاصيرت سحا يسيل من جانبيها عارض هطل
يثني حديث الوغى اعطافهم طربا كان ذكر المنايا بينهم غزل
كم نار حرب بهم شبت وهم سحب وارض قوم بهم فاضت وهم شعل
ضاءت بحسنهم تلك الخيام كما ضاءت بوجه ابن عبد الظاهر الدول
اغر ما ابدت السحب الحيا لسوى تقصيرها عن نداه حين ينهمل
يد لها كم يد من قبلها سبقت يد وكم من يد من بعدها تصل
يوحي الى كل قرطاس بلاغته سحر البيان ومن اقلامه الرسل
سمر تروقك راى العين عارية ومن بديع معانيه لها حلل

مِنَ الْأَسِنَّةِ فِي أَطْرَافِهَا سِنَةٌ ... لَوْلَا النُّضَارَةُ قُلْنَا إِنَّهَا ذُبُلُ
مِنْ كُلِّ مُعْتَدِلٍ كَالْمِيلِ إِنْ رَمِدَتْ ... عَيْنُ الْمَعَالِي فَفِيهَا نَفْسُهُ كُحُلُ
فَلِلْعِدَاةِ لَدَيْهِ كُلُّ مَا حَذِرُوا ... وَلِلْعُفَاةِ عَلَيْهِ كُلُّ مَا سَأَلُوا
أَضْحَتْ يَدَاهُ لِعَقْدِ الْجُودِ وَاسِطَةً ... فَلَيْسَ يُدْرَى لِجُودٍ بَعْدَهَا عَطَلُ
يَجُودُ حَتَّى تَمَلَّ النَّاسُ أَنْعُمَهُ ... وَلَيْسَ يُدْرِكُهُ مِنْ بَذْلِهَا مَلَلُ
سَارَتْ وَسَارَتْ بِهَا الْأَفْوَاهُ مُعْلِنَةً ... فَقَدْ غَدَتْ مَثَلًا يَغْدُو بِهَا الْمَثَلُ
بَنَى لِأَبْنَائِهِ بَيْتَ الْعُلَى وَنَوَى ... فِيمَا بَنَاهُ لَهُ آبَاؤُهُ الْأُوَلُ
كَانُوا أَتَمَّ الْوَرَى جُودًا وَإِنْ صَمَتُوا ... وَأَعْظَمَ النَّاسِ أَحْلَامًا وَإِنْ جَهِلُوا
زَالُوا فَأَوْدَعَ فِي الْأَسْمَاعِ ذِكْرَهُمُ ... مَحَاسِنًا أَوْدَعَتْهَا قَبْلَهَا الْمُقَلُ
إِمْدَحْ وَقُلْ فِي مَعَانِيهِ وَإِنْ كَرُمَتْ ... مَا يَحْسُنُ الْقَوْلُ حَتَّى يَحْسُنَ الْعَمَلُ
يَا مَعْدِنَ الْجُودِ لَا أَبْغِي سِوَاكَ وَإِنْ ... فَعَلْتُ ذَلِكَ سُدَّتْ عَنِّيَ السُّبُلُ

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى

مَتَى بِالْقُرْبِ يُخْبِرُنِي الرَّسُولُ ... وَيَسْمَحُ بِاللِّقَا دَهْرٌ بَخِيلُ
وَيَرْجِعُ فِيكَ سِرُّ الْحُبِّ جَهْرًا ... وَيُشْفَى مِنْكَ بِالْوَصْلِ الْعَلِيلُ
وِدَادُكَ لَا تُغَيِّرُهُ اللَّيَالِي ... وَحُبُّكَ لَا يُنَهْنِهُهُ الْعَذُولُ
وَعَهْدُكَ كُنْتَ تَعْهَدُهُ صَحِيحٌ ... وَقَلْبٌ كُنْتَ تَسْكُنُهُ عَلِيلُ
وَمَا بَيْنَ الضُّلُوعِ إِلَيْكَ شَوْقٌ ... تَزُولُ الرَّاسِيَاتُ وَلَا يَزُولُ
أَلَا يَا ظَاعِنًا هَلْ مِنْ رُجُوعٍ ... فَتَجْمَعَنَا الْمَنَازِلُ وَالطُّلُولُ
فَقَدْ فَقَدَ الْكَرَى قَلْبٌ سَلِيمٌ ... وَقَدْ أَلِفَ الضَّنَا جِسْمٌ نَحِيلُ
وَصَبُّكَ قَدْ قَضَى كَمَدًا وَشَوْقًا ... يَكُونُ لِوَجْهِكَ الْعُمُرُ الطَّوِيلُ

وَقَالَ سَامَحَهُ اللهُ تَعَالَى

تِهْ كَيْفَ شِئْتَ فَلِلْحَبِيبِ تَدَلُّلُ ... وَلِصَبِّهِ الْمُضْنَى إِلَيْهِ تَذَلُّلُ
وَاحْكُمْ بِمَا تَرْضَى فَأَنْتَ أَحَقُّ مَنْ ... مَلَكَ الْفُؤَادَ يَجُورُ فِيهِ وَيَعْدِلُ
إِنِّي وَإِنْ عَذَلُوا عَلَيْكَ وَأَطْنَبُوا ... لَتَزِيدُ أَشْوَاقِي إِلَيْكَ الْعُذَّلُ
لَكِنَّنِي أُبْدِي السُّلُوَّ تَجَمُّلًا ... لِلْعَاذِلِينَ وَلِلْمُحِبِّ تَجَمُّلُ

وَإِلَيْكَ أَوَّلُ مَا انْثَنَيْتُ مَعَ الْهَوَى ... إِنَّ الْحَبِيبَ هُوَ الْحَبِيبُ الْأَوَّلُ

يَا مَنْ يَصُونُ عَنِ الْعُيُونِ تَحَرُّزًا ... حُسْنًا عَلَيْهِ كُلُّ رُوحٍ تُبْذَلُ

كَمْ ذَا الْلِينُ وَتَعْتَرِيكَ قَسَاوَةٌ ... وَإِلَى مَ اسْمَحُ بِالْوِصَالِ وَتَبْخَلُ

يَا مَعْدِنَ الْآمَالِ أَيْنَ لِعَاشِقٍ ... كَلِفٍ بِحُبِّكَ عَنْ جَمَالِكَ مَعْدِلُ

وقال عفا الله عنه

يَقُولُ وَقَدْ رَنَا عَنْ لَحْظِ ظَبْيٍ ... وَهَزَّ الْغُصْنَ فِي وَرَقِ الْغَلَائِلْ

أَأَقْتُلُكُمْ بِطَرْفِي أَمْ بِعِطْفِي ... فَقُلْتُ بِمَا تَشَا فَالْكُلُّ ذَابِلْ

سَلَامُ اللهِ مَا هَبَّتْ شَمَالٌ ... عَلَى تِلْكَ الْمَعَاطِفِ وَالشَّمَائِلْ

وقال رحمة الله عليه

وَعُيُونٍ أَمْرَضْنَ جِسْمِي وَأَضْرَمْنَ بِقَلْبِي لَوَاعِجَ الْبَلْبَالِ

وَخُدُودٍ مِثْلِ الرِّيَاضِ زَوَاهِ ... مَا لِأَيَّامِ حُسْنِهَا مِنْ زَوَالِ

لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَلِمَ اللَّـ ... ـهُ وَلَا بِي لِحَرِّهَا الْيَوْمَ صَالِي

وقال غفر الله له

خَيَالِيٌّ أَخَافُ الْهَجْرَ مِنْهُ ... وَلَسْتُ أَرَاهُ يَرْغَبُ فِي وِصَالِي

وَكُنْتُ عَهِدْتُنِي قِدْمًا شُجَاعًا ... فَمَالِي الْيَوْمَ أَفْزَعُ مِنْ خَيَالِي

وقال سامحه الله

بِمُهْجَتِي سُلْطَانُ حُسْنٍ غَدَا ... يَجُورُ فِي الْحُبِّ وَلَا يَعْدِلُ

يَا عَاشِقِيهِ حَاذِرُوا صُدْغَهُ ... فَهُوَ الْحَشِيشِيُّ الَّذِي يَقْتُلُ

قافية الميم

قال رحمة الله عليه

أَحْلَى الْهَوَى أَنْ يَطُولَ الْوَجْدُ وَالسَّقَمُ ... فَأَصْدَقُ الْحُبِّ مَا جَلَّتْ بِهِ التُّهَمُ

لَيْتَ اللَّيَالِيَ أَحْلَامًا تَعُودُ لَنَا ... فَرُبَّمَا قَدْ شَفَى دَاءَ الْهَوَى الْحُلُمُ

لَا آخَذَ اللهُ جِيرَانَ النَّقَا بِدَمِي ... هُمْ أَسْلَمُونِي لِوَجْدٍ مِنْهُ قَدْ سَلِمُوا

وَحَرَّمُوا فِي الْهَوَى وَصْلِي وَمَا عَطَفُوا ... وَحَلَّلُوا بِالنَّوَى قَتْلِي وَمَا رَحِمُوا

وَفَيْتُهُمْ حَقَّ حِفْظِ الْعَهْدِ مُغْتَبِطًا ... بِهِمْ وَمَا رُعِيَتْ لِي عِنْدَهُمْ ذِمَمُ

يَا غَائِبِينَ وَوَجْدِي حَاضِرٌ بِهِمُ ... وَعَاتِبِينَ وَذَنْبِي فِي الْغَرَامِ هُمُ
لَا أَوْحَشَتْ مِنْكُمُ دَارٌ بِكُمْ شَرُفَتْ ... وَلَا خَلَا مِنْ مَعَانِي حُسْنِكُمْ خِيَمُ
بِنْتُمْ فَلَا طَرْفَ إِلَّا وَهُوَ مُضْطَرِبٌ ... شَوْقًا وَلَا قَلْبَ إِلَّا وَهُوَ مُضْطَرِمُ
فَكُلُّ أَرْضٍ وَطِئْتُمْ تُرْبُهَا فَلَكٌ ... وَكُلُّ وَادٍ حَلَلْتُمْ رَبْعُهُ حَرَمُ
هَلْ عَائِدٌ وَالْأَمَانِي قَلَّمَا صَدَقَتْ ... دَهْرٌ مَضَى وَمَعَانِي حُسْنِكُمْ أَمَمُ
لَمْ يُنْسِنَا سَالِفًا مِنْ عَهْدِكُمْ قِدَمٌ ... وَلَا سَعَتْ بِالتَّسَلِّي نَحْوَنَا قَدَمُ
أَسْتَوْدِعُ اللهَ رَكْبًا فِي هَوَادِجِهِمْ ... مُحَجَّبٌ لَيْسَ تُرْعَى عِنْدَهُ الذِّمَمُ
لَهُ مِنَ الْغُصْنِ قَدٌّ زَانَهُ هَيَفٌ ... وَمِنْ غَزَالِ الْحِمَى طَرْفٌ بِهِ سَقَمُ
يَبِيتُ قَلْبِي عَلَيْهِ حُرْقَةٌ وَجَوًى ... وَقَلْبُهُ بَارِدٌ مِنْ لَوْعَتِي شَبِمُ
ظَلِلْتُ فِيهِ وَأَمْسَى قَلْبُهُ حَجَرًا ... لَمْ يَشْفِ قَطُّ مُحِبًّا شَفَّهُ أَلَمُ
فَوَالَّذِي زَانَهُ مِنْ طَرْفِهِ سَقَمٌ ... وَأَوْدَعَ السِّحْرَ فِيهِ إِنَّهُ قَسَمُ
لَوْلَا ثَنَى رُدَيْنِيُّ الْقَوَامِ بِهِ ... حَلَفْتُ أَلْفَ يَمِينٍ إِنَّهُ صَنَمُ

وقال رحمه الله تعالى

لَيْتَ شِعْرِي مَنْ قَدْ أَحَلَّ الْخِيَامَا ... حَفِظَ الْعَهْدَ أَمْ أَضَاعَ الذِّمَامَا
عَرَّبُوا بِالْحِمَى حَمُوا أَنْ يُسَامُوا ... وَصْلُ مِنْهُمْ وَعِزُّهُمْ أَنْ يُسَامَا
رَحَلُوا بِالْفُؤَادِ وَالطَّرْفِ لَكِنْ ... رَجَعَ الطَّرْفُ وَالْفُؤَادُ أَقَامَا
حَمَلُوا بِالْبِعَادِ إِثْمًا وَزُورًا ... وَحَمَلْنَا صَبَابَةً وَهُيَامَا
وَرَأَيْنَا تِلْكَ الْخُدُودَ رِيَاضًا ... فَجَعَلْنَا لَهَا الْجُفُونَ غَمَامَا
وَأَطَعْنَا دَوَاعِيَ الْوَجْدِ مِنْهُ ... وَعَصَيْنَا الْوُشَاةَ وَاللُّوَّامَا
أَيُّ صَبٍّ قَدْ غَادَرَ الْوَجْدُ مِنْهُ ... مُسْتَقَرًّا بِقَلْبِهِ وَمُقَامَا
رَشَقَتْهُ الْعُيُونُ عَنْ أَسْهُمِ السِّحْـ ... ـرِ فَأَصْمَتْ فُؤَادَهُ الْمُسْتَهَامَا
فَهُوَ مِنْهُنَّ بَيْنَ مِصْعَبِ أَضْحَى ... مُسْتَجِيرًا بِعَدْلِهِ أَنْ يُضَامَا

وقال رحمة الله عليه

يَا مَنْ شَغَلْتُ بِهِ سِرِّي وَأَوْهَامِي ... وَمَنْ بِمُغْنَاهُ إِنْجَادِي وَإِتْهَامِي
وَمَنْ أَلِفْتُ رِضَاهُ الرَّحْبَ جَانِبُهُ ... وَفُرْتُ مِنْهُ بِإِحْسَانٍ وَإِنْعَامِ

لم انس اقدامك اللاتي سعت ومشت ... بهن حينا على العلياء اقدامي
كن كيف شئت فذاك الناس كلهم ... فالناس كلهم في ظلك الهامي
وحسن ايامك الغر التي حسنت ... بها ليالي من دهري وايامي
فما المدارس حتى كدرت نهلا ... وردته صافيا من بحرك الطامي
وغيرت خلقا ما زال يمنحني ... بضاحك من ثنايا الود بسامي

وقال غفر الله ذنوبه

وافا وارواح العذيب نواسم ... والليل فيه من الصباح مباسم
اهلا بمن اسرى به وعد له ... متاخر وهوى لنا متقادم
غض الشبيبة والملاحة يعذر ال ... مضنى به ويلام فيه اللائم
النضر من اعطافه وكنانة ... بلحاظه وبمهجتي هو هاشم
امعنفين على الغرام وقلما ... يصغى لاوهام العواذل هائم
هو ناظر متعشق وجوانح ... فيها مواطن للجوى ومعالم
هيهات ان اثني عناني والصبا ... غض وغصن العمر رطب ناعم
او اشتكي حالي ومن احببته ... ابدا لاخلاف القبول ملازم

وقال عفا الله عنه

حديث غرامي في هواك قديم ... وفرط عذابي في هواك نعيم
بما شئت عذب غير سخطك انه ... وصدق ولائي في هواك اليم
تمثلك الاشواق وهما لخاطري ... فيدركني بالخوف منك وجوم
وتقنع منك الروح لمح توهم ... فتحيى بها الاعضاء وهي رميم
هنيئا لطرف فيك لا يعرف الكرى ... وتبا لقلب فيك ليس يهيم
ولما جلاك الفكر يا غاية المنى ... فظل بقلبي مقعد ومقيم
وما الكون الا صورة انت روحها ... وجسم بغير الروح كيف يقوم
توهم صحبي ان بي مس جنة ... وانكر حالي صاحب وحميم
فبحت بما القاه منك مصرحا ... وما نال لذات الغرام كتوم
اغصن النقا اني اغار اذا غدا ... يلاعب عطفيك الرشاق نسيم

ولما

وَلَمَّا بَدَتْ فِي طُورِ خَدِّكَ جَذْوَةٌ ... وَلَاحَتْ لِقَلْبِي عَادَ وَهُوَ كَلِيمُ
يَلَذُّ لِقَلْبِي فِي هَوَاكَ عَذَابُهُ ... وَلَوْ لَا وَبَالُ الْأَحْوَالِ أَنْتَ عَلِيمُ
يَمِينًا بِأَصْوَاتِ الْحَجِيجِ عَلَى مِنًى ... وَصَحْبٍ لَهُمْ بِالْمَأْزَمَيْنِ لُزُومُ
لَأَنْتَ وَإِنْ أَصْبَحْتَ بِالْوَصْلِ بَاخِلًا ... عَلَيَّ احْتِقَارًا بِي لَدَيَّ كَرِيمُ
وَيَا شَرَفِي لَمَّا غَدَوْتُ وَلِلْهَوَى ... عَلَى جَسَدِي الْمُضْنَى النَّحِيلِ رُسُومُ
وَيَا سَائِقًا يُنْضِي الرِّكَابَ طُلَحًا ... لَهَا فِي الرُّسُومِ الْمُقْفِرَاتِ رَسِيمُ
إِذَا عَايَنَتْ عَيْنَاكَ بَارِقَ أَبْرَقٍ ... يَلُوحُ كَمَا فِي الْأُفْقِ لَاحَ نُجُومُ
وَفَاحَتْ بِأَسْرَارِ الرُّبَا نَسَمَةُ الصَّبَا ... وَعَطَّرَ أَقْطَارَ الْقِفَارِ شَمِيمُ
وَعَايَنْتَ سَلْعًا قِفْ وَسَائِلْ أَحِبَّتِي ... فَهَذَا الَّذِي أَصْبَحْتُ مِنْكَ أَرُومُ
فَثَمَّ رَشَا شَوْقِي إِلَيْهِ مُبَرِّحٌ ... وَرِيمُ فُؤَادِي عَنْهُ لَيْسَ يَرِيمُ
أُغَالِطُ عَنْهُ بِالْكَلَامِ مُجَالِسِي ... وَفِي الْقَلْبِ مِنْ ذِكْرَى سِوَاهُ كُلُومُ
لَهُ مِنْ سُوَيْدَاءِ الْفُؤَادِ مَعَاهِدٌ ... وَبَيْنَ سَوَادِ الْمُقْلَتَيْنِ رُسُومُ
وَقُلْ يَا غَرِيبَ الْحُسْنِ رِقَّ لِنَازِحٍ ... غَرِيبٍ لَهُ قَلْبٌ لَدَيْكَ مُقِيمُ
تَرَحَّلَ عَنْهُ مُذْ تَرَحَّلْتَ نَافِرًا ... فَلَيْسَ لَهُ حَتَّى الْقُدُومِ قُدُومُ
عَلَيْكَ سَلَامٌ مِنْ كَئِيبٍ مُتَيَّمٍ ... يَظَلُّ سَلِيمًا مِنْكَ وَهُوَ سَلِيمُ

وَقَالَ سَامَحَهُ اللهُ تَعَالَى

عَفَا اللهُ عَنْ قَوْمٍ عَفَا الصَّبْرُ عَنْهُمُ ... فَلَوْ رُمْتُ ذِكْرَى غَيْرِهِمْ خَانَنِي الْفَمُ
تَجَنَّوْا كَأَنْ لَا وُدَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ ... قَدِيمًا وَحَتَّى مَا كَأَنَّهُمُ هُمُ
فَأَعْظِمْ وَصْلًا مَنْ يُشِيرُ بِطَرْفِهِ ... إِلَيَّ وَأَوْفَى ذِمَّةً مَنْ يُسَلِّمُ
وَبِالْجِزْعِ أَحْبَابٌ إِذَا مَا ذَكَرْتُهُمْ ... شَرِقْتُ بِدَمْعٍ فِي أَوَاخِرِهِ دَمُ
وَلَيْسَ الْهَوَى إِلَّا الْتِفَاتَةُ طَارِحٍ ... يَرُوقُ لِعَيْنَيْهِ الْجَمَالُ الْمُنَعَّمُ
خَلِيلَيَّ مَا لِلْقَلْبِ هَاجَتْ شُجُونُهُ ... وَعَاوَدَهُ دَاءٌ مِنَ الشَّوْقِ مُؤْلِمُ
وَمَا رَاعَهُ إِلَّا لِأَمْرٍ عَرَامَةٍ ... وَلَا اعْتَادَهُ إِلَّا هَوًى مُتَقَدِّمُ
أَظُنُّ دِيَارَ الْحَيِّ مِنَّا قَرِيبَةً ... وَإِلَّا فَمِنْهَا نَفْحَةٌ تَتَنَسَّمُ

وَقَالَ عَفَا اللهُ عَنْهُ

أَمَلٌ سَعَيْتُ أَجِدُّ فِي إِتْمَامِهِ ... فَعَلَى مَرَحَلَّ الدَّهْرُ عَقْدَ نِظَامِهِ

وَإِلَى مَتَى يَسْعَى الزَّمَانُ لِنَقْضِ مَا ... أَسْعَى بِكُلِّ الْجُهْدِ فِي إِبْرَامِهِ

وَإِذَا الْفَتَى قَعَدَتْ قَوَائِمُ حَظِّهِ ... قَامَ الرَّدَى مِنْ خَلْفِهِ وَأَمَامِهِ

دَامَ الْوَزِيرُ مُمَتَّعًا بِخُلُودِهِ ... فَدَوَامُ تَشْيِيدِ الْعُلَى بِدَوَامِهِ

اَلسَّعْدُ فِي أَبْوَابِهِ وَالْأَمْنُ فِي ... إِقْلِيمِهِ وَالرِّزْقُ فِي أَقْلَامِهِ

وَالشَّمْسُ مِنْ قِسْمَاتِهِ وَالْجُودُ فِي ... تَقْسِيمِهِ وَالْبِرُّ فِي أَقْسَامِهِ

وَالْبَأْسُ فِي يَقَظَاتِهِ وَالْحِلْمُ فِي ... غَفَلَاتِهِ وَالْعِلْمُ مِلْءُ كَلَامِهِ

وَالصِّدْقُ فِي أَقْوَالِهِ وَالْحَقُّ فِي ... أَفْعَالِهِ وَالْعَدْلُ فِي أَحْكَامِهِ

وَاللهُ مِنْ حُفَّاظِهِ وَالنَّصْرُ مِنْ ... أَعْوَانِهِ وَالدَّهْرُ مِنْ خُدَّامِهِ

مَلَكَتْ سَجِيَّتُهُ الْجَمِيلُ بِحِيمِهِ ... وَبِمِيمِهِ وَبِيَائِهِ وَبِلَامِهِ

جَاءَ الْكِرَامُ بِبَدْءِ جُودِهِمُ وَقَدْ ... جَاءَ الْوَزِيرُ بِبَدْئِهِ وَتَمَامِهِ

مُسْتَعْصِمٌ بِاللهِ فِي حَرَكَاتِهِ ... وَسُكُونِهِ وَقُعُودِهِ وَقِيَامِهِ

مُغْرًى بِإِعْطَاءِ الْمَكَارِمِ حَقَّهَا ... فِي حَالِ يَقْظَتِهِ وَحَالِ مَنَامِهِ

مَا بَالُ حَظِّي كُلَّمَا قَدَّمْتُهُ ... دَفَعَتْهُ أَيَّامِي إِلَى إِحْجَامِهِ

أَأَذِلُّ فِي أَيَّامِ مَنْ قَدْ كَانَ لِي ... ظَنٌّ بِنَيْلِ الْعِزِّ فِي أَيَّامِهِ

حَاشَا الرِّيَاسَةَ وَالسِّيَادَةَ وَالنَّدَى ... حَاشَا الَّذِي عُوِّدْتُ مِنْ إِنْعَامِهِ

يَا ابْنَ الْعُلَى وَأَبَا الْعُلَى وَأَخَا الْعُلَى ... وَمِنَ النُّجُومِ الزُّهْرِ دُونَ مَقَامِهِ

أَيَكُونُ مِثْلِي فِي الْوَرَى مُتَظَلِّمًا ... يَشْكُو الزَّمَانَ وَأَنْتَ مِنْ حُكَّامِهِ

أَيْنَ الْمُرُوءَةُ وَالْوَفَاءُ بِحَقِّ مَنْ ... أَلْقَى إِلَيْكَ زِمَامَهُ بِزِمَامِهِ

لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَ قَوْمٍ رُبَّمَا ... كَبُرَتْ فَضَائِلُهُ عَلَى أَقْوَامِهِ

تَعِسَ الشَّبَابُ فَمَا سَعِدْتُ بِشَرْخِهِ ... وَلَقَدْ شَقِيتُ بِظُلْمِهِ وَظَلَامِهِ

أَمُكَلِّفِي ذَنْبَ الزَّمَانِ وَلَيْسَ لِي ... ذَنْبٌ يُؤَاخِذُنِي عَلَى إِجْرَامِهِ

اَلرِّزْقُ أَحْقَرُ أَنْ أُضَيِّعَ مُدَّتِي ... بِالْعُذْرِ عِنْدَ سِوَاكُمُ وَمَلَامِهِ

وقال رحمة الله عليه

اَلدَّمْعُ هَامٍ وَالْحَشَا هَاشِمُ ... وَالْجَفْنُ دَامٍ وَالْجَوَى دَلْهَمُ

يا من خلا من حسنهم ناظري ... في القلب مغناكم ومعناكم
والله ما سارت بأرض الحمى ... ركابنا إلا ذكرناكم
ولا سرت من نحوه نسمة ... إلا عرفناها بريّاكم
سقى ليالينا على حاجر ... غيثا وحيّاها وحيّاكم
أحبابنا ما الجذع ما المنحنى ... ما رامة ما الشعب لولاكم
لياليا بالوصل قضيتها ... ما كان أحلاها وأحلاكم
ما قام هذا الكون إلا بكم ... ولا الوجود المحض إلا كم
ولي بجرعاء الحمى شادن ... بقتل أرباب الهوى عالم
ما القلب عنه في الهوى مائل ... ولا له في حبه لائم
يصرم حبل الود من منصفي ... من صارم في لحظه صارم
أشكو إليه منه ما التقى ... ويلاه من خصم هو الحاكم

وقال غفر الله ذنوبه

إذا بعدوا وافاك سر وإن دنوا ... لغزوك وافتهم قنا وصوارم
لأعناقهم بالبيض منك معانق ... لغير هوى فيهم وبالسمر لائم
تفتح منهم بالسيوف شقائق ... عليها الدروع الصافنات كمائم
بحرب تكون البيض منها بوارقا ... نجيعهم فيها الغيوم السواجم
قتلتهم بالذعر حتى كأنها ... تحاربهم فيه وأنت مسالم
وقد علم الأعداء أنك إن تقم ... بقائم سيف فهو بالنصر قائم
وسار ببدر من سنا وجهك الذي ... به ظلمات تنجلي ومظالم
على الأعوجيات العتاق التي لها ... حوافر للهامات منها عمائم
سهام على مثل السهام تبسمت ... سيوفهم حيث الوجوه سواهم
وليس بناج منك جان بجرمه ... إذا أعوزته من يديك المراحم
تكر بما تهوى الجديدان في الورى ... وتسري بما ترضى الرياح النواسم
وتعطي أياديك التي يدك احتوت ... ولو جمعت في راحتيك الأقالم
تؤم رماح الخط بيضك في الوغى ... كما قابلت بيض الوجوه المعاصم

وَتُغْضِي عَنِ الْفَحْشَاءِ لَا عَنْ جَهَالَةٍ ... وَلَكِنْ لِمَعْنًى آثَرَتْهُ الْمَكَارِمُ
وَلِي مِدْحٌ بَالَغْتُ فِيهَا بَلَاغَةً ... وَأَثْنَيْتُ فِيهَا بِالَّذِي أَنَا عَالِمُ
وَلِي فِيكَ آمَالٌ عَلَيْكَ بُلُوغُهَا ... فَلَا دَافِعٌ دُونَ الَّذِي أَنْتَ حَاكِمُ
أَبَعْدَكَ يَحْوِي الْمَجْدَ مَنْ هُوَ فَاخِرٌ ... وَبَعْدِي يَقُولُ الشِّعْرَ مَنْ هُوَ نَاظِمُ
وَإِنَّ لِسَانِي ذُو الْفَقَارِ عَلَيْتُهُ ... عُلَاكَ فَمَنْ مِثْلِي وَمِثْلُكَ غَانِمُ
أَجِرْ وَأَجِزْ وَأَعْطِفْ وَأَعْطِ فَإِنَّمَا ... يَخُصُّ كَرِيمًا بِالنَّوَالِ الْأَكَارِمُ

وقال غفر الله له

هَيْهَاتَ أَنْ يَسْخُو وَلَوْ بِسَلَامِهِ ... مَنْ لَمْ يَزَلْ لِلْحَرْبِ لَابِسَ لَأْمِهِ
مُتَعَرِّضٌ لِلْعَاشِقِينَ بِلَحْظِهِ ... نَظَرَ الْكَمِيِّ إِلَى مَحَطِّ سِهَامِهِ
قَمَرٌ حَنَيْتُ الْمَجْدَ أَوَّلَ بَدْئِهِ ... وَجَنَى عَلَيَّ الْوَجْدُ عِنْدَ تَمَامِهِ
وَأَلِفْتُهُ مُذْ كَانَ يَأْلَفُ مَهْدَهُ ... وَرَضَعْتُ ثَدْيَ هَوَاهُ قَبْلَ فِطَامِهِ
تَسْدِيدُ أَمْرٍ حَسَّدَ فِيهِ بِلَثْمِهِ ... وَقَوَامُ حَالٍ ضَمَّ غُصْنَ قَوَامِهِ
وَمُتَيَّمٍ ذَهَبَ الْغَرَامُ بِحُكْمِهِ ... وَجَنَتْ صَبَابَتُهُ عَلَى أَكْمَامِهِ
أَخَذَ الْهَوَى بِيَمِينِهِ وَشِمَالِهِ ... وَأَعْتَالَهُ مِنْ خَلْفِهِ وَأَمَامِهِ

وقال عفا الله عنه

فَيَا شَعْرَهُ هَلْ فِيكَ لَيْلٌ يَنْقَضِي ... وَيَا صُبْحَهُ هَلْ مِنْكَ صُبْحِي بَاسِمُ
وَيَا طَرْفَهُ كَيْفَ السَّبِيلُ لِمُغْرَمٍ ... عَلَيْكَ إِلَى وَصْلٍ وَسَيْفُكَ صَارِمُ
تَحَكَّمْ بِمَا تَهْوَى فَمَا أَنَا مَانِعٌ ... وَلَا عَنْكَ يَثْنِينِي مِنَ الْوَجْدِ لَائِمُ
وَلِي مُقْلَةٌ قَدْ أَمْطَرَ الشَّوْقُ سَحُّهَا ... فَفِي دَمْعِهَا حَتْفِي تَرَاكَمَ تَرَاكُمُ

وقال سامحه الله تعالى

أَفِي مِثْلِ هَذَا الْحُسْنِ يُعْذَلُ مُغْرَمٌ ... لَقَدْ تَعِبَ اللَّاحِي بِهِ وَالْمُتَيَّمُ
أَعِدْ نَظَرًا فِيهِ عَسَاكَ جَهِلْتَهُ ... تَجِدْ مَا بِهِ تَشْفَى الْعُيُونُ وَتَنْعَمُ
أُعِيدُ مُحَيَّاهُ إِذَا رُمْتُ أَنَّنِي ... أُعِيدُ إِلَيْهِ نَاظِرًا يَتَوَسَّمُ
وَأَلْقَى سَنَا لَوْ كَانَ قَلْبُ حُرُوفِهِ ... لِعَيْنِي بِهِ لَمْ يَشْكُ وَحْشَتَهُ فَمُ

وقال رحمة الله عليه

إمنع جفوني أن تريق دمي ... إن الجفون مظنة التهم
وابن جبينك تنضح طرقي ... وامطل لثامك تكشف ظلمي
يا روضة أجنى أزاهرها ... بالحظ لا بيدي ولا بفمي
ما لي حرمت لذيذ وصلك في ... أيام هذي الأشهر الحرم
لو أن قربك يبتغى بشر ... بالغت فيه بأنفس القيم

وقال عفى عنه

هذا الذي أنا قد سمحت لحبه ... بدلائي من دمعي المنتظم
لا تحرموني ضمة اسمر قده ... ليس الكريم على القنا بمحرم

وقال غفر الله له

وذي ثنايا لم تدع عاشقا ... إلا عصى في حبها من يلوم
كم بت أرعى في لمى ثغرها ... وشيمة العاشق رعى النجوم

وقال عفا الله عنه

لا تطلبن الفوت من معشر ... ما عندهم لطف ولا رحمه
من ليس في لحمهم فضلة ... فليس في فضلهم تخمه

وقال في رسام

قولوا لرسامكم ... بك الفؤاد مغرم
قالوا متى تذيبه ... فقلت حتى يرسم

وقال في كاس

أنا كأس في كيس ... لحديث وقديم
لم أزل في كف ساق ... أو على ثغر نديم

وقال فيه ايضا

أنا من لطف مزاجي ... وصفا روحي وجسمي
دائر بين الندامى ... والتثام الثغر رسمي

وقال رحمه الله

وافى وواصل عندما ... أجرى المدامع عندما

وَرَنَا إِلَيَّ فَسَلَّمَا ... لِلْوَجْدِ قَلْبِي سَلَّمَا
وَثَنَى الْقَوَامَ فَهَزَّمَا ... لِجُيُوشِ صَبْرِي هَزَّمَا
وَحَمَى مَرَاشِفَ ثَغْرِهِ ... أَرَأَيْتُمُ بَرْقَ الْحِمَى

وَقَالَ عَفَى عَنْهُ

يَا مَنْ دَعَوْتُ لَهُ غَدَاةَ دَعَوْتُهُ ... فَأَبَى يُجِيبُ وَلِلصُّدُودِ عَلَائِمُ
قَصْدِي أَرَاكَ فَإِنْ أَبَيْتَ فَإِنَّمَا ... قَصْدِي أُخَبِّرُ عَنْكَ أَنَّكَ سَالِمُ

وَقَالَ عَفَا اللهُ عَنْهُ

تُهَدِّدُنِي بِهِجْرَانٍ وَبُعْدٍ ... مَتَى كَانَ اجْتِمَاعٌ وَالْتِئَامُ
إِذَا أَنَا لَا أَرَاكَ وَأَنْتَ جَارٌ ... فَسِيَّانِ التَّرَحُّلُ وَالْمُقَامُ

وَقَالَ غَفَرَ اللهُ ذُنُوبَهُ

وَلِي وَاحِدٌ مَا زَالَ بِاثْنَيْنِ مُغْرَمًا ... عَلَى وَاحِدٍ مَا زَالَ بِاثْنَيْنِ مُغْرَمَا
رَأَى جَسَدِي وَالدَّمْعَ وَالْقَلْبَ وَالْحَشَا ... فَأَضْنَى وَأَفْنَى وَاسْتَمَالَ وَتَيَّمَا

وَقَالَ عَفَى عَنْهُ

بِأَبِي أَفْدِي حَبِيبًا ... تَيَّمَ الْقَلْبَ غَرَامَا
عَذَرَ الْعَاذِلَ فِيهِ ... مُذْ رَأَى الْعَارِضَ لَامَا

وَقَالَ فِي كَفِّهِ

لِلَّهِ كَفٌّ أَطَاعَ صَبَّابَتِي ... فِيهِ الْفُؤَادُ وَخَالَفَ اللَّوَّامَا
مَدَّ الشَّرِيطَ عَلَى الْخُدُودِ فَخِلْتُهُ ... قَدْ رَيْطَرَزَ بِالْبُرُوقِ غَمَامَا

قَافِيَةُ النُّونِ

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِ

أَعَزَّ اللهُ أَنْصَارَ الْعُيُونِ ... وَخَلَّدَ مُلْكَ هَاتِيكَ الْجُفُونِ
وَضَاعَفَ بِالْفُتُورِ لَهَا اقْتِدَارًا ... وَإِنْ تَكُ أَضْعَفَتْ عَقْلِي وَدِينِي
وَأَبْقَى دَوْلَةَ الْأَعْطَافِ فِينَا ... وَإِنْ جَارَتْ عَلَى قَلْبِي الطَّعِينِ
وَأَسْبَغَ ظِلَّ ذَاكَ الشَّعْرِ مِنْهُ ... عَلَى قَدِّ بِهِ هَيَفُ الْغُصُونِ
وَصَانَ حِجَابَ هَاتِيكَ الثَّنَايَا ... وَإِنْ شَنَّتِ الْفُؤَادَ إِلَى الشُّجُونِ

فكم في الحب من تلك المعاني ... وان جعلت دموعي كالمعين
حملت تسهدي والشيب هذا ... على رأسي وذاك على عيوني

وقال رحمه الله تعالى

وحياتكم في عزكم وهواني ... معنى به الشاني يعظم شاني
يا ساكني نعمان ما عرف الهوى ... لولاكم يا ساكني نعمان
سلت ظباؤكم الظبي من اعين ... انسانها طيب الكرى انساني
هلا رعين عهودنا يوم النوى ... والرعي منسوب الى الغزلان
وبمهجتي وسنان يسطو قده ... واللحظ منه بذابل وسنان
بالله يا اعطافه ونهوده ... من انبت الرمان في المران
جمران من وجدي به وصدوده ... جعلا دموعي فيه من مرجان
وبوجنتيه وعارضيه يروق من ... نظرت لواحظه له مرجان
عجبي لثعبان يجول على نقا ... اردافه في الحب كيف حواني
ولعاذلي وقد بدا في خده ... من خطه لامان قد لاماني

وقال غفر الله له

حتى مرحظي لديك حرمان ... وكم كذا جفوة وهجران
اين ليال مضت ونحن بها ... احبة في الهوى وجيران
واين ود عهدت صحته ... واين عهد واين ايمان
اعانك الهجر والصدود على ... قتلي ومالي عليك اعوان
يا غائبا عاتبا تطاول هذا الهجر هل للدنو امكان
قد رضي الدهر والعواذل والحساد عني وانت غضبان
فاسلم ولا تلتفت الى مهج ... بها جوى قاتل واشجان
ونم خليا وقل كذا وكذا ... من كل ما اطلعت تلمسان

وقال عفا الله عنه

ان تبدوا او تثنوا ... فبدور في غصون
او رنوا ظبي كناس ... او سطوا ليث عرين

مَزَجُوا الْوَصْلَ بِهَجْرٍ لِمُنَاىَ وَمُنُونِ
وَلَكَمْ بِالْهَجْرِ أَجْرَوْا لِعُيُونٍ مِنْ عُيُونِي
حُبُّهُمْ رُوحِي وَرَاحِي وَهُوَ دُنْيَاىَ وَدِينِي
أَنَا لَا أَسْمَعُ عَذْلًا فِيهِمُ إِنْ عَذَلُونِي
أَلَا مَا فِي خَبَّرَتْنِي بِرِضَاهُمْ عَنْ يَقِينِ
إِنَّهُمْ عُرْبٌ كِرَامٌ فِي هَوَاهُمْ يُنْصِفُونِي
كَمْ أَضَلُّونِي بِشِعْرٍ وَهَدَوْنِي بِجَبِينِ

وقال سامحه الله

مِثْلُ الْغَزَالِ نَظْرَةً وَلَفْتَةً مَنْ ذَا رَآهُ مُقْبِلًا وَلَا افْتَتَنْ
أَحْسَنُ خَلْقِ اللهِ وَجْهًا وَقَمَا إِنْ لَمْ يَكُنْ أَحَقَّ بِالْحُسْنِ فَمَنْ
فِي جِسْمِهِ وَصُدْغِهِ وَشَكْلِهِ الْمَاءُ وَالْخُضْرَةُ وَالْوَجْهُ الْحَسَنْ

وقال رحمه الله تعالى

مُلْبِسِي مِنْ هَجْرِهِ ثَوْبَ الضَّنَا وَمُذِيبَ الْقَلْبِ حُزْنًا وَعَنَا
فَبِمَنْ أَعْطَاكَ يَا كُلَّ الْمُنَى قَامَةً تُزْرِي بِأَعْطَافِ الْقَنَا
وَمُحَيًّا جَلَّ مَنْ صَوَّرَهُ مُخْجِلَ الْبَدْرِ سَنَاءً وَسَنَا
يَا مَلِيكَ الْحُسْنِ كُنْ لِي مُحْسِنًا لَا يَرَاكَ اللهُ إِلَّا مُحْسِنَا

وقال غفر له

مَالِكٌ قَدْ أَحَلَّ قَتْلِي بِرُمْحِ الـ قَدِّ مِنْهُ وَرَاحَ قَلْبِي طَعِينَهْ
لَيْسَ يُفْتِي سِوَاهُ فِي قَتْلِ صَبٍّ كَيْفَ يُفْتِي وَمَالِكٌ فِي الْمَدِينَهْ

وقال عفا الله عنه

كَانَ بِعَيْنَيْنِ فَلَمَّا طَغَى بِسِحْرِهِ رُدَّ إِلَى عَيْنِ
وَذَاكَ مِنْ لُطْفِ بِوَشَّاءٍ مَا يَضْرِبُ اللهُ بِسَيْفَيْنِ

وقال عفى عنه

لَوْ أَنَّ مَنْ أُحِبُّهُ قَرَّبَ مِنِّي بَدَنَهْ
قَرَّبْتُ شُكْرًا لِلَّذِي أَلَّفَ أَلْفَ بَدَنَهْ

وقال في مقرى

وَمُقْرِئٍ طَيِّبِ الْأَلْحَانِ هَيَّجَ فِي ... قَلْبِي غَرَامًا بِمَا مِنْهُ تَلَحَّنُهُ
يَمُوتُ فِي حُبِّهِ تِلْمِيذُهُ كَلَفًا ... لِأَجْلِ ذَلِكَ إِذْ وَافَى يُلَقِّنُهُ

وقال رحمه الله

كَأَنَّنِي وَاللَّوَاحِي فِي مَحَبَّتِهِ ... فِي يَوْمِ صِفِّينَ قَدْ ثُمْنَا بِصَفَّيْنِ
وَكَيْفَ نَطْلُبُ صُلْحًا أَوْ مُوَافَقَةً ... وَلَحْظُهُ بَيْنَنَا يَسْعَى بِسَيْفَيْنِ

وقال غفر له

وَنَحْوِيٍّ لَهُ نَغَمٌ ... يُحَارُ بِوَصْفِهِ الذِّهْنُ
فَيَا لِلَّهِ نَحْوِيٌّ ... جَمِيعُ حَدِيثِهِ لَحْنُ

وقال عفى عنه

يَا سَاكِنًا قَلْبِيَ الْمُعَنَّى ... وَلَيْسَ فِيهِ سِوَاهُ ثَانِي
لِأَيِّ مَعْنًى كَسَرْتَ قَلْبِي ... وَمَا الَّتِي فِيهِ سَاكِنَانِ

وقال رحمه الله تعالى

وَأَهْيَفَ فَاقَ الْوَرْدَ حُسْنًا بِوَجْنَةٍ ... أُنِيرَ طَرْفِي فِي رِيَاضِ جِنَانِهَا
كَأَنَّ بِهَا مِنْ حَوْلِ خَالَيْهِ جَمْرَةً ... تَشُبُّ لِقُرْ وَرَيْنِ يَصْطَلِيَانِهَا

وقال غفر له

تَمَشَّى بِصَحْنِ الْجَامِعِ الْيَوْمَ رَشَادٌ ... عَلَى قَدِّ أَغْصَانٍ بَانِ النَّقَا شَنِّ
فَقُلْتُ وَقَدْ لَاحَتْ عَلَيْهِ حَلَاوَةٌ ... أَلَا فَانْظُرُوا هَذِي الْحَلَاوَةَ فِي الصَّحْنِ

وقال رحمة الله عليه

حَتَّى مَ يَلْحَى عَلَيْكَ مَنْ خَلَتِ آلْ ... أَحْشَاءُ مِنْهُ مِنْ لَاعِجِ الْحُزْنِ
هَبْهُ أَطَالَ الْمَلَامَ فِيكَ فَهَلْ ... يَدْخُلُ مَا قَالَ قَطُّ فِي أُذُنِ
كَمْ جَهْدَ مَا تَفْعَلُ الْوَاشِطُ ... وَجْهٌ قَبِيحٌ مِنْ آلَةِ الْحُسْنِ

وقال عفا الله عنه

قَدْ تَعَشَّقْتُ خِلًّا فِيهِ مَعَانِي ... كُلَّمَا جَادَنِي الْعَا ... ذِلُ فِيهِ أَوْ لَحَانِي

جِئْتُهُ مِنْ عَارِضَيْهِ بِدَلِيلِ الدَّوَرَانِ

قافية الهاء

قال رحمه الله تعالى

وَمَا اسْمٌ بِلَا جِسْمٍ وَتُمْسِكُهُ يَدٌ وَأَحْقَرُ شَيْءٍ فِيهِ أَشْرَفُ مَا فِيهِ
يُقَابِلُهُ بِالْكَسْرِ مَنْ رَامَ جَبْرَهُ وَيُضْعِفُهُ بِالضَّرْبِ حِينَ يُقَوِّيهِ

وقال عفا الله عنه

بِاللهِ يَا ذَا النُّفُورِ رِقَّ عَلَى مُغْرَى الْحَشَا فِي هَوَاكَ مُضْنَاهَا
وَعَامِلِ اللهَ فِي مُوَاصَلَتِي مَا خَابَ عَبْدٌ يُعَامِلُ اللهَ

وقال غفر له

اسْرِعْ وَسِرْ طَالِبَ الْمَعَالِي بِكُلِّ وَادٍ وَكُلِّ مَهْمَهْ
وَإِنْ لَحَا عَاذِلٌ جَهُولٌ فَقُلْ لَهُ يَا عَذُولُ مَهْ مَهْ

قافية الواو

قال سامحه الله

مَا بَيْنَ هَجْرِكَ وَالنَّوَى قَدْ ذُبْتُ فِيكَ مِنَ الْجَوَى
يَا فَاتِنِي بِمَعَاطِفٍ سَعِدَتْ لَهَا قُضُبُ اللِّوَى
وَحَيَاتِ وَجْهِكَ لَا سَلَا عَنْكَ الْمُحِبُّ وَلَا نَوَى
يَا مَنْ حَكَى بِقَوَامِهِ قَدَّ الْقَضِيبِ مُذِ الْتَوَى
مَا أَنْتَ عِنْدِي وَالْقَضِيـ ـبُ الدُّنْ فِي حَدٍّ سَوَى
هَذَا حَرَّكَهُ الْهَوَا ءُ وَأَنْتَ حَرَّكْتَ الْهَوَى

وقال رحمة الله عليه

جَرَحَتْ فُؤَادَ الْمُسْتَهَامِ فَدَاوِهِ وَمَا ثِلْهُ فِي حِفْظِ الْوِدَادِ وَسَاوِهِ
وَاوْصِ بِهِ ضَعْفَ الْجُفُونِ فَإِنَّهُ يُقَاوِي مِنَ الْعُشَّاقِ مَنْ لَا يُقَاوِهِ
غَرِيبُ هَوًى يَأْوِي إِلَى الْوَجْدِ قَلْبُهُ فَأَنْزِلْهُ فِي مَغْنَى رِضَاكَ وَآوِهِ
وَفِي مَبْسِمِ أَلْمَى فَنِيتُ بِمِيمِهِ غَرَامًا وَمُدْغَمٌ قَدْ فَنِيتُ بِوَاوِهِ

وقال رحمة الله عليه

لم انسه لما اتى مقبلا اولانى الوصل وقد الوى
وقعت بالرشف على ثغره وقع المساطيل على الحلوى

قافية اللام الف

قال عفا الله عنه

عن لى دمية ولاح هلالا وانثنى صعدة وفر غزالا
فتذللت حين ابدى دلالا ورأى رخص مدمعى فتغالا
يا غنيا بالحسن اسئلك الوصل وحاشاك ان ترد السؤالا
رشأ قد اطعت فيه غرامى وعصيت اللوام والعذالا
قتلتنى جفونه وهى مرضى سلبتنى قواى وهى كسالى

وقال غفر الله له

وفقيه كالبدر زار بليل فجلا نوره الدجا اذ تجلى
ما درى موضعى ولكن قلبى بضرام الحشا هداه ودلا
وعجيب منه فقيه ذكى بمحل النزاع كيف استدلا

وقال رحمه الله تعالى

على انى فتى نطق بليغ بلوغ ما سلكت له سبيلا
بالفاظ تخر لها القوافى وينقاد القريض لها ذليلا
اذا مرت على اذنى فصيح سواك يعض اصبعه ذليلا

وقال عفا الله عنه

قد كان ما علم اللاحى وما جهلا وصار ما كتم الواشى وما نقلا
كان التكتم يرجى قبل بينكم اما وقد حكمت ايدى الفراق فلا
وفى الركائب من زودته نظرا ولو امنت العدا زودته قبلا

قافية الياء آخر الحروف

قال عفى عنه

قامت حروب الزهر ما بين الرياض السندسية
واتت جيوش الآس تغزو روضة الورد الجنية

لكنها كسرت لان الورد شوكته قويه

وقال سامحه الله

ومستتر من سنا وجهه بشمس لها ذلك الصدغ في
كوى القلب مني بلام العذا ر فعرفني انها لام كي

وقال مضمنا

جلا ثغرا واطلع لي ثنايا يسوق الى المحب بها المنايا
وانشد ثغره يبغي افتخارا انا ابن جلا وطلاع الثنايا

وقال رحمة الله عليه

حرت وقد اقبل يسعى بها صفراء تحكي فعل عينيه
ان قستها بالشمس في حسنه فالشمس في قبضة كفيه

وقال من فن الموشحات

بدر عن الوصل في الهوى عدلا ما لي عنه ان جار او عدلا مذهب
متركُ اللحظ لفظه خنث
اليه يصبو الحشا وينبعث
اشكو اليه وليس يكترث
دعا فؤادي بان يذوب قلا والموت والله من مقالي اقرب
لم تبق لي مقلة ولا كبد
والقلب فيه اودى به الكمد
وليس يلقى لهجره امد
لا تعجبوا ان غدوت محتملا لكن فؤادي ان كان عنه سلا اعجب
بالحسن كل العقول قد نهبا
والحزن كل القلوب قد وهبا
شمس ولكنني لديه هبا
فانظر لذاك القوام كيف حلا غصنا وكم بالجمال منه جلا غيهب

وقال عفا الله عنه

قَمَرٌ يَجْلُو دُجَى الْغَلَسِ بَهَرَ الْأَبْصَارَ مُذْ ظَهَرَا

آمِنٌ مِنْ شُبْهَةِ الْكَلَفِ
ذُبْتُ فِي حُبِّهِ بِالْكَلَفِ
لَمْ يَزَلْ يَسْعَى إِلَى تَلَفِي
بِرِكَابِ الذُّلِّ وَالصَّلَفِ

آهِ لَوْلَا أَعْيُنُ الْحُرُسِ نِلْتُ مِنْهُ الْوَصْلَ مُقْتَدِرَا

يَا أَمِيرًا جَارَ مُذْ وَلِيَا
كَيْفَ لَا تَرْثِي لِمَنْ بَلِيَا
فَيُثَغِّرُ مِنْكَ لِي جُلِيَا
قَدْ حَلَا طَعْمًا وَقَدْ حَلِيَا

وَبِمَا أُوتِيتَ مِنْ كَيَسِ حُدْ فَمَا أَبْقَيْتَ مُصْطَبِرَا

لَكَ خَدٌّ يَا أَبَا الْفَرَجِ
زِينَ بِالتَّوْرِيدِ وَالضَّرَجِ
وَحَدِيثٌ عَاطِرُ الْأَرَجِ
كَمْ سَبَا قَلْبًا بِلَا حَرَجِ

لَوْ رَآكَ الْغُصْنُ لَمْ يَمِسِ أَوْ رَآكَ الْبَدْرُ لَا اسْتَتَرَا

بَدْرُ تَمٍّ فِي كَمَالِ سَنَى
وَلِهَذَا الْقَبُّ وُسْنِي
بِمُحَيَّا بَاهِرِ حَسَنِ
قَدْ سَلَبْنِي لَذَّةَ الْوَسَنِ

هُوَ حَشْفِي وَهُوَ مُفْتَرِسِي فَارْوِ عَنْ أُعْجُوبَتِي خَبَرَا

قُمْتَ فِي الْحُسْنِ الْبُدُورَ مَدَا
يَا مُذِيبًا مُهْجَتِي كَمَدَا
هَلْ تُرِينِي لِلْمُجَفَا أَمَدَا
عَجَبًا تُبْرِينِي الرَّمَدَا

وبسقم الناظرين كسى جفنك السحار فانكسرا

انتهى ما اختاره من شعره وتوشيحه قدس الله روحه ونور ضريحه وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين آمين

والحمد لله رب العالمين

يقول كاتبه الفقير الى الله القدير احمد بن الحاج اسماعيل النجحاوى عفر الله له المساوى نجز طبع هذا الديوان الرفيع والمجموع السامى البديع المنسوب لأديب زمانه وشاعر عصره واوانه الذى سجعت بفصاحته بلابل الفصحاء على رياض التهانى الشاب الظريف شمس الدين محمد بن سليمان التلمسانى وذلك بمطبعة الحجر الفاخره الكائنة بحروسة مصر القاهره على ذمة الأمير المحترم عبد الحميد بك نافع نفع الله به الانام وحفه بلطفه على الدوام وذلك فى اواخر شهر رجب الاصم من شهور سنة الف ومائتين واربع وسبعين من هجرة سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وقال مصححه الأديب النجيب والأريب اللبيب حضرة الشيخ حسين بن المرحوم العلامة الشيخ احمد المرصفى مؤرخا فيه

صاح هاك القديم عمن تولى تجد الأنس فى الفؤاد تولى
واقتطف يانع الأزاهر غضا من رياض بديعها قد تجلى
واجتلى الراح لابوزر وساقيك فريد الزمان ظرفا ونبلا
رفع الطبع سجفها عن سناها فدع الفكر يجتلى وتملى
وسم اللؤلؤ النظيم ونزه فى بديع الرقيم طرفا وعقلا
واشكر ابن العفيف والطبع راخ زاين الطبع شعره فتحلا

٥١٩ ٥٧٥ ١١٢ ٦٨

سنة ١٢٧٤

وكان هذا الطبع بمطبعة الحواجا موسى كسئلى

عن بيان صواب الخطأ الواقع فى هذا الديوان

صحيفه	سطر	خطا	صواب
٣	١٤	آسرها	إثرها
٣	١٨	بسوداء	بسودائى
٣	٢١	سوداء	سودائى
٤	٦	السحب	السّوْل
١٠	١٨	قسنى وقيسا منطقا	قسنى وقسّا وقيسا منطقا
١٣	٢٢	يعلو بهجة	ياعلو مُهْجَة
١٤	٦	وانت	لأنت
١٩	١٥	فانزع	فانزعى
٣٠	٥	وناد	لوناد
٣٣	١٩	قلّما	قبلما
٤٠	١٢	باوضهم	بأرضهم
٤٠	١٨	تحفو	تحنو
٤١	١٩	ليته	ياليته
٤٢	٦	تغنى	تغنّ
٤٣	١٤	جف	جفا
٤٣	١٥	فتوقف	فتوقفا
٤٨	١٦	اوج	أرج
٤٩	١٨	يصفى	يصفى
٥٠	١٥	شقائق	شقائقًا
٦١	١٠	المجد	الوُجد
٦٧	١٠	مهمه	مَهْمَهْ
٦٩	١٦	مقالى اقرب	مقالى لاأقرب

هذا كتاب فتوح مصر واعمالها
للشيخ الامام ابن اسحق
الاموى نفعنا الله به
وبركاته فى الدنيا
والآخرة
آمين
م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين * والعاقبة للمتقين * ولا عدوان الا على الظالمين * والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين * وعلى اله وصحبه اجمعين وسلم تسليما كثيرا أمين وبعد فهذا كتاب نذكر فيه فتوح مصر وأعمالها على ايدى الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين * حدثنا يونس بن عبد الأعلا قرأت عليه بالخضراء مدينة عسقلان قال اخبرنا ابن شاكر بالمداين قرأت عليه بجلولية يوم الجمعة ونحن عند قبر يونس بن متى عليه الصلاة والسلام قال لما فتح الله تبارك وتعالى على المسلمين ساحل الشأم فى سنة سبعة عشر من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب عمرو بن العاص بذلك الى امير الجيوش وهو ابو عبيدة عامر بن الجراح كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عمرو بن العاص الى امين الامة السلام عليك ورحمة الله وبركاته وعلى من معك من المسلمين اما بعد فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم اعلم ان الله عز وجل قد فتح علينا ما بقى من الساحل وهو مدينة قيسارية قد اخذتها صلحا وهزمت منها قسطنطين بن هرقل باموالها وعياله ونحن مقيمون بالقيسارية ننتظر امرك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وعلى من معك من المسلمين قال وكتب ايضا يزيد بن ابى سفيان قال وكان ابو عبيدة قد رحل من حلب طالبا طبرية فوافاه الخبر وكان قد وصل الزراعة فلما وصل اليه الكتاب تهلل وجهه فرحا وسرورا وضجت المسلمون بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وكتب ابو عبيدة

من وقته كتابا الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يبشره بما فتح الله
على المسلمين وبما صنع يوقنا صاحب حلب وارسل الكتاب مع عرفجة
ابن مازن فاخذ الكتاب وركب ناقته وحمل عليها جرابا فيه زاده وقربة
ماء وصار قاصدا مدينة يثرب فما زال يجد السير حتى دخل المدينة الطيبة
الأمينة على صاحبها افضل الصلاة والسلام وكان ذلك يوم الجمعة المبارك
اول يوم من شهر رمضان المعظم قال فوجدت عمر بن الخطاب رضى الله عنه
بظاهر المدينة فلما رأيته اربكت ناقتى ونزلت اليه وسلمت عليه فنظر الى
ساعة وقال من الرجل فقلت له انا عرفجة بن مازن يا امير المؤمنين قال اما
كان لك اسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم قلت ولم ذلك يا امير المؤمنين
قال هذه الديباجة الحرير التى عليك لبسها حرام على الرجال ولا يصلح
لبسها الا للنساء فهل رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس مثلها
تصدق بثمنها على فقراء المدينة فانى والله دخلت يوما على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو نائم على سرير شريطه من ليف قد اثر الشريط فى جلد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظرته بتلك الحالة بكيت فقال لى ما الذى
يبكيك يا عمر فقلت يا رسول الله انى اعلم انك عند الله افضل من كسرى وقيصر
وهما منعمان فى الدنيا وانت يا رسول الله بهذه الحالة فقال يا عمر اما ترضى ان
تكون لهم الدنيا ولنا الاخرة قال عرفجة فسلمت اليه الكتاب فاخذه وقرأه
فتهلل وجهه فرحا وسرورا قال عرفجة فنزلت فى منزل خالتى عفرا ابنة ابى ايوب
الانصارى رضى الله عنه ونمت عندها تلك الليلة فلما اصبح الصباح لم
اقدر اقابل عمر وانا بتلك الحالة فقلعت الثياب ودفعتها لخالتى فباعتها
وتصدقت بثمنها على فقراء المدينة وسرت بعد ذلك الى عمر بن الخطاب رضى الله
عنه فلما رأنى تبسم وقال يا ابن مازن ما فعلت بالديباجة التى كانت عليك
بالأمس فقلت يا امير المؤمنين دفعتها الى خالتى فباعتها وتصدقت بثمنها
على فقراء المدينة فقال لى عمر وما تفعلوا من خير فان الله به عليم ثم قلت
له يا امير المؤمنين اريد جواب الكتاب فكتب لى كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم
من عبد الله عمر بن الخطاب الى امين هذه الامة عامر بن الجراح اما بعد فانى احمد
الله الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد فرحت بما
فتح الله على المسلمين وانجاز ما وعدنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم من كنوز
كسرى وقيصر والحمد لله كثيرا وقد بلغنى ان مومما من بادية الاعراب استندوا

الى الدنيا ومحبتها وقد نصبت لهم شباك محبتها وقد تمسكوا بذيل غرورها وقد نسوا نعيم الجنة وقصورها وقد لبسوا ثياب الديباج الحرير واكلوا ما صفا من خبز الحنطة والحلوى والهاهم ذلك عن الاخرة وقد بلغني انهم تهاونوا عن الصلاة فجرد لهم عن ساق الهمم واغلظ عليهم ولا تلين جانبك لهم فيطمعوا فيك ومن اطاعك منهم الى شروط الاسلام فاحسن اليه واقم فيهم حدود الله واعلم بانك راع وكل راع مسؤل عن رعيته وقد قال الله تعالى الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة واتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حقك انك امين هذه الامة فاعط الامانة حقها ومن ترك الصلاة فاضرب عليها وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا اخبارا عن ربه عز وجل يقول الله سبحانه وتعالى ان بيوتي في الارض المساجد وان زواري فيها عبادي فطوبى لعبد تطهر في بيته وزارني فحق على صاحب البيت ان يكرم زائره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا الله في الصلاة فان جميع المفروضات افترضها الله في الارض الا الصلاة فقد افترضها الله في السماء وبعد ذلك اذا قرأت كتابي هذا فامر عمرو بن العاص ان يتوجه بعسكره الى مصر وارسل معه عامر بن ربيعة العامري ومشايخ من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن يقتدى بهم عند المشورة وينفذ من يعتمد عليه الى ارض ربيعة وديار بكر واسال الله عز وجل لكم المعونة والنصر والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ثم طوى الكتاب وختمه وسلمه الى عرفجة قال فاخذت الكتاب وركبت ناقتي وسرت فلما كنت عند آبار نجد لقيني ركب من اهل اليمن فسألتهم عن أبي عبيدة فاخبروني انه متوجه الى طبرية قال عرفجة فسرت اطلب الطريق فما زلت حتى لقيت ابا عبيدة على الاردن فسلمت عليه وناولته الكتاب فلما اخذه جمع المسلمين وقرأه عليهم ثم قال والله ما اعلم ان احدا ترك الصلاة اوشيا مما فرضه الله عليه الا جلدته قال الواقدي رحمه الله تعالى وبات المسلمون تلك الليلة ولما اصبح الصباح جاء خالد بن الوليد من طرابلس فقرأ ابو عبيدة عليه الكتاب ثم ان ابا عبيدة ارسل كتابا الى عمرو بن العاص يامره بالمسير الى مصر فلما وصل الى عمرو الكتاب جهز نفسه للسفر وسافر ومعه يزيد بن ابي سفيان وعامر بن ربيعة العامري وجماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار معه يوقنا صاحب حلب وكانوا اربعة الاف

قال

قال الواقدى رحمه الله تعالى وسار عمرو وجعل مسيره على يسار العريش وترك
الغارة والوارة والقصير ولم يزل عليهم حتى اذا كان بموضع يقال له الغوير
بالقرب من يمين من يطلب ارض مصر قال الواقدى رحمه الله تعالى قد قالت
الرواة ان مصر كانت من حدود ارض النوبة الى عيذاب الى ساحل بحر الاسكندرية
الى العقبة الكبرى عقبة ايلة وهى عقبة الحجاز كل ذلك فى مملكة مصر
وكان ملكهم المقوقس بن راعيل وكان هذا الملك من اهل الرأى والتدبير
والفضل وكان تلميذ الحكيم تاذمون وهو الذى صنع بجلجلا لما غلبت الحيات
على ارض مصر واخربتها فصنع هذا الجلجل فكان يحركه فيسمع صوته من
رمية سهم فتخرج الحيات من الاجحرة فمن هربت نجت ومن وقفت هلكت
وكان المقوقس من اعلم اهل زمانه وكانت القبط معه فى عيشة راضية وامور
سنية وكان يتوقع ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكان حكيم
ذلك الزمان بأرض مصر رجل يقال له قطماوس وهو الذى عمل دواليب
الريح ورحا الهوا وكان قد عمر فى الاجال واشرف على مكنون الحكمة والاسرار
وعرف سكة الذهب والفضة وصنوف الجواهر وعلم الحركات المتحركة
بهبوب الرياح واجناس الاهوية وكان قد اطلع فى العلوم الذى وأها فى الكتب
السالفة ان الله عز وجل يبعث نبيا عربيا من اهل تهامة يدعو الناس الى توحيد
الله تعالى وعبادته ويظهر كلمة التوحيد وهى كلمة لا اله الا الله محمد رسول
الله وينشر دينه فى الأرض وتعلو كلمته وتملك اصحابه البلاد من مشارق
الأرض ومغاربها وعمل بحكمته فى ايام راعيل بن قطماوس ابى المقوقس جبلا
عظيما على اعمدة من النحاس بموضع يعرف بعين شمس وجعل على الجسر اشخاصا
مجوفة وجعل وجهها مما يلى مصر وكتب عليها بالقبطية يقول اذا دارت هذه
الأشخاص وجوهها مما يلى الحجاز فقد قرب ملك العرب قال فبينما المقوقس
قد ركب فى بعض الايام يريد الصيد والقنص وكان ذلك فى ايام هجرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بلغ الملك المقوقس فى مسيره الى
عين شمس واذا بالاصوات قد علت من تلك الاشخاص وقد حولت وجوهها
نحو الحجاز فايقن الملك بزوال ملكه وذهاب عزه فرجع عن مسيره وترك
صيده ودخل قصره وجلس على سريره وجمع الأقسة والرهبان وكبار القبط
وقال يا اهل دين النصرانية اعلموا ان زمانكم قد مضى وملككم قد
انقضى وهذا زمان النبى المبعوث قد اتى وهو النبى المبعوث فى اخر الزمان

فلا بنى بعده وان هذا النبى يبعث بالسيف والرعب فلا بد لرجل من اصحابه ان يملك البلاد ويذل العباد ويقهر الملوك وتملك ماتحت سريرى هذا فانظروا فى امركم واصلحوا ذات بينكم وارفقوا برعيتكم ولا تجوروا فى احكامكم واياكم واتباع الظلم وخافوا واعطوا الحق من انفسكم ولا يستطيل قويكم على ضعيفكم واعلموا ان الدنيا مادامت لاحد من قبلكم هل تدوم لكم وكما ملكتموها عن من كان قبلكم كذلك يملكها قوم اخرون ويأتوا من بعدكم فاصلحوا نياتكم فيما بينكم وبين خالقكم فان انتم فعلتم ذلك رجوت لكم النصر على اعدائكم ومن يريد قتالكم وان انتم اتبعتم اهواءكم تبين لكم هلاككم **قال** ابو عبد الله محمد بن عمر الواقدى اخبرنا عبد الملك بن محمد عن ابيه عن حسان بن كعب عن عبد الواحد بن ابى عوف عن موسى بن عمران عن حميد الطويل يرفع الحديث الى ابى اسحاق الراوى لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وبايعه الاوس والخزرج كتب الكتب الى سائر ملوك الارض وكتب فى الجملة كتابا الى الملك المقوقس بن راعيل ملك مصر والاسكندرية وكان كاتب الكتاب ابو بكر رضى الله عنه وكانت نسخة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صاحب مصر والاسكندرية اما بعد فان الله تعالى ارسلنى رسولا وانزل على قرآنا مبينا وامرنى بالانذار والانذار ومقاتلة الكفار حتى يدينوا الناس بدينى ويدخلوا فى ملتى وقد دعوتك الى الاقرار بوحدانية الله تعالى فان فعلت ذلك سعدت وان ابيت شقيت والسلام ثم طوى الكتاب وختمه بخاتمه واسترجع الخاتم الى اصبعه **قال** وكان الخاتم من فضة وكان على فصه ثلاث سطور السطر الاول محمد الثانى رسول الثالث الله فلا ينقش على خاتم احد من الناس **قال** سمرة بن عوف قلت لحميد الطويل اكان لخاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فص اولا قال لا ادرى وسأل رجل جابر بن عبد الله الانصارى فقال فى يده اليمنى **قال** ابن عباس رضى الله عنهما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتختم فى يمينه يقول اليمنى احق بالزينة من الشمال وقبض الخاتم فى يمينه ثم حوله الى يساره **قال** وروى انس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتختم فى يساره **وروى** جعفر بن محمد عن ابيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان وعلى والحسن والحسين رضى الله عنهم اجمعين يتختمون فى اليسار **قال** فلما طبع الكتاب بخاتمه

قال ايها الناس ايكم ينطلق بكتابي هذا الى صاحب مصر واجره على الله قال
فوثب اليه حاطب بن ابي ثعلبة القرشي وقال انا يا رسول الله قال اعزم بارك
الله فيك قال حاطب فاخذت الكتاب وسرت الى منزلي وشددت راحلتي
وودعت اهلي وركبت ناقتي واستويت على الطريق الى مصر فلما ابعدت عن
المدينة بثلاثة ايام اشرفت على ماء يلى بدرا فاردت ان اورد ناقتي الماء واذا
انا برجلين على ناقتين ورجل ثالث على فرس اذ هم فلما رايتهم وقفت لهم واذا
بالفارس قد اقبل الي وقال لي من اين اقبلت ايها الرجل والى اين تريد فقلت
يا هذا الا تسال عما لا يعنيك فتقع فيما يخزيك انا رجل عابر سبيل وسالك طريق
قال الفارس ما اياك اردنا ولا نحوك قصدنا نحن قوم لنا دم وثار
عند محمد بن عبد الله وقد جئت انا وهؤلاء الرجلان في طلب ثارنا وقد تحالفنا
ان ندخل مدينة يثرب على حين غفلة وننهجم عليه فلعلنا نجد منه غرة فنقتله
قال حاطب في نفسه والله لئن امكنني الله منكم لاجعلن جهادي فيكم
ولوبا لخديعة فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحرب خدعة
قال حاطب فبينما انا اخاطب الفارس واذا بالراكبين على الناقتين قد
اقبلا نحوي وقالا لي بغلظة وفظاظة ويحك لعلك من اصحاب محمد فقلت
لهما لقد كاد ان تضل بكما الطريق عن تحقيق واني رجل مثلكما واطلب ايضا
ما تطلبان واني قاصد يثرب وقد عولت على صحبتكما لاكون معكما ولكني
سمعت في طريقي هذه ممن اثق به ان محمدا قد نفذ رسولا من اصحابه الى صاحب
مصر بكتاب وانا متوصل له لعلي اراه واظنه في هذا الوادي مكمنا قال
حاطب واشرت الى وادي بالقرب منا يقال له وادي الاراك وكثيرا ما كنت
البث فيه فارسلوا معي ابنتكم جنانا واحدكم سنانا حتى نكشف هذا الوادي
فان وقعنا به قتلناه قال حاطب فقال لي صاحب الفرس انا اسير معك ثم
تقدم امامي وترك صاحبيه وقوفا على مطيتهما ودخلنا الوادي وغبنا
فيه فلما ابعدت به عن صاحبيه اقبلت عليه وقلت له ما اسمك قال اسمي
سلاب بن عاصم الهمداني فقلت له يا سلاب اعلم انه لا يقدر يدخل يثرب
الا من له جنان عظيم وقلب قوي قال وماذا قلت لان بها سادات الارض
وابطال العرب مثل عمرو علي وفلان وفلان ولكن كيف سيفك قال سيف ماض
قلت أرني اياه قال فاستله من غمده وسلمه الي فاخذت السيف من يده وهززته
وقلت له هذا سيف ماض يا سلاب ثم قلت ٥ سيوف حداد يا لؤي بن غالب ٥

جداد ولكنني بالسيف ضارب ◦ قال ما معنى هذا الكلام قلت يا ابن عاصم ان سيفك هذا من ضرب قوم عاد وما ملكت العرب امضى منه ولكن قد وجب اكرامك واني اريد ان اتقرب اليك بحيلة اعلمك اياها تقتل بها عدوك قال بذمة العرب الا فعلت قال حاطب اذا كنت في مقام للحرب وانت تقاتل خصمك وانت تريد قتله هز هذا السيف حتى يلمع وتبسم مضاربه واضرب به عدوك على حرقة فانه اسرع للقتل والقطع ثم صاح به حاطب وقال يا سلاب انظر ترى ذاك الراكب المقبل علينا من صدر الوادي واظنه من اعدائنا فاقبل سلاب يتامل الوادي فضربه حاطب بالسيف على عنقه واذا براسه طائر عن بدنه وسقط عدو الله الى الارض قتيلا قال فاسرعت الى جواده واخذته وربطته في شجرة لئلا ينهزم فينذر على اصحابه ثم تركته مربوطا واسرعت الى صاحبيه واذا هما ينظران الي فلما رأياني اقبل احدهما الي وقال ما وراك واين سلاب فقلت لهما ابشرا بأخذ الثار وكشف العار واعلما انا وجدنا رجلين من اصحاب محمد وهما نائمين وقد وجهني صاحبكما ليسير احدكما معي ونمكن منهما ويبقى احدكما هاهنا فان هذا الوادي لا يخلو من اصحاب محمد فقالا نعم الرأي قال فسار معي الثاني فاسرعت به وملت عن طريق المقتول واخذت به في جانب الوادي ثم اقبلت عليه وقلت له ما اسمك فقال عبد اللات فقلت له كن رجلا واياك والخوف فاذا هجمنا على الرجلين ايقظ خاطرك ثم نظرت يمينا وشمالا فقال مابك قلت اني ارى غبرة ولا اشك ان تحتها قوما ممن قد صبا الى دين محمد فجعل يتأمل كالواله الحيران فعاجلته بضربة على حين غفلة فالقيت رأسه عن بدنه وسقط الى الارض قتيلا وعدت الى الثالث فلما رأني وحدي تيقن بالشر واقبل الي فقارعني وقارعته وصاد مني وصاد مته الا ان الله تعالى اعانني عليه ونصرني فقتلته واخذ الراحلتين والفرس وتركت الجميع عند رجل من عبد شمس وكان صديقا لي ورفيقا من زمن الجاهلية وركبت بعيري وتوجهت اريد مصر ولم ازل اسير ليلا ونهارا حتى اتيتها فلما رأني القبط اقبلوا الي وقالوا لي من اين جئت فقلت انا رسول الى صاحبكم قالوا ممن قلت من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فلما سمعوا ذلك مني احاطوا علي ودار وابي من كل مكان وساروا بي حتى اتوا بي الى قصر الشمع واوقفوني على الباب فاستاذنوا على المقوقس فامر باحضاري فاحضرت بين يديه فلما وقفت بين يديه رايته

جالسا

جالسا على سريره فى قبة قد رصعت بالجواهر فى اركانها وفصوص الياقوت يلمع
فى حيطانها وحجاب بين يديه قياما فلما وقفت بين يديه اومأت اليه بتحية الاسلام
فقال حاجب الملك يا اخا العرب اين كتاب صاحبك قال حاطب فسلمت
الكتاب الى الملك من يدى الى يده فاخذه الملك منى بقبول وقبّله ووضعه على
عينيه وقال مرحبا بكتاب النبى العربى ثم سلمه الى وزير الباكلين وقال له اقرأه
علىّ فقرأه الوزير على الملك الى ان اتى الى آخره فقال الملك لخادمه هات السفط
الذى سلمته اليك فاتى به الخادم ووضعه بين يديه ففتحه الملك واستخرج منه
نمطا وفتحه فاذا فى النمط صفة آدم والأنبياء عليهم الصلاة والسلام وفى
آخر الكل صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الملك لوزيره قل لهذا العربى
يصف لنا صفة صاحبه حتى كأننى اراه فقال الوزير لحاطب يا اخا العرب الملك
يقول لك صف صاحبك فقال حاطب ومن يقدر ان يصف عضوا من اعضاء
صاحبى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الوزير لابد ان تجيب سؤالك قال
حاطب فقمت قائما على قدمى وقلت ان صاحبى محمدا صلى الله عليه وسلم وسيم
قسيم معتدل القامة بعيد الهامة بين كتفيه شامة وهى له علامة كالقمر اذا بزغ
صاحب خشوع وديانة وعفة وصيانة صادق اللهجة واضح البهجة اشم العرنين
واضح الجبين سهل الخدين رقيق الشفتين براق الثنايا بعينيه دعج وبحاجبيه
زجج وباسنانه فلج وانف غير اعوج وبطن كطى الثوب المدبج ولسان فصيح
ونسب صريح وخلق مليح قال فلما سمع الملك وصف حاطب لرسول الله صلى
الله عليه وسلم قال صدقت والله يا عربى فيما وصفت هكذا صفته عندنا قال
فبينما حاطب يخاطب الملك اذ نصبت الموائد واحضر الطعام قال حاطب
فامرنى الملك ان اتقدم فامتنعت منه فتبسم وقال يا اخا العرب قد علمت
ما احل لكم وما حرم عليكم وانى امرت ان يقدم الى بين يديك لحم الطير فقلت
ايها الملك انى لا اكل فى هذه الصحاف الذهب والفضة فان الله تعالى وعدنا
ان ناكل فيها فى الجنة قال حاطب فعند ذلك امر الملك ان يجعلوا فى صحاف
الفخار قال حاطب فعند ذلك تقدمت واكلت فقال لى الملك يا اخا
العرب اى طعام يحب صاحبك فقلت له الدبا يعنى القرع فكنا اذا احضرنا
طعاما وبين يدينا منه شئ اقربناه منه وانه عليه الصلاة والسلام دعى
الى منزل من منازل قومه فقدم اليه قصعة فيها الثريد وعليها الدبا فجعل
يتبع الدبا فما زلت أحبه لمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم له قال الملك

يا أخا العرب فى أى شئ يشرب الماء قلت فى قعب من الخشب قال أيجب الهدية قلت نعم وقد قال صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى كراع لأجبت ولو أهدى الى ذراع لقبلت قال للملك ايقبل الصدقة قلت لا بل يقبل الهدية وسمعته يقول لو سلم الناس لتهادوا من غير جوع ولقد رأيته اذا أوتى بالهدية لم يأكل منها حتى يأكل اصحابه منها **قال** المقوقس ايكتحل قلت نعم يكتحل فى عينه اليمنى ثلاثا وفى اليسرى اثنين **وقال** صلى الله عليه وسلم من شاء اكتحل اكثر من ذلك او أقل وكان كحله الاثمد وينظر فى المرآة ويرجل شعره ولا يفارق المرآة والمكحلة والمشط والسواك فى سفره ولا فى حضره ولقد رأيته يتجمل لأصحابه فضلا عن تجمله لأهله ولقد قالت له ذات يوم عائشة رضى الله تعالى عنها وقد نظر فى ركوة فيها ماء فجعل يسوى شعره قالت عائشة بأبى وأمى يا رسول الله تنظر فى الركوة وتسوى شعرك وانت رسول الله وخير خلقه فقال يا عائشة ان الله تعالى يحب لعبده اذا خرج لاخوانه ان يتجمل لهم فقال المقوقس فاذا ركب فى جيش ما الذى يحمل على رأسه فقلت راية سوداء ولواء أبيض مكتوب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله **قال** المقوقس أله كرسى يجلس عليه او قبة قال حاطب نعم له كرسى قوائمه من حديد ورأيت له قبة من الأدم يجلس تحتها نحو من اربعين رجلا **قال** الملك فما الذى يجب من الخيل قلت المحجل الأشقر فى السبق وقد تركت عنده فرسا يقال له المرعرع **قال** فلما سمع الملك المقوقس قول حاطب انتخب من خيله فرسا من خيار خيله الموصوفة واسرجه والجمه وعده للنبى صلى الله عليه وسلم وهو فرسه المأمون وحمار يقال له عفير وبغلة يقال لها دلدل وجارية سوداء يقال لها بريرة وجارية بيضاء من اجمل بنات القبط يقال لها مارية وغلام اسمه مجبور ومسكا وعودا وطيبا وندا وعمائم قباطى وأمر وزيره ان يكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا يقول فيه باسمك اللهم من المقوقس الى محمد أما بعد فقد بلغنى كتابك وقرأته وفهمت ما فيه وانت تقول ان الله تعالى ارسلك رسولا وفضلك تفضيلا وأنزل عليك قرآنا مبينا وقد كشفنا يا محمد فى علمنا عن خبرك فوجدناك اقرب داع الى الله تعالى وأصدق ممن تكلم بالصدق ولولا انى ملكت ملكا عظيما لكنت أول من سار اليك لعلمى انك خاتم الانبياء وسيد المرسلين وامام المتقين والسلام عليك ورحمة الله وبركاته الى يوم الدين **قال حاطب** ثم انه سلم الكتاب الى والهدية وقبل بين عينى وقال بالله عليك يا حاطب هكذا اقبل بين عينى محمد

عنى ثم امر جماعة من أصحابه ان يسيروا معى قال حاطب وسرت ليلا ونهارا والقبط معى حتى دخلت بلاد العرب ووجدنا قافلة من الشام تريد المدينة فوددت أصحاب الملك المقوقس وسرت مع القافلة حتى وصلت مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبلت الى المسجد واناخت ناقتى وعقلتها وتركت الهدية على باب المسجد ودخلت المسجد واقبلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلمت عليه وعلى من بين يديه من الصحابة ووقفت على قدمى وابتدأت أقول هذا الشعر

انعم صباحا يا وسيلة أمة ... ترجو النجاة غداة يوم الموقف
انى مضيت الى الذى ارسلتنى ... اطوى المهامه كالمجد المعنف
حتى رايت بمصر صاحب ملكها ... فبدا الى بمثل قول المنصف
فقرأ كتابك حين فك ختامه ... فاظل يرعد كاهتزاز المرهف
قال البطارقة الذين بحضرته ... ماذا يريبك من كتاب مشرف
قال اسكتوا يا ويلكم وتيقنوا ... هذا كتاب نبى لا من مصحف
قالوا وهمت فقال لست بواهم ... لكن قرأت بيان خط الأحرف
فى كل سطر من كتاب محمد ... خط يلوح لناظر متوقف
هذا الكتاب كتابه لك جامعا ... يا خير مبعوث بفضلك نكتفى

قال حاطب ثم سلمت الكتاب كتاب المقوقس الى النبى صلى الله عليه وسلم فسلمه النبى صلى الله عليه وسلم الى الامام على بن ابى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه وقال يا على اقرأه علينا قال فلما قرأه الامام على على النبى صلى الله عليه وسلم قال بارك للقبط فى دنياهم فقد عرفوا الصواب واوضحوا الخطاب ثم أمر بالهدية فأحضرت بين يديه فقال صلى الله عليه وسلم كل ذى روح خاصة لى قال فاختص النبى صلى الله عليه وسلم بمارية القبطية وجعل مهرها عتق رقبتها واولدها ولدا سماه ابراهيم عاش سنتين او اقل من ذلك ولما مات كسفت الشمس فقال المسلمون يا رسول الله انما كسفت الشمس لموت ولدك ابراهيم فقال صلى الله عليه وسلم لا تكسف الشمس والقمر لموت أحد من الناس لانهما أية من ايات الله تعالى فاذا كسف بهما فارجعوا الى الصلاة واخذ الجارية السودا والغلام والفرس والبغلة والحمار ثم قسم باقى الهدية على اصحابه بالسوية قال الواقدى رحمه الله تعالى ورجعنا الى الحديث قال حدثنا احمد بن عبيد بن ناصح قال اخبرنا ابو عبد الله بن يزيد الهذلى قال

ابن اسحاق الاموى وهو المعتمد عليه فى فتوح ارض مصر وارض ربيعة الفرس قال
عمرو بن حفص ولم ينفرد بهذه الرواية سوى محمد بن اسحاق لانه كان اصحاب السير
قد اشتغلوا بوقايع العراق وفتوحه وما بعده من سعد بن ابى وقاص وبين كسرى
انوشروان وتركوا فتوح الشام وارض مصر فيما بعد وكان قد فاتهم عليهم شيأ
يسيرا من الوقايع فتركوه لاجل الزيادة والنقصان فيه وانما تفرد به ابن اسحاق
لأنه اخذه عن مشايخ ثقات وثق بهم من آل مخزوم اجتمع بهم فى الرملة بعد
الفتوح احدهم نوفل بن مشاجع المخزومى وكان ابن عم خالد بن الوليد وكان من
المعمّرين وكان ممن شهد تبوك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد قبل
ذلك الحديبية وشهد يوم اليمامة ومسيلمة وكان مع عمرو بن العاص بارض مصر
وكان قد حضر جميع فتوح الشام والثانى فهر بن عاصم بن عمرو بن سهيل بن عمرو
المخزومى وغيرهما من الثقات ممن شهد فتوح مصر والوقايع كلها قالوا جميعا
ان عمرو بن العاص لما انفصل من ساحل الشام سار يريد ارض مصر فلما كان
بموضع يقال له رفح انفصل يوقنا من العرب بجيشه وقال لعمرو بن العاص انت
تريد ان تدخل مصر بجيشك مهاجمة لعلك ان تدهمها وتملكها على حين غفلة
وانا اريد انفرد منكم واتقدم امامكم لعلى انال منها ما اريد واملكها لكم
بالحيلة والخديعة قال عمرو سر وفقك الله تعالى واعانك وحفظك وكلأك
قال فانخلس يوقنا بجيشه منهم ليلا وسار من رفح ولم يتعرض للعريش
ولا للورادة ولا للبلقارة وكلها حصون عامرة وقد سكنها قوم من العرب
المتنصرة وهم يؤدون المال للملك المقوقس بن داعيل وسنذكر فتوحها
فيما بعد ان شاء الله تعالى قال صاحب الحديث ولم يزل يوقنا يجد السير ليلا
ونهارا حتى اشرف على القرمة وكان عليها والى من قبل الملك المقوقس اسمه
الدنيدان وكانت القرمة على جانب بحيرة تنيس مما يلى الشرق فلما اقبل عليه يوقنا
بجيشه رأى عليه خياما منصوبة وفساطيط مضروبة فلما اشرف عليها يوقنا
بجيشه وقع الصايح فوكب واليها ومن هناك من جند الملك قال صاحب
الحديث فكانت اخبار الشام ترد اليهم فى كل يوم بما فعل اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلما ملكوا الساحل وقيسارية وهرب الملك قسطنطين منها
بلغهم ايضا الخبر فاغتموا لذلك غما شديدا وكان السبب فى اغتمامهم
لذلك ان الملك قسطنطين بن هرقل كان قد تزوج بارمانوسة ابنة الملك
المقوقس صاحب مصر وكان ابوها قد جهزها باموالها وجواريها الى بلبيس

على انها تسير الى زوجها قسطنطين بن هرقل فلما وصلت الى فاقوسا تاها الخبر بان العرب
نزلت الساحل وقد تملكت مدنه وحصونه وقد ملكت ايضا قيسارية وان ملكها
قسطنطين بن هرقل قد ركب المراكب بجواريه وحريمه وخزائنه وسار في البحر يريد
القسطنطينية فلما بلغها الخبر بذلك رجعت الى بلبيس ووجهت حاجبها
ثميلا طوس الغني فارس الى القرمة وامرته بحفظ ذلك المكان خوفا من العرب **قال** صاحب
الحديث رحمة الله تعالى عليه حدثنا موسى بن محمد بن ابراهيم بن الحارث التميمي قال
حدثني اسامة بن زيد بن اسلم قال ابن اسحاق حدثني رجل من القبط كان من جند المقوقس
صاحب مصر التقيت به فسالته عن امره وكان رجلا قد دخل في دين الاسلام فقلت
له كيف كان امركم لما وصلكم الخبر بان العرب قد ملكت الشام وبلاده وحصونه
وقتلوا ابطالها وبطارقتها وهزموا ملكها قال لي فلما بلغ الخبر الى الملك المقوقس
بذلك بعث رسله الى اطراف بلاده مما يلي الشام ان لا يتركوا احدا من الروم ولا
غيرهم من اهل بلاد الشام ان يعبروا ارض مصر ولا يدخلوا بلاد الملك كل ذلك
خوفا ان يحدثوا بما صنع العرب بجنود الشام وما قتلوا فيدخل خوف العرب في قلوب
القبط فيوهنوا ذلك **قال** ولما توجه يوقنا الى ارض مصر واقبل الى العريش اقبل
عليه اهله وقالوا ايها البطريق اخبرنا بامرك وما سبب قدومك فقال انا قوم
قد قبلنا نريد مصر ونكون مع ملكها وتحت ركابه ونعيش في نعمته قالوا فافعل
الملك قسطنطين بن هرقل صاحب قيسارية قال يوقنا وما الذي تريدوا ان تسالوكم
عنه قالوا فما الذي اشغله عن زوجته ارمانوسة بنت الملك المقوقس فان الملك
ابوها قد جهزها باموالها وخدمها وجواريها ليبعثها اليه قال ليس لي علم بذلك
قال صاحب الحديث فلما سمع يوقنا بذلك انفتح قلبه وقوى عزمه على
ما سمع ودبر حيلة في قلبه وسار وقد انفتحت له ابواب الحيل والخداع وجعل كلما
مر بحصن من الحصون في طريقه وسالوه ايضا عن امره وسبب قدومه فيخبرهم
بامره ويجاوبهم بمقتضى حاله **وكان** يوقنا رجلا عاقلا عارفا بصيرا بامور
الحرب ومواقعها صاحب حيل وخداع فلما قطع تلك الحصون ووصل الى القرمة
راى خياما منصوبة وفساطيط مضروبة فوقع الصنايح بقدومه وركب اهل
القرمة والحاجب الكبير وكل من كان هناك من الجيش واقبلوا الى يوقنا وسالوه
عن امره فقال يوقنا للحاجب ايها الصاحب اعلم ان الملك قسطنطين ارسلني حتى
اتسلم الملكة ارمانوسة واسير بها في المراكب والحق به الى القسطنطينية **قال**
فلما سمع الحاجب كلامه ونظر الى حشمته وعظم جيشه صدقه ودخلت عليه

حيلة وقال ان الملكة ارمانوسة قد جهزها ابوها باموالها وخدمها وجواريها فما
منعها من المسير الا الخوف من العرب وبلغها ايضا الخبر برحيل زوجها من قيسارية
الى القسطنطينية فهل لك علم بسيره قال يوقنا انا سرت من عنده وهو على نية
الركوب والمسير وقد أمرني ان آخذ زوجته واسير بها في البحر الى القسطنطينية
قال فلما سمع الحاجب كلام يوقنا قال له انزل ها هنا بعسكرك حتى اصل الى الملكة
ارمانوسة واخبرها ثم اوصى به الوالي ووكد الوصية وسار حتى وصل الى الملكة
ودخل عليها وحدثها بحديث يوقنا وما تكلم به فقالت على به فركب الحاجب بغلا طوسا
واسرع الى يوقنا وامره بالركوب والمسير الى الملكة فركب يوقنا وركب جيشه واتوا
الى عسكر ارمانوسة واذا به عسكر كبير يزيد على عشرة الف فارس فترجل يوقنا واصحابه
ووقفوا على باب سرادقها حتى استاذنوا عليها فاذنت له بالدخول فلما وقف بين يديها
سمع لها فامرت له بكرسي من الحديد فوضع له وأمرته بالجلوس فجلس ووقفوا الحجاب
بين يديها والخدم والمماليك عن يمينها وشمالها فقالت الملكة ارمانوسة من غير
ترجمان كان بينهما وكانت لغة القبط لا تشبه لغة الروم ولكن الملوك كانوا يحفظوا
اكثر اللغات ليستعملوها في وقت حاجتهم اليها فقالت له بلغة الروم كم لك
منذ فارقت الملك قال منذ شهر قالت أكان قد رحل في مراكبه أم لا قال يوقنا
فارقته حين بعثني الى خدمة الملكة فسرت وهو على نية الركوب في البحر والرحيل
فلما بلغت الى غزة بلغني الخبر انه ركب في المراكب وسار في البحر يريد القسطنطينية
وانه حدثني في الستر فيما بيني وبينه انه لا طاقة لي بقتال العرب وقال ان ابى ولي
هارباس انطاكية من خوفه من العرب واعلم يا يوقنا ان ابى قاتلهم بجنوده
واستنصر عليهم بكل من عبد الصليب من اهل بلاد النصرانية من جميع الاجناس
ونفذ ما هان الارماني في ستمائة الف فارس من غير العرب المنتصرة الى البرموك
فكسروا جيوشه وقتلوا بطارقته وقتلوا ما هان الارماني وانا قد عزمت ان
اخذ حريمي وخزائني واموالي والحق بابي واكون في القسطنطينية آمن على
نفسي وحريمي وأموالي ثم وجهني اليك حتى آخذك واسير بك في المراكب ونلحق به
قال فلما سمعت ارمانوسة كلام يوقنا وما تكلم به اطرقت الى الارض ثم رفعت
رأسها وقالت له اني لا أقدر اصنع شيأ الا بامر الملك وسوف اكاتبه واخبره
بهذا الامر ثم امرته بالانصراف فسمع لها وخرج من بين يديها فوجد غلمانه قد ضربوا
خيامهم وسرادقه فنزل يوقنا في سرادقه واقبلت اليه الاقامات والضيافات
من الملكة ارمانوسة والعلوفات لخيولهم قال ابن اسحاق رحمه الله تعالى

ولقد بلغني انه لما اظلم الليل من يومهم وصلت جواسيس الملك اليها وحدثوها بفتح قيسارية ومداين الساحل ومسير عمرو بن العاص الى مصر وبحديث يوقنا وانفصاله عن عمرو وما قد عزم عليه من الحيلة وحذروها من يوقنا وقالوا لها انه صاحب حلب وقد دخل في العرب وهو الذي فتح طرابلس بحيله فلما سمعت ارملتوس ذلك من جواسيسها دخل الرعب في قلبها وعلمت ان الذي قالوه حقا وانه يريد أن يمكر بها فاستدعت بحاجبها وقالت له جميع ما حدثوها به من امر يوقنا وقالت امض الى عسكرنا وايقظهم وامرهم بلبس السلاح وليكونوا مستيقظين فقد جرى من الأمر ما هو كذا ثم احضرت مماليكها وغلمانها وقالت اذا جاء هذا الرجل فاقبضوا عليه وعلى من معه فاذا ملكنا هم ملكنا غيرهم من اصحابهم فلما رتبت هذا الامر ارسلت الى الحاجب وقالت له امض الى هذا الرجل وادعه الينا فمضى الحاجب حتى دخل على عسكر يوقنا فلاقته الحراس وقالوا من انت فقال انا قاصد من الملكة الى بطريقكم فاعلموا يوقنا بذلك فاحضروه بين يديه فسقع له وقال ايها البطريق العظيم ان الملكة تستدعيك اليها لتوصيك بوصية لا يطلع عليها سواك فقال يوقنا سمعا وطاعة ارجع انت فاني راكب اليها مع اعز أصحابي فمضى الحاجب ثم ان يوقنا جمع اصحابه وقال لهم اعلموا ان هذه الملكة ارسلت تستدعينا اليها في هذا الوقت ولا شك انها عرفت بخبرنا من بعض جواسيسها وان مضينا اليها قبضوا علينا وقتلونا لا محالة فخوتوا كراما ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ونحن قد خرجنا لنصرة دين الله وما عسى ان نرجوا من هذه الدنيا الغرورة وقد رأيتم ما كنتم فيه من الملك فقد زال فافعلوا الدار البقا وجاهدوا في الله وجاهدوا في سبيل الله لعلكم ترضون ربكم سبحانه وتعالى قال فأخذوا على انفسهم ولبسوا اسلحتهم واستندوا الى خيامهم وتوكلوا على ربهم ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شيء قدرا قال الواقدي رحمة الله تعالى عليه هذا ما جرى ليوقنا واما الملكة فانها اقامت تنتظر يوقنا واصحابه فاستبطأت قدومهم فأرسلت اليهم رسولا فلما وصل الرسول ليوقنا قال له ارجع الى صاحبتك وقل لها ما عادة الملوك ان ترسل في انصاف الليالي الا لمن يريدون قتله وقد كنت عندها اخر النهار وفي الصباح قريب فما الذي تريدي مني في هذا الوقت وليس في مطمع فرجع الرسول للملكة وحدثها بما سمع من يوقنا قال الواقدي فتحققت صدق القول فركبت من ساعتها وركبت عسكرها ودارت بخيام يوقنا ولم يحدث حديثا حتى ولى الظلام وأقبل النهار فعند ذلك اقبل حاجب الملكة عليهم وقال لهم يا ويلكم تركتم دينا بائكم

وهجر دين المسيح وامه وقد جئتم تحتالون علينا الا وان المسيح قد غضب عليكم لدينه وسلطنا عليكم فقال يوقنا المسيح من عبيد الله لا يقدر ان يفعل شيئا الا باذن الله تعالى لانه عبد الله مثلنا وقد انطقه الله تعالى بذلك وهو في المهد صبيا قال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت واوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا والذي يؤمر بالصلاة والزكاة ويموت ويبعث فليس بإله وانما هو عبد مكلف مثل واحد منا انما الله اله واحد ولقد اضلكم بولص وردكم عن الطريق الحق بقوله على الله وعلى المسيح وكأنا مثالكم نسجد للصلبان ونعظم القربان ونتخذ الصور ارباما من دون الله فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه دخلنا في دينهم وتبعنا شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فهدانا الله تعالى من العمى وشرح صدورنا وان دين الاسلام هو الدين الواضح الذي كان عليه الانبياء من قبلنا وكنا نقول مثل قولكم ان المسيح بن الله وان ابراهيم واسماعيل واسحاق كانوا نصارى فكذبنا الله سبحانه وتعالى بقوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين وقال الله سبحانه وتعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين وها نحن جئنا نجاهدكم حتى تقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله والا القتال بيننا وبينكم قال الواقدي فلما سمع الحاجب كلام يوقنا قال ان هؤلاء القوم قد طمعوا في ديارهم وبلادكم واموالكم وحريمكم قال الواقدي رحمه الله تعالى فحملوا على يوقنا واصحابه وعلى السيف بقية يومهم الى الليل ثم تولوا مدبرين وهم يحفظونهم فلما كان من الغد ركبوا وتصايحت بهم القبط من كل جانب ومكان ودارت بهم الخيل والرجال وبلي يوقنا واصحابه بما لا طاقة لهم به وقتل جماعة من المسلمين وفشت فيهم الجراحات وصبروا لامر الله عز وجل وقالوا أصدقوا العزم وموتوا تحت ظلال السيوف فان الجنة تحتها وقد بلغنا ما نطلبه من رضاء ربنا سبحانه وتعالى واشتدوا الى قتال عدوكم فان الله يثيبكم على فعلكم قال محمد بن اسحاق الاموي هذا ما جرى لهؤلاء واما الملكة ارمانوسة فانها ارسلت كتابا الى بيها المقوقس تخبره بقضية يوقنا ومسير عمرو بن العاص بعساكره الى مصر وانها مهولة على حربهم وسالته ان يرسل لها بعسكر نجدة وتقول انا منتظرون الجواب والنجدة وبعثت بالكتاب وقالت للرسول اسرع وعد بالجواب سريعا قال وسار الرسول بالكتاب فلما وصل الى الملك المقوقس تحدم وسقع وناوله الكتاب ففضه وقراه فلما علم ما فيه دعا

بارباب دولته وقال لهم قد تم من الامر كذا وكذا فما الذى تشيرون به قالوا ايها
الملك انجدها وانصرها وانفذ لها جيشا وبعد ذلك ابعث كتبك الى اطراف البلاد
مع رسلك واطلب منهم النجدة فهم يسيروا الجيوش منهم ملك البجاه وملك البربر
وايضا الى نايبك بالاسكندرية يبعث لك ممن عنده من العساكر وكذلك الحجى نايبك
بالصعيد الاعلا يجدك ايضا فاذا اجتمعت اليك هذه العساكر التى تهم العرب
ولا تحمل امرهم فيجترؤن عليك ويطمعون فى ملكك كما تجرؤا على غيرك وملكوا
بلادهم وهزموا ملوكها قال المقوقس يا اهل دين النصرانية وبنى مآ المعمودية
اعلموا ان الملك يحتاج الى سياسة وكل من ملك عقله ملك رايه ومن ملك رايه امن
من حوادث الدهر وليس الغلبة بالكثرة وانما هى بحسن التدبير والله لقد كان هرقل
ملك الروم اكثر منى جندا واوسع بلادا واعظم عدة وجمع من بلاد الروم الى
اليونان الى بلاد جنوده واقليم بلاد الاندلس واستنصر بنا وبغيرنا فما اغنى عنه
جمعه شيأ ولا قدر ان يرد القضا والقدر واعلموا ان العقل هو اساس الادمى
المخاطب المكلف المفضل به على سائر ما خلق الله تعالى على وجه الارض من المخلوقات
فمن ملك عقله ملك امره ومن لم ينل من امره شيأ كان بجهله ارضى واعلموا انه
لا ينال احد الحكمة الا بالعقل ولقد قال الحكيم ماسيوس الحكمة مرقاها
جليل وطالبها نبيل وتاركها ذليل لانها عز الارواح وقوت القلوب واعلموا انى
لست اتكلم بهوا ولكن على ان اقول الحق واتكلم بالصدق وانتم تعلمون ان نبى
هؤلآء القوم بعث الينا يدعونا الى دينه فاستدللت على صدق قوله بكتابه وما
ظهر للناس من معجزاته وقد سمعتم انه من حين بعث لا يسمع احد بذكره الا خاف
منه واجاب دعوته ولقد بلغنا من بعض معجزاته ان القمر انشق له واجاب الى
دعوته وسلم عليه ولقد بلغنا ايضا من معجزاته ان الذراع المسموم كلمه وقال يا رسول
الله لا تاكلنى فانى مسموم وكلمه الضب والحجر وسجد له الشجر وشهد له بانه رسول
الله وعرج به الى السما وركب اوج المآء واعلموا انه اول من عاداه قومه وحاربه
عشيرته وانكروا قوله وما جآء به وهم هؤلاء الذين فتحوا الشام فلما علموا انه
جآء بالحق وكلامه صدق فامنوا به ونصروه وجاهدوا بين يديه وهاهم قد
اخرجوا الروم من ارضهم وملكوا بلادهم وقلاعهم وحصونهم وقد اقبلوا
الينا ويريدوا ان يفعلوا بنا كما فعلوا بغيرنا وانتم الان ما انكرتم من امر هؤلاء القوم
الا انهم يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون حدود الله التى امرهم
بها وما فى كتابهم من شئ الا وفى الانجيل مثله ولقد اضلكم بولص واغواكم

بتقوله غير الحق وغربكم وبدل شرعكم باسم لا يليق وحاد بكم عن الطريق واحل لكم
جميع ما حرم الله عليكم فى كتابكم الذى انزله على نبيكم وهذا عين المحال وداعية
العمى ان تتبعوا ما قال بولص وتدعوا ما قال الله تعالى فى كتابه العزيز الذى
انزله على نبيكم وكيف ينبغى لروح الله عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام
ان يامركم بغير ما ارسله الله اليكم ويقول لكم بولص قد قال لى المسيح فى النوم
انه قد احل لكم لحم الخنزير ويأمركم بارتكاب المعاصى ما ظهر منها وما بطن
فاطعتم امره وصدقتم قوله وحاشا المسيح ان يفعل هذا او يتكلم به وما كان
احد من الأنبياء الا على ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين
والحكماء الاولون ما منهم الا من تكلم بوحدانية الله تعالى وقد قال الحكيم
دموبا الذى صنع دير تراحميم وجعلها مثلا للأمم الاتية فى الاحيان الى اخر
الزمان وصور صور الحكما وصور ايضا صورته وكتب على رأسها بقلم اليونان
اربعة اسطر السطر الاول من خاف الوعيد سلا عما يريد والسطر الثانى
من خاف مما بيديه حاز ما ليس فى يديه والسطر الثالث ان كنت تطلب الجزيل
فلا تهتم ولا تقتيل والسطر الرابع بادر قبل نزول ما تحاذر فمن كان هذا كلامهم
فكيف صنع سواهم وهذه فريضة مذهب الحدسيين **قال** فاطرق القوم
رؤوسهم الى الارض غيظا على الملك المقوقس لأجل ما تكلم بهذا الكلام
قال صاحب الحديث رحمه الله تعالى وما تكلم الملك المقوقس بهذا الكلام
حتى استوثق من مماليكه وحجابه واوقف على رأسه الف غلام بالسيوف
لانه قد بلغه مما قد جرى لهرقل ملك الروم حين وعظ بطارقته ونصحهم
فوثبوا اليه واراد واقتله فلأجل هذا استوثق المقوقس من اصحابه حتى
تكلم بهذا الكلام **ثم** اقبل الملك على وزيره وقال له اكتب الى ابنتى كتابا
وامرها فيه ان تتلطف بالقوم وتعطيهم الأمان وتنفذهم الينا
حتى نطيب قلوبهم ونخلع عليهم ويكونوا معنا يقاتلوا اعدانا ومن يقصد
بلادنا وما كان قصد الملك المقوقس بذلك الا ان يخلص بوقنا واصحابه
من يد القبط اذ علم انهم على الحق **قال** فكتب الوزير كتابا الى الملكة
ارمانوسة بنت الملك المقوقس بذلك وبعث به وقال للرسول اسرع
قال الواقدى رحمه الله تعالى فلما وصل الكتاب الى ابنة الملك امرت
عسكرها ان يكفوا عن القتال وارسلت الكتاب الى بوقنا فقرأه وقال
للرسول ارجع حتى نتشاور بعضنا بعضا فرجع الرسول الى الملكة **قال** بوقنا

لاصحابه الآن قد كشف الله عنا ما كنا فيه وقد كشف الله حجاب الغفلة عن
قلب هذا الرجل يعني الملك المقوقس وظهر له ما ظهر لنا من الحق فما الذي
ترون من الراى فقالوا له لا نسمع الا من قولك فقال دعوني ادبر انا الليلة
ما يريد الله به قالوا افعل ما ترى **قال** محمد بن اسحاق الاموى رضى الله
تعالى عنه فلما كان من الليل قام يوقنا يصلى وقد امر اصحابه تصلى على ظهور
خيولهم مخافة الغدر فبينما هو يصلى واذا بشخص قد اقبل عليه فارتاع يوقنا
منه فتأمله واذا هو عمرو بن امية الضمرى ساعى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما عرفه فرح به فرحا شديدا وقام وسلم عليه وقال له يا عمرو من اين اتيت
قال من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني امير المؤمنين عمر بن الخطاب
رضى الله تعالى عنه الى عمرو بن العاص جئته احثه على المسير الى مصر وقد
لقيته بالقرب من هاهنا وقد ارسلني اليك فقال له يوقنا يا عمرو ارجع اليه
وقل له يعجل بقدومه الينا ليكشف خبر هؤلاء القوم ثم حدثه يوقنا بما هو فيه
فرجع عمرو مسرعا الى عمرو بن العاص كهبوب الريح فلما وصل اليه اخبره بما قال
له يوقنا فترك الاثقال والغنائم واستخلف عامر العامرى على ذلك وسار
الى ان وصل الى يوقنا ودار وابا القبط فما كان الا القليل حتى قتلوا القوم
واسروهم واسروا الملكة ارمانوسة بنت الملك المقوقس ومن معها وقد
غنموا ونزلوا بالمسلمين وقد غنموا غنيمة عظيمة ولحق عامر بن ربيعة العامرى
لعمرو بن العاص بالضعف والغنائم والاموال **قال** صاحب الحديث رحمه
الله تعالى فلما ملك المسلمون الملكة ارمانوسة واموالها ورجالها وجواريها
ونزلوا المسلمون واستقروا بانجيا مهم امر عمرو بن العاص بالاكابر من الصحابة
ان يجتمعوا اليه **فلما** جلسوا بين يديه اقبل عليهم وقال يا اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم اعلموا ان الله عز وجل قال في كتابه العزيز هل جزاء
الاحسان الا الاحسان **قال** وكان الاكابر الذين اجتمعوا يزيد بن
ابي سفيان وهاشم بن سعيد الطائي والقعقاع بن عمرو التميمي وخالد
ابن سعيد السهمي وعبد الله بن جعفر الطيار فقالوا ما تريد بقولك **قال**
اعلموا ان هذا الملك قد افرجه الله تعالى وقد كاتب نبينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم وبعث له هدية ونحن احق من كافى عن نبيه وقد رايت ان انفذ
الى المقوقس ابنته وجميع ما اخذنا من اموالها وجواريها ونحن قوم نتبع
سنة نبينا صلى الله عليه وسلم اذ يقول ارحموا عزيز قوم ذل وغنى قوم افقر

قال فاستصوبوا رأيه وقالوا نعم ما امرت به فبعث بها عمرو الى ابيها مكرمة مع جميع ما كان لها مع قيس بن سعيد قال صاحب الحديث رحمه الله تعالى هذا ما كان من امر امير المؤمنين عمرو بن العاص رضى الله عنه واما ما كان من القبط فانهم لما ولوا منهزمين ودخلوا مصر ودخل على الملك المقوقس اكابر قومه واخبروه بما تم لعسكره ومن قتل منهم ومن اسر منهم واسر ابنته ضاق صدره لاجل ذلك وبقى مفكرا فى امره وفيما يصنع وليس له نية فى قتال العرب فبينما هو كذلك اذ جاءه البشير بقدوم ابنته واموالها وجواريها ورجالها وخدمها ففرح بذلك فرحا شديدا وزال عنه بعض ما كان يجده من الغم والهم وعلم ان القوم منصورون فلما دخلت اورمانوسة قصر ابيها امر باحضار قيس بن سعيد فلما حضر بين يديه رفع محله واكرمه واكابر دولته والوزراء والحجاب عنده قد اتوا ليهنئوه بقدوم ابنته وسلامتها فعند ذلك اقبل الملك المقوقس على قيس بن سعيد وساله عن اشيا لعل ان يسمعوا ارباب دولته فتلين قلوبهم وهم ينظرون الى قيس ابن سعيد ويتعجبون من زيه فقال الملك المقوقس يا اخا العرب ما اسمك قال اسمى قيس قال انت من اصحاب محمد وممن جاهد بين يديه قال نعم قال اخبرنى عن صاحبك محمد صلى الله عليه وسلم ما كان يركب من الخيل قال الأشقر الاغر المحجل فى الشق الايسر وكان الفرس اسمه المرتجل فقال يا اخا العرب قد بلغنا انه ما كان يركب الا الحمار والابل واراد بذلك الكسر على قيس اذ الحمار عندهم فى منزلة الوضع فقال قيس ان الله سبحانه وتعالى كرم الابل وشرفها اذ قال كونى فكانت واخرج الناقة من صخرة وخص بها العرب دون غيرهم وكان صلى الله عليه وسلم يركبها لكون ان الله تعالى جعلها مباركة تقنع بما تجده وتصبر عن الماء وقد ذكرها ربنا فى كتابه العزيز فقال تعالى وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق وقال الله تعالى والبدن جعلناها لكم من شعائر الله واول ما غزا من غزواته صلى الله عليه وسلم غزاة بدر فكان معه مائة ناقة من الابل وكان معه فرسان يركب احدهما المقداد ابن الاسود الكندى والآخر مصعب بن عمير التميمى وانا لقينا قريشا فى عددها وعديدها فهزمهم الله تعالى ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقوقس اما ركب الحمار قال ايها الملك كان يركب الحمار الذى اهدته له ويردف وراءه صاحباله اسمه معاذ بن جبل وكان على الحمار اكاف

من

من ليف وخطام من ليف واعلم يا ملك القبط انه كان يخصف النعل ويرقع القميص ويركب الحمار ويقول من رغب عن سنتي فليس مني وكان له قميص من القطن قصير طويل الكمين ليس له زر ولقد اهدى له ديرود حلة شريت له بثلاث وثلاثين بعيرا فلبسها مرة واحدة واهدى له جبة من الشأم فلبسها حتى تخرقت وخفان فلبسهما حتى تخرقا وكان له رداء طوله اربعة اذرع وعرضه ذراعان ونصف فكان يشتمل به وكان له ثوب يلبسه للوفود اذا قدموا عليه وكان من احلى الناس اذا تكلم واذا تكلم كلمة رددها ثلاثا واذا مر بقوم سلم عليهم وكان اذا تحدث يتبسم في حديثه واذا كان جالسا في جماعة واراد القيام يقول سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك فقلنا يا رسول الله ان هذه الكلمات اخذتهن عادة قال زارني بهن جبريل عليه السلام واعلم يا ملك انه حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجت لنا زوجته عائشة رضي الله تعالى عنها كساء وازارا غليظا وقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين فقال المقوقس هذه والله اخلاق الانبياء فطوبى لمن اتبعه وان امته هي الامة الموصوفة في الانجيل فقال قيس ابشر ايها الملك ما تكون امة عند الله تعالى افضل من هذه الامة قال فغضب الملك من قوله وقال باي شيء انتم افضل عند الله باكلكم الحرام وارتكابكم الاثام وفعلكم المنكرات وتجنبكم الحسنات وظلمكم للرعية وميلكم الى الدنيا الدنية اين انتم من قوم عبر عليهم الاسكندر فراهم ليس فيهم قاض حاكم ولا امير بالامارة قائم ولا فيهم من يختص بالغنا عن اخيه ولا مزدريا بالفقر الذي يشينه متساوين في كل ما هم فيه اكلهم واحد وشربهم واحد غير متقطعين ولا متضادين بل متحابين متواصلين فتعجب الاسكندر ورأى وابصر على العقلا منهم وسالهم عن ما راى منهم ومن حالهم وانصت الى مقالهم فقالوا ايها الملك السعيد انا وجدنا بحمحمة وعليها مكتوب يا ابن ادم الهاك املك حتى كانك خال من عملك فاعجلك اجلك فصرت الى التراب فحثاه عليك الاحباب وخلوت بما قدمت اما صالح فسرك واما غير صالح فندمت حيث لا ينفعك ندمك وتمنيت ان يكون لك الى الدنيا مرجع لترجع عن الذي الهاك وتقلع فلم ترجع فطوبى للكيس العاقل الذي ليس بوان ولا غافل تزود الى ماله تصير قبل بكاك على التقصير وبادر

الى الخير قبل الفوت واغتنم حياتك قبل الموت فكانى بالحى قد هلك وفارق كلما ملك فاعتبرنا ايها الملك بهذه المواعظ البالغة والبسنا اثوابها السابغة فقال الاسكندر ما بال مساجدكم شاسعة خالية وقبوركم قريبة دانية فقالوا شاسعة ليكثر الاجر بكثرة الخطا اليها ومقابرنا قريبة لنذكر الموت فننتهى عن الخطا فقال الاسكندر مالى ارى ابوابكم بلا اغلاق قالوا الامن ما فينا سراق قال فمالى لا ارى فيكم اميرا ولا حاكما قالوا لأنا لم نجد فينا متعديا ولا ظالما قال الاسكندر فما لى لا ارى فيكم فقيرا قالوا لان رزق الله فينا بالسوية الصغير والكبير كثيرا ثم ابرزوا له جمجمتين عظيمتين قديمتين فقالوا ايها الملك ايهما شئت فهذه جمجمة رجل ظالم وهذه جمجمة رجل عادل وكلاهما صارا الى هذا المصير ولم يفهمهما الجمع الكثير اما العادل فمسرور وفرحان واما الظالم فنادم حيران فاز المتقى وحرم الشقى فاختبر بما تراه قبل الخبر فانك للجمجمتين في الاثر ملكت ايها الملك النواصى ونفذ امرك على الدانى والقاصى واستخلفك الله في الارض وامرك بالنفل والفرض فتذكر مرجعك ورمسك واعمل لنفسك واعلم انه لن ينفعك جندك اذا قبضت روحك واشتمل عليك قبرك فاترك اوامر الشيطان ودواعيه وخذ باوامر الرحمن ونواهيه ولا يغرنك الشيطان الرجيم فتبوء بالاثم العظيم واذكر ايها الملك ما فعل الشيطان بابيك ادم حين نصب له مكيدته واداره عليه حيلته نصب له فخ العداوة وغره بحب البرأة فقال قيس بن سعيد ايها الملك اتدرى من اولئك قال لا قال قوم مؤمنون من قوم موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام وقد قال الله تعالى عنهم في القران العظيم اذ يقول عز من قائل ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون وقد راهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به الى السماء فلما عاد راجعا من معراجه عبرهم واخبرنا بذلك فقلنا يا رسول الله قوم مؤمنون بالخبر قال نعم واراد الله تعالى ان يعلمهم ان امة محمد صلى الله عليه وسلم افضل من اولئك قال الله تعالى وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون فقال المقوقس لقيس بن سعيد يا اخا العرب ارجع الى اصحابك واخبرهم بما سمعت وابصرت ما يستقر بيننا وبينكم فقال قيس ايها الملك اعلم انه لا بد لنا منكم وليس بيننا وبينكم منا الا الاسلام او اداء الجزية او القتال

قال المقوقس سوف اعرض على قومى ماذكرت وانا اعلم انهم ما يجيبونى
الى ذلك لان قلوبهم قد قست من اكل الحرام قال محمد بن اسحاق الاموى
حدثنى عبد الله بن سهيل قال اخبرنا عدى بن حاطب قال حدثنا سليمان بن يحيى
قال كان المقوقس صاحب مصر والاسكندرية قد استسن له سنة حسنة
فى شهر رمضان فكان اذا هل شهر رمضان يعتزل قومه ورعيته ويطلب
الخلوة فى مكان قد جعله برسم ذلك فلا يظهر لاحد من ارباب دولته ولا
يدخل عليه غير صاحب طعامه وشرابه وخادمه فاذا انسلخ شهر رمضان
ظهر لهم وجلس على كرسى مملكته وكان مخاطبة الملك لقيس بن
سعيد فى اواخر شهر شعبان وقدوم رمضان فخرج قيس من عند الملك
وسار الى عمرو بن العاص واخبره بما كان من حديث الملك المقوقس قال
وهل شهر رمضان ودخل الملك الى دار خلوته التى استسنها فى شهر
رمضان وميله للاسلام ولا يحتاج الى مقاتلة العرب وجلس ولده
ارسطوليس لانه كان ولى عهده قال ابن اسحاق فلما جلس ارسطوليس
على كرسى الملك وكان جبارا عنيدا وانه لما سمع ما تحدث به ابوه مع قيس
ابن سعيد علم ان ميل ابيه للاسلام وانه لا يقاتل العرب وربما يسلم اليهم
مملكه فعند ذلك جمع اليه ارباب دولته واكابر القبط وقال لهم
اعلموا انكم ملكتم هذا الملك من بعد الغرق يعنى من بعد طوفان نوح عليه
الصلاة والسلام واعلموا ان ابى يريد ان يسلمه الى العرب وذلك انى
سمعت كلامه وما نطق به فعلمت ان كلامه مايل الى ذلك فقالوا ايها
الملك اعلم ان الامر منوط بك وانت ولى عهده وصاحب الامر من بعده
فاصنع امرا يعود صلاحه علينا وعليك وعلى رعيتك ثم خرجوا من عنده
وابن الملك مصمم على هلاك ابيه قال صاحب الحديث رحمه الله تعالى
فلما دخل الملك دار خلوته التى استسنها فى شهر رمضان لنفسه وجلس
ولده ارسطوليس على كرسى ملكه واقبل ارسطوليس على صاحب شراب
ابيه واعطاه الف دينار وقرر له قطاعا برسمه وحلف له على ذلك
ايمانا على انه يسقى لابيه سما فقبل الساقى ذلك وجعل فى شراب الملك
سما وسقاه فمات لوقته ثم اقبل الى ارسطوليس واخبره بموت ابيه
فمضى اليه ووقف على مصرعه وبكى ثم امر خدامه ان يدفنوه بثياب ملكه
فدفنوه ثم أمر أرسطوليس بقتل الخدام والساقى فقتلوا جميعا

قال وجلس ارسطوليس على سرير الملك كجارى عادته مع ابيه اذا غاب عن رعيته وليس عنده احد من الناس علم بموت ابيه المقوقس قال صاحب الحديث رحمه الله تعالى هذا ما كان من امر الملك ارسطوليس وما فعل بابيه واما ما كان من عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه فانه لما رجع قيس بن سعيد اليه واخبره بما كان من امر الملك المقوقس وحديثه فعزم عمرو على محاصرته ومحاربته ان لم يجبه الى ما دعاه اليه من الاسلام او ادا الجزية فارتحل بجيشه ونزل بموضع يعرف بقليوب واقام به وبعث رسلة الى اهل الرستاق وطيب قلوبهم وقال لا يجفل منكم احد ولكم الامان ونحن نقنع بما توصلوه الينا من بركم فاجابوه الى ذلك وارتحل عمرو من قليوب وسار حتى نزل بجسر الحصا من نفس مصر فارتجت مصر لنزول العرب عليهم ووقع التشويش فيهم وعلا الضجيج وغلقوا الدكاكين ودربوا الدروب ووقف كل اهل درب على دربه بالعدد والسلاح ليحموا اموالهم وحريمهم قال ولما نزل عمرو بجيشه بجسر الحصا امر من كان معه من الموالى وعرب اليمن ان يحفروا حول عسكره خندقا ففعلوا ذلك واقبلت الخيرات ترد اليهم من القرى بالخيرات والعلوفات واستقر قرار عمرو بمصر ولم يزالوا مقيمين بها ولم يروا من ملكها رسولا ولا خبرا فعزم عمرو على ان يبعث الى ملكها رسولا وكان لعمرو غلام قد اخذه من الرملة وكان يعرف بلغة القبط فاقبل عليه عمرو وقال له يا وردان قال لبيك قال انت رجل تعرف لغة القبط واني اريد ابعثك الى ملك مصر رسولا قال يا مولاى انا بحكمك ولا اخالف لك قولا قال فلما عزم عمرو ان يبعث الى ملك القبط ارسطوليس كتابا وبسيره مع غلامه وردان واذا برجل من القبط واقف على شفير الخندق وهو يقول بلسان عربى فصيح يا معاشر العرب ان ولى عهد الملك ولده ارسطوليس يريد منكم ان تبعثوا له رسولا من عندكم ليخاطبه بما فى نفسه لعل الله تعالى ان يصلح الامر بينكم وبينه فاسرع رجل من العرب الى عمرو بن العاص فاخبره بذلك فقال عمرو لزبير بن ابى سفيان ولهاشم بن سعيد الطائى ولعبد الله بن جعفر الطيار ولاكابر الصحابة الذين كانوا عنده حاضرين اعلموا انى قد استظهرت على مخاطبة ملوك الروم وليست ارى من يسير الى هؤلاء القبط احد غيرى واريد انظر الى صاحبهم واخاطبه على قدر ما تكلم به وارى ما عنده ولعل ان لا يخفى

على شئ من امورهم فقالوا ايها الامير اقوى الله عزمك وانجح طريقك فحن ما رأينا منك الا النصيحة للمسلمين والنظر فى احوالهم بما يسرهم فان رايت ان فى مسيرك الى هؤلاء القوم صلاحا لك وللمسلمين فاعزم والله الموفق للصواب وانظر بما اراك الله عز وجل **قال** فاستدعى عمرو بشر جبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلده امور المسلمين واوصاه بالجيش وقال له الزم مكانى حتى اسير الى هذا الملك وانظر ما عنده وآتيكم باخباره واخبار قومه **قال** شر جبيل سر الله يرشد ويسترك **ثم** ان عمرو بن العاص رضى الله عنه لبس ثوبا من كراجيس الشأم ومن تحته جبة من الصوف وتقلد بسيفه وركب جواده وسار وغلامه وردان امامه يريد مصر وليس حولها سور يمنع ولا خندق ولكنها محصنة بالدروب فوجد الخيل والرجال على كل درب من دروبها فتقدم وردان وخاطبهم بلغتهم وقال يا قوم هذا رسول العرب اليكم فاسمحوا له عن الطريق فقالوا له انا لا ندع احدا يعبر الا بامر الملك **قال** فبينما وردان يخاطب القوم واذا برسول ارسطوليس قد اقبل وهو الذى كان قد اتى الى عمرو بالرسالة فامر صاحب الدروب ان يفتح له الطريق وان لا يمنع من العبور **قال** ففتحوا لعمرو فعبر هو وغلامه ووردان ورسول الملك وساروا جميعا الى قصر الشمع واذا المواكب مصطفة والحجاب واكابر الدولة قد تظاهروا بافخر الملبوس والدروع والجواشن والزرد النضيد واعدة الحديد وبايديهم القسى الموتورة وقد اظهروا جند مصر ما امكنهم من الحشمة والسلاح وحسن الزينة **قال** فلما وصلوا الى باب القصر استأذن لهم الحاجب فاذن ارسطوليس لعمرو وغلامه ووردان بالحضور فخرج الحجاب وامروا عمرا بالنزول عن جواده فنزل فلما اراد الدخول اراد الحجاب ان يزيلوا سيفه من عنقه قال ما كنت بالذى أدخل الا بسيفى فان اردتم حكمكم ان يزيل سيفى من عنقى رجعت من حيث اتيت وانا قوم قد اعزنا الله بالاسلام ونصرنا بالايمان وايدنا بالسيوف وبها اذل لنا أهل الشرك والطغيان والآن فانتم طلبتونا ولم نطلبكم **قال** فاخبروا الحجاب الملك بمقالة عمرو بن العاص فقال دعوه يدخل كما يريد فعند ذلك دخل عمرو وغلامه ووردان فلما اقبل عمرو على الملك ارسطوليس وهو جالس على سرير ملكه والحجاب بين يديه ومماليكه عن يمينه وشماله قيام وايديهم على مقابض سيوفهم وعليهم اقبية الديباج الملون وفى اوساطهم المناطق

المرصعة بانواع فصوص الجوهر وبايديهم اساورة الذهب **فلما** رأى عمرو ذلك تبسم ضاحكا ثم قرأ قوله تعالى فما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وما عند الله خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون **قال** صاحب الحديث رحمه الله تعالى وكان هذا القصر قد بناه اولاد الملك الريان بن الوليد بن ارسلاوس الذى استخلف يوسف عليه الصلاة والسلام على مصر من بعد العزيز ثم خرب واقام خرابا خمسمائة عام حتى لم يبق منه الا اثره وتولى من بعد ذلك فرعون ملك مصر وادعى ما ادعى واعاد القصر الى ما كان وبعث الله سبحانه وتعالى موسى عليه الصلاة والسلام واهلك على يديه فرعون وخرب القصر ولم يزل خرابا حتى بعث الله تعالى عيسى عليه الصلاة والسلام وانتشرت دعوته وكان من امره ما كان ورفعه الله الى السماء وافترقت امته فرقا واد عوا فيه ما ادعوا من تقول الكذب وولى مصر الملك ارجاليس ابن سرقاطيس فبنى القصر واعاده الى احسن ما كان وسماه بقصر الشمع لانه كان لا يخلو منه الشمع فلما بناه احضر الحكما الذين كانوا فى اخميم وكان كبيرهم فريانس فقال لهم الملك ارجاليس اعلموا انى قد قرأت كثيرا من الكتب التى أنزلت على الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الله تعالى فوجدت فيها ان الله عز وجل يبعث فى اخر الزمان نبيا عربيا يكون قوله الصدق ودينه الحق واخلاقه ظاهرة وشريعته ظاهرة قد بشر به ايضا عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فما تقولون ايها الحكما فيما قد ذكرت لكم فقال فريانس الحكيم ان الذى قرأت وقلت هو الصحيح الذى لا يبدل فقال لابد ان يكون ذلك فقالت الحكما نعم فقال الحكيم فريانس أيها الملك اريد ان اصنع تمثالا واضعه باعلا قصرك ونجعل له من الحكمة رصدا ونجعل وجهه مما يلى كنيستك المعظمة ديربا ليس **قال** وكان الملك قد بنى له هذه الكنيسة وسماها ديربا ليس يعنى بيت العبادة ونصنع ايضا تمثالا اخر ونضعه على قبتها ويكون وجهه مما يلى التمثال الذى باعلا قصرك فاذا كان وقت بعث هذا النبى يقع على وجهه واعلم ايها الملك ان هذا الموضع يكون موضع عبادة القوم الذين يتبعون هذا النبى صلى الله عليه وسلم وبه يكون اقامة شرعهم **قال** فانعم لهم الملك بذلك فاخذ الحكما فى عمل التمثال على ما ذكرنا **فلما** بعث النبى صلى الله عليه وسلم حول كل تمثال وجهه عن صاحبه وسقط الذى كان باعلا الكنيسة على وجهه

والكنيسة هي اليوم الجامع واما التمثال الذى كان باعلا القصر حول وجهه عن صاحبه ولم يزل ثابتا فى مكانه الى ان دخل عمرو بن العاص قصر الشمع سمعوا منه صوتا عظيما هائلا ثم سقط على وجهه فارتاع له الملك وارباب دولته وارتجفت قلوبهم وقالوا بالقبطية ما وقع هذا التمثال عند دخول هذا الرجل الا لأمر عظيم ولاشك هذا الذى يقطع دولتنا ويملك بلادنا قال فلما دخل عمرو بن العاص رضى الله عنه على الملك ونظر الى حشمته وارباب دولته وما هم فيه من الزينة الظاهرة حيا الملك وجلس بين يديه وعارض سيفه على ركبتيه ونظر الى القصر واذا هو مزخرف بالذهب والفضة وهو مرصع بالفصوص الملونة فى سائر اركانه فقرأ قوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ثم قال انكم تحشرون حفاة عراة ثم قرأ كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين والله لتسئلن يوم القيامة عما كنتم تعملون فاتقوا الله الذى اليه مصيركم واعلموا ان الدنيا دار زوال وفنا والآخرة دار البقا اما سمعتم ما كان عليه نبيكم عيسى عليه الصلاة والسلام من الزهد كان لباسه الشعر ووساده الحجر وسراجه القمر ولقد سمعت نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل اوحى الى نبيه عيسى عليه الصلاة والسلام يقول يا عيسى نح على نفسك فى العتمات وعاتبها فى الخلوات وسارع الى الصلوات واستكثر الحسنات وتجنب السيئات وابك على نفسك بكاء من ودع الاهل والاولاد واضحى وحيدا فى البلاد وكن يقظانا اذا نامت العيون خوفا من امر لابد ان يكون فاذا كان روح الله تعالى وكلمته خوف بهذا التخويف فكيف يكون المكلف الضعيف واعلموا انه تكلم فى المهد وقال انى عبد الله فاذا كان قد اقر بالعبودية لله فكيف تعتقدون فيه الربوبية وان الله عز وجل تنزه عن المشاركة وتفرد بالوحدانية وتعزز بالالهية وقال عز من قائل ما اتخذ الله من ولد ولا اشرك فى ملكه احد جل عن الصاحبة والاولاد والشركة والاضداد لاصاحبة له ولا ولد ولا شريك له ولا وزير ليس لأوليته ابتدا ولا لآخريته انتها لا يحويه مكان وهو فى كل مكان من غير حلول ليس بجسم فيمس ولا بجوهر فيحس ولا يوصف بالسكون والحركات ولا المنافع

والمضرات ثم قرأ ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا **فقال** الملك ارسطوليس فصح الان عندكم يا هؤلاء العرب ان المسيح تكلم في المهد قال عمرو نعم فقال الملك هذه فضيلة تفرد بها المسيح على جميع الانبياء فقال عمرو وقد تكلم غيره فقال الملك ومن تكلم غيره قال عمرو صاحب جريج وصاحب الأخدود فقال الملك كيف كان ذلك قال عمرو كان في بني اسرائيل رجل يقال له جريج وكان ذات يوم قائم يصلي في صومعته فجأته امه تدعوه اليها فقال يارب صلاتي وأمي ثم اقبل على صلاته ولم يجبها فمضت عنه فلما كان في اليوم الثاني اتته فدعته فقال يارب أمي وصلاتي ثم أقبل على صلاته فانصرفت عنه فلما كان اليوم الثالث أتته وهو قائم يصلي فدعته فقال يارب أمي وصلاتي ثم اقبل على صلاته ولم يجبها فقالت أمه اللهم لا تمته حتى ينظر الى وجوه المومسات **قال** وتذكر بنو اسرائيل جريجا وعبادته وكان في ذلك الوقت في بني اسرائيل امرأة بغي يتمثل بحسنها قالت ان شئتم لأفتنه لكم قال فتعرضت له بنفسها فلم يلتفت اليها فأتت راعيا كان يأوي الى بحت صومعة جريج فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت منه فلما ولدت قالت هو ابن جريج فاتوا اليه واستنزلوه من صومعته وجعلوا يضربونه فقال ما شأنكم فقالوا له زنيت بهذه البغي فولدت منك غلاما فقال لهم ائتوني بالصبي فجاؤا به فقال اتركوه حتى أصلي فتركوه فصلى ودعا فلما فرغ من صلاته ودعائه اقبل على الصبي فوكزه بيده في بطنه وقال يا غلام من ابوك فقال فلان الراعي فاقبل بنو اسرائيل على جريج يقبلونه ويتبركون به وقالوا له نبني صومعتك من فضة وذهب قال لا بل عيدوها من الطين كما كانت ففعلوا ذلك **وأيضا** أيها الملك كان في بني اسرائيل امرأة جالسة وفي حجرها صبي وهي ترضعه اذ مر بها رجل راكب على دابة حسن الوجه عظيم الهيبة فقالت أم الصبي اللهم اجعل ابني مثل هذا فترك الصبي ثدي أمه وقال اللهم لا تجعلني مثله ثم اقبل على ثدي أمه وجعل يرضع **قال ابو هريرة** رضي الله عنه فكاني انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحكي ارتضاعه باصبعه السبابة في فمه وجعل يمصها **قال** ومرت بأم الصبي جارية ومعها ناس وهم يضربونها ويقولون لها زنيتي سرقتي وهي تقول حسبي الله ونعم الوكيل فقالت أم الصبي اللهم لا تجعل ابني مثلها فترك الصبي ثدي أمه وقال اللهم اجعلني مثلها فهناك قالت أمه أيمر رجل حسن الهيبة فأقول

اللهم

اللهم اجعل ابنى مثله فتقول لهم لا تجعلنى مثله ومرت جارية والناس يضربونها ويقولون سرقتى زنيتى فاقول اللهم لا تجعل ابنى مثلها فتقول اللهم اجعلنى مثلها قال الصبى الرضيع نعم ان ذلك الرجل كان جبارا فقلت اللهم لا تجعلنى مثله وان الجارية لم تزن ولم تسرق فقلت اللهم اجعلنى مثلها قال ارسطوليس يا اخا العرب انطق الله تعالى نبيكم بغير لسان العربية قال عمرو لا وقد اخبر الله تعالى فى كتابه العزيز اذ يقول عز من قائل وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء فقال الملك ابعث الله نبيا عربيا غير نبيكم قال عمرو نعم هود وصالح وشعيب ومحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين فقال وزير الملك وكان حكيما واسمه قيطس معناه بحر العلوم وكان راهبا بدير القدس فلما ولى الملك ارسطوليس بن المقوقس مكان الملك انزله من ديره وجعله وزيره وكان خبيرا بحكمة النجوم فقال لعمرو بن العاص ما تقول فى النجوم وتأثيرها فقال عمرو ان النجوم ليس لها تأثير ولا حكم لانها مأمورة مستخدمة لا حكم لها فى أمرها ولا لغيرها ونحن لا بد لنا من معرفة المنازل لان القمر لا بد له من منزلة يسير اليها وقد اخبرنا الله تعالى عن ذلك فى كتابه العزيز اذ يقول والقمر قدرناه منازل هى الابراج وهى اثنى عشر برجا وهى حمل ثور جوزا سرطان أسد سنبلة ميزان عقرب قوس جدى دلو حوت والكواكب سبعة وهى زحل مشترى مريخ شمس زهرة عطارد قمر فمن قال بالقطع والتأثير فقد خرج من ملتنا وشريعتنا ومعنى القطع والتأثير فان النجم اذا قطع بالتأثير لا بد ان ينزل الغيث فيكون غلاء او رخصا فهذا علم ما خص الله تعالى به احدا من خلقه الا ان النجم اذا كان مقارنا للنجم كان ذلك احتراقا وانعكاسا فينال ايضا صاحب ذلك النجم انعكاسا وقد يجوز ذلك ولا يجوز ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم من صدق كاهنا او منجما فقد كفر بما جاء به ابو القاسم محمد وقال صلى الله عليه وسلم اذا انشأت شامية يعنى سحابة فتلك غدقة يعنى اذا اقبلت السحابة من الشأم الى المدينة يكون المطر وكذلك البرق اذا كان من اليمن يقولون هذا برق خلب يعنون لا مطر فيه ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم اصبح من الناس مؤمن وكافر فمن قال برحمة الله أمطرنا فهو مؤمن بالله كافر بالكواكب ومن قال بالكوكب الفلانى امطرنا فهو كافر بالله مؤمن بالكواكب ثم قرأ عمرو ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث

ويعلم ما في الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض
تموت ان الله عليم خبير قال فلما سمع الوزير قيطس كلام عمرو وما قد رأى
من فصاحته قال بالقبطية للملك ايها الملك ان هذا البدوى فصيح اللسان
جرى الجنان وقد حزرت انه مقدم العرب وصاحب الجيش النازل علينا ولو
قبضت عليه اهزموا اصحابه ومضوا عنا قال وغلام عمرو يسمع ما يقول الوزير
للملك فقال الملك للوزير انه لا يجوز ذلك ولا ينبغى لنا ان نغدر برسول ولا
سيما ونحن استدعيناه قال فعند ذلك قال وردان لعمرو مالى اراك فزعا
اتظن ان الملك ارسطوليس يريد قبضك وانت في امانه انه لا يفعل ذلك
قال فلما سمع عمرو كلام غلامه علم بخواه وعلم انه يحذره فايقظ عمرو خاطره
واخذ حذره فقال الملك ارسطوليس يا اخا العرب ما الذى تريدون منا
حتى اقبلتم الينا ونزلتم بارضنا ونحن اولوا قوة وبأس شديد وما قصدنا
احد من الملوك الا رجع بالخيبة وعساكر النوبة والبجاه تنصرنا وقد وجهت
اليهم وكانك بهم وقد اقبلوا نحونا قال عمرو انا قوم لا نخوف بالجيوش
وكثرتها فلا نخوف بها لان الله سبحانه وتعالى وعدنا النصر على لسان نبينا
وبذلك انزل عز وجل في كتابه العزيز اذ يقول عز من قائل ولقد كتبنا في الزبور
من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون ونحن ندعوكم الى شهادة
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا رسول الله فان ابيتم ذلك
وغلبت عليكم الشقاوة فتؤدون الجزية وانتم صاغرون فان ابيتم فاذنوا
بحرب من الله قال فلما سمع الملك ذلك من عمرو قال يا اخا العرب اعلم اننا
لا يمكننا ان نعمل شيأ الا برأى الملك المقوقس والآن الملك في خلوته التى
استسنها لنفسه فى شهر رمضان فاذا انسلخ الشهر وخرج الملك يعمل
برأيه ولكن يا اخا العرب ما اظن في اصحابك احزم منك ولا اجرى
منك لسانا واثبت مكانا واحرى جنانا فقال عمرو وانا آكل لسانا من
اصحابى ومنهم من لو كلمته لعلمت انى لا اقاس به قال الملك من المحال ان
يكون في اصحابك مثلك قال بلى ايها الملك ولو اردت احضرت لك منهم
عشرة رجال لتعلم صحة ذلك فقال افعل ثم قال الملك لوزيره بالقبطية
اذا اردنا القبض على الرجل فالقبض على العشرة اولى ثم قال لعمرو ابعث
اليهم ليحضروا فقال ايها الملك انهم لا ياتون برسول فان اردت مضيت
اليهم واتيت بهم فقال الملك افعل فوثب عمرو قائما وخرج مبادرا

وركب جواده وهو لا يصدق بالنجاة وسار وغلامه وردان بين يديه حتى خرجوا من مصر قال ولما خرج عمرو وغلامه قال الملك لوزيره وحق ديني لان اتى بهم لاقتلنهم جميعا قال ولما خرج عمرو وغلامه وردان عرفه غلامه وردان بما سمع من الوزير وهو يقول للملك من جمعة القبض عليه فقال عمرو والله لاعدت الى مثلها والله يا وردان لأكافئنك بها فما جزآء الاحسان الا الاحسان وساروا حتى وصلوا الى عسكرهم فلما رآهم المسلمون قد اقبلوا سارعوا الى ملتقى الأمير عمرو وسلموا عليه وهنوه بالسلامة وقالوا أيها الامير لقد ساءت الظنون بك حيث ابطات فاقبل يحدثهم بما جرى له مع الملك وكيف اراد القبض عليه واعلمه بذلك غلامه وردان وانه ما خلص نفسه الا بضمن له ان ياتيه بعشرة رجال من اصحابه فتعجب اصحابه من ذلك وشكروا الله تعالى على سلامته وخلاصه من يد القبط وباتوا تلك الليلة فلما اصبح الصباح صلى عمرو بالمسلمين صلاة الصبح فلما فرغ من صلاته امر المسلمين باخذ الاهبة والركوب الى الحرب واذا برسول ارسطوليس قد وقف على شفير الخندق وقال يا معاشر العرب ان الملك ارسطوليس ينتظر رسولكم والعشرة من اصحابه فاخبروا عمرو بذلك فاقبل عمرو اليه وقال يا هذا ان الغدر يهلك صاحبه وعلى الباغي تدور الدوائر يا ويلك ينفد صاحبك يطلب رسولا منا فلما اتيته اراد ان يقبض علي وتكلم بكذا وكذا يا ويلك من الذي يحميك منا اذا اردنا قتلك ولكنا لسنا نفعل ذلك لاننا نوفي بالوعد ولا ننقض العهد ارجع الى صاحبك وقل له اني سمعت ما تكلم به هو ووزيره من جمعة القبض علي وقد نجاني الله من كيده وما انا بالذي ارجع اليه ابدا قال صاحب الحديث هكذا اجرى لعمرو بن العاص مع الملك ارسطوليس بن الملك المقوقس صاحب مصر وكان عمرو بعد ذلك اذا حضره امر واراد ان يحلف فيقول لا والذي نجاني من صاحب القبط قال وان الرسول رجع الى صاحبه ارسطوليس وحدثه بما قال عمرو فعلم الملك انه فطن به حين القى اليه الوزير ذلك ثم قال الملك لوزيره من اين لهذا ان يحفظ لغتنا وهو بدوي فقال الوزير اظن الذي كان معه يحفظ لغتنا فحذره منا فقال الملك لوزيره ما الذي ترى من الرأي في هؤلاء العرب وان القوم مستيقظين لانفسهم فلا يصل اليهم احد بمكر ولا بخداع فقال الوزير قيطس انه قد بلغني ان للقوم يوما يعظمونه وهو يوم الجمعة كما نعظم نحن يوم الاحد

وارى لك من الرأى ان تكمن لهم كمينا مما يلى الجبل المقطم فاذا اخذ القوم فى صلاتهم يخرج الكمين عليهم ويضع السيف فيهم فلا ينجو منهم احد قال فاستصوب الملك رايه واقام ينتظر يوم الجمعة ليكمن لهم الكمين كما ذكر الوزير قال وان الامير عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه لما تخلص من يد ملك القبط ذلك اليوم واصبح فى اليوم الثانى دعا بعبد الله يوقنا وقال له يا عبد الله اعلم ان هؤلاء القوم قد اخروا القتال ونحن مقيمون لحربهم منتظرون وليس عندنا من الزاد والعلوفة ما يكفينا ويكفى دوابنا فامض فى عسكرك وبنى عمك الى القرى واشتر لنا زادا وعلوفة لدوابنا ما يكفينا لنا ولدوابنا هذه الايام قال يوقنا سمعا وطاعة ثم ركب يوقنا فى بنى عمه وعسكره وهم يومئذ اربعة الف فارس واخذ معه الموالى والعبيد والبغال والحمير وساروا جميعا يطلبون الزاد قال صاحب الحديث وكان قد اختلط بالمسلمين اقوام من جواسيس القبط وسمعوا ما تحدث به المسلمون وما قد عزموا عليه من مسيرهم الى المريف بسبب الميرة فرجع الجواسيس الى الملك ارسطوليس واخبروه بذلك ففرح واقام ينتظر الجمعة فلما كان يوم الخميس دعا ارسطوليس بابن عم له اسمه ماسيوس وكان مقدم جيشه فجرد معه من جيش مصر اربعة الف فارس على عدد اصحاب يوقنا وامره ان ياخذ معه بغالا وددوابا وعليها حمال وزاد وعلوفة ايضا لخيولهم لئلا ينكر احد عليهم اذا راوهم وامره ان يسير تحت الليل بعسكره ويكمن بهم من وراء الجبل المقطم وان يجعل له ايضا ديدبانا ينظر الى المسلمين فاذا دخلوا فى صلاتهم اخبروا بهم فاخرجوا عليهم والبغال والدواب بين ايديكم لئلا ينكر احد منهم عليكم اذا انتم خرجتم واقبلتم اليهم قال فسار ماسيوس تحت الليل بعسكره الى وراء الجبل المقطم واكمن هناك ودبر امره كما امره الملك واقام له ديدبانا من نحو مغارة السودان قال صاحب الحديث حدثنا عمار بن وهب قال اخبرنا سعيد بن عامر عن سليمان بن نافذ عن عروة عن جابر ينقل الحديث عن ابن اسحاق الاموى قال هكذا دبر ملك القبط ارسطوليس على المسلمين ومسك الكمين من ناحية الجبل الى تلك النور وهو اليوم مسجد موسى عليه الصلاة والسلام وبقوا من وراء الجبل المقطم وليس بين الجبل ومجرى الحصى الا دون نصف ميل قال وباتت القوم فى كمينهم وليس عند المسلمين خبر من ذلك فلما اصبح الصباح

يوم الجمعة وارتفع النهار واتسع وقرب وقت الصلاة جمع المسلمون رحال جالهم وجعلوا بعضها على بعض لأجل الخطبة واجتمع الناس للصلاة وليس عندهم خبر مما دبر عليهم عدو الله **قال** ولما اجتمع المسلمون لصلاة الجمعة جعل عمرو يحدث الناس بما يكون من أمرقتالهم لعدوهم ويرغبهم في الجهاد إلى أن أذن مؤذن المسلمين فلما فرغ الأذان صعد عمرو رضي الله عنه على تلك الرحال وخطب خطبة بليغة وذكر فيها فضل الجهاد وما أعد الله عز وجل للمجاهدين من الأجر والثواب وتلا في آخر خطبته قوله تعالى يا أيها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ثم ذكر من بعد ذلك فضل الجهاد وفضل رمضان وما اعد الله فيه من الأجر والحسنات **قال** صاحب الحديث حدثني سليمان بن ثابت عن جده شداد بن أوس **قال** بينما نحن قد اجتمعنا للصلاة وعمرو يحدثنا بما يكون من أمرنا لقتالنا لعدونا ويذكرنا فضل الجهاد ويرغبنا فيه فقلنا أيها الأمير ما الذي يقعدك عن قتال عدونا فقال والله ما تأخرت عن قتالهم لجزع منهم ولا لخوف ولكن قد علمتم بقصة هذا الملك المقوقس وما هو عليه من حصانة العقل وهو مقر بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو الآن في خلوته التي استنسنها لنفسه في الشهر المبارك وقد بقي من شهر رمضان خمسة ايام ويظهر من خلوته ويجلس على سرير ملكه ثم نبعث اليه رسولا منا لنرى ما يكون من جوابه فاما صلح واما قتال **قال** شداد بن أوس بينما نحن نسمع ما يقول إذ أقبل رسول اللعين ارسطوليس ووقف على شفير الخندق واستاذن للدخول فاذن له عمرو بالدخول اليه فدار من حيث الارض المستوية لأن الخندق كان من ناحية مصر ودروبها مما يلي الجبل المقطم فلما دخل الرسول وقف بين يدي عمرو وسلم عليه وقال يا امير العرب ان ولي عهد الملك يسلم عليك ويقول لك انه لا يقدر ان يحدث امرا من صلح ولا قتال الا بأمر الملك وهو كما علمت في خلوته وقد بقي له خمسة ايام ويجلس على سرير ملكه ويدبر رعيته بما يريد **قال** عمرو وقد فعلنا ذلك ولولا الملك وما نعلم من يقينه وانه مقر لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة لما امهلناكم طرفة عين والسلام **قال** ومضى الرسول **قال** صاحب الحديث رحمه الله تعالى وان اللعين ارسطوليس ما بعث الرسول في ذلك الوقت الا ليطيب به قلوب المسلمين ويطمئنوا اليه ليقضي الله امرا كان مفعولا **قال** شداد بن أوس فلما رجع الرسول واذن المؤذن

وخطب عمرو خطبته وحذرهم من النار ورغب في الجهاد وشوق الى الجنة فلما
فرغ من خطبته وأقاموا الصلاة وتقدم عمرو للصلاة وكان العرب قد امروا
مواليهم ان يرقبوا نحو مصر مخافة من العدو ان يكبسهم في صلاتهم قال
شداد بن أوس ونحن لا نرى احدا من اهل مصر يظهر لنا لا فارسا ولا راجلا
فاخذنا صفوفنا واستوينا خلف عمرو للصلاة وليس بيننا وبين لنا عدو نخافه فلما
أم عمرو بنا وعقدنا النية خلفه وقرأ عمرو وركع الركعة الاولى وركعنا لركوعه
تبعناه واومينا بالسجود اذا شرفت البغال والدواب وعلى ظهورها الاحمال
والعسكر من ورائهم وهم اهل الكمين الذي كمنه عدو الله ارسطوليس وهم
على عدد اصحاب يوقنا كما ذكرنا اربعة آلف فارس فلما نظر اليهم موالينا
ظنوا انهم اصحابنا قد أقبلوا بالعلوفة ففرحوا بذلك وقالوا جاء يوقنا واصحابه
قال ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا بالقرب منا من جهة الارض المستوية
واطبقوا علينا ونحن في الصلاة ووضعوا السيف فينا ونحن ساجدون
في الركعة الثانية بين يدي الله تعالى والسيف يقطع في لحومنا قال شداد
ابن أوس وما أحد من المسلمين قام من سجوده ولا فارق الصلاة وكانت
قوة الحمل على آخر صف والذي يليه وكانوا قوما من اليمن ومن بجيله وفيهم
أناس من وادي القرى ومن الطائف ومن وادي نخله قال عباد بن عتبة
فهلكوا جميعا بسيوف القبط وايقنا بالهلاك وما فينا من حرف وجهه
عن الصلاة اذ أقبل عبد الله يوقنا واصحابه بالميرة فنظروا اخونا فرأوا
السيوف تلمع فانكر يوقنا أمرنا وارمى ما كان على رأسه وصاح في اصحابه
وبني عمه وقال والله قد دهوا أصحابنا الا من قصر منكم عن جهاد عدو وكره ولم
يبذل نفسه في سبيل الله طوبى يوم القيامة الا وان عدو الله قد غدر
بأصحابنا وروا من حولهم وضيقوا عليهم وضعوا السيف فيهم واحذروا
ان يفلت منهم احد قال وحمل يوقنا واصحابه على اعداء الله واحاطوا بهم
فلما نظر القبط الى من دهمهم من المسلمين رفعوا السيف عن المسلمين واستقبلوا
يوقنا واصحابه قال ولما فرغ عمرو من صلاته بادر الى جواده وركب المسلمون
خيولهم وحملوا على اعداء الله حملة عظيمة واحاطوا بهم وحالوا بينهم وبين
مصر ووضعوا فيهم السيوف فوالله ما نجا منهم أحد وكأنهم كانوا طيورا
ووقعوا في شبكة صياد ها فتركوهم صرعى على الصعيد فما نجى منهم مخبر
وقتل ابن عم الملك ماسيوس قال ولما وضعت الحرب أوزارها هنى المسلمون

بعضهم

بعضهم بعضا بالسلامة وشكروا الله تعالى على ما أولاهم من نصره واثنوا على يوقنا
واصحابه خيرا وحازوا خيول القبط وسلاحهم واسلابهم والبغال والحمير الذى
اتوا بها محملة وغنموا غنيمة عظيمة قال وافتقدوا من قتل من المسلمين واذا هم
اربعمائة وستة وثلاثون رجلا ختم الله لهم بالشهادة وكان الاعيان منهم حمزة
ابن سالم اليشكرى وربيعة بن صابر السهمى والمسيب بن خويلد اليشكرى ونصر اليشكرى وسابق
ابن مزيد العجلى ومزيد بن سعيد اليشكرى وقرام بن عمر العجلى وقيس بن ماجد الشوخى وطلحة بن ثابت
المخزومى ونصر بن الاخيل مولى ابن عياض بن غانم الطائى وكان فارس الخيل ونصر
ابن عبد مناة السلمى بن عم ابى بكر الصديق رضى الله عنهم وكامل بن معبد بن حازم
النجيبى والمقدام بن سارية النجيبى وسعد بن مرشد الحضرمى ورفاعة بن مسروق
اللعبى وجعفر بن دانية باسم أمه يعرف وهذا احدى بنى عامر بن صعصعة
وعروة بن شامل الثقفى ومعمر بن ظاعن الزبيدى العامرى وعابس بن سمرة
العامرى ورافع بن سهيل العامرى وعبد الله بن فاهر الكلاى ومالك بن
نقيط العامرى والمكرم بن غالب العامرى ومعمر بن خليفة الدارى وماجد
ابن مرة الخزرجى ودهمان بن عوض بن مسلم العجلى وطارق بن معن السلمى والبانه
ابن ظاعن العبسى المتيهانى وهياج بن عمر التميمى وياسر بن مفرج وهلال بن
خويلد القطفانى والهجام بن عيينة الغطفانى وطوق بن حبيب الكلبى الجملة
ستون رجلا من الأعيان ختم الله لهم بالشهادة وصلى عليهم عمرو بن العاص
رضى الله عنه بجماعة المسلمين ودفنهم هناك فى مواضعهم قبلة من مجرى الحصا
وشرقا منه وقبورهم معروفة هناك الى يوم القيامة رضى الله تعالى عنهم اجمعين
قال صاحب الحديث رحمه الله تعالى واتصل الخبر الى الملك ارسطوليس
بقتل ابن عمه والاربعة الف فارس فصعب ذلك عليه وايقن بزوال ملكه
ودعا ببطارقته واكابر دولته وشاورهم فى أمره فقالوا أيها الملك انك تعلم
ان الدنيا ما دامت لأحد ممن كان قبلك حتى تدوم لك وما زالت الملوك تنكسر
ثم تعود وما انت بأول من انهزم من ملوك الارض وقد سمعنا ان الدارينوس
ابن ازدشير بن هرمز بن كيبفان بن يزدجرد الفارسى هزمه الاسكندر
الرومى سبعين مرة فاخرج بنا الى لقاء هؤلاء العرب واضرب معهم مصافا
ولا تيأس من النصر فان المسيح ينصرك وهؤلاء القسوس والرهبان والشمامسة
والمطران يدعو لك بالنصر قال فقبل الملك ارسطوليس مشورة اصحابه واكابره
وحجابه وفتح خزائن ابيه وانفق فى الجند وفرق السلاح وامرهم بالخروج الى

نقاء العرب فخرج القبط وضربوا خيامهم ومضاربهم وتأهبوا لحرب عدوهم وكتب ارسطوليس الكتب وسيرها الى ملك النوبة وملك البجاه يسألهم النجدة واقام ينتظر قدوم النجدة قال محمد بن اسحاق حدثنا عقبة بن صفوان عن عمر بن عبد الرحمن بن حبيب عن أبيه قال لما كان من أمر المسلمين ما ذكرنا من الامر المقدر عليهم من كبسة العدو كتب عمرو بن العاص كتابا الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم والعاقبة للمتقين من عمرو ابن العاص بن وائل السهمى الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب سلام عليك فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أما بعد فانى وصلت الى مصر سالما وجرى لنا على بلد بلبيس مع ابنة الملك المقوقس كذا وكذا ونصرت عليهم ودخلت منها الى مصر ونزلت بمجرى الحصا وخندقنا حولنا خندقا وصالحت أهل القرى والاطراف وهى ارض يقال لها الحوف ليعينونا ويميرونا بالزاد والعلوفة ويجلبوا لنا من خيرات بلادهم وانا احتجنا شيأ من المؤنة والعلوفة فبعثنا يوقنا وبنواعمه وجنده الى تلك القرى ليشتروا لنا طعاما وسرت أنا رسولا بنفسى الى ملك القبط ارسطوليس ابن المقوقس فكلمنى وجاوبته وهم بالقبض على فنجانى الله سبحانه وتعالى منه واكمن لنا كمينا واشغلنا برسول اتى منه مكرا وخديعة فلما كان يوم الجمعة واصطفينا للصلاة واخذنا فى صلاتنا وركعنا وسجدنا فلم نشعر الا والخيل قد كبستنا ونحن فى السجود وبذل فينا القبط السيوف ونحن مقبلون على ربنا فى صلاتنا فقتلوا منا اربعمائة رجل وستة وثلاثين رجلا وما فينا من الوى عن صلاته وان الله عز وجل انجدنا بفضل منه فى تلك الساعة بيوقنا وجنده فاقبلوا علينا والسيوف تعمل فينا فصاح يوقنا فى جنده وحمل على القبط واحاط بهم فرفعوا السيوف عنا واشتغلوا بيوقنا فبذل فيهم السيف فقتل القبط جميعا فلم ينج منهم احد من سيفه وسيوف جنده وقتل مقدم القوم ماسيوس وهو ابن عم الملك ارسطوليس وغنمنا الله تعالى خيولهم واسلابهم وسلاحهم وما كان معهم من مال ودواب وبغال ونحن الآن يا أمير المؤمنين فى بحر يتلاطم أمواجه من كثرة العدو فأنجدنا يا أمير المؤمنين وادركنا بعسكر من المسلمين ليعيننا على قتال المشركين والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته وطوى الكتاب وختمه وسلمه الى عبد الله بن قرط الازدى وامره بالمسير الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فركب

عبد الله بن قرط مطيته وسار يجد السير ليلا ونهارا حتى ورد مدينة يثرب فأناخ مطيته على باب المسجد وعقلها بفاضل زمامها ودخل وحياه بركعتين وأقبل الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلم عليه واذا امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه عند القبر الشريف **قال** عبد الله فسلمت على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أقبلت الى عمر وسلمت عليه فرد على السلام ونظر الى طويلا فحققني **فلما** عرفني قال عبد الله قلت نعم يا أمير المؤمنين قال مرحبا بك فقبلت يده وسلمت الكتاب اليه فقال من اين أتيت يا عبد الله قلت يا أمير المؤمنين من مصر من عند عامل عمرو بن العاص قال مرحبا بك يا ابن قرط ثم فض الكتاب وقرأه **فلما** أتى على آخره قال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قال من ترك الحزم وراظهره تباعدت عنه فسيحات الحظار والله ما علمت عمرو الا حازم الرأى مليح التدبير ضابطا لامره حسن السياسة ولكن اذا اتى القضى عمى البصر ثم **كتب** من ساعته كتابا الى أمير جيوش المسلمين بالشام ابى عبيدة بن الجراح وذكر فى الكتاب ماجرى لعمرو بن العاص وأمره ان ينفذ له جيشا عرمرما وينفذ الكتاب مع سالم مولى ابى عبيدة **قال** عبد الله بن قرط وأقمت فى المدينة يومين واستأذنت عمر رضى الله عنه فى المسير فزودنى من بيت مال المسلمين وكتب كتابا الى عمرو بن العاص رضى الله عنه يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص سلام الله عليك فانى احمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد وصلنى كتابك وقرأته وعلمت ما قد جرى عليكم من عدوكم وغدره لكم فذلك لما سبق فى أم الكتاب وكان يجب عليك يا ابن العاص ان لا تطمئن الى عدوكم ولا تسمع له كلاما وما أعرفك يا ابن العاص الا حسن الرأى والتدبير ولكن ليقضى الله امرا كان مفعولا فاستعمل الفشاط فى امرك ولا تتوانا فى مصالح المسلمين **واعلم** ان كل راع مسئول عن رعيته فدبر امرك ولا تأمن عدوك **واستعمل** الحذر فان امامك والله ما بات الا على حذر ولا كذب خبر والله يعيننا واياك على طاعته وقد نفذت الى أمين هذه الأمة ابى عبيدة عامر بن الجراح ليسير اليك جيشا والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته وطوى الكتاب وختمه وسلمه الى عبد الله بن قرط وامره بالمسير **قال** عبد الله فاخذت الكتاب وركبت مطيتى وسرت ليلا ونهارا فكنت بعد عشرة ايام فى مصر فأقبلت الى عمرو بن العاص وسلمت عليه وناولته كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فقضه وقرأه سرا وفرح به

ثم قرأه جهرا على المسلمين ففرح المسلمون بما فى الكتاب من ذكر النجدة وأقام عمرو ابن العاص ينتظر قدوم النجدة من أبى عبيدة عامر بن الجراح رضى الله عنه قال صاحب الحديث رحمة الله عليه حدثنى سهل بن عبد الرازق قرأت عليه بعمراس قال لما كبس جيش ارسطوليس عسكر المسلمين وهم فى صلاتهم يوم الجمعة ورجعت دائرة السوء على الكافرين وقتل ماسيوس بن عم الملك ارسطوليس وقتل جند الاربعة آلف فارس ولم ينج منهم أحد وهلكوا عن اخرهم غضب وحلف يمينا بما يعتقده من دينه لابد أن يأخذ بثاره من المسلمين فأمر حجابه ان يجمعوا أمراءه وأكابر دولته وعظماء بطارقته الى الكنيسة المعلقة التى فى قصر الشمع قال فلما فعلوا ذلك وجمعوهم الى الكنيسة ونصبوا الى الملك كرسى فجلس عليه ثم قام فيهم خطيبا وقال يا أهل دين النصرانية وبنى ماء المعمودية اعلموا ان ملككم ملك عقيم وبلدكم بلد عظيم وهو بلد الفراعنة وهى دار ملكها الملوك الأكابر من قبلكم من آل حمير مثل منيسعات والبيسق والجلجان وهو بانى هذه الأهرام ومرثد ابن عينان وشداد بن عاد ولقمان بن عاد وشديد بن عاد والقرنين وهو الملك العضيب وانقضى ملكهم منها ومضى زمانهم ورجع الملك الى يد غيرهم من ارض سبا وبلاد اليمن وحضرموت وقصر عمران ثم تولى ملك هذه الأرض القبط من ابائهم واجدادهم اسطليس وسيلموس والريان بن الوليد استخلص يوسف ثم الوليد الثانى وهو افيطيس المكنى بفرعون الذى اهلكه الله على يد موسى بن عمران ثم طيماؤس ثم جدى راعيل ثم ابى المقوقس وما احد ممن ملك الأرض الا ويحسد على ملك مصر وهؤلاء العرب طماعة وقد طمعوا فينا واتوا الينا يريدون ان يملكوا بلادنا ويخرجونا من أرضنا كما طمعوا فى ملك الشام وانتزعوه من ايدى القياصرة وقتلوا ابطالهم ونهبوا أموالهم واستعبدوا حريمهم واولادهم فان انتم فشلتم عن قتالهم طمعوا فيكم وقتلوا ابطالكم ونهبوا أموالكم واستعبدوا حريمكم واولادكم وسكنوا قصوركم ودياركم وجعلوا بيعكم لهم جوامع والآن فان الملك المقوقس قد امرنى بقتال هؤلاء العرب وقال انه لا يظهر من خلوته حتى يرى ما يكون من أمركم وأمرهم فما قولكم وما الذى اجتمع عليه رأيكم قالوا أيها الملك اما نحن عبيد هذه الدولة لأنها استعبدت رقابنا بفضلها ونعمتها علينا دائمة والآن نحن نقاتل عنها لمحبتنا اياها فلعل ان يرزقنا المسيح النصر على عدونا او نموت على سيف واحد قال فشكرهم الملك قولهم وخلع عليهم وقال اخرجوا الآن واضربوا خيامكم

ومضاربكم ظاهر المدينة وطاولوا القوم بالمبارزة الى ان يأتينا النجدة من النوبة
ومن ملك البجاة فقالوا نعم ما قلت أيها الملك ثم خرجوا من عنده وأمروا غلمانهم
ان يخرجوا بخيامهم والسرادقات ويضربوها مما يلي النور والرصد ففعلوا ذلك
قال محمد بن اسحاق الأموي وفي يومهم ذلك الذي خرجوا فيه جاء رسول الملك
الذي أرسله الملك ارسطوليس الى النوبة والى ملك البجاة في طلب النجدة وأخبر بأنه
وقع بين النوبة والبجاة واختلفوا واذا احدهم لا يبعث للملك ارسطوليس نجدة فصعب عليه ذلك وضربت
القبط خيامها وسرادقاتها حول سرادق الملك قال فلما نظر المسلمون الى القبط وقد
خرجوا وضربوا خيامهم وسرادقاتهم اخذوا على أنفسهم وتأهبوا للقتال عدو هم
وأيقظوا انفسهم وقاموا لهم الحراس بالنوبة خوفا وحذرا من غدر القوم وان
يهجم لهم عليهم كما تم في النوبة الاولى من الكبسة قال فأول من تولى الحرس كان
الأمير عمرو بن العاص رضي الله عنه اول ليلة بنفسه في جماعة من المسلمين وجعل
يطوف حول الجيش الى آخر الليل قال ولم يزل المسلمون على ذلك وهم محترزون
من عدوهم حذرين والانوار تتلالا على عسكرهم وأصواتهم عالية بالتهليل والتكبير
والصلاة على البشير النذير ليلهم ونهارهم بالنوبة قال صاحب الحديث رحمة
الله عليه هذا ما كان من القبط وعسكر المسلمين قال ووصل كتاب امير المؤمنين
عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى أبي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه ففضه
وقرأه وفهم ما فيه فعند ذلك اقبل على خالد بن الوليد رضي الله عنه وقال
يا أبا سليمان ما ترى من الراى هذا كتاب أمير المؤمنين قد وصل الى يأمرني أن
أنجد عمرو بن العاص بعسكر عرمرم فقال خالد ان كان أمير المؤمنين قد أمرك
بأن تنجد عمرو بن العاص فانجده قال ابو عبيدة يا أبا سليمان اعلم ان طريق مصر
شاقة بعيدة ومعطش فان انا بعثت جيشا عرمرما خفت عليه الهلاك
قال خالد كم قد عزمت أيها الأمير ان تبعث قال ابو عبيدة أربعة الف فارس
فقال خالد ان عزمت على ذلك فابعث أربعة من المسلمين فهم مقام
الأربعة آلف فارس فقال أبو عبيدة من الاربعة يا أبا سليمان قال خالد بن
الوليد انا احدهم والمقداد بن الاسود الكندي وعمار بن ياسر الكندي ومالك
ابن الاشتر النخعي قال فلما سمع ابو عبيدة ذلك من خالد تهلل وجهه فرحا وقال
يا ابا سليمان افعل ما تراه من رأيك فان رأيك مبارك قال فدعا هم خالد
واعلمهم بما قد عزم عليه فقالوا سمعا وطاعة لله ولرسوله قال خالد فخذوا
أهبتكم وتهيأوا للمسير قال فلما انقضى النهار وأقبل الليل وصلى ابو عبيدة

صلاة المغرب بالمسلمين فأقبلوا الثلاثة الى خالد رضى الله عنه واذا هو أيضا قد أخذ أهبته وهو واقف على باب قبته فركب خالد وساروا جميعا رضى الله عنهم الى خيمة أبى عبيدة رضى الله عنه فخرج اليهم وسلم عليهم وودعوه واخذوا معهم دليلا يدلهم على طريق الشوبك ووادى موسى وساروا يريدون مصر **ولم** يزالوا يجدوا السير حتى قربوا من عقبة ايلا واذا هم بخيل ومطايا تزيد على الف فارس وراكب مطايا فأسرع اليهم خالد ورفقته وسلموا عليهم فردوا عليهم السلام فسألهم خالد عن أمرهم ومسيرهم ومن أين والى أين فأخبروه انهم من ثقيف وطى ومراد وقد وجههم عمر بن الخطاب الى مصر مع رفاعة بن قيس وبشار بن عوف نجدة لعمرو بن العاص ففرح خالد بهم وشكرهم فعلهم وفرح القوم ايضا بخالد ورفاقه وساروا جميعا وخالد أيضا يحدثهم بانهم أيضا سائرين بنجدة لعمرو بن العاص ففرح العرب بخالد واستبركوا بطريقهم **قال** صاحب الحديث رحمه الله تعالى حدثنى يوسف بن يحيى قال اخبرنا دارم بن عدى قال وحدثنى نصر بن ثابت قال كنت فى جملة الوفد الذى وجهه أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضى الله عنهم مع رفاعة بن قيس ومع بشار بن عوف والتقينا بخالد وأصحابه عند عقبة ايلا وسرنا جميعا نريد مصر **فلما** قربنا منها وبقى بيننا وبينها يومان **فبينما** نحن نسير ذات ليلة وكانت ليلة مظلمة لا يكاد الرجل ينظر كفه ولا يتبين له صاحبه من شدة الظلام اذ سمعنا حسا وهو بعيد منا فوقفنا نستمع على الحس **قال نصر** بن ثابت وكنت راكبا على راحلتى ففترت عن ظهرها الى الارض وسللت الراحلة لرفاقى وسرت على قدمى اريد الحس وأخفيت نفسى الى ان قربت من الحس فاذا أنا بجيش كثير خيل ومطايا فطلبت الارض وتحققت القوم فاذا هم جيش من العرب المتنصرة يزيدون على ثلاثة الف فارس خيل وراكب فجعلت استمع عليهم ما يقولون لأتحقق أمرهم فما مشيت معهم الا مقدار ايسيرا حتى سمعتهم يقولون أذل الله عدوكم يا قوم قد أصبنا التعب ولحقنا الجهد من يوم خرجنا من مدينتنا لم نجد احدا فى طريقنا ومصر قد قربناها فانزلوا بنا نأخذ راحة ونريح خيلنا ونغلق عليها ونرعى ابلنا فقد اضربهم السير والجوع فقال رجل منهم وهو مقدم القوم وحق المسيح انا ما اتعبنا انفسنا الا فى طلب الراحة والمال من الملك ارسطوليس ولكن اذا عولتم على الراحة فانزلوا وباتوا ليلتكم وعند الصباح ارحلوا **قال** نصر بن ثابت فنزل القوم على ما يعرف بالغوير وأقبلوا يجمعون الشيح وغيره

ليصنعوا

ليصنعوا لهم زادا وعلفوا على خيلهم وسرحوا ابلهم ترعى **قال** نصر فلما تحققت أمرهم وعلمت خبرهم وعلمت انهم من متنصرة العرب من غسان ولخم وجزام وعاملة فعند ذلك عطفت راجعا الى اصحابي واخبرت خالدا بهم واخبرتهم بامرهم وما سمعت من حديثهم ففرح فرحا شديدا وحمد الله تعالى وشكره كثيرا **قال** وأقبل قيس بن رفاعة وبشار بن عوف على خالد وقالوا أيها الأمير انا نرى من الرأى ان نترك القوم حتى يناموا ويأخذوا الراحة لأنفسهم ونسير اليهم على حين غفلة منهم ونكبسهم فلا ينجوا منهم احد **قال** فاستصوب خالد رأيهم وقال نعم ما قلتم **قال** فعند ذلك أقبل رفاعة بن قيس وبشار بن عوف على أصحابهما وامروهم بأخذ الاهبة وان يلبسوا سلاحهم ويركبوا خيولهم ففعلوا ذلك وأمروا عبيدهم بحفظ الابل والرحال ووقف المسلمون ينتظرون نار المشركين ان تخمد ويثقلوا فى نومهم ويكبسوا عليهم وأوصى بعضهم لبعض أن يحترزوا ان لا يفلت منهم احد فيصل الى ارسطوليس ويخبره بخبرهم فيحترز منهم **قال** صاحب الحديث رحمه الله تعالى فوقف المسلمون على ما اشتوروا عليه الى ان خمدت نار القوم وثقلوا فى نومهم واختفى حسهم فعلموا ذلك منهم وتسللوا اليهم تسلل القطا الى أن صاروا فى مقابلتهم فلم يروا لهم حسا ولا حركة فعند ذلك هجموا عليهم ودارهم المسلمون كدوران البياض بسواد العين وهجموا عليهم ومنعوا السيوف فيهم فثار القوم من مراقدهم وقاموا وهوس النوم فى أعينهم وقد حارت قلوبهم ودهشت عقولهم وأشهروا سيوفهم وجعل يقتل بعضهم بعضا فى ظلام الليل **قال** ووقف رفاعة بن قيس وبشار بن عوف بجماعة من اصحابهما وخالد بن الوليد وجعلوا يرقبون القوم فمن خرج منهم يريد النجاة لنفسه يقبضوا عليه ويأخذوه اسيرا ويوثقوه رباطا **قال** نصر فاستبرينا القتلا منهم فاذا هم الف قتيل والبقايا أسرى والأسرى قريب من الألفين فقبض خالد على الاكابر الذين قبضهم وقال لهم اخبروني خبركم والى اين كان قصدكم قالوا نحن قوم من متنصرة العرب من بني عم جبلة بن الايهم قال والى اين كنتم تريدون قالوا كنا ببلاد الشام فلما ملكتم البلاد وهزمتم هرقل وسار بحريمه وخزائنه الى القسطنطينية وهرب ايضا جبلة بن الايهم ببني عمه واكابر قومه وقصد البحر وركب المراكب وساروا فى البحر الى الجزائر وطلبنا نحن مدين خوفا منكم واقمنا بمدين وكاتبنا الملك المقوقس صاحب مصر لنكون من جنده وننصره على عدوه ويأذن لنا بالمسير اليه فابى ولم يفعل فبعثنا بالخيل والهدايا الى والى عمدة وصاحب الأمر من بعده ولده

ارسطوليس وقلنا نحب ان نكون من اصحابك وجندك ونعيش في ظلك فلما وصلت اليه هدايانا وقرا كتابنا بعث الينا بالخلع السنية وامرنا بالمسير اليه فسرنا نريد مصر فوقعتم علينا وتحكمت سيوفكم فينا **قال** فتبسم خالد ضاحكا وقال من حفر لمسلم قليبا القاه الله فيه قريبا **ثم** اعرض عليهم الاسلام فابوا فامر بضرب رقابهم **قال** نصر بن ثابت وحزنا خيلهم وابلهم وسلاحهم واسلابهم وما كان معهم من مال واثاث وزاد واخذنا الخلع التي بعثها لهم الملك ارسطوليس لمقدميهم واكابرهم واذا فيها خلعة سنية كانت لمقدمهم الكبير فاعطاها خالد رضي الله عنه لرفاعة بن قيس **وسرنا** نريد مصر نهارنا ذلك الى ان قرب العصر اذ لاح لنا دير هناك يعرف بدير مرقش وكان ديرا عامرا برهبان **قال** نصر بن ثابت فقصدناه ونزلنا حوله فاشرف علينا اهله وقالوا لنا ايها العرب من انتم قلنا من اصحاب الملك هرقل من عرب الشام من اصحاب جبلة بن الايهم الغساني وقد جئنا نريد نصرة الملك ارسطوليس لانه بعث الينا رسله بالخلع والاموال وامرنا بالمسير اليه لنصرته على هؤلاء العرب المحمديين **قال** نصر بن ثابت ففرحوا بنا ودعوا لنا **قال** نصر فنظر الينا بطركهم الكبير وكان من قسوس الشام قسا كبيرا عالما خبيرا وكان اعرف الناس بآل غسان لانه كان من قسوس الشام وربي في الشام **وكان** الملك هرقل قد قطع الفيجة للهايم بن جبلة فولى الهايم ولده لهذا القس بوليس بن لوقا على جباية الفيجة **فلما** فتح المسلمون بعلبك وحمص هرب هذا القس بوليس الى طرابلس الى مصر فلما دخل مصر بلغ خبره الى الملك المقوقس فاستحضره فلما حضر بين يديه سأله عن حاله فحدثه بأمره فخلع عليه المقوقس وجعله قيما للكنيسة المعلقة بقصر الشمع فاقام بها وصار في منزلة البابيوس لكثرة علمه وخبرته والبابيوس عند القبط هو البترك الكبير **قال** صاحب الحديث رحمة الله تعالى عليه فلما سار المسلمون الى مصر يريدون استملاكها ومحاربة ملكها قبل استهلال رمضان ودخل الملك المقوقس الى دار خلوته التي استسنها لنفسه وجلس ولده على كرسي ملكه لانه ولي عهده من بعده احتاج الى من ينتفع برأيه ومشورته **فعند** ذلك بعث رسوله الى دير برقش واستحضر بطركها الكبير المسمى بالبابيوس فلما حضر بين يديه أقبل عليه واستشاره في أمور عرضها عليه واشتوروه في الكنيسة المعلقة بقصر الشمع وبعث بهذا القس اللعين بوليس بن لوقا الى دير مرقش فأقام به الى ان نزلت العرب

المسلمون

المسلمون حول الدير ورجعنا الى الحديث قال نصر بن ثابت فلما نزلنا أشرف علينا
ونظر الينا وكان اعرف الناس بخالد بن الوليد رضى الله عنه لأنه رآه فى مواطن
كثيرة فى الشام وكان هربيس صاحب حمص ايضا قد بعثه رسولا الى ابى عبيدة
رضى الله عنه حين نزل المسلمون عليه قبل فتحها فى المرة الاولى قال فجعل الملعون
يميز وجوهنا وينظر الى لباسنا وقال من اى العرب أنتم وكان الملعون فصيح
اللسان بالعربية فقلنا نحن من العرب المتنصرة من الشام من أصحاب هرقل
وقد أتينا لنصرة صاحبكم نقاتل أعداءه وقد بعث الينا رسله بالخلع والأموال
والاكرام واستنجدنا فقال وحق المسيح ما انتم من غسان ولا من متنصرة
العرب بل انتم من عرب الحجاز وما خرجتم انتم من بلادكم الا هذه الكرة وما
حضرتم الشام ولا قاتلتم يقول اللعين لأصحاب رفاعة بن قيس وكيف يشبه
زيكم زى غسان وكانوا ملوك الشام وشاركوا الروم فى زيهم ولبسوا ثياب
الاطلس والديباج وركبوا الخيل بالسروج المرصعة وقادوا الجنايب
المبرقعة ورفعوا على رؤسهم صلبانا الذهب والفضة ولا شك انكم انتم من
العرب المجدين وقد جئتم بخيلكم لتنصبوا على الملك ارسطوليس ليملكوا بلادكم
كما فعلتم بملوك الشام ونزعتم ملكهم من ايديهم وقتلتم البطارقة والهراقلة
وانى ارى جيشكم الذى فتح الشام ودمر أهله وقتل أبطاله وبطارقته وهزم
ملوكه وسوف اكاتب الملك ارسطوليس واعلمه بقصتكم واخبره بخبركم
ليقبض عليكم قال عامر بن هبار فقلت ما عندنا مما تقول خبر وقد خيل لك
ذلك اما علمت ان المسلمين ما تركوا لنا شيأ مما تقول الا نهبوه وقد اصبحنا بعد
العز فى الذل وبعد الغنا فى الفقر وقد كاتبنا الملك ارسطوليس ان نقدم عليه
ونكون من جنده ونقاتل عدوه وقد نفذ الينا الخلع وطيب قلوبنا قال عامر
فضحك اللعين من قولى وقال ان جماعة غسان اكثرهم يعرفون بلغة الروم
فمن فيكم يكلمنى بها فقلنا انا لا نعرف غير لغتنا فقال اللعين وحق دينى ما انتم
من غسان وقد صح الآن قولى عنكم وانتم من اصحاب محمد فقلنا يا ويلك لو كنا
مما ذكرت ما كنا نخسر ان نظهر نهارا بل كنا نكمن نهارا ونسير ليلا ولكن استغفر
المسيح اذ جعلتنا أمة من اصحاب محمد فهذا ذنب عظيم ثم تركنا ولا يكلمنا
فقال له رهبان الدير يا اباتا لو ان القوم ممن ذكرت ما دخلوا ارض مصر فى ضوء
النهار ولا عبروا فى العمارة فقال وحق دينى انى أعرف الناس بهم وهؤلاء
القوم من اصحاب محمد فامتنعوا منهم ولا تخرجوا لهم طعاما ولا غيره وسوف

انفذ الى الملك واخبره بشانكم ليكون على حذر منكم قال عامر بن هبار وكان من لطف الله تعالى بنا وكرمه علينا ان الرهبان لما سمعوا بوليس قال بعضهم لبعض ان كان قد عرفهم القس معرفة حقيقة فيجب علينا ان نعتقب لنا منهم صلحا فنكون آمنين من غائلتهم فى ديرنا فقال راهب منهم كبير خبير بالأمور صاحب علم وعقل ان فعلتم ذلك رشدتم ولكن لا ندرى لمن تكون الدايرة ومن ينصر من الفريقين فان كان النصر لصاحبنا نخاف من هذا القس اللعين ان يعلم بنا الملك فيقتلنا وهذا اللعين على غير مذهبنا وفى كل يوم يكفرنا لانه نسطورى ونحن يعاقبة فان عزمتم على مصالحة هؤلاء القوم وتأخذوا لكم منهم امانا فامسكوا هذا اللعين وسلموه اليهم يفعلوا به ما يريدون وصالحوا القوم فان كان النصر لهم فذلك الذى أردتم وان كان لصاحبنا فنكون قد خلصنا منه والملك لا يعلم بأمرنا قال فاستصوبوا رأى الراهب واتفقوا على قبض القس وهو لا يعلم ثم مالوا عليه وقبضوه وشدوه وثاقا واشرفوا على العرب وقالوا بحق من تعتقدون وتشيرون اليه من دينكم انتم من اصحاب محمد أم لا فانا قد قبضنا على القس ونريد ان نسلمه اليكم ونصالحكم ونأخذ لنا منكم عهدا وأمانا فنحن قوم لا نعرف الحرب ولا له خلقنا فقال مالك الاشتر النخعى يا هؤلاء اما ما زعمتم من صلحنا فنحن ما كنا بالذى نخفى أمرنا منكم ولا نرضى بالكذب لأنه اشنع شئ عندنا ولا سيما ان الاسلام نهانا عن استعماله واتباعه ولو ان السيوف على رأس احدنا وسئل عن دينه اباح به ونحن من اصحاب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكم الأمان امان الله ورسوله فلما سمع الرهبان ذلك من مالك نزلوا وفتحوا الباب الذى للدير وخرجوا القس بوليس وسلموه اليهم فقال خالد يا عدو الله اردت بنا امرا واراد الله عز وجل غير ذلك ثم عرض عليه الاسلام فابى وقال هربت من الشأم الى ارض مصر أو قعنى المسيح فى ايديكم لست أشك ان المسيح مسلم وانا كافر بدينكم ولكن المسيح يخلص حقى من هؤلاء الرهبان قال فضرب خالد عنقه قال عامر بن هبار واخرج لنا الرهبان من ديرهم الطعام والعلوفة فاكلنا وعلفنا على خيلنا وأقمنا عندهم الى الليل فقال الراهب الكبير الذى أشار على الرهبان بالقبض على القس بوليس بن لوقا لخالد أيها الامير انى تفرست فيك الشجاعة والبراعة اما انت من اصحاب محمد قال نعم انا خالد بن الوليد المخزومى فقال الراهب وحق دينى انت الذى فتحت الشأم وذللت الملوك والبطارقة وان صفتك عندى ثم دخل ديره وغاب غير بعيد واقبل ومعه التسفط ففتحه

واخرج منه كتابا كبيرا واذا بين اوراق الكتاب صفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه
وصورته وصورة ابى عبيدة رضى الله عنه وصورة خالد بن الوليد رضى الله عنه
والسيف بيده مشهور ثم قال لخالد أيها الأمير ما زلت اترقبكم واسمع اخباركم
كلها الى ان دخلتم الشأم وفتحت بعض بلاد الشأم وأنت الامير فلما عزلك وولى
غيرك عجبت لذلك وخبرك عندنا انك تكون فاتح البلاد فما السبب في ذلك
قال خالد اعلم أيها الراهب ان عمر هو الامام والخليفة ومهما امرنا به امتثلناه
وامره مطاع فينا فلن نرجع عنه وبذلك امرنا الله عز وجل في كتابه العزيز اذ يقول
يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولى الأمر منكم فطاعته علينا
فرض وانه يحكم بالعدل ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهو على ما فتح من الفتوح
وما جئنا له من الأموال لم يزل امره مشكورا ولم يزل على زهده على التراب
ولباسه المرقعة ويمشى في الأسواق راجلا تواضعا لله لباسه التقوى وأساسه
الذكر وشعاره العدل في الرعية يعطف على اليتيم ويرفق بالأرملة والمسكين
ويرفد ابناء السبيل شديد فى دين الله غليظ على من كفر بالله قائم بشرائع الله
لا يستحى من الحق ولا يداهن في الخلق قال اكانت هذه الهيبة له على عهد نبيكم
قال نعم ولقد سمعت سعد بن وقاص يقول استاذن عمر يوما على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من القرشيات يكلمنه ويشتكين اليه حالهن
رافعات أصواتهن فلما اذن لعمر بالدخول ابتدرن النسوة بالحجاب فتبسم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضى الله عنه أضحك الله سنك يا رسول الله قال
عجبت يا عمر من هؤلاء اللواتى ابتدرن للحجاب خوفا منك قال عمر فانت يا رسول الله
أحق ان يهبنك ثم قال لهن عمر يا عدوات انفسهن تهبننى ولا تهبن رسول الله قلن
نعم انت أفظ واغلظ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده يا عمر
ما لقيك الشيطان يوما سالكا فجا الا سلك فجا غيره قال فلما سمع الراهب
ذلك قال صلاة نبيكم وبركته ورسالته عادت على امامكم وعليكم فقال
خالد فما الذى يمنعك من الدخول في ديننا قال حتى يشاء رب السموات والارض
قال خالد اريد منك ان تخرج لنا صلبان ديركم ومن زنانيركم قال فاخرج
صليب المذبح وكان صليبا كبيرا من الفضة وصلبانا ايضا كثيرة صغارا من فضة
وزنانير فاخذها خالد وسلمها لرافع بن قيس وبشار بن عوف قال فاخذوها
وتزاى المسلمون بزى العرب المتنصرة الذين قتلوهم فى طريقهم وباتوا ليلتهم
على الدير فلما أصبح الصباح ارتحل خالد بأصحابه بعد ان وكل بالدير عشرة

وجال من اهل وادى القرى لئلا يخرج منهم أحد ويسير الى الملك ويخبره بأمرهم
قال ورحل خالد من الدير بأصحابه وقد تزيوا بزى المتنصرة وشدوا الزنانير على
اوساطهم ورفعوا الصلبان على رؤسهم وساروا يريدون مصر وبينهم وبينها ذلك
النهار قال وأقبل خالد بن الوليد رضى الله عنه على نصر بن ثابت وقال له يا نصر امض
انت الى الملك أرسطوليس وبشره بقدومنا وقل له ان العرب المتنصرة قد أتت
الى نصرتك قال فمضى نصر بن ثابت مسرعا حتى قرب من عسكر القبط قال نصر
فلما أشرف على عسكر القبط نباده روا الى وقالوا من انت قال نصر قلت انا
رسول العرب المتنصرة قد جئت مبشرا للملك ارسطوليس بقدوم العرب المتنصرة
الى خدمته قال فاخذوا نصرا وأتوا به الى الملك ارسطوليس واستأذنوا عليه
فأذن لهم فلما دخل نصر الى الملك وقف بين يديه فوقعت عليه الحجاب ان عظم
مجلس الملك بالسجود قال نصر والله ما التفت الى صياحهم وهممت ان لا اسجد
ولكن خفت ان تنفر قلوب القوم منى ولا يتم لنا ما نريد وانهم ايضا قد صح عندهم
انه من كان من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لا يسجد لملك من ملوك الارض من
يكفر بالله فقلت فى نفسى اعقد النية لله وأسجد لرب العالمين وكنت قد سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الأعمال بالنيات ولكل امرء ما نوى قال نصر
فسجدت لله رب العالمين فلما رفعت رأسى من السجود قال لى وزير الملك يا أخا
العرب وصل اصحابك قلت نعم وهم فى ذيل الجبل المقطم قال فلما سمع الوزير
ذلك أمر الحجاب والاكابر ان يخرجوا الى لقاء العرب قال فركب القبط
فى زينتهم وقادوا المماليك الجنايب بين ايديهم بالزينة الفاخرة والسروج
المرصعة بفصوص الجواهر واللجم المحلاة بالذهب والبراقع المحبوكة باللؤلؤ
وركب معهم مقدم الجيش ارسلاوس القبطى قال وخلع الملك ارسطوليس
على نصر بن ثابت اذا هو جاء بالبشارة وسار القوم الى لقاء العرب وهم يظنون
انهم المتنصرة ولم يعلموا ما جرت به المقادير هذا ما كان من نصر بن ثابت وخروج
القبط الى لقاء العرب واما ما كان من خالد بن الوليد رضى الله عنه فانه سار باصحابه
حتى وصل الى الجبل المقطم قال ابن اسحاق وحدثنى عبيد بن حسان عن رفاعة بن اوس عن موسى بن
عوف عن حميد بن نعيم بن مرة قال كنت فى من وجه عمر بن الخطاب رضى الله عنه من اهل وادى
القرى ووادى نخلة وكان خالد يحبنى ويقربنى لأن ابى كان شريكا للعاص بن وائل
السهمى وكان يسافر له بابضايع الى سوق بصرى فلما علم خالد بن الوليد رضى الله
عنه ان القبط اصحاب ارسطوليس يخرجوا الى استقبالهم خاف على قلوب المسلمين

ان تتشوش لأجل ذلك اذا نظروا اليهم وخاف أيضا على عمرو بن العاص ان يتوهم فأقبل الى وقال لى يا ابن مرة انى أريد أحدثك بشئ فافهمه منى قلت وماذاك يا أبا سليمان قال اعلم ان عمرو بن العاص واصحابه اذا رأونا قد أقبلنا فى زى المنتصرة والصلبان على رؤسنا والقبط قد ركبوا لاستقبالنا تتشوش قلوبهم منا ولكن أريد منك ان تنزل عن جوادك وتعطيه لعبدك وتكمن خلف هذه الجمارة فاذا نفذنا نحن عنك وابعدنا وخلا لك الوقت تسلل واقصد عسكر المسلمين وامض الى عمرو بن العاص وحدثه بأمرنا وما قد عزمنا عليه من غدر القوم ليطمئن قلبه ويكون على اهبة من أمره فان عمرو الا يطمئن الى غيرك لانه يثبت معرفتك واقرئه منى السلام وقل له يكون على اهبة من أمره وعسكره فاذا سمعوا تكبيرنا فى جيش القبط يرفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير ويحملوا على القوم **قال** نعيم فقلت السمع والطاعة ثم ترجلت عن جوادى وسلمته لعبدى دارم وتوجهت نحو الجبل وجلست خلف حجر كبير قال نعيم وسار خالد بن الوليد رضى الله عنه بأصحابه وقد تزيوا بزى العرب المنتصرة ولبسوا الحلل التى بعث بها الملك ارسطوليس للمنتصرة ولبس رفاعة بن قيس وبشار بن عوف الخلعتين اللتين بعثت برسم المقدمين ورفعوا الصلبان فوق رؤسهم ونشروا اعلام المنتصرة ورفعوا صلبان الذهب والفضة التى اخذوها من دير الرهبان وغير أيضا خالد بن الوليد رضى الله عنه زيه وكذلك المقداد وعمار بن ياسر ومالك بن الاشتر **فبينما** هم سائرون اذ أقبل عليهم جيش القبط ومقدم الجيش ارسلاوس وحجاب الملك **قال** فأقبل رفاعة بن قيس وبشار بن عوف على أصحابهما وقالوا لهم ترجلوا واصمتوا بين ايديهم فليس عليكم فى ذلك تبعات واحلفوا بالمسيح والسيدة مريم ولا يغلط منكم احد فيذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيفطن القوم بنا واجعلوا همكم نصب اعينكم واتكلوا على الله فى أموركم **قال** ففعل القوم ما امرهم به مقدموهم وتقدموا وصمتوا للحجاب ولمقدم الجيش ارسلاوس ودعوا لهم فأقبل الحجاب عليهم واكرموهم وأمروهم بالركوب فركبوا وساروا الى ان وصلوا الى السرادق فأمرهم الحجاب بالنزول فنزلوا عن خيلهم ووقفوا بباب السرادق واستأذنوا الملك عليهم فأذن بالدخول لمقدميهم واكابرهم فدخل رفاعة بن قيس وبشار بن عوف ولم يدخل احد غيرهم ووقف خالد والمقداد وعمار ومالك على باب السرادق وبقية العرب واصحابه **قال** فلما دخل رفاعة بن قيس وبشار بن عوف السرادق حيوا وخدموا وصمتوا بين يدى الملك فأقبل عليهم ارسطوليس وقال معاشر العرب انتم قد علمتم محبتنا لكم وتقربنا اليكم وقد استدعيتكم لتكونوا معنا

ونقاتلوا اعدآنا ونكون يدا واحدة على هؤلآء العرب المحمديين فان أنتم نصحتم لنا وقاتلتم اعدآنا وحاميتم عن دولتنا كنا لكم بحكم كم وقاسمناكم ملكنا وخولناكم فى نعمتنا قال رفاعة أبشر أيها الملك سوف ترى ما يسرك ونبذل بين يديك مجهودنا فى قتال عدوك قال فشكرهم الملك وخلع على رفاعة بن قيس وبشار بن عوف خلعتين سنيتين فلبسوهما على الخلع التى كانت عليهم لانهما دخلوا عليه بهما فلاجل ذلك اطمأن قلبه لانه هو بعث بهما اليهما وتيقن بذلك انهم العرب المنتصرة قال صاحب الحديث رحمه الله حدثنى عامر بن أوس قال اخبرنا جرير بن صاعد قال حدثنا نوفل بن غانم انه حدثه بهذا الحديث سهيل بن مسروق قال لما قدم خالد بن الوليد والمقداد وعمار بن ياسر ومالك بن الاشتر ورفاعة بن قيس وبشار بن عوف وعسكرهم الذين وجه بهم امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه من اهل وادى القرى والطايف ووادى نخلة وكان من امرهم ما ذكرنا واقبلوا الى عسكر الملك ارسطوليس والخلع على رفاعة ابن قيس وبشار بن عوف والاعلام والصلبان على رؤسهم فجعلوا ينظرون اليهم ويتعجبون من امرهم فقال معاذ بن جبل رضى الله عنه لعمرو بن العاص والله يا عمرو ما هؤلاء من منتصرة العرب وان نفسى تأبى ذلك وانهم من اصحابنا وانى نظرتهم يوم دخلوا واحدا بعد واحد فرأيت فيهم زى وادى نخلة والطايف وزى وادى القرى قال شرحبيل بن حسنة واحد تكم بأعجب من ذلك انى رأيت خالد بن الوليد فى جملتهم ولاحت لى عمته وثيابه التى كانت عليه يوم دخل طرابلس قال يزيد بن ابى سفيان والله وانا رأيت مالك الاشتر النخعى وعرفته بقامته وطول ركابه وهو على السرج كانه البرج قال عمرو بن العاص رضى الله عنه سيكشف لكما الخبران شآء الله تعالى قال وانقضى النهار وأقبل الليل بالاعتكار واذا قد أقبل نعيم بن مرة من الجبل يريد عسكر المسلمين وكان تلك الليلة قد تولى الحرس سعيد بن زيد بن نفيل فلما نظروا الى شخص نعيم بن مرة مقبلا نحو عسكرهم اقبلوا اليه مسرعين وقالوا من انت أوجز فقال انا نعيم بن مرة ثم سلم عليهم فلما عرفوه رحبوا به وقالوا من اين أتيت قال فأخبرهم نعيم بالقضية فاخذ وابيده واتوا به الى عمرو بن العاص قال نعيم فلما دخلت على عمرو بن العاص وهو فى مضربه فسلمت عليه فرد على السلام وقال من الرجل قلت انا نعيم قال مرحبا يا نعيم اخبرنى خبرك يا ابن اخى اجلس قال نعيم فجلست بين يديه وحدثته بالحديث كله من أوله الى آخره ففرح فرحا عظيما واستبشر بالنصر وسجد شكرا لله تعالى واستدعى لوقته بمعاذ بن جبل وشرحبيل بن حسنة رضى الله عنهم فلما حضروا وجلسوا بين يديه

فاقبل عليهم وقال يا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا نعيم بن مرة قد أتى الى مخبرا بكذا وكذا وقال لنعيم بن مرة يا ابن اخي حدثهم واخبرهم بما اخبرتني به فحدثهم نعيم ايضا بالحديث من اوله الى آخره فخرجوا وسروا سرورا عظيما وقالوا انا نرجو من الله عز وجل ان يكون ذلك سببا لنصرنا على أعدائنا **ثم** قال نعيم ايها الأمير اركب انت وأمر المسلمين والجيش بالركوب وكن على اهبة من امركم فاذا سمعتم التكبير من عسكر المسلمين قد علا ارفعوا أيضا اصواتكم بالتهليل والتكبير واحملوا على جيش العدو **قال** ابن اسحاق ولله سبحانه وتعالى في خلقه تدبير وذلك انه لما جن الليل جمع ارسطوليس الحجاب والأمراء وقال قد ضاق صدري من هؤلاء العرب ومقامهم علينا قد غلا السعر عندنا لانهم قد حكموا على اهل القرى والضياع وقد منعوا اهل البلاد ان يصلوا الينا بشيء من حواصل بلادهم وخيلهم أيضا تضرب إلى الريف والصعيد من هذا الجانب وايضا ان اهل النوبة والبجاه ما نصرنا منهم احد وقد وقعت الفتنة بينهم واختلفوا والرأي عندي اننا ننا جز هؤلاء العرب الحرب ويعطي المسيح النصر لمن يشاء فقال الحجاب والأمراء افعل ايها الملك ما تريد فاننا لا نخالف لك امرا فقال ارسطوليس اخرجوا الآن وعرفوا الجند الى الحرب غدا وامرهم ان يلبسوا ويتأهبوا للحرب ولا تطلع الشمس الا وهم على ظهور الخيل لعلنا ان نغشى العرب على حين غفلة **قال** فخرج الحجاب لما امرهم به الملك وليس عند الملك خبر مما قد تم في قصر الشمع **قال ابن اسحاق** رضي الله عنه وكان من حسن تدبير الله لعباده المؤمنين انه كان للمقوقس أخ لابيه وأمه وكان اسمه ارجانوس وكان يحبه حبا شديدا ولا يقطع امرا دون مشورته وكانا يركبان جميعا وينزلان جميعا ولا يفترقان وكان ذلك من حبهما بعضهما بعضا **وكان** المقوقس قد دخل دار خلوته في شهر رمضان كما ذكرنا لعادته وجعل اخوه ارجانوس ينتظر خروجه اذا انسلخ الشهر **فلما** انسلخ الشهر ومضى والملك المقوقس لم يخرج فاستعظم ذلك وانكر امره واقبل الى دار خلوته يسأل القوم الذين هم مرتبون لخدمته فلم ير منهم احدا يسألهم عن أخيه وما سبب ابطائه عن الخروج فلم يجد منهم احدا واستتر الأمر واقبل الى ولده وولي عهده ليسأله فوجده جالسا على سرير ابيه وحكمه نافذ في الدولة فانكر امره غاية الانكار واقبل على الملك ارسطوليس وسأله عن أبيه وما سبب ابطائه فقال ان الملك قد رأى طالعه ضعيفا مع هؤلاء العرب وقد أمرني ان اكون مكانه وأدبر الأمر بينه وبين العرب اما نصالحهم واما نقاتلهم **قال** فلما سمع ارجانوس ذلك من ارسطوليس سكت ولم يرد جوابا وكتم الأمر في نفسه وعلم ان ارسطوليس قد قتل اباه **قال** صاحب الحديث

رحمه الله تعالى وكان أيضا ارجانوس أخو المقوقس يعتقد فى نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلم ان دعوته لابد ان تطبق مشارق الأرض ومغاربها وان الملوك تضمحل فى ايام اصحابه وانهم سيتولون على البلاد فخرج من عند ابن أخيه ولم يبد ما فى نفسه وارسطوليس قد عزم فى غده ان يقاتل العرب فخرج ارجانوس من عنده تحت الليل ومشى الى قصر الشمع واجتمع بمن ترك فيه ابن اخيه من اكابر دولته ومن يعتمد عليهم فى اموره وحفظه فلما دخل عليهم ارجانوس قال اعلموا يا هؤلاء ان العقل هو قوام ابن آدم لأن الله تعالى قد خصه بذلك دون مخلوقاته كلها وهذا المقوقس قد قتله ولده لا محالة رغبة فى الدنيا وانه كان مشفقا عليكم ومريدا لكم واعلموا ان هؤلاء العرب قد كان قدامهم ملك اعظم من ملككم وجنده اكثر من جندكم فانكسروا بين ايديهم وليس بينى وبينكم وبين ان تزول وتضمحل الا ان يلتقى الجيشان فان ظفرت بكم العرب قتلوكم ونهبوا اموالكم واستعبدوا حريمكم واولادكم ويسكنوا مساكنكم كما فعلوا بغيركم قالوا ايها السيد فما الرأى فى ذلك قال الرأى ان تستيقظوا لأنفسكم وتغلقوا باب قصركم ولا تدعوا احدا يدخل اليكم من جند الملك ولا هو بنفسه لأنه لا يقدر يقاتلكم والعرب من ورائه وانه يعبر الى جانب الغرب ويسير الى الاسكندرية وانا بعد ذلك اعتقب لكم ولى صلحا من هؤلاء العرب ونأمن على انفسنا واموالنا وحرمنا وبعد ذلك من اراد ان يتبعهم على دينهم فلا مانع لهم ومن اراد ان يستقيم على دينه ادى لهم الجزية وصان بها دمه وماله وعياله وولده قال فلما سمعوا ذلك منه استصوبوا رأيه وعلموا ان الحق معه قال وكان ارجانوس اخو المقوقس يركب فى الف فارس من مماليكه قال صاحب الحديث رحمه الله تعالى واحتوى ارجانوس على قصر الشمع وما فيه من خزائن اموال وقماش وسلاح واثاث وارزاق وغلق باب القصر وصعد برجاله على اعلا القصر وليس عند الملك ارسطوليس خبر ذلك قال واقبل بعض غلمان ارسطوليس ممن كان قد وقف على هذا الأمر واخبره بما كان من امر عمه ارجانوس فلما سمع ارسطوليس ذلك ايقن بذهاب ملكه وخروجه من يده وبقى فى حيرة من امره واراد ان يقوم ويدخل الى القصر تحت الليل واذا بالتهليل والتكبير قد علا من وسط الغرب والعرب قد ثارت قال فلما سمع عمرو بن العاص رضى الله عنه التكبير والتهليل قد علا فى جيش القبط وكان ايضا ركب وركب جميع عسكره فعند ذلك كبر عمرو بن العاص رضى الله عنه وكبر المسلمون وحملوا على عسكر القبط وعملوا السيف فيهم قال فلما نظر ارسطوليس الى ما نزل به من كبسة العرب وتحقق من

العرب الذين اتوا اليه بخدعة فى زى المنتصرة وصاروا فى عسكره علم انها من مكايد العرب
وانه ليس له بهم طاقة وركب فى وقته وساعته وركبت حجابه وبطارقته ومماليكه
وامراؤه وغلمانهم وحملوا الخزينة والاموال والاثقال وقدموا الجميع بين يديه وساروا
خفية تحت الليل واخترقوا مصر ولم يزالوا حتى اتوا الى الجسر الأول وعبروه وساروا
الى مربوط فنزل المرزبان الراقى عليها فى ثلاثة الاف فارس وساروا يريدون
الاسكندرية **قال** وصاح الصياح ان الملك ارسطوليس قد انهزم فانثنت من عسكره
احد وولوا منهزمين والسيف يعمل فيهم ونصر الله عز وجل اصحاب نبيه صلى الله عليه
وسلم **قال** ابن اسحاق رضى الله عنه حدثنى من أثق به انه قتل تلك الليلة من عسكر القبط
خمسة الف فارس وغنم المسلمون خيامهم وما كان فيها من مال واثاث **فلما** أصبح
الصباح اقبل خالد وعمار والمقداد ومالك الى عمرو بن العاص وسلموا عليه وعلى اصحابه
وسلم المسلمون بعضهم على بعض واقبل رفاعة بن قيس وبشار بن عوف الى عمرو
ابن العاص وسلموا عليه وعلى اصحابه فأقبل عليهم عمرو وسلم عليهم ورحب بهم ودعا
لهم وشكرهم على فعلهم **قال** وحدث خالد بن الوليد لعمرو بن العاص ما كان من أمرهم
مع العرب المنتصرة وكيف اباد هم جميعهم وملكوا ما كان معهم من خيل وابل
وسلاح وقماش وحدثه بحديث أهل الدير ورهبانه وقتل القس الكبير واخذهم
الصلبان والزنانير وكيف دخلوا على ارسطوليس بالحيلة والخديعة ففرح عمرو
بكلامه وشكر الله على ذلك ودعا لخالد بن الوليد وللمسلمين وارتحل من مجرى
الحصا بعسكره وساروا حتى اقبلوا على مصر وملكوا ربوها ونزل خالد وعمار
والمقداد ومالك بن الاشتر على قصر الشمع فاشرف عليهم ارجانوس بن راعيل اخو
المقوقس وقال لهم بلسان العربية يا فتيان العرب اعلموا ان الله عز وجل امدكم بالنصر
وملكتم البلاد واعلموا انى قد فعلت فى حقكم من الخير كذا وكذا ولولا جميلتى اليكم
عملتها على ابن اخى لما انهزم منكم والآن فخذ بنصائحكم وتسلم اليكم هذا القصر
على انكم لا تتعرضوا الى شئ هو لنا ولا تمدوا ايديكم الينا بسوء ومن اراد منا ان يدخل
فى دينكم فلا مانع له ومن اختار ان يبقى على دينه فلا مكره له ويؤدى الجزية **قال**
فكلمه معاذ بن جبل رضى الله عنه وقال له اعلم ان الله عز وجل قد نصرنا على الكفار
بصدق نياتنا وصالح أعمالنا واتباعنا الحق وانا ما قلنا قولا الا وصدقنا ولا عهدنا
عهدا الا ووفينا بما عاهدنا وما استعملنا غدرا ولا مكرا ولكم الأمان على انفسكم
واموالكم وحريمكم واولادكم ومن اسلم منكم ودخل فى ديننا قبلناه ومن بقى على دينه
فلن نكرهه وقنعنا منه بالجزية **قال** فلما سمع ارجانوس ومشايخ مصر ومقدموها

ذلك الكلام طابت قلوبهم ونزل ارجانوس وفتح باب القصر وخرج اليهم بالمفاتيح وسلمها اليهم **قال صاحب الحديث** رحمه الله تعالى فاخذ خالد بن الوليد اصحابه وارجانوس ومشايخ مصر ومقدميها وساروا بهم الى عمرو بن العاص وأوقفوهم بين يديه وقص عليه خالد امر الصلح وما اتفقوا عليه ففرح عمرو بذلك واقبل عليهم وقال يا قوم اعلموا ان الله تعالى قد نصرنا عليكم وقد هزمنا ملككم وانتم الآن في قبضتنا وقد صرتم عبيدا لنا لأننا فتحنا مدينتكم بالسيف فهر لمن أسلم منكم قبلناه ومن ابى استعبدناه لأننا ملكنا مدينتكم بالسيف وانتم الآن تحت قهرنا فقال ارجانوس أيها الأمير ما هكذا سمعنا عنكم فقال عمرو فما الذي سمعتم عنا فقال ارجانوس سمعنا عنكم ان الله عز وجل اسكن الرحمة في قلوبكم وانكم تعفون عن من ظلمكم وتحسنون الى من أساء اليكم وانتم تعلمون انا قوم رعايا مأمور علينا ولو كان الأمر الينا لاتبعناكم فارفقوا الآن بنا وانظروا الى حالنا فقال عمرو للصحابة ما نصنع في أمر هؤلاء القوم فقال شرحبيل بن حسنة أيها الأمير اصنع بهم ما امرك الله عز وجل به من العدل واحسن اليهم وطيب قلوبهم فانك تملك غير هذه المدينة مما يسمع عنك وتبلغ اهل المدن فيسلمون اليكم بلا حرب ولا مناغرة **قال** وتكلم معاذ بن جبل واكابر الصحابة وقالوا ايها الأمير القول ما قاله شرحبيل فقال عمرو يا اهل مصر قد امنا كم على انفسكم واموالكم وحريمكم واولادكم منة منا عليكم وقد منعت عنكم جزية هذه السنة وفي السنة الآتية أخذ منكم الجزية من كل واحد بلغ الحلم اربعة دنانير ومن أسلم قبلناه **قال** فلما سمع ارجانوس كلام عمرو قال انصفت والله بهذا نصرتم وقد وقعت الآن على صحة دينكم وانا قائل اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان كل ما تراك ابن اخي في قصر الشمع من خزاين اموال وقماش وسلاح واثاث هدية مني اليكم جزاء ما فعلتم باهل بلدي **قال** فلما نظر اهل مصر الى صاحبهم ارجانوس قد اسلم وآمن دخل اكثرهم في دين الاسلام **قال** وعمد عمرو الى كنيستهم فجعلها جامعا وبه يعرف الى يومنا هذا يجامع عمرو بن العاص **قال صاحب الحديث** رحمه الله تعالى وجمع عمرو الأموال التي اخذها من خيام القبط المنهزمين واخرج منها الخمس لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفرق الباقي على المسلمين واعطى كل ذي حق حقه **ثم كتب كتابا** الى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بفتح مصر وما كان من امرهم وبعث الكتاب والخمس مع علم بن سارية وسير معه مائة فارس وامرهم بالمسير الى المدينة **قال** فساروا مجدين ليلا ونهارا الى ان وصلوا الى المدينة ودخل علم بن سارية على أمير

المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وسلم عليه وناوله الكتاب قال فرد عليه السلام وقبض الكتاب وقال من أين اقبلت قال يا أمير المؤمنين من مصر من عند عمرو بن العاص قال ما اسمك قال يا امير المؤمنين اسمى علم بن سارية قال مرحبا بك يا علم ثم فض الكتاب وقرأه سرا حتى اتى على اخره فسجد شكرا لله تعالى ثم رفع رأسه وقرأه جهرا على المسلمين ففرحوا بذلك فرحا شديدا ورفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير ثم امر عمر برفع مال الخمس الى بيت مال المسلمين قال صاحب الحديث ولقد بلغنى عن الرواة ان علم بن سارية قد اقبل على امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال يا امير المؤمنين عمرو بن العاص يسلم عليك ويقول لك ان الكفار كانوا قد استنسوا سنة فى نيلهم وذلك انهم كانوا اذا بطأ عليهم طلوع نيلهم يأخذوا جارية ويزينوها بأحسن زينة ويرموها فى النيل فيأتى الماء قال فلما سمع عمر ذلك كتب كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله امير المؤمنين عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص سلام عليك فانى احمد الله الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاذا وصلك كتابى هذا فاطلب اعدا الله حيث كانوا من البلاد واياك ان تلين جانبك لهم وانظر فى احوال الرعية واعدل فيهم ما استطعت واطلب العفو من الله بالعفو عن الناس واجر الناس على قوانينهم وقررلهم واجبا فى دواوينهم واحى الرسوم الغانية بالعدل فى الرعية فانما هى ايام تمضى ومدة تنقضى فاما ذكر جميل واما خزى طويل والسلام ثم كتب كتابا ثانيا الى نيل مصر يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله امير المؤمنين عمر بن الخطاب الى نيل مصر اما بعد فانك مخلوق لا تملك نفعا ولا ضرا فان كنت تجرى بحولك وقوتك فانقطع فلا حاجة لنا فيك وان كنت تجرى من الله فاجرى والسلام ثم طوى الكتابين وسلمهما الى علم بن سارية وقال له سلم على عمرو بن العاص وقل له يطرح هذا الكتاب فى النيل ثم أمرها بالمسير قال علم بن سارية فأخذت الكتابين وركبت مطيتى وركب ايضا المائة فارس الذين أتوا معى فى صحبة الخمس وساروا يريدون مصر وجدنا فى المسير ليلا ونهارا حتى قدمنا مصر واقبلت على عمرو بن العاص وسلمت عليه وناولته الكتابين ففض عمرو الكتاب وقرأه سرا وتبين معانيه وما امره به امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه واما كتاب النيل فرماه فى النيل وكان قد انقطع وأيس الناس من الزراعة فى عامهم فوالله ما اصبح الصباح الا والنيل قد اقبل اقبالا زايدا قال صاحب الحديث رحمه الله تعالى حدثنا محمد بن يحيى عن سالم عن عدى عن

حجاج بن عامر عن يحيى بن عوف قال بلغنا عن عمرو بن العاص رضى الله عنه انه لما
فتح مصر أقبل الى كنيستهم المعظمة فوجد فيها بيتا مقفلا ففتحه فاذا فيه صورة
من الفضة وامام الصورة ايضا شخص آخر فى يد الشخص الاول قال وهذه الصورة والشخص
على صفة الصورة التى وجدها المصطفى صلى الله عليه وسلم فى الكعبة حين فتح
مكة حرسها الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم هذه صفة ابراهيم عليه الصلاة والسلام
وصفة أبيه آزر قال فتبسم عمرو بن العاص وقرأ ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا
ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين قال معاذ بن جبل لما قدمت
من اليمن سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقول يلقى ابراهيم صلى الله عليه وسلم اباه
آزر يوم القيامة وعلى وجهه قترة وغبرة فيقول ابراهيم عليه الصلاة والسلام
الم اقل لك لا تعصنى فيقول له ابوه اليوم لا اعصيك فيقول ابراهيم عليه
الصلاة والسلام يا رب انك وعدتنى انك لا تخزنى يوم يبعثون فأى خزى
اعظم من هذا فيقول الله عز وجل انى حرمت الجنة على الكافرين ثم يقول يا ابراهيم
انظر ما تحت قدميك فينظر فاذا هو بالذبح تلتطخ فيؤخذ بقوائم آزر فيلقى
فى النار قال فعند ذلك امر عمرو بن العاص بالصورتين فكسرتا قال صاحب
الحديث رحمه الله تعالى ثم أمر عمرو بن العاص جيش المسلمين بالعبور الى الجانب
الغربى فى تبع العدو قال فعبر الجيش وفى مقدمته خالد بن الوليد رضى الله عنه
ورفاعة والمقداد وعمار بن ياسر ومالك بن الاشتر النخعى وعبد الله يوقنا ونوا
عمه وجيشه وساروا يريدون دمريوط قال فلما عبروا الجانب الغربى بعث خالد
يوقنا رسولا ومعه عشرون فارسا من جنده وبنى عمه وجيشه الى المرزبان
الساقى فسار يوقنا بهم حتى اتوا مدينة دمريوط ووقفوا قبال البلد فلما
نظر اليهم اهل المدينة اقبلوا الى المرزبان الساقى واخبروه فبعث اليهم غلمانه
يسألونهم عن امرهم قال يوقنا انا رسول اليكم من امير العرب فرجع الغلمان
الى صاحبهم المرزبان واخبروه بذلك فارسل غلمانه بادخالهم اليه فاقبلوا اليهم
وفتحوا لهم الباب ودخلوا بهم اليه فلما وقف يوقنا وأصحابه بين يديه قال لهم
ما الذى جاء بكم الينا قال يوقنا ان امير المسلمين وجهنى اليك رسولا وهو
يختار لك ان تعمل على خلاص نفسك وخلاص من اتبعك من قومك وأشير عليك
بالخيار ان تسلم هذه المدينة اليهم ولك الامان على نفسك ومالك واهلك
ولك ايضا الخيار فى المقام ان اخترت ان تكون تحت يد الاسلام فلا مانع يمنعك
وان اخترت المسير بمالك واهلك وقومك فسر حيث شئت والى اى

موضع

موضع تريد فنحن نوصلك والسلام **قال** فلما سمع المرزبان ذلك الكلام قهقه ضاحكا وقال وحق ديني ان الغدر شعاركم والمكر دثاركم ولا افلح من آمن اليكم ولا من دخل فى دينكم وما انا ممن اخون الملك واسلم بلده وانا واياه فى ارض واحدة وسوف ابعث الى الملك كتابا واخبره بأمركم وستعلمون على من تدور الدوائر ومن يكون المغبون فى الأخر **ثم أمر** بالقبض عليهم وقال ليوقنا ومن معه وأنتم يا معشر الروم كفرتم بالمسيح وجحدتم بالسيدة مريم أم النور وخرجتم من ملة الحواريين ودخلتم فى دين هؤلاء العرب الجياع الاكباد العراة الاجسام فوحق المسيح لأبعثن بكم الى الملك ارسطوليس يقتلكم ويقابلكم على كفركم **ثم أمر** بهم الى السجن بعد ما أخذ سلاحهم وانطلقوا بهم الى بيت فى دار الامارة واوثقوهم بالحديد وعول ان يبعث بهم الى الاسكندرية واقام ينتظر غفرة ليغزوهم ثم وكل بهم جارية من جواره كان اسمها رينا بعد ما حطهم فى بيت مظلم فى دار الامارة وامرها بحفظهم واسلم اليها مفتاح البيت وأمرها ان تدخل عليهم بما يقوتهم من ماكول ومشروب فامتثلت ما أمرها به **قال** واشتغل عدو الله المرزبان بالطعام والشراب حتى سكر وسكرت غلمانه **فلما** نظرت الجارية رينا الى المرزبان الساقى وقد سكر هو وغلمانه امنت على نفسها واقبلت الى البيت وفتحته ودخلت على يوقنا واصحابه وقالت لا تخوف عليكم واعلموا ان الله تعالى القى رحمتكم فى قلبى واعلموا انى أنا اخت مارية القبطية التى اهداها الملك المقوقس لنبيكم وانى اذا خلصتكم اريد منكم ان توصلونى الى مدينة بنيكم لعلى ارى أخى وانى قد عزمت على ان احلكم من وثاقكم واسلم اليكم لامة حربكم **قال يوقنا** نفعل ذلك ان شاء الله تعالى غير انى اخاف عليك من عدو الله ان يفطن بك فما تصلى اليك ما تريدى ويقتلنا ويقتلك فقالت ما جئت اليكم الا وعدو الله قد سكر هو وغلمانه **فقال يوقنا** يجب للعاقل ان يخاف موضع الأمن والآن تعرفينا كيف يكون خروجنا والباب الذى للمدينة مغلوق **قالت** اعلموا انه يكون خروجكم من غير باب المدينة وان خروجكم من وسط دار الامارة الى ظاهر المدينة من طريق تحت الارض تخرج الى المقابر الى قبة مبنية على ثمانية اعمدة وباب المخرج تحت القبة يدخل منه الداخل ويخرج منه الخارج والباب الذى تحت القبة على صفة القبر فمن رآه يظن انه قبر لبعض الملوك **واعلم** ان الذى بنى هذه المدينة كانت امرأة وهى أم العادين وكان اسمها قمقامات بنت عاد وهى التى صنعت هذه المقابر التى تراها كأنها قصور مشيدة **فقال يوقنا** افعلى

ما شئت من الخير وما يقربك الى الله تعالى ولعل خروجنا من هذه الطريق وما يعلم بنا احد ونروح الى عسكرنا ونخبرهم بذلك لعلهم يدخلوا المدينة من هذه الطريق ويملكوها مادام المرزبان سكران هو واصحابه وغلمانه **قال** سوف افعل ذلك ثم خرجت واقبلت الى المرزبان واشرفت عليه واذا هو وغلمانه صرعى من الخمر سكارى نيام فرجعت مسرعة الى باب السرداب لتفتحه واذا هي بحس من وراء الباب في السرداب فخافت ووقفت تستمع الحس **قال صاحب الحديث** رحمه الله تعالى حدثني عبد الرزاق **قال** اخبرنا سليمان بن عبد الحميد **قال** حدثني سفيان الأعمش **قال** اخبرنا أوس بن ماجد وكان ممن شهد فتوح مصر والاسكندرية وكان حافظا للوقايع ومما جرى للمسلمين من القتال والحروب **قال** كنت في من صحب خالد ابن الوليد رضي الله عنه حين بعثه عمر بن العاص الى الاسكندرية **قال** لما نزلنا على دمريوط بجيشنا وانفذ خالد بن الوليد يوقنا رسولا الى المرزبان الساكن ومعه عشرون فارسا من بني عمه وقومه وقبض عليهم المرزبان واقام خالد ينتظر رجوعهم فابطؤا عليه ومضى النهار واقبل الليل بالاعتكار ولم يرجعوا فعلم انهم قد قبض عليهم فبقي قلقا مهموما من اجل يوقنا واصحابه وكان خالد رضي الله عنه صاحب عزيمة وهمة عالية لا ينام الليل من خوفه على المسلمين وكان معه جواسيس له من كل بلد يملكوه واقليم ياخذوه ويضع عنهم الجزية ويعطيهم اوفى اجرة ليكشفوا له الاخبار ويقضوا له الاشغال ويأتوه باخبار الملوك والعسكر **فبينما** خالد تلك الليلة التي قبض فيها يوقنا واصحابه وهو قلق مهموم من اجل ابطائهم عليه ونفسه تحدثه باشيا اذ وردت عليه جواسيسه فأخبروه ان ولد المرزبان الساقي قد اقبل من عند الملك ارسطوليس بالخلع والتحف في خمسمائة فارس يريدون دمريوط فبلغه خبر نزولكم على المدينة فخاف جانبكم وقد نزل بالعساكر بالبعد من المدينة وقد خرج راجلا منفردا بخادمين وسار خفية الى نحو المدينة وما ندري ما الذي يريد ان يصنع **قال** فلما سمع خالد ذلك الخبر من جواسيسه قام مسرعا واخذ معه غلامه همام واربع رجال من آل مخزوم واربعة من جيش المسلمين وساروا الى ان قربوا من المقابر وجلسوا مع سفح الجبل ولطموا بالأرض بالبعد من الطريق وجعلوا الطريق بين ايديهم واذا بابن المرزبان والخادمين قد اقبلوا ولم يزالوا سائرين الى ان اتوا الى القبة هناك فدخلوها فتسلل خالد واصحابه وهمام وافترقوا من حول القبة ولبسوهم في القبة واذا هم يزيلوا التراب **فلما** هجم خالد واصحابه عليهم خافوا وجعل ابن

المرزبان والخادمين يرتعدوا خوفا فقال لهم خالد ما بالكم لا تخافوا فان انتم اخبرتموني بخبركم وصدقتموني امنتكم وان كذبتم رميت برؤوسكم فقال الغلام انا ابن المرزبان الساقي وكنت عند الملك ارسطوليس وقد انفذ معي خمسمائة فارس بخدمة لحفظ هذه المدينة فلما كنت في الطريق لقيتنا جواسيسنا واخبروني بنزولكم على هذه المدينة فأمرت العسكر بالنزول واتيت بهذين الخادمين الى هذه القبة فقال خالد وما الذي تريدون من القبة الكم هنا مال او سلاح قال لا قال خالد اصدقني والا ارميت برأسك قال الغلام يا مولاي ان انت أمنتني حدثتك قال خالد لك الأمان ان صدقتني فقبل الغلام يده وقال يا مولاي أريد منك الأمان لي ولأبي ومن يلوذ به قال لكم الأمان جميعا فقال الغلام اعلم ان هذا القبر الذي في القبة هو باب سرداب والسرداب ينتهي الى دار امارة ابي والدار في وسط المدينة قال فلما سمع خالد ذلك من الغلام تهلل وجهه فرحا وقبض على الغلام والخادمين وامر بعض من كان معه بحفظهم واقبل خالد وهمام وجعلوا يكشفوا ذلك القبر ويزيلوا ذلك التراب حتى بان لهم السرداب واذا هو بلا غلق فدخل فيه شيأ يسيرا فوجد بابا مغلقا فعالجه خالد حتى فتحه فعند ذلك اقبل خالد على عبده همام وقال له سر مسرعا الى العسكر واستدعي بالابطال والاكابر في السر وأتني بهم في الستر بغير ضجة ولا انزعاج فمضى همام مسرعا واستدعى بابطال المسلمين وفرسان الموحدين مثل عمار بن ياسر ويزيد بن ابي سفيان وشرحبيل بن حسنة ومالك بن الاشتر وربيعة بن عامر والقعطريف وظاعن بن زيد وكهلان بن عمر وخزيمة بن أسلم ومعمر بن ساف وجابر بن سراقة وسعيد بن زيد ومثل هؤلاء السادات رضي الله عنهم اجمعين ولم يزل همام يستدعي الرجال والابطال حتى استكملهم ثلاثمائة رجل من ابطال المسلمين وتقلدوا بسيوفهم ودرقهم وساروا مسرعين وقد اخفوا حسهم واخذوا معهم مشاعل تضئ بين ايديهم الى المقابر وكان بين القبة والمدينة تل عالي مرتفع فاذا كان احد بأعلا سور المدينة لا يرى من يكون وراء التل قال فلما وصل المسلمون الى القبة امرهم خالد ان يقفوا على باب السرداب ودخل خالد وابن المرزبان والخادمان في السرداب الى ان وصلوا الى الباب الجواني فكان وصولهم اليه ورينة اخت مارية تريد فتحه قال فلما سمعت رينا الحس قالت من انتم فقال خالد للغلام كلم هذا المتكلم وقل له يفتح الباب ولا يعلم أباك المرزبان فقال الغلام من انت يا هذا الذي وراء الباب قالت الجارية وقد عرفت كلامه انا جارية ابيك رينا قال لها الغلام افتحي

ولا تعلمي أبي قال فلم يبق لها يد تفتح الباب من خوفها ثم فتحت الجارية الباب ودخل خالد وابن المرزبان والخادمان وقبض خالد على الجارية قال ودخل المسلمون في السراب رجلا بعد رجل حتى دخل الثلاثمائة رجل **قال** فلما قبض خالد على الجارية رمى وكانت فصيحة اللسان بالعربية فقالت لخالد وللمسلمين تقبضوا علي وانا كنت ساعية في خلاص اصحابك وافتح لهم هذا الباب واتركهم يسيروا اليكم ويعودوا بك الى حين املكهم هذا البلد وانا رميا اخت مارية القبطية زوجة نبيكم التي اهداها له الملك المقوقس قال فلما سمع خالد منها هذا الكلام فرح وقال اين اصحابنا **قال** فأتت بخالد واصحابه الى البيت الذي فيه يوقنا واصحابه فدخل خالد واكابر الصحابة اليهم وسلموا عليهم وهنوهم بالسلامة وازالوا عنهم وثاقهم وخرجوا واقبل خالد باصحابه الى دار الامارة فوجد المرزبان واصحابه صرعى من الخمر سكارى فوكل خالد بهم جماعة من المسلمين وبعث ايضا بجماعة من المسلمين الى السور فقبضوا على من كان عليه من الحراس والرجال ونزلوا على باب المدينة واذا لها بابان فكسروا الاقفال وازالوا السلاسل وفتحوا البابين وبعث خالد هماما الى الجيش وأمره ان يأتي بجميع العسكر فسار هماما مسرعا الى العسكر وامرهم بالركوب والمسير الى المدينة ودخلوها تحت الليل وملكوها وأقام خالد فيها بالجيش الى ان أصبح الصباح **قال** فلما أصبح الصباح استيقظ المرزبان من منامه وقد صحى من مدهله **فعند ذلك** امر خالد بن الوليد رضي الله عنه المسلمين ان يرفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير **فلما** سمع المرزبان وأصحابه اصوات المسلمين في المدينة عالية بالتهليل والتكبير نهض المرزبان وتلمانه عند سماعهم اصوات المسلمين في المدينة اندهشت عقولهم ورجفت قلوبهم وانعقد لسان المرزبان واراد ان يخرج من دار امارته لينظر ما الخبر واذا المسلمون موكلون بالباب فارتجف فؤاده وازعدت فرائصه واقبل اليه خالد وقال يا عدو الله لولا اني اعطيت ولدك الأمان لقتلتك أشر قتلة ولكن خذ اهلك ومالك وانصرف حيث شئت فانا قوم اذا قلنا صدقنا واذا وعدنا وفينا **فعند ذلك** علم المرزبان ان الذي أصابه كان من جهة ولده فخرج عدو الله باهله وماله وتخلف عنه ولده وقال لخالد يا مولانا اعلم ان ابي ان مضيت معه قتلني هو والملك ولست أريد غير كم بدلا وانا اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقال خالد اذا اسلمت فلك قصر ابيك وما ترك فيه **وعرض خالد** الاسلام على اهل دمريوط فاسلم أكثرهم **ثم** اقبل خالد على عبد الله يوقنا

وقال

وقال يا عبد الله ابشر بالرضوان من الله والثواب والغفران فقد نلت ما تريد من الله عز وجل بصبرك على الشدايد وبصبرك فتح الله عليك هذه المدينة **قال يوقنا** لا والله بل بفضل الله وبركة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال واكرم خالد دينا أخت ماوية وشكر لها فعلها واثنى عليها خيرا واسلمت مع من أسلم ووعدها خالد بكل خير وانضاف إلى حريم المسلمين **قال** وكتب خالد الى عمرو بن العاص كتابا بفتح مريوط وهو مقيم يومئذ بمصر وعرفه انه عازم على المسير الى الاسكندرية بجيشه **قال** ابن اسحاق رضى الله عنه وأقام خالد بمريوط بسبب مداواة ذى الكلاع الحميرى لأنه أصابه مرض شديد مكث فيه شهرا كاملا ولم يقدر خالد أن يفارقه وهو ينتظر عافيته فقضى الله تعالى انه مات باجله رحمة الله تعالى عليه فحزن عليه خالد والمسلمون حزنا شديدا **وكان ذو الكلاع** الحميرى ملك حمير وكان قبل دخوله فى الاسلام يركب لركوبه اثنى عشر الف مملوك من السودان شرا ما له قال ابو هريرة رضى الله عنه رايته بعد تلك الحشمة حين دخل فى الاسلام وهو يمشى فى سوق المدينة وعلى ظهره جلد شاة وذلك حين أتى يريد الجهاد فى أيام ابى بكر الصديق رضى الله عنه **قال صاحب الحديث** رحمه الله تعالى فلما مات رثاه ولده ينوح بمارثى حمير لأبيه سبا بن يشجب فيما بهذه الأبيات وهى هذه

عجبت ليومك ماذا افعل ... وسلطان عزك كيف انتقل
واسلمت ملكك لا طايعا ... وسلمت للأمر لما نزل
فيومك يوم رفيع العويل ... ورزقك فى الدهر رزق جلل
فلا تبعدن فكل امرئ ... سيذكره بالسنين الاجل
لئن صحبتك صروف الزمان ... وسابك الدهر وجه الامل
لقد كنت بالملك ذا قوة ... تك الدهر بالعز عانٍ وجل
بلغت من الملك اقصى المنا ... نقلت وعزك لم ينتقل
وطحطحت آفاقه والدنى ... وحزت من العرب خود الدول
حويت من الملك آفاقه ... ونلت من الملك ما لم ينل
وحملك عزك نقل الأمور ... فقام بها حازما وانتقل
صحبت الدهور فأفنيتها ... وما خاب سعيك فيما فعل
بنيت القصور كمثل الجبال ... ذهبت فلم تبن الاطلال
نعمنا بايامك الصالحات ... شربنا بسبحلك ونلا وطل
نؤمك فى الدهر اقصى المنى ... ولم ندر بالأمر حتى نزل

فقالت لعمرك شم الجبال ولم يك حزمك فيها هبل

قال صاحب الحديث رحمه الله تعالى ولما مات ذو الكلاع الحميري رحمة الله تعالى عليه حمله ابن عمه عجلان بن مضاض الحميري الى مصر بعد ان صبره وعول ان يسير به الى اليمن قال حدثني زياد بن أوس الطائي قال اخبرني معمر بن الشديد المازني قال لما فتح الله تعالى على المسلمين دمريوط وكان من ذي الكلاع الحميري وموته رحمة الله عليه رحل خالد بن الوليد رضي الله عنه بعسكر المسلمين يريد الاسكندرية فنزل بنا في قرية تعرف بالشجر قال صاحب الحديث رحمه الله تعالى ولما فتح المسلمون دمريوط اتصلت الأخبار الى الملك ارسطوليس بفتحها وهو بالاسكندرية مع قوم من جواسيسه فضاق صدره لذلك ثم بعد ذلك بأيام قلائل وصل اليه المرزبان الساقي نماله وعياله واخبره بعبور المسلمين الى الجانب الغربي وحدثه بما كان من امره من اوله الى آخره وقبضه على رسول المسلمين يوقنا واصحابه حين اتاه رسولا وبفتح المسلمين المدينة على يد ولده ودخولهم الى المدينة من الترداب بلا حرب ولا قتال فلما سمع ذلك من المرزبان الساقي غضب غضبا شديدا وقال وحق المسيح لاغضبن العرب بكل ما اقدر عليه ولاكتم في نفسه ما يريد ان يفعله قال صاحب الحديث رحمة الله تعالى عليه ولقد بلغني ان مدينة الاسكندرية كانت غير عامرة وانما كانت العمارة بمدينة اسلاروس وكانت اهلة بالخلق وهي هذه المدينة المسماة بدمريوط وكان السبب في تسميتها بهذا الاسم انه كان بها حكيم من حكماء القبط وكان خبيرا عالما وكان اسمه يوط وكان الناس يسيرون اليه ويقتبسون من علمه ويتمسكون بقوله وانه قال لأهل مدينته اعلموا انه لابد ان يظهر من الحجاز نبي يختم الله تعالى به الانبياء والرسل وتنشر دعوته بالمشرق والمغرب وقد بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهاجر الى المدينة وقبض صلى الله عليه وسلم وتولى الخلافة ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وجهز جيوشه الى الشام فبلغ الخبر الى الحكيم اسلاروس وهو الحكيم يوط كما ذكرنا فعمد الحكيم الى ثلاثة افراخ من حمام فنسل جناح احدهما لئلا يطير ومعط ريش الثاني وترك الثالث على حاله بريشه ليطيق الطيران ثم اغلق بابه وارتحل على حين غفلة من اهل مدينته وصار طالب الغرب قال فلما كان بعد يومين طلبوه فلم يجدوه فدخلوا بيته فرأوا الثلاثة طيور حمام الواحد منسول الجناح والثاني ممعوط والثالث كامل الريش يريد الطيران فقال العلماء منهم انه قد ضرب لكم مثلا وقال بلسان اشارته من قدر منكم ان يرتحل عن هذه المدينة فليفعل فانه يغنم سلامته مثل هذا الطير

كامل

الكامل الريش الذى يطير ومن كان ثقيلا بالعيال فلير تحل قليلا قليلا شبه هذا
الطير المنسول ومن كان فقيرا من المال ثقيلا بالعيال فهو مثل هذا الطاير الامعط
الذى لا ريش له فاذا اقام هلك ولا قدرة له على الرحيل ثم خرجوا من منزله وهم يقولون
دمريوط فتحول اسم هذه المدينة من اسلاروس الى دمريوط قال ونحول اكثرها
الى الاسكندرية وعمرت من ذلك الوقت الاسكندرية وكثر اهلها ورجعنا الى
الحديث قال فلما بلغ الملك ارسطوليس فتح دمريوط بلا حرب ولا قتال غضب
غضبا شديدا وقال وحق المسيح لاغيظن العرب بكل ما اقدر عليه ثم بعث عشرين
مركبا فى البحر وجرد فيها من خيار جنده ورجاله ما يزيد على اربعة الف راجل وامرهم ان
يسيروا الى ساحل يافا وقال لمقدم المراكب اذا وصلت الى الساحل لا تنزل البر
حتى تبعث جواسيسك ياخذ والك اخبار حال العرب فحيث اخبروك بها نازلة فاقصدهم
الى الليل والصق بالمراكب الى البر وانزل اليهم واكبسهم واجهد بانك لا تقتل
منهم احدا ان امكنك واتنى بهم اسرى قال المقدم سمعا وطاعة سافعل ما امرتنى
به ثم اقلعوا من يومهم وشالوا القلوع وساروا فى البحر ثلاثة ايام بلياليها
قال الراوى فخرجت بهم الريح من موضع يعرف بيافا فعرجوا عن المدينة حتى
اذا قربوا من الرملة واذا الناس قد لاحت لهم بالبعد فعند ذلك لصقوا مراكبهم بالبر
ونزلوا بعددهم واسلحتهم وقصدوا البر واذا هم بحلة العرب وهم نزلوا فى تلك الارض
قال الراوى وكانت هذه الحلة من عرب يقال لهم بنو اوس وكانوا هم بنى هريرة
رضى الله عنه قال وكان معهم ايضا قوم من بجيل وقوم من عكة قال وكان
فى جملتهم خولة بنت الازور واخوها ضرار بن الازور قال وكان اخوها ضرار
ابن الازور قد لحقه ضرر فرض مرضا شديدا وهو موجوع غارق فى المرض قال
وكانت اخته خولة تدوريه وتتفقد حاله قال الراوى وكان ابو عبيدة رضى
الله عنه قد امرهم بالنزول فى تلك الارض قريبا من البحر وذلك لطيب هواها وغزير
مرعاها وكثرة مياهها وذلك لاجل مراعى دوابهم وماشيتهم قال فنزلوا
هناك وانزلوا اموالهم وماشيتهم ترعى والقوم مطمئنون من القبط ومن غيرهم
لان تلك البلاد فى قبضتهم والسواحل فى ايديهم وما علموا بما يجرى فى الغيب
وكانت دولة الروم قد انصرمت وايامهم قد مضت قال فما فطن القوم
بهم حتى كبستهم القبط ليلا فوضعوا السيف فيهم فقتلوا منهم رجالا واخذوا
منهم اسارى واسروا ضرار بن الازور واخته خولة قال الراوى وكانت جملة
الاسارى من دوس وبجيلة وعكة الف ومائة من الرجال والنساء والصبيان

والعبيد **قال** وساروا بهم في ليلتهم يطلبون الاسكندرية **قال** ابن اسحاق رحمه الله تعالى وكان ابو عبيدة رضي الله عنه قد استوطن طبرية وسكنها لكثرة خيرها واعتدال هواها لانها قريبة من نهر الاردن ومن دمشق ومن بلاد السواحل وانما انفذ ابا هريرة ليزور قومه ويسالهم عن حالهم وعن حال ضرار بن الازور رضي الله عنهم **قال** وكان جميع المسلمين يحبون ضرار بن الازور لاجل دينه وشجاعته وما ظهر منه في قتال الروم **قال** فلما مضى ابو هريرة رضي الله عنه مع حليفه من بجيلة يقال له محارب بن مسظا عن وانهم ساروا الى الموضع الذي فيه الحلل فوجدوا الموت مطروحين على الارض والقتلى ممدودة على الثرى واثار المعمعة ورسوم المعركة ووجدوا اقواما قد جرحوا والقوا ارواحهم بين القتلى **قال** وكان قدوم ابي هريرة رضي الله عنه وحليفه صبيحة ليلة الوقعة فسال الجرحين فقالوا يا امام ما كان عندنا خبر حتى كبستنا القبط بالليل فوقعوا علينا وهبرونا بالسيوف **قال** فعند ذلك استرجع ابو هريرة رضي الله عنه وقال كلمة لا يخجل قائلها الا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم اشهد ان الله على كل شئ قدير **قال الراوي** ثم ان ابا هريرة رضي الله عنه خرج مع حليفه محارب بن مظا عن حتى وصل الى الساحل **قال** فلم يتبين لهم خبر **قال** فلما عول على الرجوع واذا هما بلوح والامواج تلعب به وترفعه وتحطه **قال** فوقفنا ننظر اليه الى ان قرب منا وتبيناه واذا على ذلك اللوح شخص **قال** ابو هريرة رضي الله عنه فوقفنا ساعة ونحن ننظر اليه حتى لحق ذلك اللوح بالمسلمين بالساحل وخرج الرجل من البحر وسار في البر فتامله ابو هريرة **قال** فلما راه ترجل وعانقه وسلم عليه وقال يا ابن عمي ما وراك فقال له يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمك ان العدو هجم علينا ليلا فاسرنا وسارينا في المراكب فلما بقينا في وسط البحر بعث الله اليهم ريحا عاصفا ففرقت منهم مركبين وكنت انا في احدهما فوالله ما نجى من المركبين غيري فنجوت على هذا اللوح كما رايت فقال له ابو هريرة رضي الله عنه يا ابن عمي ومن اين هذا العدو **قال** من قبط مصر وانهم في راياتهم يترضون بذكر الاسكندرية **قال الراوي** فعند ذلك رجع ابو هريرة وحليفه يطلبون طبرية ولا زالوا عما لين الى ان وصلوا الى طبرية ودخلوا على امين الامة ابي عبيدة رضي الله عنه باكيان وبخبره فقال انا لله وانا اليه راجعون اعوذ بالله من الافعال الردية والله لئن وصل اصحابنا الى الاسكندرية ان ابقاهم صاحبها طرفة عين ويموت والله ضرار بن الازور ويمضي دمه هدرا **قال** الراوي وكان الناجي من البحر رجل يقال له لحيان عمد الى من بقي من الجرحى ومن هرب بالليل وتراجعوا بالنها والى الدار التي كانوا

فيها

فيها فلموا جميع ما ترك العدو من الرجال والاثاث وساقوا الدواب وجميع ما كان وارتحل بهم طالب الرملة ونزلوا بها قال الراوى فهذا ما جرى هاهنا واما ما كان من امر ابى عبيدة فانه من وقته وساعته كتب كتابا الى الامير عمرو بن العاص يخبره بما جرى على المسلمين من صاحب الاسكندرية وانه قد اسر جماعة من المسلمين منهم دوس وبجيلة وعكة وغيرهم من العرب وكان زعيمهم والمخلف عنهم ضرار بن الازور واخته خولة وذلك لمرض لحقه وكانت اخته خولة تداويه فاذا وصل اليك كتابى هذا فاجتهد فى خلاصهم وان وقع اليك من يعز على القبط شانه ففادى بهم وبعث الكتاب مع يزيد الخيل فاخذ الكتاب وتوجه الى مصر وكان يزيد قد دخل مصر مرارا وايا ما كثيرة فى ايام ابى بكر الصديق رضى الله عنه قال فلما قدم يزيد الخيل الى مصر فاوصل كتاب ابى عبيدة رضى الله عنه الى الامير عمرو بن العاص قال فلما قرأه وعلم معناه صعب ذلك عليه قال وكان عمرو بن العاص يحب ضرار بن الأزور محبة عظيمة فكتب الى خالد رضى الله عنه يعرفه بما جرى ويحثه على خلاص المسلمين والمسير الى الاسكندرية لينظر ما ذا يتجدد من حال الاشياخ وبعث الكتاب الى خالد بن الوليد رضى الله عنه فاخذ الرسول الكتاب وسار فوجد خالد بن الوليد قد رحل عن دمريوط ونزل على مغاير قوم عاد فاوصله كتاب عمرو بن العاص رضى الله عنه قال فلما قرأ خالد بن الوليد الكتاب اشتد عليه امر ضرار بن الازور واسر اخته واسر المسلمين قال الراوى حدثنا عاصم بن منصور عن احمد المروزى عن سلمة بن سليمان المروزى قال اخبرنا عبد الله عن ابيه قال لما اخذت القبط حلل دوس وبجيلة وعكة واسر ضرار بن الازور واخته خولة وغرق المركبان ووصل الباقون الى الاسكندرية ومثلوهم امام الملك ارسطوليس فهم بقتلهم فقال له ارباب دولته وحجابه واكابر مملكته ايها الملك انظر فى امرك ولا تعجل فان العجلة من الشيطان والمثل يقول ما ساد عجول وانت ايها الملك تأنى على نفسك وانظر فى مصالح امرك وانت تعلم ان العرب متوجهون الى قتالنا وحربنا وبلادنا وهم طالبوك واليك قاصدون وهم خلفك من بلد الى بلد واى وقت قتلت هؤلاء العرب فما يعود يقع احد منا فى ايديهم الا وقتلوه قال الراوى الرأى عندنا ايها الملك انك تستبقى هؤلاء العرب وتوكل عليهم من يحفظهم فاذا اسرنا منا من يعز علينا فاديناه بهم اولعل ان نصالح العرب بسببهم ويرجعون عنا قال الراوى فلما سمع الملك بن المقوقس قول الاكابر والامراء والحجاب وارباب دولته فراه صوابا واستصوب رأيهم وبعث بالاسارى الى الدير يعرف بدير الزجاج وامر ألفى فارس من القبط ان يدخلوهم الى ذلك الدير قال

الراوى وكان للأمير خالد بن الوليد رضى الله عنه جواسيس كما ذكرنا من اهل
الذمة فكانوا ياتوه بالأخبار من القبط وغيرهم قال وكان منهم جماعة بالاسكندرية
قال فلما عاينوا ذلك اسرعوا فى المسير الى الأمير خالد واخبروه بما رأوا وحدثوه
بالأمر الذى وقع على جيشه فقال عند ذلك لأصحابه لا حول ولا قوة الا بالله العلى
العظيم ثم ان الأمير خالد ركب وركبت معه المسلمون لركوبه وسارت الأدلة بين
يديه يريدون دير الزجاج قال الراوى وكان وصولهم قبل وصول القبط بالاسارى
لان خالدا كان اقرب الى الدير بالاسكندرية قال فلما وصل خالد رضى الله عنه
الى ذلك الدير صاحوا به قال فاشرف عليهم راهب كبير السن قال وكان اسم ذلك
الراهب مناخ وكان تلميذ البحيرة الراهب وكان مؤمنا بالله عز وجل وبانبيائه
فقال له خالد بن الوليد رضى الله عنه كيف ترى الدنيا قال تخلف البدن وتجدد
الأمل وتقرب المنية وتقطع الامنية قال فما حال اهلها قال من نال منها شيأ
اتعبته ومن اميل منها شيأ حسرته قال فما شر الأصحاب قال اتباع النفس والهوى
فقال له خالد بن الوليد رضى الله عنه صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال
ضالة المؤمن يأخذها حيث ما وجدها ثم قال له خالد فكيف طابت لك الوحدة
قال لوضاق منها الصداق لفر من نفسه قال فهل نلت منها فائدة قال نعم الراحة
من مدارات الناس قال خالد ما احسن هذا لو كان فى الاسلام والتوحيد قال
ما اعرف غيره قال خالد فما تقول فى محمد صلى الله عليه وسلم قال هو سيد المرسلين
وخاتم النبيين واصفى الأصفياء وحجة الأخيار على الورى قال خالد فلم لا تكن
فى بلاد الاسلام اصلح لك من هاهنا قال اعلم يا اوجه قومه وشمس يومه ان قلبى
ملوث بحب الدنيا فقال له خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه هل عندكم يا راهب
خبر من قوم من العرب انفذبهم صاحب الملك اليك قال لا والله ولكن مرت بنا
بضريوء من بطارقة الملك واستقى الماء من بئر هذا الدير وسالته من اين اتى فذكر
انه وصل من الاسكندرية وانه رسول من الملك كيماديل وروبيل صاحب ارض
برقة وما والاها من اول بلاد المغرب قال انى مضيت الى صاحب القبط اسأله ان
ينفذ اليه قوما من الاسارى من المسلمين من العرب ينظر اليهم والى صفتهم
وزيهم ويستخبرهم عن دينهم والى قد اديت الرسالة الى ملك القبط فاخبر
انه يبعث له قوما من العرب الذين قد اسرهم وها انا ارجع ابشر الملك صاحب
برقة بذلك ثم قال راهب الدير لعلكم من المسلمين الذين فتحوا الشام فقال خالد
بن الوليد رضى الله عنه نحن اولئك فقال راهب الدير ان اخباركم عندى يوم

بيوم ولقد رأيت نبيكم محمدا صلى الله عليه وسلم يوما وهو في قافلة اقبلت من مكة المشرفة شرفها الله تعالى وهو مقدمها وقد نزل على دير بحيرا الراهب وانا اخدمه فلما مات بحيرا الراهب انتقلت الى هذا الدير واعلموا يا جماعة المسلمين ما بقي بأرض الكنايس ولا بارض العقبة ولا بأرض الرماد راهب ولا قس الا وقد اتى زيارتي والى السؤال عنكم وعن نبيكم وقالوا الى كلهم ان كنت على طريقتهم فقد أمنت بنبيهم وقد شرحت لهم ما ظهر من دينكم وفضلكم وما ظهر من معجزات نبيكم ولقد جرت بيني وبين الراهب الذي بالقرب مني اسمه متى مناظرة شديدة بالامس وقال لي ان النبي الذي تشيرون اليه انتم والمسيح ما هو هذا فقلت بلى والله هو النبي العربي فقال لي ميتى انا سمعنا من علمائنا ان الرسول الذي يظهر من الحجاز يعرج به الى السما ويخاطبه ربه ولقد سمعت اباذر الغفاري رضي الله عنه يقول ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل عليه السلام ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطشت من ذهب مملوء حكمة وعلما وافرغهما في صدري ثم اطبقه ثم اخذ بيدي ثم عرج بي الى السماء سماء الدنيا فقال جبريل لخازن السماء افتح فقال من معك فقال معي محمد صلى الله عليه وسلم قال ارسل اليه قال نعم ففتح له الباب باب السماء قال فلما علوت الى السماء اذا انا برجل عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة قال فاذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر عن يساره بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت من هذا يا جبريل قال هذا آدم عليه الصلاة والسلام وهذه الاسودة عن يمينه وعن يساره نسم بنيه فاما اهل اليمين فهم اهل الجنة والاسودة التي عن شماله فهم اهل النار فاذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر عن شماله بكى ثم عرج بي الى السماء الثانية فقال جبريل لخازنها افتح وقال له ما قال في الاول ففتح قال انس بن مالك رضي الله عنه فذكر انه وجد آدم في سماء الدنيا وابراهيم في السماء السادسة قال انس بن مالك فلما مر جبريل عليه السلام بادريس عليه السلام قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح فقلت من هذا قال ادريس ثم مررت بموسى عليه السلام فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قال عليه الصلاة والسلام ثم مررت بعيسى بن مريم عليه السلام فقال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح فقلت لجبريل ما هذا قال عيسى عليه السلام قال ثم مررت بابراهيم عليه السلام فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح فقلت لجبريل من هذا قال ابراهيم خليل الله ثم انطلق بي الى سدرة المنتهى ثم دخلت الجنة فاذا هي منابر اللؤلؤ

واذا تراها المسك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت موسى وعيسى وابراهيم
فاما عيسى فانه احمر أجعد غليظ عريض الصدر قال ابن اسحاق فالتفت اليهم وقال
ياقوم علموا انى فى وسط هذا الجبل رجلا مسلما منذ زمان وهو من العرب من اصحاب
نبيكم وقد بلغنى انه جاء بتجارة من اليمن الى مصر فى ايام الملك المقوقس فباع تجارته
ثم اشترى غيرها واتخذ بها من مصر الى الاسكندرية فباعها واشترى ما يخرج
عنه بارض برقة وخرج ببضاعته مع قافلة عظيمة قال فلما كان بالقرب من هذا
الجبل خرج على القافلة بطريق هذا الجبل مع غلمانه فنهب القافلة واخذ كل ما كان
فيها وترك اهلها فلما نظر الى صاحبكم وعليه زى العرب فاسره وهو فى وسط
هذا الجبل مع غلمانه فى دير يقال له دير المسيح وفى رقبته غل وهو مربوط الى شجرة هناك
وقد نبت الشعب من دموعه وكل يوم تطلع فيه الشمس لا ياكل ولا يشرب حتى يضربه
وقد بقى مثل الخلال والبطريق يقول له ما احلك حتى تقول اذ الله ثالث ثلاثة
وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله وكلما ضرب بسوط يرفع طرفه الى السماء ويقول
اللهم انى قد بذلت نفسى وجسمى من اجلك فابذل لى رحمتك يا ارحم الراحمين واذا
كان فى كل مساء اتاه البطريق بصورة من نحاس وعلى رأس الصورة عمامة سوداء وهى
مسودة بالمداد وعلى جبين الصورة مكتوب هذا محمد نبى المسلمين فينصب تلك الصورة
بين يديه ويقول هذا نبيكم مقابله صاحبكم ثم يشرب ويرمى فضلته على رأس تلك
الصورة والمسلم يستجير بالله وبرسوله قال الراوى فلما سمع خالد بن الوليد
رضى الله عنه أخذ شرجيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعامر
ابن ربيعة ورفاعة بن قيس ويزيد بن ابى سفيان وهاشم بن سعيد وترك باقى الجيش
عند الدير وامرهم بالنهوض وصعد خالد بن الوليد رضى الله عنه والخمسة من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان توسطوا الجبل ولاح لهم ذلك الدير الذى فيه
الاعرابى واذا بذلك البطريق اللعين قد اقبل ومعه وحش مسمط على قربوص
سرجه فتقصد الى شجرة هناك هائلة متفرعة وتحت تلك الشجرة عين ماء تجرى
فنزل ذلك الملعون هناك وصاح فخرج اليه الغلمان من ذلك الدير واسرعوا
اليه من كل جانب ومكان واظهروا له النيران وارتفع الدخان وعروا له ذلك
الوحش من جلده وجعل ذلك البطريق يشوى ويأكل ثم ادعى بالخمر فحضر بين
يديه وهو زق من الخمر ثم صاح هاتوا المحدى قال الراوى فجاء الغلمان برجل
من العرب قد ركبه الذل وعلاه القهر وقد دق عظمه واصفر جسمه ونحل قواه
وصار عبرة لمن يراه لكن نور الاسلام عليه لائح وجبينه بنور الايمان واضح

قال

قال فلما جعلوه امامه قال له ذلك الملعون يا مسلم غلبتني بجلدك على العذاب وحق
ديني مابقي لي عليك صبرا ما ترجع الى ديني والا قتلتك في هذه الساعة فقال له الاقرا
اصنع مابدا لك فاني لا اكفر بالله جرت الامور بارادته والدهور بمشيئته
والاشياء في قبضته والسموات مرفوعات بتدبيره والارض مبسوطة بتقديره
وجوده في خلقه وملكه بسيط وعلمه بالاشياء محيط له تدبير وليس له نظير
وليس له وزير واحد احد فرد صمد وهو سبوح قدوس رب الملائكة والروح
قال الراوي فلما سمع البطريق كلامه همّ ان يجرد سيفه ويعلوبه رأس ذلك الولي
الصابر وهو مستعين بالاله القادر متيقن بالفرج من صاحب الفرج قال
واذا بخالد بن الوليد رضي الله عنه قد صاح باصحابه الله اكبر فتح الله ونصر واخذل
من كفر وتبعه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وناد وا يا كلب النصرانية
وأخس من غمس في ماء المعمودية تنح عن ولي الله قد جاءه الفرج من عند صاحب الفرج
فخن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الراوي وكان من سبق الى البطريق
خالد بن الوليد رضي الله عنه ثم انه استجاده بطعنة صادقة فقتله اطلع السنان
من ورا ظهره يلمع واطبق اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على باقي غلمانه فقتلوهم
عن آخرهم ونزلوا على تلك العين قال ولم يكن لأصحاب الدير شرب الا من تلك العين
قال فعند ذلك اشرف اهل الدير عليهم وقالوا لهم يا قوم نحن لسنا من اهل حرب
ولا قتال ونحن قوم رهبان ولسنا اصحاب سيف حتى نقاتل عن انفسنا بل نحن
رهبان ونبيكم نهى عن قتل الرهبان فقال لهم خالد بن الوليد رضي الله عنه سلموا الينا
مال هذا البطريق ونحن لا نعارضكم قال فاخرجوا مال البطريق وعياله واهله
فاخذهم خالد رضي الله تعالى عنه وفكوا ذلك الاسير من القيود والاغلال وقالوا
من انت فقال لهم انا أمية بن حاتم اخو عدي بن حاتم الطائي اسلمت في اخر خلافة ابي
بكر الصديق رضي الله عنه وكنت أريد ارض برقة ببضاعتي فاسرني هذا البطريق
وكان أمر الله مفعولا قال الراوي فهنوه بالسلامة وبشروه من الله عز
وجل بالكرامة ثم ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلوا من الجبل
وهم قد قربوا من الدير واذا هم بصوت صهيل الخيل وقعقعة اللجم وضجيج الاطفال
وانين الرجال وصراخ المأسورات وعويل العربيات وزمجرة القبط عليهم من
خلفهم ومن بين ايديهم وهمير الفرسان وهنيف الصبيان والابكار والنسوان
بالذل والهوان وخولة بنت الازور في مقدمة الاسارى وهي تنشد وتقول

هذه الابيات ـــــــ شعر

حل المصاب فعم الويل والحرب ... وكل دمع من الاجفان ينسكب
وكاد فى الدهر مما قد رميت به ... حتى توهمت ان الأرض تنقلب
جارت يد القبط فينا عند غفلتنا ... واستحكم الروم لما زلت العرب
لهفى على بطل قد كان عمدتنا ... فيه العفاف وفيه الدين والأدب
لو كان ناصرنا فى وقت شدتنا ... اعنى ضرارا الذى للحرب ينتدب
فيه الحمية والاحسان عادته ... فيه التعصب والانصاف والحسب
لانه فارس الهيجا وعادته ... الطعن بالرمح فى الاعدا وينتهب
مردى الكتائب والكفار قاطبهم ... ومهزم الجيش ان كروا وان صعبوا
يارب واسدل عليه ثوب عافية ... حتى يقاتل اعدا بنا ونشبوا
لو كان يقدر يرقى فى مراكبه ... كان العدو بنا والحرب يلتهب
لو كان خالد فينا حاضرا لرثى ... وزال عنا الذى نشكوا ونكتئب
او كان يسمع صوتى صاح فى عجلا ... مهلا فقد زال عنك البؤس والعطب
غسان جاءته تشكو اكتئابها ... ستون الفا فما ثبتوا وقد هربوا
قاتلهم خالد والصحب عدتهم ... ستون فارسا من دم العدا شربوا
فى يوم يرموك كان الحرب بينهم ... صبر الكرام لضرب السيف ما غلبوا
امير خالد ادركنا بلا مهل ... بك الخلاص وانت القصد والأرب

قال الراوى فلما سمع خالد رضى الله عنه صوت خولة بنت الازور صاح بها الأمير خالد رضى الله عنه لبيك لبيك جاك الفرج وذهب عنك البؤس والعطب **ثم ان خالدا** رضى الله عنه صاح وحمل وحملت معه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضعوا السيف فى القبط قال فما كان غير يسير حتى قتلوا من القبط اكثر من سبعمائة رجل واسروا مقدار الف وثلاثمائة رجل اسيرا واخذت الصحابة رضى الله عنهم سلب القوم وخيولهم وخلصوا الاسارى وسلموا على ضرار بن الازور وعلى اخته خولة وهنوهم بالسلامة وودعوا الراهب بعد ان كتب له الأمير خالد رضى الله تعالى عنه كتابا ان يمد له فى كل طعام من الاسكندرية صاعا للرهبان ولكل من سكن الدير من اهله وقبيلته والوى خالد رضى الله عنه طالبا الى الاسكندرية وقدم الاسارى بين يديه **قال الراوى** وكان الملك ارسطوليس منذ سمع ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صاروا معه فى ارض واحدة خرج بعسكره الى باب المندرة وخيم بعسكره هناك واقام ينتظر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقع الصياح بعدوهم ووقع الخوف والفزع فى قلب الملك ارسطوليس والقبط

كلهم

كلهم فعند ذلك جمع الملك امراءهم وحجابهم وقال لهم يا قوم انى اجد ان العرب قد نزلت بساحتكم وانى ارى ان الخوف والفزع قد جاءكم فماذا انتم صانعون وما الذى تدبرون فى امر هؤلاء العرب فقالوا له ايها الملك دبرنا انت فقال وما عسى ان ادبر من امركم والخوف والفزع قد جاءكم ونزل بفنائكم وهؤلاء العرب قد طمعوا فيكم وانكم قوم لا تخافون العار عند الهزيمة ولا تبقون بين الامم ستارا فاذا قاتلتموهم كانت هزيمتكم متفرقة وامورهم غير متفقة لانهم قد ركبوكم ولم يرهبوا عن قتالكم الا ان اقبلوا اليكم قصدا ويريدون قتالكم عمدا ولا مانع يمنعهم ولا دافع يدفعهم ولو ان اصحابهم الذى بعث بهم الى دير الزجاج عندى لكنت صالحتهم بسببهم وكانوا اندفعوا عنا وقد فرطت ايضا فى الذى بعث بهم الى دير الزجاج معهم ولو كانوا عندنا لقاتلناهم حسب طاقتنا فقال له وزيره الكبير ايها الملك هل لك ان تبعث رسولا الى هؤلاء العرب وتحدث معهم فى امر الصلح وانا نسلم اليهم اصحابهم وان يرجعوا عنا من حيث اتوا فقال له الملك اعلم ايها الوزير ان هؤلاء العرب لا يسمعون منكم رسلا منذ نصبت عليهم نصرف مجرى الحصا فقالوا له ايها الملك ان القوم قد احفظوا مناجمد طاقتهم لان الحذر شعارهم والتيقظ دثارهم قال الراوى فهم الملك ارسطوليس ان ينفذ رسولا الى خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه عسى ان يصالحوهم على ان يسلموا اليهم اصحابهم الذين انفذهم الى دير الزجاج قال الراوى فبينما هو ينظر فى رأيه من ينفذه الى خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه واذا هو باصحاب الحرس وهم حراس موكلون بالمنارة قد اقبلوا اليه واخبروه ان مركبا قد ظهر لنا من الغرب لا ندرى من اين ورد قال فذهب الملك لقدوم من فى المركب وقال انه لا شك انه من صاحب ارض برقة وهو الملك كيماوس بن روبيل قال فما كان الا ساعة او اقل منها حتى رأى ذلك المركب فى الميناء ونزل منه شيخ مليح الانوار حسن الشيبة زايد الهيبة والوقار وعليه ثياب من الصوف الاسود والمسوح الشعر وعلى رأسه عمامة حمراء وعلى عنقه زرنباقة صفراء ونزل معه عشرون شيخا من الاقسا والرهبان قال الراوى فلما حصلوا على البر جاءتهم المواكب والخيل والغلمان والحجاب وعظموا شانهم واركبوهم بالمواكب المرصعة وساروا بين ايديهم الى قصر الملك ارسطوليس وانزلوهم هناك وافاضوا عليهم الخلع والنعم بقية يومهم وليلتهم قال فلما كان من اليوم الثانى ركبوا الى العسكر ودخلوا على الملك ارسطوليس فقام لهم قائما وعظم شانهم واعلا مكانهم وانزلهم بارز سريره قال ابن اسحاق ولقد بلغنى ممن اثق به من الرواة الثقاة ان صاحب الاسكندرية وهو الملك ارسطوليس

ابن المقوقس كان قد انفذ هدية الى الملك كيماوس بن روبيل صاحب ارض برقة الى حدود
ارض القسطنطونية وهو المعروف في وقتنا هذا بجاير اليمن وكان ملكا كثير الجنود
والعساكر وكان قد ولى ولده افلاعورس على مرطاخية وكان جيشها مائتين الف فارس
من الروم وان الملك انفذ اليه وبعث كتابا يخوفه من العرب ويقول له ايها الملك ان الدنيا
دار انتقال وما وهبتنا شيأ الا واستردته ولا افرحت احدا الا واحزنته ولا
نصرت ملكا الا واخذلته فالمغرور من تشبث باذيالها واطمأن اليها والسعيد من لبس
لها ثياب الحذر وعمل لدار الاخرة اما ترى ايها الملك المعظم الى فليطيس بن توطيس
المسمى بهرقل صاحب الشأم وارض سورية الى بلاد القسطنطونية كيف زال عن ملكه
وبلاده واعرض عن غلمانه واجناده وذلك عند ما رمته الدنيا بمصائبها ورشقته
بسهام نكايبها بعد ان كانت اخلاقه في وسط الدنيا تشرق على هامة الاعداء حمر من الحياة
التي تحويه الكرم والشيمة التي تجلو محاسنها الشيم لقد تضاءلت له الارض تحت
قدمه وصارت الافلاك من الاتقياء لخدمه لقد كانت خيله العزمانى والادهم
وانصاره الليل والايام فمن ذا يقدر ان يدفع قضا من تبرجت البروج لعباداته
وتكوكبت الكواكب لهيبته الذى لو شاء عقد النار والما وعقد الهوا وجسم الما
وفصل تراكيب السما والف بين النار والما ونور ضيا الشمس والقمر وكفاهما
عند التستر الذى اذا شاء اسكن الرياح والزعازع واطبق جفون البوارق اللوامع
وانبت العشب على البحار والبس الليل ضوء النهار وانما ضربت لك هذا المثال
لتعلم ان الدنيا لا تبقى على حال ومآلها الزوال وهؤلاء العرب المحمديون قد استولوا
على البلاد واذلوا بسيوفهم العباد وخبطوا العساكر والاجناد وقد قاموا
شرع نبيهم بالسيوف الحداد وقد ملكوا الشأم من القياصرة وقد جأت طائفة منهم
الينا واخذوا مصر من ايدينا وقد اخذوا املاكنا وحكموا على بلادنا فلا بد لهم منك
ولا غنى لهم عنك والصواب ان تشمر عن ساق الهمم وتنجدنا على من بغى وظلم فنحن
جيرانك واعوانك وانصارك وكلنا جندك والسلام **قال الواقدى** رحمة
الله تعالى عليه فلما وصلت الهدية الى الملك كيماوس بن روبيل اعرضها على جميع
ارباب دولته وقال لهم ما ترون من الرأى فقالوا ايها الملك ما ضاع هذا بين الناس
ودايما الناس يستنجدون بعضها ببعض والذى أشار اليه فهو الحق الذى لا دفاع
عنه واعلم ايها الملك ان العرب اذا ملكت ملك القبط فلا بد لهم منا ولا غنا لهم عنا
وعن الغزو الى بلادنا فابعث اليه نجدة يكونوا معه يدا واحدة والمسيح يعطى النصر
لمن يشاء **قال** الراوى فلما سمع الملك كيماوس بن روبيل قولهم استصوب رايهم

وخلع على ابن اخيه اصطفانوس وضم اليه اربعة آلاف من العواس وامره بالمسير الى معاونة صاحب الاسكندرية **ثم** ان الملك انفذ خادمه الخاص الى عالم ارضهم والمشار اليه فى العلم وهو البطرك الكبير واسمه نيطليس قال الراوى وكان هذا البطرك يسكن بموضع يعرف بالكنايس قال وكان قد مضى له من العمر مائة سنة وعشرون سنة قال وكان تلميذ الوزير وشار ووزير وشار تلميذ المرقس ومرقس تلميذ اليوحنا ويوحنا اخر حوارى المسيح قال وكان هذا البطرك نيطليس مؤمنا بالله موحدا الله **قال** وكان قد سمع باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعجزاته ويؤمن به فلما بلغه انه بعث صلى الله عليه وسلم وظهرت اياته ومعجزاته آمن به وكان يروم ان يتوصل اليه فما لبث الا قليلا حتى بلغه وفات رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى لموته ولزم زاوية المخزن ولم يظهر لاحد من قومه سنة كاملة ولولا انه مشتغل بالعبادة لما خرج ولا ظهر ثم بنى له صومعة على قارعة الطريق فكان كلما مرت به قافلة يستخبرها عن جيوش المسلمين وبأى ارض هم ويسأل عن الخليفة من هو من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له ابو بكر الصديق رضى الله عنه فلما توفى ابو بكر رضى الله عنه بلغه الخبر بوفاته وولاية عمر بن الخطاب رضى الله عنه من بعده ثم انه بلغه الخبر بفتوح الشام ومصر فلما كانت هذه النوبة بعثه الملك كيماوس صاحب ارض برقا فى المركب الى الملك ارسطوليس مبشرا بقدوم النجدة مع اصطفانوس اخو الملك كيماوس بأربعة الف فارس وعن قريب يكونوا عندك **قال صاحب الحديث** رحمه الله ورجعنا الى ما كنا عليه من الحديث **فلما** حضر نيطليس بين يدى الملك ارسطوليس واخبره بذلك استبشر وقال له يا ابونا أريد من انعامك ان تسير الى هؤلاء العرب برسالتى وتحسن لى خبرهم وتنظرها هم عازمين عليه ان كان غرضهم القتال او الصلح فان كان غرضهم الصلح ففى يدى منهم أسرى وهم جماعة كثيرة وقد انفذت بهم الى دير الزجاج فان صالحونا سلمتهم اليهم واعطيناهم من اموالنا وعقدنا معهم عقدا واحدا واخذنا عليهم عهدا ان لا يرجعوا الينا ولا يتعرضوا بنا **فقال** البطرك امرك الذى تأمر به نفعله ولكن أيها الملك انى قد قرأت فى الكتب وسمعت من الاخبار الماضية ان الله عز وجل يبعث فى اخر الزمان نبيا عربيا من ارض تهامة وانه تعرض عليه كنوز الارض جميعها فلا يلتفت اليها ويختار الفقر على الغنى وان اصحابه ايضا يتبعون سبيله ويقومون بسننه وقد اردت ايها الملك ان اختبر حالهم قبل مسيرى اليهم **قال الملك** وبماذا تختبرهم قال ايها الملك تأمر غلاما من غلمانك ان يسرج بغلة من خيار مراكبك بأفخر ما يكون من السروج والعدة ويزينها بثلاثة من انواع

الجواهر والياقيت ونطلقها نحو عسكرهم فان اخذوها فنعلم انهم يريدون الدنيا وان
قاتلهم عليها ولا يطلبون الاخرة وما عند الله عز وجل قال فامر الملك سياسه
ان يشد وا بغلة من خيار مراكبه ببرج من الذهب مرصعا بفصوص الياقوت والجواهر
ويلجموها بلجام من الذهب ويقلدوها بقلايد من الدر واذ يرسلوها الى نحو عسكر
المسلمين ففعلوا ذلك قال وكان على حرس المسلمين يومئذ شرجيل بن حسنة
كاتب وحي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قربت البغلة من عسكر المسلمين نظر
اليها شرجيل بن حسنة ورأى ما عليها من الحلى والجواهر فتبسم ضاحكا وقال ان
اعدآ الله يريدون بذلك اختبارنا ان كنا نريد الدنيا او الأخرة والله ما منا من يميل الى
ما يفنى وما بغيتنا الا فيما يبقى ثم قرأ انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر
بينكم وتكاثر في الأموال والاولاد الى اخر الاية ثم مسك بعنان البغلة وجاء بها
الى عسكر القبط ثم ارسلها قال فلما نظر الملك الى ذلك صك على وجهه وقال
والله بهذا نصروا وخذلنا ولقد كان ابى على بصيرة منهم ثم امر البطرك بيطليس
المسير اليهم قال فسار البطرك راجلا نحو عسكر المسلمين فلما قرب منهم اقبل
اليه شرجيل بن حسنة رضى الله عنه وسأله عن امره فقال انا رسول الملك اسطوليس
الى أمير العرب فاخذه شرجيل وسار به فى العسكر يريد خيمة خالد بن الوليد رضى الله
عنه قال فلما دخل البطرك بيطليس مع شرجيل فى وسط عسكر المسلمين جعل
ينظر الى العرب وهم جلوس فرأى قوما قد هجروا الدنيا منهم القارى ومنهم الذاكر
ومنهم المصلى ورأى عليهم السكينة والوقار والانوار لائحة عليهم فلما وصل
الى خيمة خالد استاذن له شرجيل فاذن له خالد بالدخول فلما دخل على خالد فنضر
وجده جالسا على التراب وليس له حاجب ولا بواب وبين يديه جماعة من اصحابه
فسلم عليهم بيطليس وقال ايكم الأمير فردوا عليه السلام واشاروا الى خالد رضى
الله عنه فقال البطرك انت امير هؤلاء القوم قال كذلك يزعمون بانى اميرهم
ما دمت على الحق واتباع العدل فى الحكم والانصاف والخوف من الله تعالى محسنا
للمحسن منهم مشددا على المسئ فمتى خرجت عن هذه الاشياء فلا امرة لى عليهم
فقال البطرك انتم والله القوم الذى بشر بنبيكم المسيح بن البتول وان الحق معكم
لا يفارقكم قال فامره خالد بالجلوس فجلس فلما جلس قال يا معاشر العرب خبروني
عن نبيكم وعرفوني بحسبه ونسبه قال خالد رضى الله عنه ان الله عز وجل
اختار من ولد آدم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر كنانة واختار
من كنانة قريشا واختار من قريش هاشما واختار من هاشم عبد المطلب واختار

من

من عبد المطلب عبد الله واختار من عبد الله محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم **قال** خالد لقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نبوته قال كنت نبيا وآدم بين الماء والطين **وقال** صلى الله عليه وسلم لما خلق الله تعالى العرش كتب على ساق العرش لا اله الا الله محمد رسول الله فلما وقع آدم فى الذلة واخرج من الجنة راى مكتوبا على ساق العرش لا اله الا الله محمد رسول الله فقال آدم عليه الصلاة والسلام يارب من محمد قال ولدك يا آدم الذى لولاه ما خلقتك فقال آدم يارب بحرمة هذا الولد ارحم الوالد **قال** الله عز وجل يا آدم لو تشفعت الينا بمحمد فى اهل السموات والارض لشفعناك **ثم** ان الله عز وجل جعل اسمه مقرونا باسمه وذكره مع ذكره ووسمه بما وسم به نفسه فقال تعالى ان الله بالناس لرؤف رحيم وقال فى حقه بالمؤمنين رؤف رحيم وقال عز من قائل من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال ايضا عز من قائل فى حقه يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان الله عز وجل رفع ذكره وعظم قدره واعز امره فقال جل وعلا ورفعنا لك ذكرك وهذا غاية الشرف والتعظيم والتبجيل والتكريم وقال الله يا محمد لا أذكر الا وتذكر معى ولا اعرف الا وتعرف ومن سبك فقد سبنى ومن جحدك فقد جحدنى ومن انكر نبوتك فما عرفنى وانا اقسم بنبوتك ان جحدت وخالفوك عليها اذ يقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا وقال وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله **قال** فلما سمع البطرك ذلك الكلام من خالد رضى الله عنه فرح وقال والله لقد نجا من اتبعه وخسر من خالفه ثم جدد اسلامه على يد خالد بن الوليد رضى الله عنه وحدثه بامره من اوله الى اخره قال وكيف لا اؤمن بالله ولا اصدق برسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرح خالد باسلامه والمسلمون **وقال خالد** فبعد اتيت من عند الملك ارسطوليس فحدث لخالد بما كان من امر الملك ارسطوليس وهديته وكتابه الى صاحب برقا يطلب منه نجدة ويحذره ايضا منكم وقد بعث له الملك كيماوس باخيه اصطفانوس فى اربعة الف فارس نجدة واني سبقته فى البحر الى الملك ارسطوليس اخبره بذلك وقد بعثنى ارسطوليس اليكم رسولا يريد صلحكم ولا يبغى قتالكم وقال تصالحوه على ان يعطيكم شيأ من المال ويسلم اليكم قوما من العرب فى اسره اخذهم من ساحل البحر بالشام **قال خالد** اما اصحابنا فقد فك الله تعالى اسرهم وجمع بيننا وبينهم ونصرنا على اصحابه القبط فقتلنا منهم سبعمائة فارس واسرنا الفا وثلاثمائة رجل **ثم** امر خالد باعراضهم على البطرك فاعرضوا عليه ثم اعرض عليهم خالد الاسلام فابى اكثرهم فمن اسلم تركه واحسن اليه ومن ابى الاسلام امر بضرب عنقه **قال** واذ البطرك سلم على خالد والمسلمين وعاد الى الملك ارسطوليس

وقال اعلم ايها الملك ان هؤلاء القوم لا يملك ايثارهم وانهم حذرون ثم عرفه بقصة اصحابه وخلاص الاسرى الذين بعث بهم الى دير الزجاج **قال** فلما سمع الملك ارسطوليس ذلك من البطرك سقط ما كان بيده وايقن بذهاب ملكه وقال لارباب دولته خذوا على انفسكم للقاء هؤلاء العرب فكانكم بعسكر الملك كيماوس صاحب ارض برقا وقد قدم عليكم فقاتلوا بقلوب قوية واسرار نقية والمسيح ينصركم **قال وبات الملك** تلك الليلة على نية الملتقا وقد عزم على حرب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم **قال ابن اسحاق** رحمه الله ولقد بلغني ان الملك ارسطوليس بات بقية ليلته وهو مهموم فلما غرق في بحر المنام وغمضت جفونه رأى في منامه انه قد اقبل عليه رجل اشقر بهي الصورة عريض الصدر ومعه رجل اخر ظاهر الوضاءة كثير الانوار مليح الوجه حسن الخلق له نور يعلو عليه الهيبة والوقار فقال الرجل الاشقر لارسطوليس أيها الملك انا المسيح عيسى بن مريم وهذا الذي الى جانبي هو النبي العربي الذي بشرت به قبل مبعثه محمد العربي سيد الرسل وخاتم الانبياء فمن امن به فقد اهتدى ومن جحد بنبوته فقد ضل وغوى وقد جئنا لننصر اصحابه ومقامنا في القبة التي على البرج **قال** وكانت القبة على برج عال مما يلي الباب الاخضر الى نحو البحر فان كنت من امتي فامن به وبرسالته **قال** صاحب الحديث رحمه الله تعالى وكان الاسكندر لما بنى الاسكندرية سماها باسمه فلما بنى هذا البرج عقد عليه هذه القبة فكان الخضر عليه السلام يسكنها وبنى الباب وسماه الباب الاخضر حيث كان في اصل البرج وكان الخضر عليه السلام يأوي اليها وذلك الباب مشهور الى يوم القيامة **قال** فلما قال عيسى عليه الصلاة والسلام للملك ارسطوليس ذلك انصرفا جميعا عليهما الصلاة والسلام **قال** فاستيقظ الملك ارسطوليس من نومه وهو مرعوب من الرؤيا فلما اصبح الملك اقبل على امرائه وحجابه واكابر دولته وحدثهم بما رأى في منامه فقالوا أيها الملك اضغاث احلام وما كان المسيح ممن تماشى النبي العربي وهو عدوه **قال** فاصغى الملك الى كلامهم وركب وضربت كوساته ونفرت بوقاته ونشرت اعلامه وراياته وركبت عساكره وترتبت صفوفه **قال** فلما نظرت المسلمون الى عساكر القبط وقد ركبت وترتبت صفوفا اخذوا اهبتهم وركبوا ايضا وترتبوا صفوفا وجعل خالد يطوف عليهم ويرتبهم ويعظهم ويحرضهم على الجهاد **قال** وكان مصافهم مما يلي الباب الاخضر والبحر **قال** ووقف الملك ارسطوليس تحت صليبه وجعل ينظر الى القبة واذا النور عليها يسطع فدخل وهم في قلب الملك من اجل تلك الرؤيا

التى رأها فى النوم وقال والله اذ الذى رأيته حقا ولا شك فيه قال ابن اسحاق
رضى الله تعالى عنه حدثنى عامر بن بشر عن الاحوص الكاسكى قال كنت فى خيل خالد
ابن الوليد رضى الله عنه يوم قفلنا على الاسكندرية قال فلما وقفنا فى مقام
الحرب واستوت صفوف الجيشين ونحن قد عزمنا على الحملة اذ خرج الينا من عسكر
القبط بطريق عظيم الخلقة وعليه درع مصفح بصفائح الذهب مرصع بانواع فصوص
الجوهر على جواد من خيار خيول العرب بكامل السلاح فلما وقف بين الصفين
نادى بلسان فصيح عربى وقال يا معشر العرب انصرفوا عنا فانا لا نريد قتالكم
فقد ملكتم منا مصرنا والصعيد واكثر الريف وقد بقى لنا من ملكنا اقله
وقد ملكتم اكثره ولسنا نناز عكم فى ما اخذتم منا ونحن نفلدكم البغى فان
صالحتمونا صالحناكم صلحا يعود علينا وعليكم صلاحه واعدلوا فينا ولا تجوروا
علينا فى الصلح فان ابيتم ذلك لقينا كم باسرار نقية وقلوب قوية ونزدكم على
اعقابكم منهزمين وفى اديانكم هاربين لانه ما عاند احد هذا الدين الا ذل وانهزم
لانا قوم لنا الكنايس والصوامع والبيع والقسوس والرهبان والانجيل والمزبار
والمذبح والصلبان فما عندكم معاشر العرب من الجواب قال صاحب الحديث
رحمه الله تعالى وكان المتكلم بهذا الكلام الملك ارسطوليس بن الملك المقوقس
قال فلما فرغ من كلامه حتى جرز اليه شرجيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وجاوبه وقال يا ويلك لقد افتخرت بما يردبك الى البوار ويعقبك
سوء الدار افتخرت علينا بالكفر والطغيان وعبادة الصلبان والشرك بالرحمن
ونحن اولوا التقية والايمان والفوز والرضوان والقبلة والقرآن والحج والاحرام
والصلاة والصيام ديننا افضل الاديان ونبينا المبعوث بالمعجزات والبيان
والآيات والبرهان المنزل عليه القرآن من اتبعه نال الغفران ومن نكل عن
جنته بآ بغضب من الديان الذى كان ولا مكان ولا دهر ولا زمان شهد
لنفسه بالربوبية ولصفاته بالازلية ولذاته بالاحدية وللملكه بالابدية سلطانه
ظاهر وتدبيره محكم وقضاؤه مبرم عرشه رفيع وصنعه بديع ليس بوالد
ولا مولود ولا لذاته حد محدود ولا لبقائه اجل معدود خضعت الاعناق
لعظمته وخشعت الملوك لهيبته وعنت الوجوه لعزته وذلت الاقوياء لقوته
لا يحصى كماله ولا يفنى نواله ولا تبيد افضاله يا ويلكم كيف طاب لكم الكفر
بالاهيته والاشراك بربوبيته وان تجعلوا لله ولدا فى وحدانيته ثم قرأ
قوله تعالى ويوم يحشرا عداء الله الى النار فهم يوزعون ثم قال شرجيل ان

لله عباداً اذا اقسموا عليه ان يدكدك لهم هذا الصور لفعل وأشار بيده الى صور المدينة
فلطمى الصور بالأرض وظهرت المنارة والديار قال فارتعدت فرائص الملك عند
ما عاين ذلك من عظم القدرة ثم الوى راس جواده نحو عسكره والأفئدة منه قد طارت
والقبط من عظم ما رأت حارت وخافت ورجع القبط الى خيامهم ولم يتعرضوا للقتال
وكذلك المسلمون رجعت الى خيمها وانقضى النهار فلما كان الليل اخذ الملك خزائنه
وما يعز عليه وحريمه وجواريه وركب في المراكب وسار من ليلته يريد جزيرة اقريطش
فلما اصبح الصباح وقع الصايح في المدينة بهروب الملك قال واجتمع الكبراء منهم
بعضهم الى بعض وقالوا ان الملك قد ولى وسارعنا ولو اراد والدخول الينا لدخلوا
علينا لكنهم قوم قد اسكن الله تعالى الرحمة في قلوبهم فاخرجوا الآن بنا اليهم لنأخذ
لنا منهم عهداً وذماما ونصالحهم على بلدنا ونصون حريمنا وأولادنا على ما يقع
الاتفاق منهم ومنا قال فاتفق الاكابر على ذلك وخرجوا الى عسكر المسلمين وطلبوا
الحضور بين يدي الأمير خالد بن الوليد رضي الله عنه فاستاذنوا عليه فاذن لهم فدخلوا
عليه فلما وقفوا بين يديه سلم عليهم من كان يعرف بلسان العرب فرد عليهم خالد السلام
وسألهم عن سبب قدومهم وقال ما الذي تريدون قال فتقدم اليه من الاكابر من كان
يعرف بلغة العرب وقالوا ايها الأمير ان الله تعالى قد نصركم علينا بصدق قلوبكم وانا
نريد منكم ان تعاملونا بالنصفة وتنظروا الينا بعين الرأفة وتحكموا فينا بالعدل سنة
من كان قبلنا معكم من الروم فقال خالد نعم نحن قوم قد اسكن الله تعالى الرحمة بقلوبنا
ونصرنا بمعالم ديننا وايدنا على اعدائنا ونحن نخيركم على ما جرت به عوائدنا مع سائر من
فتحنا بلادهم والان فانا لو اردنا ان ندخل مدينتكم بالسيف لفعلنا وهان علينا ذلك
ولكن خير الناس من قدر وعفى والآن فانا نريد منكم على صلحكم مائة الف دينار من اطيب
اموالكم صلحا عن انفسكم واهاليكم وحريمكم واولادكم وبعد ذلك ندعوكم الى الاسلام وتوحيد
الله تعالى والتصديق بشريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن اجاب منكم كان له ما لنا وعليه
ما علينا ومن ابى الاسلام منكم اخذنا منه الجزية عن السنة القابلة عن كل رجل منكم ومن كل
غلام بلغ الحلم اربعة دنانير ونشرط عليكم شروطا تقبلوها ان لا تركبوا دابة ولا تلبسوا
دوركم على دور المسلمين ولا ترفعوا اصواتكم عليهم ولا تبنوا في الاسلام بيعة ولا دير
ولا تجددوا ما اندثر من رسوم دينكم وشريعتكم وتلقوا المسلمين بالتذلل والخضوع
وتسارعوا الى قضاء حوائجهم وما يريدون من اصلاح شانهم وتعظموا الاسلام واهله
ومن اذنب منكم ذنبا حددناه ومن ارتد عن قولنا قتلناه وتشدوا الزنانير على
اوساطكم اظهارا لمذلتكم وعرفا بطاعتكم ولا تضربوا ناقوسا ولا ترفعوا

صليبا

صليبا ولا تظاهروا بين المسلمين بشيء من امور دينكم وكفركم واذا صليتم فى بيعكم لا ترفعوا اصواتكم بقراءة انجيلكم **فقالوا** ايها الأمير انه قد صعب علينا ترك ديننا وما كان عليه اباؤنا من قبل فتبسم خالد من قولهم **ثم قرأ خالد** قوله تعالى واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آبائنا أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير **فقالوا** ايها الأمير قد اجبناك الى كل ما قلت ونريد ان تولوا علينا رجلا من اصحابك حتى يجمع المال الذى طلبت منا فقال خالد انا لا اعلم بامور اصحابكم ولا نعرف القادر منكم ولا الضعيف فانظروا من اكابركم ممن تختارونه عليكم لجمع المال فولوه عليكم ويكون معه رجل من اصحابنا مساعد له على ذلك قالوا نعم قال فاشار القوم الى رجل رئيس من اكابرهم اسمه شعيا بن شامس وكان مقدما فى القبط فولوه عليهم بامر خالد رضى الله عنه وندب معه رجلا من اصحابه يقال له قيس بن سعد وامرهما بجمع المال وقال لهم من كان معسرا ضعيفا فاتركوه وخذوا من كل رجل ما يحتمل حاله واحسنوا ان الله يحب المحسنين ولا تظلموا فقيرا ولا يتيما ولا ارملة قال ودخلوا المدينة واقبلوا يجمعون المال وكانوا ياخذون من كل رجل ما يحتمل حاله ومن كان ضعيفا يتركه قيس بن سعد كما امره خالد رضى الله عنه قال صاحب الحديث رحمه الله تعالى حدثنى جرير بن عاصم قال اخبرنا فهيم بن موسى الدارانى قال حدثنا سليمان بن عوف عن جده مازن بن شيث قال كنت حين دخل شعيا بن شامس وقيس بن سعد المدينة ليجبوا بالمال فاجتمعوا فى قصر الملك المقوقس مما يلى باب رشيد وبعث شعيا بن شامس غلمانه يجمعوا الناس وجعلوا يجبون بالمال وكنت حاضرا عندهم وقد قسطوا المال على اهل المدينة فكان اكبرهم فى الحشمة واغزرهم مالا يزن عشرة قراريط واوسطهم مالا يزن قيراطين اذا تواثب رجل من اصحابهم اسمه بولس بن مقوقس لا يدرى احد ما يملك من المال والنعم والملك وكان ابخل اهل زمانه فقال له رئيس القوم المتولى على الجباية شعيا ابن شامس قد وجب عليك من هذا القسط دينار قال وحق المسيح ما كنت بالذى اوديه ولو مت وان صدقنى على البيعة افضل من عطيتى للعرب فقال له قيس بن سعد ويلك ان الذى تاخذه منكم حلال لا حرام ويلك احسب انا دخلنا مدينتكم عنوة بالسيف الست كنت مقتولا ومالك اول منهوب فقال شعيا بن شامس اخزاك الله ولعنك كل من بالاسكندرية يعلم انك كنت صعلوكا لا تقدر على شيء من امور الدنيا وقد اتاك الله من فضله ووسع عليك من رزقه فقال الملعون الست قد ورثته عن اباء كرام واجداد عظام ومال الله على من فضل قال فغضب قيس بن سعد من قوله وقام اليه وقبضه بخصره كانت بيده وقال كذبت يا عدو الله وعدو رسوله بل الفضل والمنة لله لأنه رزقنا من فضله

واسبغ علينا من نعمه وقرأ وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم قال قيس اللهم انه حمد نعمتك وكفرها فازلها عنه قال والله ما مضى نهار يومهم ذلك حتى جاء الخبر ان املاكه قد انهدمت واغنامه قد هلكت وبساتينه قد يبست وسائر امواله قد مضت فقال قيس بن سعد الله اكبر هذا والله مثل حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو هريرة جالس الى جانبي فقال عليه الصلاة والسلام ان ثلاثة في بني اسرائيل ابرص واقرع واعمى فاراد الله عز وجل ان يبتليهم فبعث اليهم ملكا من الملائكة عليهم السلام فاتى الى الابرص فقال اى شيء احب اليك قال جلد حسن فمسحه فذهب عنه ذلك واعطى جلدا حسنا ثم قال الملك اى المال احب اليك قال الابل فاعطى ناقة عشرا من الابل فقال الملك بارك الله لك فيها قال واتى الملك الى الاقرع فقال اى شيء احب اليك قال شعر حسن فمسحه الملك فذهب عنه ذلك واعطى شعرا حسنا قال فاى المال احب اليك قال البقر فاعطى بقرة حاملا فقال الملك بارك الله لك فيها قال واتى الملك الى الاعمى فقال اى شيء احب اليك قال ان يرد الله على بصري فابصر به الناس قال فمسحه الملك فرد الله عليه بصره فقال الملك اى المال احب اليك قال الغنم فاعطى شاة ولودا فقال الملك بارك الله لك فيها قال فانتج هذا وهذا وهذا وكان للابرص واد من الابل وللاقرع واد من البقر وللاعمى واد من الغنم قال فاتى الملك الى الابرص في زيه فقير فقال انا بالله وبك اسالك يا هذا بالذي اعطاك الجلد الحسن واللون الحسن والمال بعيرا اتبلغ عليه في سفري فقال له ان الحقوق على كثيرة فقال له كاني اعرفك الم ترك ابرصا يعذرك الناس وفقيرا فاعطاك الله فقال انما ورثت هذا المال كابرا عن كابر اباعن جد قال اللهم ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت فرده الله تعالى الى ما كان قال واتى الملك الى الاقرع ايضا في زيه فقير فقال له مثل ما قال للابرص ورد عليه الاقرع مثل ما رد عليه الابرص فقال الملك اللهم ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت فرجع الاقرع الى ما كان عليه قال واتى الملك الى الاعمى في زي فقير فقال رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم الا بالله ثم بك اسالك بالذي رد عليك بصرك واعطاك المال اسالك شاة اتبلغ بها في سفري قال كنت اعمى فرد الله تعالى على بصري واعطاني فخذ ما شئت فوالله لا اجهدك اليوم شيئا اخذته لله ويروى لا احمدك اليوم شيئا اخذته لله فقال الملك امسك مالك فانما ابتليتم فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك قال صاحب الحديث رحمه الله واجمع المال وخرج به الى خالد بن الوليد رضي الله عنه فقبض المال ودخل المدينة واخذ كنيستهم العظمى فبناها جامعا وترك لهم اربعة كنايس

لاقامة دينهم وشرعهم وكتب الى عمرو بن العاص كتابا بالفتح وارسله فلما
بلغ الكتاب الى عمرو بن العاص وقرأه فرح بذلك فرحا شديدا وولى على مصر
ابا ذر الغفارى فى جماعة من المسلمين واتخذ عمرو بن العاص رضى الله عنه
الى الاسكندرية ودخل اليها وبنى فيها جامعا فى الربض وهو معروف
بجامع عمرو بن العاص الى يومنا هذا قال ابن اسحاق رحمة الله عليه وبعد
ايام جاء اهل رشيد وفوة والمحلة ودميرة وجرجة وسمنود والبحيرة واستعطفوا
لهم صلحا وصالحهم عمرو بن العاص رضى الله عنه على ما اتفقوا عليه ثم
بعث عمرو بن العاص رضى الله عنه المقداد بن الاسود الكندى وضرار بن الازور
ورافع بن عميرة الطائى وشاكر بن مزروع ونوفل بن ظاعن وراجح بن عياض
وعاصم بن عبد الله وقدار بن معمر وفارس بن مزيد وعروة بن سالم وسهيل
ابن عدى وعمير الجهنى وكعب بن مالك وسعد بن عبادة ويزيد بن الخطاب
ويزيد بن عامر وعطية بن ماجد ودحيم بن عاطل وصعصعة بن سرحان
وهاشم بن سعيد وجبلة بن الشريد ومزروع بن ثابت وياسر بن الاشرس
ومجمع بن سعيد ومكرم بن راشد ومرة بن الحكم وزاهر بن قيس وحنظلة
ابن كامل وعبيد بن أوس ورافع بن اسيد ومرداس بن ظاعن والاسود بن يحيى
وغانم بن الاخوص وعبد الله بن جابر وجازم بن ناصر وحامد بن حزام فجملة
من ذكرناهم باسمائهم ستة وثلاثون رجلا واربعة لم اقف على اسمائهم
والجملة اربعون رجلا من اكابر الصحابة رضى الله عنهم اجمعين الى ناحية دمياط
قال صاحب الحديث رحمه الله وكان صاحب دمياط والحاكم عليها المقوك
وهو خال الملك المقوقس وكان يركب فى اثنى عشر ولدا وكان تحت يد كل
ولد منهم خمسمائة فارس من ابطال القبط وكان قد حصن دمياط واوثقها
بالرجال والزاد والاطعمة فلما اشرف عليها المقداد برجاله الاربعين ونظر
المقوك الى قلتهم ضحك وقال اذ قوما ينفذون الينا اربعين رجلا منهم
ليملكوا بلدنا انهم لفى عجز من رأيهم وقلة عقل قال وكان ولده
الاكبر فارسا مشهورا فى بلاد النيل وكان اسمه هزير وكان ابوه يثق بشجاعته
وبراعته وليس فى عينه من الفرسان شئ فلما نظر الى الصحابة وقلتهم طمع
فى قلتهم ولبس عدته واشتمل بسلاحه وركب وخرج ببدنيه وجنده
واقبل الى ميدان الحرب وصف اصحابه صفوفا قال فلما نظر المسلمون الى عسكر
دمياط وقد خرج الى حربهم واصطفوا اركبوا ايضا ووقفوا فى مقابلتهم فبرز

من صفوف القبط ولد لها موك الكبير هزبر وجال على جواده وصال وطلب البراز فخرج اليه ضرار بن الأزور وحمل عليه وطعنه فى صدره اطلع السنان يلمع من ظهره فانجدل صريعا من ظهر جواده يخور فى دمه وحمل ضرار على عسكر الهاموك الجاه الى سور المدينة قال فاستعاذ الهاموك من ضرار وحملاته ووقع الخوف بقلوب عسكره ورجاله وضاق صدره على ولده وتأسف عليه وبكى بكاء شديدا وعطف راجعا الى المدينة باولاده وعسكره وغلقت ابواب المدينة ودخل الهاموك الى قصره واجتمع اليه اكابر دولته وقد صعب عليهم ما قد نزل بهم من الصحابة فقال الملك لاصحابه ما ترون من الرأى فى امر هؤلاء القوم الذين قد اقبلوا الينا ونزلوا على مدينتنا يريدون قتالنا واخذ بلدنا فقالوا ايها الملك الرأى ما تراه قال لابد لنا من الراى والتدبير قال وكان للقوم فى المدينة حكيم يعتمدون عليه فى الرأى والمشورة وهو ذو عقل ومشورة ومعرفة فامر الملك باحضاره فحضر بين يديه فنظر الملك اليه وقال ايها الحكيم العالم ما الذى تشير به علينا من امر هؤلاء العرب قال الحكيم اعلم ايها الملك ان جوهرة العقل لا قيمة لها ومن استضاء بها هدته الى سبيل نجاته وقادته الى معالم صلاحه وهؤلاء القوم ما لنا لهم راية ولا تنال منهم غاية وقد فتحوا البلاد واذلوا العباد واشتهر امرهم وعلا ذكرهم وانتشر خبرهم وعلت كلمتهم وطبقت دعوتهم الأرض فلا يقدر احد عليهم ولا يصل اليهم وما نحن بأشد من جيوش الشام جلدا ولا اكثر عددا ولا امنع بلدا وهؤلاء القوم قد تايدوا بالنصر وغلبوا بالقهر وان الرحمة فى قلوبهم وما عاهدوا عهدا فخانوا ولا حلفوا يمينا فحنثوا وقد بلغنك ما هم فيه من الدين والصيانة والصدق والأمانة والرأى عندى ان تعتقب لنا منهم صلحا فتنال بذلك الأمن وحقن الدماء وصون الحريم والأولاد ونصالح القوم وندفع اليهم شيئا من اموالنا نداري به عنا قال فلما سمع الهاموك من الحكيم ذلك قال يا ويلك يقتل ولدى وتشير على بتسليم بلدى ثم امر بضرب عنقه قال فلما نظر الحكيم الى المنية وقد غشيته قال اللهم انى برئ مما يشركون لا شريك لك ولا صاحبة لك ولا ولد لك انا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله قال فلما سمع الهاموك ذلك منه وثب قائما على قدميه وجذب سيفه وضربه على عنقه رمى برأسه عن جثته قال فلما نظر اصحابه واكابر دولته الى فعله مع الحكيم ما جسر احد منهم ان يشير عليه بشئ وامسك القوم عن الكلام فعند ذلك اقبل الهاموك عليهم وامرهم باخذ الأهبة والركوب فاخذ القوم اهبتهم وركبوا وخرجوا الى ظاهر دمياط ونصبوا خيامهم وسرادقاتهم وعزموا على حرب الصحابة قال وانقضى النهار ولم يكن حرب وباتوا تلك الليلة قال وكان

للحكم

للحكيم الديرجان رحمة الله عليه ولد عاقل لبيب قد ورث فضائل ابيه وكان ايضا ذا عقل وتدبير فلما قتل الملك الهامولك اباه اظهر الفرح والسرور والدعا للملك وقال لقد اراحنى الملك منه ومن شره لانه كان يذلنى ويضربنى **قال** فلما بلغ الملك كلامه وما قاله ابن الحكيم فاستحضره وطيب قلبه وخلع عليه **فلما** خرج الملك بعسكره الى ظاهر المدينة وضربوا خيامهم وانقضى نهارهم بلا حرب **فلما** كان فى الليل قال ابن الحكيم والله لاخذن بثار ابى قال وكان دار الحكيم ملاصقة للصور فنقب ابن الحكيم نقبا واسعا وخرج منه ولم يعلم به احد من الناس وقصد الصحابة فلما احسوا به اقبلوا اليه وقالوا له من انت قال اعلموا ان ابى قتل بسببكم ولقد نقبت فى الصور نقبا واسعا وخرجت منه واتيت اليكم لتدخلوا المدينة فقوموا على بركة الله تعالى وعونه حتى تدخلوا وتملكوا المدينة فقال له ضرار يا ويلك ان الذى بعثك بهذه انما اراد قتلك اما علمت ان الحذر شعارنا والتيقظ دثارنا **قال** وهو ضرار به فقال له المقداد يا ضرار لا تعجل فانى رأيت هذه الليلة حين اخذتنى عينى فى المنام ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اقبل الينا وهو لنا مبشر وان هذا الغلام واقف بين ايدينا وهو يقول لنا هذا الكلام والنبى صلى الله عليه وسلم يشير بيده الكريمة اليه فتأملته يا ضرار فرأيته فى المنام على ما هو عليه فى وقتنا هذا ورايته ايضا فى وسطه منطقة من الاديم ولها حلق من فضة ثم قال المقداد اكشف يا غلام عن وسطك فرفع الغلام ثوبه واذا بالمنطقة على وسطه فقال المقداد اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فاقبل ضرار والمقداد على الغلام وصافحوه وسر الصحابة بذلك سرورا عظيما وركب المقداد وضرار والاربعون رجلا خيلهم بغير انزعاج وساروا تحت الظلام والغلام بين ايديهم الى ان اتوا الى الصور الذى نقب فيه الغلام النقب فوسعه الصحابة ودخلوا منه بخيلهم وسدوا النقب بالحجارة والطين وقد اخذ الله تعالى عنهم ابصار عدوهم فلم يرهم احد من اهل المدينة ودخل الصحابة الى دار الحكيم واختفوا فيها **قال ابن اسحاق** رحمة الله عليه ولقد بلغنى ان ابن الحكيم كان له بنو اعمام واقارب ابيه ثمانون رجلا فسار اليهم تحت الليل واخبرهم بما فعل وكانوا ايضا قد غضبوا لقتل الحكيم فاتوا معه الى داره ودخلوا على الصحابة وسلموا عليهم وباتوا ليلتهم عندهم فلما اصبح الصباح فتح باب المدينة وخرج اهل دمياط لمساعدة الملك على قتال العرب ولم يتخلف فى المدينة الا النساء والصبيان وركب الملك الهامولك

فى جيشه وطلب الصحابة فلم يجدوهم ولا علموا لهم خبرا فوقع الصياح بان العرب قد هربوا فعند ذلك نادى ابن الحكيم وبنو اعمه الثمانون رجلا الى باب دمياط فغلقوه ووقف منهم جماعة لحفظ الباب وثاروا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المدينة بالتهليل والتكبير وملكوا المدينة وسلموها لابن الحكيم وبنى عمه وخرج الصحابة من باب يقال له باب البراجيم يعنى باب الجهاد وبهذا الاسم يعرف الى وقتنا هذا قال فلما نظر الها موك الى الصحابة وقد خرجوا من المدينة علم ان المدينة قد ملكت وما بقى له وصول اليها وقد خرجت عن يده صعب عليه وخاف الرجال على حريمهم واولادهم وحاروا فى امرهم قال ولما خرج الصحابة من الباب ترتبوا للقتال وعزموا على حرب الها موك واصحابه قال ورتب الها موك اصحابه ايضا للقتال فلما فرغ من الترتيب وقف فى صدر عسكره تحت صليبه ووقف ولده شطا عن يمينه لانه كان ابوه الها موك يحبه حبا شديدا دون اخوته لعقله واجتهاده فى دينه لانه كان عالما عاقلا كثير التيقظ كامل الادب يتبع اثار الرهبان ويجالس علمادينهم وكان مذ نشأ ما اكل لحم خنزير ولا شرب خمرا ولا سجد لصورة ولا قبل صليبا ولا ارتكب حراما واراد ان يبنى له صومعة وينفرد فيها فلم يدعه ابوه ومنعه من ذلك لفرط محبته فيه قال وكان هذا الغلام شطا كثير البحث عن اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وصل الصحابة الى مدينتهم وكان من امرهم ما ذكرنا وخرج الصحابة من المدينة بعد ما ملكوها ووقفوا صفا واحدا ورتب الها موك جيشه ووقف ولده شطا عن يمينه وجعل ينظر الى الصحابة والى زيهم وقلبه مائل اليهم فكشف الله عز وجل عن بصره لما اراد من هدايته فراى نورا لايمان يلوح عليهم فعند ذلك شخص ببصره الى السما فكشف له فراى ما راى فصاح صيحة عظيمة وسقط بوجهه على قربوس سرجه مغشيا فارتاع ابوه لذلك واقبل عليه ومسكه خوفا عليه ان يسقط الى الارض فلما افاق قال له ابوه يا بنى ما بك وما الذى اصابك قال يا ابتى ظهر لى والله الحق وبان وعلمت حقيقة الايمان ولقد رايت على هؤلاء العرب نورا عظيما ورايت معهم رجالا عليهم ثياب خضر وبايديهم رايات صفر تزهو بالانوار وهم على خيول شهب ثم نظرت الى الجو فرايت قبابا معلقات بلا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها وفيها رجال ما رايت احسن منهم والانوار تشرق من وجوههم فقلت من هؤلاء فاذا قائل يقول هؤلاء الشهدا الذين قتلوا فى سبيل الله ثم رايت فيها حورية زائدة الانوار

لو بدت لأهل الدنيا لماتوا شوقا اليها واعلم يا ابى ان الله عز وجل ما كشف عن
بصرى ورايت ما رايت الا لهدايتى واراد بى خيرا وما بعد هذه الرؤية ان اكون على
الضلالة واتبع سبيل من كفر بالله وانا اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا
رسول الله ثم تحرك على جواده وقال لغلمانه من احبنى يتبعنى فاتبعه من القوم الف رجل
ولحق بالصحابة **قال** فلما اقبل شطا واصحابه على الصحابة ارموا اسلحتهم واعلنوا بكلمة
التوحيد ووحدوا الله عز وجل فاقبل الصحابة رضى الله عنهم اجمعين عليهم وقد
سروا بهم سرورا عظيما وهنوهم بالسلامة وبشروهم من الله عز وجل بالكرامة
والقبول قال فلما نظر الهاموك الى ولده شطا وايمانه بالله عز وجل ومسيره الى
الصحابة قال ما آمن ولدى الا وقد رأى الحق وانى لا اشك فى عقله وحسن رأيه ثم
اعلن الهاموك بالشهادتين ولحق بولده شطا قال فلما نظر القبط وامرآؤهم
واكابر دولتهم الى الملك وقد اسلم ولحق بولده شطا قالوا لولا ما ظهر لهم الحق
ما اسلموا فاسلم الجميع ولحقوا بملكهم الهاموك **قال** ففرح الصحابة بذلك واقبلوا
على الهاموك ورفعوا بقدره وقدر اولاده وامرائه وشكروا لهم فعلهم قال
وجدد الجميع اسلامهم على يد الصحابة وفتحت ابواب المدينة ودخل الصحابة والملك
واولاده وعسكره فمن كان اسلم تم على اسلامه ومن ابى الاسلام واراد المقام
على دينه تركوه ولم يكرهوه واخرجوهم الى الارياف والجزائر **وترك** عندهم المقداد
رجلا من الصحابة يقال له يزيد بن عامر رضى الله عنهم يعلمهم معالم دين الاسلام
وسار المقداد من دمياط الى الاسكندرية **وحدث** عمرو بن العاص بما فتح
الله عز وجل عليهم من دمياط وكيف أسلم الملك الهاموك واولاده وجنده واهل
مدينته ففرح بذلك عمرو بن العاص رضى الله عنه وكتب كتابا الى امير المؤمنين
عمر بن الخطاب رضى الله عنه يبشره بفتح الاسكندرية ورشيد وفوة ودمنهور والبحيرة
ودمياط وسمنود وبعث الكتاب مع عامر بن لوى **قال صاحب الحديث**
رحمه الله تعالى حدثنا زياد بن عبد الله قال اخبرنا حميد الطويل قال حدثنا ابن الصامت
عن نصر بن مسروق قال لما فتحت دمياط وكان من امرها ما ذكرنا قال الهاموك
لولده شطا يا بنى ان الله سبحانه وتعالى أنقذنا من نار جهنم وهدانا الى الصراط
المستقيم وجنات النعيم وذلك فضل من الله عز وجل لسابقة سبقت لنا فى القدم
وهذه تنيس بالقرب منا وهى جزيرة لا يصل اليها احد الا فى المراكب والصواب اننا
نكاتب صاحبها ابو ثور وندعوه الى الله تعالى ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
فان اجاب فبها والا سرنا اليه وقاتلناه والله تعالى ينصرنا فقال شطا نعم الرأى

ما رأيت وانا اكون الرسول اليه بنفسي فقال الملك اعزم على بركة الله تعالى قال فركب شطا واربعة رجال من غلمانه فقال يزيد بن عامر رضي الله عنه لشطا انا اسير معكم الى صاحب تنيس فانه لو سالكم عن امر ديننا لم يكن لكم خبر بجواب سؤاله ونحن بحمد الله تعالى نعلم معالم ديننا ونرد جواب من يسالنا ولا فينا من تكبر ولا يتجبر لان طلبنا الاخرة والعمل بما يقربنا الى الله عز وجل قال شطا سر معنا قال فسار شطا والاربعة من غلمانه ويزيد بن عامر رضي الله تعالى عنه ولم يزالوا سائرين الى ان اتوا بحيرة تنيس واذا على ساحلها مراكب من قبل صاحبها وفيها رجال يحفظون معبرها ومن ياتي من قبل دمياط فلما نظر اهل المراكب الى شطا وغلمانه الاربعة ومعهم رجل من العرب قالوا من انتم قال لهم شطا انا ابن الملك الهاموك صاحب دمياط ومعنا هذا الرجل وهو من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جئناكم رسلا قال فبعث القوم رجلا الى ابي ثوبا صاحب جزيرة تنيس يخبره بذلك ويستاذنوه في العبور والقدوم عليه فرجع الرجل اليهم بذلك وقدموا الشطا وغلمانه وليزيد بن عامر زورقا فركبوا فيه وقذفوا بهم حتى اتوا مينة الجزيرة واذا الملك ابو ثوبا قد انفذ لهم خيلا برسم الركوب فنزلوا من الزورق واراد شطا ان يركب يزيد معهم على الخيل فامتنع يزيد من الركوب فوافقه شطا على ذلك وغلمانه وساروا رجالة حتى اتوا الى قصر ابي ثوبا فاستاذنوا عليه فاذن لهم بالدخول فدخلوا فلما توسطوا القصر وافوا ابا ثوبا في عظيم حشمته وكثرة زينته وحجابه بين يديه وهو في مرتبته والغلمان والعبيد قيام بين يديه في خدمته فلما دخلوا عليه ووقفوا بين يديه بادرهم ابو ثوبا بالسلام فقال يزيد ابن عامر السلام على من اتبع الهدى انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى قال صاحب الحديث رحمه الله تعالى حدثني تقية بن سالم قال اخبرنا جرير بن احمد قال حدثنا عيينة عن جبير وكان من اعلم الناس بفتوح مصر والغرب قال هذا ابو ثوبا من عرب ارض العريش الذين كانوا مقيمين بها وكان من متنصرة غسان وكان يقرب من جبلة بن الايهم وكان صاحب مال وحال وانه لما ملكت المسلمون الشام وقهروا الروم وانهزم هرقل الى القسطنطينية وهرب جبلة بن الايهم بماله وعياله واكابر قومه ايضا وركبوا البحر وطلبوا الجزائر هرب هذا ابو ثوبا بماله واهله واخوته الى ارض الحفا ونزل بالبرية ما بين العريش ورفح ومسك تلك الارض واقام بها قال صاحب الحديث رحمه الله تعالى وان الملك المقوقس خرج ذات يوم بامراته واكابر دولته يريد الصيد فانتهى

في صيده

فى صيده الى ارض العريش فانطردت بين يديه ظبية فاتبعها الملك المقوقس على جواده
الى ان رمت به الى حلل ابى ثوب بن كامل بن صعصعة فتعب الجواد ونجت الظبية وكان
ابو ثوب جالسا فى مضربه فلما نظر الملك المقوقس وقد اقبل الى نحو مضربه قام مسرعا
اليه ولم يعرفه بل انه نظر الى حشمته وما عليه من ملابس الملوك فعلم انه ملك فلما
وصل اليه بجله وعظمه قدن ومسك بركابه وأنزله وامر عبيده ان يأخذوا جواده
ويسيروه ويريحوه ودخل به المضرب واجلسه وامر العبيد بذبح الاغنام والماء
باصلاح الطعام **قال** واذا بجيشه ومماليكه وغلمانه قد اقبلوا فى اثره فانزلهم
ابو ثوب فلما استوى الطعام قدم الجفان مملوة بالهبر والطعام من سائر الالوان
قال واقام الملك المقوقس وحاشيته عند ابى ثوب ثلاثة ايام فلما كان اليوم
الرابع ركب الملك المقوقس فى حاشيته وسار يريد مصر فركب ابو ثوب معه وشيعه
ولم يزل معه حتى عزم عليه الملك ورده بعد ما اثنى عليه خيرا ووعده بكل جميل
ورجع ابو ثوب الى حلته وسار الملك المقوقس حتى دخل مصر وجلس على كرسى ملكه
فعند ذلك امر الملك وزيره ان يكتب لابى ثوب ولاية تنيس واعمالها وانفذ
له مع الكتاب الخلع والمماليك والغلمان **قال** فلما وصل مكتوب الملك المقوقس
الى ابى ثوب والخلع والمماليك والغلمان فرح وقبل الارض وسار باهله واقام
الى القرمة وركب منها فى المراكب وسار الى تنيس **فلما** تربع فى ولايته بعث الى
اخوته وباقى قومه ليأتوه فاتوا اليه فولى أخاه اباميا على جزيرة الصدف وولى
اخاه الثانى وهو ابوشتا على جزيرة الطير وولى على ربيوا ولده مضاض وولى على
فينا مولاه ابا لاجج **قال** وتمكن ابو ثوب وطغى وتجبر ومرت الايام والليالى
حتى قدم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مصر وكان من امر المقوقس ما ذكرنا
من هلاكه على يد ولده الملك ارسطوليس وكيفما هلكه **فلما** بلغ ابو ثوب ذلك
منع الارتفاع الذى كان يحكمه الى ولده ارسطوليس وراى ان الجزية تمتنع من
يصل اليه من الناس وحصن نفسه فى جزيرته **فلما** ملك المسلمون مصر والاسكندرية
وما حولها من البلاد وملكوا دمياط واسلم الهاموك واولاده وجيشه وسار اليه
شطا وغلمانه ويزيد بن عامر فى الرسالة **وعدنا الى الحديث** قال فلما دخلوا
عليه ووقفوا بين يديه وراهم ابو ثوب اظهر عليهم الاعجاب والتكبر ولم يرفع رأسه
اليهم ولم يجسر احد من حجابه ان ياذن لهم بالجلوس **فلما** نظر يزيد الى ذلك قرأ
قوله تعالى ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ثم جلس
وجلس الى جانبه شطا **قال** ونظر يزيد الى سرير ابى ثور واذا هو من الذهب

وفيه صورة النخلة ومن تحت النخلة صورة مريم والمسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فى حجرها فقرأ يزيد قوله تعالى فناداها من تحتها ان لا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلى واشربى الى آخر الآيات قال فلما سمع ابو ثوب يزيد بن عامر رضى الله عنه يتلو هذه الآيات تغير لونه وغضب غضبا شديدا فلما فرغ يزيد من تلاوته التفت ابو ثوب اليه وقال له بغضب وحمق ما هذا الكلام الذى نطقت به قال يزيد هذا كلام الله عز وجل الذى انزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم الذى لا تفنى عجائبه ولا تبدل كلماته ولا تمثل آياته قال ابو ثوب فما معنى ما ذكرته وتفسيره قال يزيد تفسيره ما اخبر الله عز وجل عن نبيه عيسى عليه الصلاة والسلام انه علم الحق ونطق به على نفسه انه عبد الله ليس بولد جل الواحد الاحد الفرد الصمد واما معنى قوله واوصانى بالصلاة والزكاة انى مأمور بالطاعة والخدمة مثلكم أصلى لربى وان يكن فى مالى حق لله أديته واما معنى قوله والسلام على يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا اعلم الناس انه مولود لا يستحق ان يكون معبودا ومن تموت لا يكون له العزة والجبروت ومعنى قوله ابعث حيا يعلمهم انه واياهم يبعثون يوم القيامة يوم الحسرة والندامة ولو كانا الهين لكان لهما ارادتين ووقع الخلف بينهما ولكن انظر ايها الرجل ترى الحكمة غير فاسدة وعلى وحدانية الله شاهدة قال فلما سمع ابو ثوب كلام يزيد بن عامر اقبل عليه وقال لقد تمسكتم يا هذا بالأباطيل وغرقتم فى بحار الاضاليل فقال يزيد بن عامر الله يعلم من هو وتاه فى تيه الضلال مشرك بالملك المتعال الاله القادر الذى لا سماء تظله ولا ارض تقله ولا ليل يجنه ولا نهار يكنه ولا ضياء يظهره ولا ظلمة تستره ولا يقهره سلطان ولا يغيره زمان وكل ساعة هو فى شان اما لكم بصائر اما منكم من ينظر ويعتبر ويتفكر فى قدرة الملك القهار اما منكم من يعظ نفسه بذهاب النهار المضى واقبال الليل الدجى اما آن لكم ان توحدوه وتعبدوه وتنزهوه عن المشاركة وتقروا له بالواحدانية اما سمعتم كلام من تعبدوه وتشيروا اليه وتعظموه يعنى بكلام عيسى بن مريم قد اقر لله بالوحدانية والعبودية وقال انى عبد الله ولقد بشر بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه وعرف الناس بقربه من الله تعالى وكرامته اما سمعتم بمعجزاته وما قد اظهر الحق من آياته ودلالاته اما انشق له القمر اما خاطبه الضب والحجر اما خاطبه البعير والشجر اما هو طيب بيت فى مضر قال فافحم ابو ثوب عن رد الجواب ولم يكن له ما يزيل به الحجة الا ان قال ليزيد بن عامر رضى الله عنه قد وصل الينا ما فعل

لكنه

لكنه كان سحرا مستمرا وان كان قولك هذا حقا فادع الله وتوسل اليه بمحمد ان
يسقينا الغيث فان سقانا الغيث علمنا ان قولك حق وليس فيه شك ونؤمن
بالله عز وجل ونصدق برسالة محمد قال يزيد بن عامر ان الله عز وجل قادر على
ما ذكرت وان الله على كل شئ قدير وان العبد المخلص اذا دعى الله تعالى
اجاب دعاءه والله يفعل ما يشاء ثم قام يزيد بن عامر رضى الله عنه وخرج من
مجلس ابى ثوب فقال له ابو ثوب الى اين يا يزيد قال اعبد الله تعالى الذى لو شا
انزل عليكم رجزا من السماء ثم قرأ قوله تعالى بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم بغير
علم فمن يهدى من اضل الله وما لهم من ناصرين قال صاحب الحديث رضى
الله عنه حدثنى عاصم قال اخبرنا رويم عن عبد الله عن وقاص بن جبير قال انما طلب
ابو ثوب الغيث واقتصر عليه لأنه كان له مزرعة بالبعد من النيل فلا يقدر يسقيها
ولا يصل اليها الماء ولا تشرب الا من ماء السماء لانه كان قد صنع لها مصانع
يجتمع فيها من ماء الامطار ما يكفيها من العام الى العام فاذا انقطع الغيث فى ايام
الصيف كان يسقيها من تلك المصانع وكانت المزرعة منه ببال وقد غرس فيها
من جميع الاثمار وكان فى تلك السنة التى حضر فيها عنده يزيد بن عامر رضى الله
عنه قد امسك الله تعالى عنه الغيث فى ايام الشتاء ونفد ما فى المصانع وعطشت المزرعة
واشرفت على اليبس والهلاك فى الصيف وهو احوج الى الماء فى ذلك الوقت الذى
حضر عنده يزيد وكان من امرهما ما ذكرناه وطلب منه نزول الغيث وليس ذلك
اوان المطر فقال يزيد ان الله يفعل ما يشاء وهو على كل شئ قدير ثم خرج يزيد
ابن عامر وقصد البحر وتوضأ وصلى ركعتين ثم رفع رأسه الى السماء وفتح كفيه ودعا
وقال اللهم قد امرتنا بالدعاء ووعدتنا الاجابة وانت اصدق القائلين اذ تقول
واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداعى اذا دعان وقد دعوتك
كما امرتنى فاستجب منى كما وعدتنى يا ذا المعروف الذى لا ينقضى ابدا ولا يحصيه
غيرك احدا اسقنا غيثك بحق محمد المصطفى واله الشرفا واصحابه اهل الوفا
انك على كل شئ قدير قال وقاص بن جبير لقد بلغنى ممن اثق به ان يزيد بن عامر
رضى الله عنه كان يدعو اذا ارتفع السحاب فى الجو ووقف وقفة للخاضع ورفع
جناح السائل الواضع وابتعث وتالق والرعد يصول عليه صولة العاصف
وهوله بصوت البرق ضارب والرعد يزجر عليه بصلصلة قعقعة هديره وهو
على ذلك بقدرة الله مسخر يسير وملائكة القادر قد وكل بالسحاب ملائكة الرحمة متمطين
بمناطق الخدمة ليسوقوه بخزائن رحمته ويجذبونه بازمة القهر بأيادى صولته

والسحاب واضع اجنحة عبوديته مرسوم بتسبيح الرعد بحمد والملائكة من خيفته والسحاب يسير سير الجمل ويسرع اسراع الوجل والرعد يسبح تسبيح من سبحد لجلاله وترى الودق يخرج من خلاله فلما استوثقت تكملت وبالماء تحملت وانسعت في الجو وانتشرت والرعد يزجرها والبرق بصوت لمعانه يضربها ويلمع من خلالها هبت عليها رياح قدرته نشرا بين يدى رحمته هنالك تفتحت مصاريع ابوابها وارتفع ستر حجابها فهمعت بدموع اشجانها على مفارقة خزانها وهطلت على الارض بصفايا مادموع سحابها فاستبشرت الارض عند ورودها وانتظم عقود الزهر في جيد وجودها فاخرجت ذخائر نبتها فرحا واستبشارا برحمة ربها ونادى منادى القدر انظر الى اثر رحمة ربك كيف يحيي الارض بعد موتها ونزل المطر ينسكب بقية يومهم وليلتهم حتى سقى ارضهم وملا مصانعهم فلما كان من الغد حضر يزيد بن عامر في مجلس ابي ثوب وقال له كيف رأيت صنع الله الصانع المتكفل برزق العباد قال فضحك ابو ثوب وقال ان سحركم لعقيم وان مكركم لجسيم وان السحر يفعل اكثر من ذلك فقال له يزيد انما الرحمة من الله تعالى لانه برّ توّاب كريم واقسمت عليه بمحمد صلى الله عليه وسلم فاستجاب دعاى قال فاخم ابو ثوب عن رد الجواب حين رأى ما رأى من قدرة الله عز وجل بنزول المطر وما ظهر له من بركات صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الان ظهر لى الحق وتحقق عندى ان دينكم الحق وقولكم الصدق وانا مؤمن بالله ومصدق برسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ابو ثوب اريد اعرض الاسلام على اهل جزيرتى وعلى اهلى واصحابى واهدم الكنايس وابنى المساجد وامر بالمعروف وانهى عن المنكر فقال يزيد بن عامر رضى الله تعالى عنه ان انت فعلت ذلك رشدت وان انت نافقت فان ربك لبالمرصاد ثم خرج من عنده وخرج شطا وغلمانه ورجعوا الى الهاموك صاحب دمياط وحدثوه بما كان من امر ابى ثوب فقال الهاموك والله لقد خدعكم بخديعته ورماكم بسهم مكيدته فقال يزيد بن عامر ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين قال فما لبثوا الا اياما قلائل حتى جاءهم الخبر ان ابا ثوب قد جمع العساكر من سائر الجزائر من سمينه وبامينا وابا سلود وهو بعد ايام يكون عندكم قال فلما سمع الهاموك ذلك قال ليزيد بن عامر نستعين بالله تعالى ونتوكل عليه قال وبعث الهاموك ولده شطا الى البرلس ودميرة واشمون وطناج وما تحت يده من البلاد يدعوهم الى الجهاد فاقبل القوم اليه من كل ناحية ومكان في عدد وعدد وضربوا الخيام ما بين الشرق والقبلة من دمياط وكتبوا الى عمرو بن العاص

ابن وائل السهمى واخبروه بالامر فأبا ثور قد جمع الجموع وهو قاصدنا فانجدنا برجال
من ابطال المسلمين قال فلما وصل الكتاب الى عمرو بن العاص وقرأه انفذ اليهم
بهلال بن اوس وصفوان بن ربيعة وضم اليهم الف فارس من بادية الاعراب وواد
القرى وامرهم بالمسير الى دمياط قال واما ما كان من لجى ثوب فلما اجتمعت اليه
الجموع عرضهم بظاهر تنيس واذا هم عشرون الفا من الرجالة ومن الخيل خمسمائة
فارس من القبط ومن العرب المنتصرة وخرج بهم فى المراكب وساروا الى ان قربوا
من دمياط وخرجوا من المراكب ونزلوا بازا المسلمين وصفوا صفوفهم وعزموا على
الحرب قال وتقابل الجيشان فاول من خرج من صفوف المسلمين كان شطا بن الهامك
فخرج على جواده وحمل على الاعدا فقتل رجالا وجندل ابطالا الا انه رحمة الله عليه
اشترى الايمان بنفسه وشرح للاسلام صدره واشتاق الى دار السلام وذلك
عند ما لاحت له الانوار وانفتحت له ابواب قلبه بمعرفته ولم يزل يقاتلهم بقية
يومه الى ان جن الليل ورجع من قتال القبط الى الصلاة والقيام وطول ليلته قائم
على الاقدام فى خدمة الملك العلام متضرعا بالخوف والوجل منكس الرأس خجلا
من الرب عز وجل فلما انتصف الليل وطلع نجم سهيل اضطجع فلما كان وقت
الغلس وقرب الصبح وتنفس استيقظ شطا وهو باكى العين فقال له أبوه
ما الذى يبكيك يا بنى قال له انى رايت فى منامى ما لا ابصرته وسمعت كلاما ما سمعته
والدنيا منى طالق فقال له ابوه اعوذ بالله يا بنى من هذا الكلام ولعل ذلك يكون اضغاث احلام
فقال والله يا ابتى ما هو اضغاث احلام ولكنه قرب من الملك العلام الذى اجرى الافلاك وخلق
الضيا والظلام وبعث سيد الانام الى الخلايق بشرايع الاسلام وانى رأيت
فى نومى كان ابواب السما قد فتحت وانوار الهداية قد سطعت ولمعت فرأيت
ملائكة سما الدنيا ومنهم سجود لا يقومون ومنهم ركع لا ينصبون ومنهم
قيام لا يقعدون وهم من خشية ربهم باكون لا تتشف لهم عيون ورايت كذلك
سما بعد سما الى السما السابعة ثم رأيت فى السما السابعة قبة من الزمرد الاخضر
وفيها قناديل من الجوهر الابيض وهى تزهو بالانوار وتقد من غير نار وفى القبة
اربعون حورية عليهن حلل ما رايت فى الدنيا مثلها ولا اشكالها وجوههن كوجوه
الانس ولكن نورهن يكسف الشمس وفى ارجلهن نعال من الياقوت الاحمر
يطان بها على فرش الاستبرق والحرير على اسرة السرور فصاحت باحداهن وجعلت
تقول يا مفتون بدار الغرور اما آن لك ان تذكرنا وترغب فى قربنا اما تعلم ان من
اجلك خلقنا ربنا وجعل مهرنا منك الجهاد فما هذا الهجر والبعاد الفت الجفا

لما هكذا صنع اهل الوفا والآن فقد نفد الميقات وانقضت الساعات فتيقظ من المنام وبادر الى الرحيل واقصد دار السلام وارفع رأسك ترى ما اعد الله تعالى لقوام الليل وصوام النهار وللمجاهدين الابرار فرفعت رأسي فرايت قبابا معلقات لا يدرك لها نهاية بعدد النجوم وقطرات الغيوم في كل قبة منها مثل ما رايت في تلك القبة الاولى من الحوريات عليهن الحلى والحلل تشرق منهن الانوار فطلعت علي منهن حورية لو اطلعت على اهل الدنيا لاغنت بنورها عن الشمس والقمر وجعلت تقول شعر

انت يا مغبون ما تب	رح في بحر المنام
فدع السهو وبادر	مثل فعل المستهام
وسح الدمع على ما	فات شرا نفي المنام
ايها اللاهي دعني	لست اصغي للملام
انني اطلب ملكا	نيله صعب المرام
في جنان الخلد والفر	دوس من دار السلام
وعروسا فاقت الشمـ	ـس مع البدر التمام
طرفها يرسق بالمـ	ـظ مصيبات السهام
ولها صدغ على الخد	كنون تحت لام
احسن الاتراب قدا	في اعتدال وقوام
مهرها من قام ليلا	وهو يبكي في الظلام
يا اماني ورجائي	وعمادي والمرام
فاستمع مني كلامي	ثم فكر في النظام
وغدا بادر للحرب	والى ضرب الحسام
فانت يا سيدي تجدني	بعد ترحال الظلام

قال فلما سمع الهامون ما قص عليه ولده شطا قال يا ولدي اعلم ان من المنام ما يصدق ومنه ما يكون اضغاث احلام فلا تشغل قلبك بما رايت في منامك قال لا والله يا ابتي ما هو اضغاث احلام بل هو كرامات الملك العلام وما بقي لي يا ابتي في الدنيا مطمع ولم يزل في ليلته يبكي ويتضرع ويقوم على اقدام التذلل ويخضع ويخشع واجفانه من خوف الرب تدمع الى ان اصبح الصباح واشرق بضيائه ولاح وركبوا للقتال وودع شطا اباه واهله واخذ اهبته وتكفف بعدته وسلاحه وركب جواده فتعلق ابوه به وقال يا ابني بحق عليك لا تبلبني

بفراقك فقال له شطا ودع عنك العتاب فقد قرب لقآ الاحباب فعندها قامت القيامة
وانهلت الدموع السواجم وجرى من كل عين عين وودع الهامولك ولده وقال يا بني
ان صح منامك وضربت في دار السلام خيامك فاذكرنا بحسن طريقة الوفا واقرأ سلاما
على محمد المصطفى قال صاحب الحديث رحمه الله تعالى وبرز الغلام شطا الى
ميدان الحرب وجال على جواده ودعا البراز فخرج اليه من عسكر ابي ثوب فارس فقتله
وثاني وثالث ورابع وخامس ولم يزل يجاهد حتى قتل اثنا عشر فارسا من عسكر ابي
ثوب فلما نظر ابو ثوب الى ما صنع الغلام شطا بفرسانه لم يطق الصبر دون ان خرج
بنفسه وكان من الفرسان المذكورة فلما ساوى شطا في حومة الميدان قال يا غلام
كيف تركت الدين المستقيم واتبعت هؤلاء العرب ودخلت معهم في دين الاسلام
لقد عمل فيك سحر القوم واستوجبت العتب واللوم عد الى الدين الصحيح دين سيدنا
المسيح قال فلما سمع شطا كلام ابي ثوب غضب عليه وقال يا لعين اتامرني ان اترك
الدين المستقيم الذي كان عليه الخليل والكليم وقد انكشف لي ما اعد الله
تعالى من الخير العميم قال فلما سمع ابو ثوب كلامه غضب وحمل عليه ومد سنانه
اليه فالتقاه شطا بقلب قوي وعزم مضى وحسام مشرفي وتقاتلا قتالا شديدا
وتغالبا على خيولهما ولم يزالا في القتال الشديد والضرب العتيد مقدار ثلاث ساعات
حتى قطع النهار وعلاهما الغبار فاراد الله تعالى ان يطيب قلبه ويسكن لبه فكشف
عن بصره فرأى القبة التي كان راها في نومه والحور التي انشدته الابيات وفي كفها
كاس من الجوهر وفيه ماء من نهر الكوثر وهي تقول يا شطا هذا شراب من شربه
لا يشقى ولا يفنى ولا يهرم ولا يسقم والساعة تصل الينا وتقدم علينا فلما نظر
شطا الى ذلك صاح الله اكبر الله اكبر الله اكبر هذا ما وعد الرحمن وصدق
المرسلون ثم اخذ في البكاء فقال له ابو ثوب ما يبكاؤك يا غلام فقال له رايت
كذا وكذا فضحك ابو ثوب منه وحمل عليه وتقاتلا قتالا شديدا اعظم من الاول
واشد الا ان ابا ثوب سبق شطا بطعنة في صدره اطلع السنان يلمع من ظهره
فخر صريعا فلما نظر الهامولك الى ولده شطا مجندلا قتيلا لم يطق الصبر
دون ان حمل بنفسه واصحابه على عسكر ابي ثوب والتقى الجمعان وتقاتل الفريقان
وعلا القتام وبقي الافق كالظلام وعمل الحسام في ارقاب الرجال واشتد الزلزال
وعمل القتال ودارت رحاه الحرب وكثر الطعن والضرب واخذ اصحاب الهامولك
الملال والكلال وقد قوي عليهم اهل الشرك والضلال فرجعوا منهزمين ومن
ابي ثوب الى دمياط طالبين وطمع فيهم ابو ثوب واصحابه وظنوا انهم في قبضتهم

اذ أشرفت عليهم رايات المسلمين وابطال الموحدين يقدمهم هلال بن أوس وقد رفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير فلما نظر الهاموك الى رايات الاسلام علم ان الامير عمرو رضى الله عنه وارضاه وجعل الجنة متقلبه ومثواه قد انجده بالصحابة الكرام فقوى قلبه وصاح فى جنده وقال يا اهل الاسلام قد جاءكم النصر من الملك العلام فاحملوا الان على الكمنرة اللئام ثم حمل هو واصحابه على عسكر ابى ثوب وعطف على ابى ثوب وقال ياعدو الله جاءكم اهل الصدق والصفا والايمان والوفا وذهبت والله ارواحكم وقربت آجالكم قال الراوى فلما اقبل هلال بن أوس صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الف فارس نظر الى القتال فاشتاق الى الطعن والنزال فحمل بالراية المنصورة على الاعداء اللئام وجال بين الصفين وحمل هو واصحابه واشهروا السيوف وقتلوا من الكفار كل جبار عنيد وكشفوا عن الهاموك واصحابه العار واخذوا بالثار فلما نظر ابو ثوب الى ما نزل به من المسلمين ايقن بالهلاك والعطب وصاح فى اصحابه وحمل وقاتل قتالا شديدا بقلب اقوى من الحديد فبينما هو يجول اذ لقيه يزيد بن عامر رضى الله عنه ثم حمل عليه واعانه الله سبحانه وتعالى عليه فاخذه اسيرا وقاده ذليلا حقيرا وقد صاح الصياح فى الكفار باسر ابى ثوب ونزل النصر على اصحاب محمد المختار فولت الكفار الادبار وركنوا الى الفرار وقد تبعهم المسلمون فى الاثر وقتلوا من كفر ولم يكن لاصحاب ابى ثوب حصن يلتجئون اليه ولا بلد يرجعون اليه والبحر فى وجوههم والمسلمون فى ظهورهم فاستسلموا للقضا والقدر واعطى الله سبحانه وتعالى المسلمين النصر والظفر فاخذوا ابا مينا وابا شتا وهما اخوا ابى ثوب وقبضوا على بنى عمه وولاة الجزاير والبلاد قبضا بالكف وقتل من قتل وأسر من أسر وقد رجع المسلمون الى دمياط فرحين مستبشرين بنصر رب العالمين ثم اقبلت الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين الى الهاموك رضى الله عنه وعزوه فى ولده شطا رحمة الله عليه فشكرهم وقال هذا ما وعدنا الله ورسوله وقد احتسبته عند الله وصبرت لقضائه وقدره فقال له يزيد بن عامر اعلم ان فى الجنة درجة لا ينالها الا الصابرون قال الله تعالى الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون قال ابن اسحاق ثم دفنوا الغلام شطا رحمه الله موضع ان استشهد فى ثيابه فلما كان من الغد اقبل الهاموك الى خيمة يزيد بن عامر وقال ايها الامير رأيت البارحة ولدى شطا فى المنام وهو فى القبة التى وصفت لى والحور بين يديه فقلت له ما فعل الله بك قال قبلنى احسن قبول وجاد على بالسؤل والمامول وانزلنى فى جوار

الرسول مع البشير النذير وكان من امرى انه يغفر لمن زار قبرى ثم اذ هلال بن أوس احضر اباثوب وعرض عليه الاسلام فأسلم وكذلك اخوته وبنو اعمه وعرض الاسلام على بقية الاسرى فمنهم من اسلم ومنهم من بقى على دينه فاقرهم على اداء الجزية من عامهم المقبل ثم ركبوا فى المراكب الى تنيس وامر هلال ببناء الجامع موضع كنيستهم العظمى وكذلك جميع الكنايس التى فى الجزاير واخرج ابو ثوب من ماله ومال قومه الخمس وبعثوا به الى الامير عمرو بن العاص رضى الله عنه ونزل على التل الاحمر ظاهر تنيس واقر اهل الجزاير فى مواضعهم فلما اقربهم المقام قالوا لهلال بن أوس أيها الامير قد امنا من قبلكم وبقى علينا الخوف من موضع اخر قال هلال ابن أوس ما اعلم لكم عدو افقالوا بلى قال من فقالوا نخشى على انفسنا من اصحاب القلعة الكبيرة المسماة بالفرما وكانت قلعة كبيرة على جانب بحيرة تنيس مما يلى شرقيها وكان عليها الصامت بن مرة من آل مرداس فلما سمع هلال بن اوس بذكر القلعة اقبل عليها بجميع من كان معه من العرب واهل تلك الارض ونزل عليها وحاصرها فاشرف عليهم الصامت وأمر اصحابه ان يرموهم بالسهام وكان فيها الف رامى فرموا عن قوس واحد الف سهم واقام على حصارها عشرين يوما فلم يقدر عليها فبعث الى عمرو بن العاص يعلمه بذلك وبامرها ويستنجده فندب اليه عمرو للمقداد فى خمسمائة من العرب وثلاثة الف ممن اسلم من القبط **قال الراوى** فلما نزل المقداد على الفرما ونظر الصامت بن مرة الى ما نزل به من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحصار المسلمين علم انه بيد القوم لانه ليس له مجد ولا ناصر فصالح المقداد على ان يؤدى للمسلمين اربعة الف دينار واربعمائة ناقة والف راس من الغنم وان يمهله الى تمام السنة فان شاء استمر على اداء الجزية الى المسلمين وان شاء يرحل باهله ومن يصحبه ويسافر حيث شاء فاجابه المقداد الى ذلك ورحل المقداد وهلال بن أوس بمن معهما من عساكر المسلمين وساروا الى ان نزلوا على البكارة وكان عليها الباقرين الاشرف فاسلم هو واهله ومن كان معه ووصلوا منه الى القصير ففتحوه صلحا ثم ارتحلوا منه الى الوراده والى الان تعرف بهذا الاسم فسلمها اهلها وارتحلوا الى العريش فسلم اهله وكذلك غزة وعسقلان ففتحا جميعا بالصلح وذلك من فضل الله وكرمه **قال ابن اسحاق** رضى الله عنه ولما فتح الله سبحانه وتعالى مصر وبلادها على يد عمرو بن العاص رجع خالد بن الوليد رضى الله عنه وكبار الصحابة وابطال المسلمين وعبد الله يوقنا وبنو اعمه واصحابه الى الشام الى ابى عبيدة عامر بن الجراح رضى الله عنه وهو نازل على بحيرة

طبرية فالتقاهم ملتقا حسنا وهنأهم بالسلامة وبشرهم من الله بالكرامة واقاموا على بحيرة طبرية الى ان ورد كتاب امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بتجهيز العساكر الى بلاد الشرق وربيعة وديار بكر تحت رايد عياض بن غانم الاشعرى وسنذكره فى الجزء الثالث عشر ان شاء الله تعالى فى فضائل دمياط وسلامتها من العدو وجنده وان الله تعالى يمدها بالملائكة من عنده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستفتح على امتى مصر فالزموا المدينة البيضا على شاطئ البحر التى تسمى دمياط حدث بكر بن سهيل الدمياطى برفعه قال تغزو الروم دمياط فيقتلون ويأسرون فيظهر على الروم سبعون رجلا يبلغ نور وجوههم السماء ثم يعطى الله النصر لمن يشاء من المسلمين فيقهرهم فيقتلون انطلقوا الى دمياط فيمدها الله اهل دمياط بالملائكة ان الناس ليرون الملائكة فى المسوا عليهم السلاح فيمدون اهل دمياط روى مالك بن أنس عن نافع بن عمر رضى الله عنه قال سوف يفتح الله عليكم بمصر ثغر الاسكندرية ودمياط فاما الاسكندرية فخزايها من البر واما دمياط فهم صفوة من الشهدا من رابط بها كان معى فى حضرة القدس مع النبيين والشهدا وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقلنا يا رسول الله على من تسلم قال هم الصفوة المرابطون بدمياط قلنا يا رسول الله ودمياط بلد له قدر قال نعم اللهم ارزقهم بركة عن يمين وشمال ما دامت السموات والارض ليس لهم عدو الا علج او علجة فقلنا يا رسول الله ايما افضل الرباط بعسقلان او بالاسكندرية قال دمياط اتدرى يا ابن عباس لم سميت دمياط قال لا قال ادريس عليه السلام لما نزلت عليه الصحف نزل فيها انا الله ذو الجبروت والتدبير بامرى وصنعى اجمع بين العذب والمالح والثلج والنار كل ذلك بعلمى ومكنون سرى لاتمم بذلك الدال والميم والطا قال ابو الخير الكرخى دمياط بالسريانية قدرتى حدث بكر بن سهيل الدمياطى رحمه الله قال أخبرت ان رجلا يقال له احمد بن محمد بن محمد بن فضالة يروى الحديث بسيراف فسرت الى بلده فدخلت على رجل قد جاوز مائة سنة وقد سقط حاجباه على عينيه فسلمت عليه فرد على السلام وقال من الرجل قلت من بلدة يقال لها دمياط على شاطئ البحر فقال ما اسمك قلت بكر بن سهيل الدمياطى قال فادنانى منه ثم رفع حاجباه بكلتا يديه ثم قال الحمد لله الذى لم امت حتى رايت رجلا من اهل الجنة مقبلا ومشواه وانه قال الساكن بدمياط كالمجاهد

فى سبيل الله والقائم بها كالمتشحط بدماه والميت بها شهيد من مات بدمياط فكأنما مات فى السماء السابعة وهى المدينة البيضا يبعث اهلها شهدا ويحشرون شهدا **وقيل** اسم دمياط فى التوراة البيضا وفى الانجيل الخضرا **قال بكر** ابن سهيل الدمياطى مدينتان معصومتان من الفتن يموت اهلها شهدا ويحشرون شهداء دمياط وتنيس لا يأتيهما الشر حتى يحمد من اراد بهما سوأ قصمه الله تعالى **باب فى شطا ورملة** حدث بكر بن سهيل برفعه قال ابن اسحاق بين شطا ودمياط مثل الكافور من سعى اليها وركع بها فكأنما ركع بين الجنة والكرسى فرضوا على المسير اليها فانها بقعة مباركة وهى من بقاع الجنة **قال ابن اسحاق** رضى الله عنه حدثنا عمر بن الاصبغ عن جده عامر بن خويلد قال قتل سيدى شطا فى الليلة المباركة التى قال الله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم وهى ليلة النصف من شعبان فجعل الله تبارك وتعالى تلك الليلة موسما لزيارته **قلت** وهى الى الآن **وهذا** ما انتهى الينا من فتوح مصر المبارك على التمام والكمال والحمد لله على كل حال وصلى الله على علم الهدى وكنز العطا سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما ابدا الى يوم الدين

قد تم طبع هذا الكتاب بعون الملك الوهاب بمطبعة الجمالية الكائنة بأرض مصر القاهرة على ذمة ملتزميه كل من عين الاعيان هما حضرة الحافظ محمد افندى والحافظ عبد الرحمن تحرير الراجى عفو ربه المنان الفقير احمد عثمان وقد انتظم درر كماله وأفتر ثغر جماله فى سبع وعشرين خلت من شهر محرم الحرام الذى هو افتتاح عام سنة خمسة وسبعين بعد المائتين والألف من هجرة من خلقه الله على احسن وصف صلى الله عليه وعلى اله واصحابه ما لاح بدر تمام وفاح مسك ختام

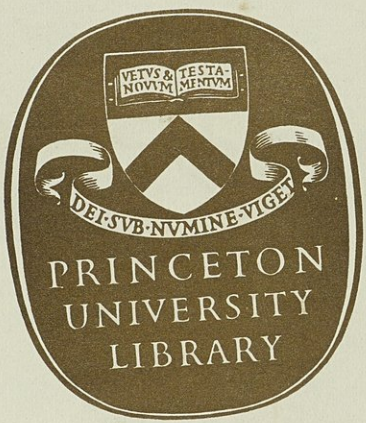
VETVS & TESTA-
NOVVM MENTVM
DEI SVB NVMINE VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY